

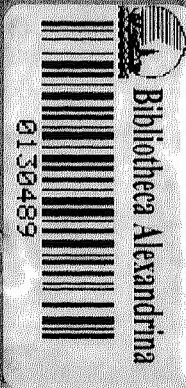


تَقَارِيرُ مَدِينَةِ طَبَّا

تَقَارِيرُ مَدِينَةِ طَبَّا

دار النشر العربية

طَبَّا



صَنَاجَةُ الطَّرَبِ
تَقْدِمَاتُ الْعَرَبِ

صَنَاجَةُ الطَّرَبِ فِي تَقَدِّمَاتِ الْعَرَبِ

تأليف
نوفل الطرابسي

— ١٠٠١ —

بها لَذَّ السَّعْيِ اخْبَارُ تَرَوْقُ لَهُ نَجَلِي الصَّدُورَ وَتَنَفِّي غَصَّةَ الْكَرْبِ
مِثْلُ حَدِيثِ أَغَارِبِ قَضَائِهِ سَفَرٌ يُعَدِّلُ دُعَى صَنَاجَةِ الطَّرَبِ

دار الراءد العربي

بيروت • لبنان

ص.ب. ٦٥٨٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مَنَاجِةُ الطَّرَبِ فِي نَفْدَمَاتِ الْعَرَبِ

يَتَضَمَّنُ عَشَرَ مَقَالَاتٍ وَخَاتَمَةً

المقالة الأولى

في مواطن العرب الحالية وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في الكلام على خطة العرب الأصلية المسماة جزيرة العرب

لا يخفى أن العرب كانوا يسكنون في شبه جزيرة تنسب إليهم بأقليم آسيا
اشتهرت عندهم بجزيرة العرب لكونهم لا يفرقون بين الجزيرة وشبه الجزيرة
وهي جزيرة متصلة بالبر وهذه شبه الجزيرة متوسطة بين إفريقية وباقي آسيا
وتنقسم إلى خمسة أقسام

الأول اليمن. وإقسامه حضرموت ومهرة وعاف وشعر ونجران وسمي هذا
القسم اليمن لوقوعه عن يمين الكعبة إذا استقبلت المشرق كما أن الشام عن شمالها
وقد تضاف شعر أحياناً إلى عمان قال الشاعر

دارُ سَعْدَى بِشَعْرِ عَمَانٍ قَدْ كَسَاهَا الْبَلْبَى الْمَلَوَانِ

والثاني الحجاز . وفيه مكة ويأرب ويقال لها المدينة اومدينة الرسول
وسمي حجازا لانه حاجر بين تهامة ونجد وفي جنوبي مكة جبل نور فيه الغار
المشهور الذي يقول فيه الشيخ محمد البوصيري^(١) في قصيدته المعروفة بالبردة
وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عي
فالصدق في الغار والصدق لم ير ما وهم يقولون ما بالغار من أزم
والى شرقي المدينة جبلا طي وها أجا وسلي ذكروا انها اسماء شخصين من
العرب كانت احدها أجا يغشق سلى وكانت العوجاء تجمع بينهما فصاحبوها على
هذه الجبال فسميت باسمائهم وهذه الجبال هي المشار اليها في قول جابر بن
رألان السنيسي

ونحن غلبنا بالجبال وعزها ونحن ورثنا غيشا وبدينا

اراد بالجبال اجا وسلي وهضابها وفي قول حسان بن حنظلة الطائي

غصبت علي أن أنصلت بطي وانا امرئ من طي الأجدال

اي أجا وسلي وعوارض ومن جبال طي الجودي وهو المراد بقول الشاعر
ابو صخرة البولاني

فا نطفة من حب مزن نفاذفت بها جنبنا الجودي والليل دامس
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ولكني فيما ترى العين فارس

والثالث تهامة . وهي بين اليمن جنوبا والحجاز شمالا
والرابع نجد . وهي ما يتصل بالشام شمالا والعراق شرقا والحجاز غربا
والخامس جنوبا وهي اطيب ارض في بلاد العرب وفيها يقول قيس بن الملوح

(١) نسبة الى بوضير قرية في نواحي اسكندرية مصر

أقول إصاحي والعيسُ تهوي بنا بين المنيقة فالضمار
تمنع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار^(١)

وقال آخر

سقى الله نجدًا والسلام على نجد وبا حبنا نجد على القرب والبعد
وفي نجد أرض العالية التي كان يحكمها كليب بن وائل بن ربيعة وأضي
بذلك إلى قتله وانتشابه حرب البسوس التي يضرب بها المثل. وجبل عكاد
التي لم تثبت العربية الفصيحة بعد نمادي زمان الإسلام إلا في أهلها
والخامس البمامة. وهي بين نجد واليمن ونسب العروضر، أيضًا لاعتراضها
بين نجد واليمن

ومن جبال هذه الأراضي جبال سيناء وخوريب حيث أنزل الله الشريعة
على موسى النبي (خرص ١٩) وجبل فاران (تك ص ٢١ وث ص ٢٢)
وجبل هرون الذي دفن فيه هرون أخو موسى النبي (عد ص ٢٢: ٢٠-٢٨)
والى جهة الشرق منه وأدي موسى وهو موقع مدينة يثرا القديمة قصبة العربية
الصخرية عند اليونانيين والرومانيين

وأشهر مدن بلاد شبه جزيرة العرب بلدة كانت تسمى في الزمان القديم
الباس والباسة والباسة. وأما الآن فتسمى مكة ويقال بكّة أيضًا بالباء الموحدة
المتوحدة وقيل إن بكّة يُطلق على بطن مكة لأزدحام الناس فيه لانه من بكّة
أي رحمة ويسمونها أم القرى ولا يدخلها الآن أحد ممن يخالف دين الإسلام
فإن بها المسجد الحرام الذي في وسطه الكعبة وطول هذه المدينة نحو ميلين
وعرضها نحو ميل واحد وليس فيها نبع إلا ماء بئر زمزم فاجرى إليها الخليفة
المتنذر بالله العباسي الماء من مسافة بعيدة في قناة ومن أماكنها المشهورة الصفا

(١) العرار بهاء أصفر ناعم طيب الريح قال الخليل هو بهار البر واحدة عرارة وهو
عين النور وقيل بل هو النرجس البري

والمرور بها بلحف جبل ابي قبيس وكلتا وادي منى وجبل عرفات والمزدلفة
وبطن محسر وغير ذلك

وقد امكن الشيخ عمر الفارض في ذكر هذه المواضع وغيرها من الحجاز بقوله

سقى بالصفاء الربيع ربعا به الصفا وجاد باجباد ثري منه ثروتي
على فائت من جمع جمع تأسني وود على واديه محسر حسرتي

وقوله ايضا

يا راكب الوجناء بلغت المني عجم بالحمى ان جرت بالجرداء
متيها تلعات واديه ضارج متيامنا عن قاعة الوعساء
واذا وصلت أثيل سلع فالنقا فالرقمين فلعلع فشطاء
وكلا عن العكمن من شرقه مل عادلا للخلع الفيحاء
فلنازي سرح المربع فالشبيك ه فالنبة من شعاب كلاء
ولخاضري البيت المحرام وعامري تلك الخيام وزائري الخشاء
ولفتية الحرم المربع وجيرة ١ حي المنيع تلفتي وعنائ

وايضا

عبرك الله ان مرت بوادي ينبع فالدهنا فبدري غداد
وسكنت النقا فأودان ودا ن الى رايغ الروي الشهاد
وقطعت الحرار عمنا لحيها ت فديدي موطن الامجاد
وتدائيت من خليص فعضنا ن فم الظهران ملقي البوادي
ووردت الجبوم فالنصر فالذكاء طرا مناهل الوراد
وانيت التنعيم فالزهرا الزا هر نورا الى دري الاطواد
وعبرت المحجون واجتزت فاخر ت ازديادا مشاهد الاوتاد
وبلغت الخيام فاباغ سلاحي عن حفاظ عريب ذاك النادي

في خطة العرب الاصلية واقسامها

يا رعى الله يومنا بالمصلى حيث نُدعى الى سبيل الرشاد
وقباب الركاب بين العَلَمَيْنِ المأزَمَيْنِ غواذي
وسقى جمعنا بجمع مائِنا وكيالات الخيف صوب عهاد
من تمني مالا وحسن مآل فهُنائي مِنِّي واقصى مرادي

وقد ورد في اشعار العرب ايضا اسماء كثيرة لجبال وادية وبتع كانوا
ينزلونها لكتهم نسوا في الازمنة الاخيرة اكثرها ومن ذلك اطلاقهم الاسم على
مسميات شتى من الامكة . ثم يفيدونه بما يضاف اليه كالبرقاء وهي كما لا يخفى
الارض الغليظة ذات حجارة فيقولون برقاء جندب وبرقاء شمائل وبرقاء
الأجدب ونحو ذلك الى ١٦ موضعاً وبرقة تهمد وبرقة الاحواز وبرقة
الاجناد وغير ذلك الى نحو ٩٠ موضعاً

قال الكهيت بن معروف

وقد فاض غرب عند برقاء جندب
لعينيك من عرفان ما انت تعرف

وقال النعمان بن المنذر

وما اعتلارك منه بعد ما جزعت ايدي المظي به برقاء شملا
وقال آخر

ويوماً ببرقاء الأجدب لو آتى أيباً مقامي لانتفى او لجربا

وقال طرفة بن العبد البكري

لحولة اطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال ابن مقبل

طربت الى الحي الذين نحلوا ببرقة احواز وانت طروب

وقال آخر

لمن الديار ببرقة الاجلاد عفت سوار رسمها وغوار
وكذلك لفظة ثبير فانها اسم لعدة جبال بقرب مكة غير ثبير الذي ذكره
امرء القيس الكندي بقوله

كان ثبيراً في عراب وبه كبير اناس في بجاد مزل

ومن ذلك ثبير الزنج وثير الاعرج وثير الخضراء وثير النصح وثير
غينا وثير الاحدب ويقال لها الاتربة

قال صاحب الاصل العلامة الدكتور فان ذلك انهم يتصرفون في هذه
الاسماء على وجوه شتى نحو ذي سلم وذي الغضا وذي قار وذي طلوح
وكذلك ذات الشيخ وذات الحمل وذات عرق قال صاحب البردة

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقله بدم

وقال الفارض

أنا الغضا ضاعت وسلي بذي الغضا ام ابتسمت عما حكته الملامع

وقال بكير بن الأصم التغلبي

هم يوم ذي قار وقد حيس الوغى خاطول لها ما ججفلاً بلهام

وقال آخر

اذا نزل الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتها الخيام

وقال الفارض ايضا

وبلات الشيخ عني ان مررت بجي من عريب الجرج حي

وقال عنتره العبسي

طال الثواء على رسوم المنزل بين الكليل وبين ذات الحمرل
ومن ذلك ايضا بطن قو وبطن انف وبطن مر وبطن اباد وبطن حر
الى غير ذلك نحو ٢٠ أسما قال امره الفيس

سما لك شوق بعد ما كان افصرا وحلت سلبى بطن قو فعرعرا
ومنه ايضا حجر الياة وحجر الراشدة وحجر بني سليم وحجر دوس وحجر ايضا
وادي في بلاد عذرة وغطفان وموضع آخر في بلاد اليمن
ومنه ايضا اسم دارا لمدينة في الجزيرة وادي في بلاد بني عامر ويقال دارة
بالنساء ايضا قال بعضهم ذكر ياقوت في المشترك فوق الاربعين منها واماها
الفيروزابادي الى ما فوق المئة . وقد ألف الشيخ ابو الحسين احمد بن فارس
كتابا في المواضع المعروفة بهذا الاسم

اما مدينة جدّة فهي على البحر الاحمر وهي فرضة مكة ومدينة الحديبية
قبل بعضها في الحبل وبعضها في الحرم وتبوك على نصف المسافة بين المدينة
ودمشق وفيها كانت الواقعة العظيمة بين المسلمين والروم

ودومة الجندل قبل كان رجل اسمه الأكيدر في بلدة له قرب عين
النمر في العراق يقال لها دومة وكان يزور اخواله من بني كلب باطراف
الشام فبينما هو في بعض الطريق ظهرت له مدينة متهمة لم يبق الا بعض
حيطانها وكانت مبنية بمكان يقال له الجندل فاعاد الأكيدر بناءها وغرس
فيها الزيتون وسماها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة العراق فجعلها خالد
ابن الوليد سنة غزوة تبوك التي مر ذكرها وكان بنو كلب المذكورون ينزلون
يومئذ بها ومنهم زهير بن جناب الكلبي وهو القائل في غزوتهم لبني بكر وتغلب
على ماء الحني

ابن ابن الفرار من حذر المو ت واذا تفتون بالاسلاب

إذا أسرنا مهنلاً وإخاه وأبن عمرو في الفيد وأبن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضاء رقاد الضحى برود الرضاب
وزهير بن شريك الكلبي وهو القائل لزوجه اسماء

ألا أصبحت اسماء في الخمر تعذل وتزعم اني بالسناه موكل
فلت لها كفي عنك نصطيح ولا فيني فالتغرب أمثل

والبحر بكسر الحاء المهملة هي الى الجنوب من دومة الجندل المذكورة تنزلها
حجاج الشام قبل كانت هناك ديار ثمود واما البحر بفتح الحاء فهي في اليمامة
بقرب مدينة اليمامة وها منازل بني حنيفة وبعض مضر وبنو حنيفة هؤلاء من
بكر بن وائل الذين منهم مسيلة الكلاب وهم من العرب المستعربة من قبيلة
ربيعة القرس التي منها الامام ابو الفاسم الحريري صاحب المقامات المشهورة
وكان من قرية يقال لها المشان فقال فيه بعضهم لما عجز في ديوان الانشاء

شيع لنا من ربيعة القرس ينتف عثوثه من الهوس
انطفئ الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

ومن اليمامة حلام الجديسية وكانت من مكان هناك يقال له جوف فلقبت
بزرقاء جوف لزرقة كانت في لونها وهي التي يقول فيها شاعرهم

إذا قالت حلام فصددقوها فان القول ما قالت حلام

واما نيا فكانت حاضرة طي وبها الحصن المعروف بالابلق الفرد وفيه
يقول السموأل بن عاديا

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء برنديه جميل
الى ان قال

لنا جبل يجله من فجيعة منيع يرد الطرف وهو كليل

في خطة العرب الاصلية واقسامها

٩

هو الابن الذي شاع ذكره يعز على من رآه ويطول
رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل
وبقرب شط البحر الى غربي الحجر مائلاً الى الجنوب خراب مدّين وهي
التي يقول فيها كثير عزة

رهبان مدّين والذين عهدتهم يكون من جذر العلاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خرّوا لعزة رُكعاً وسجودا
وهناك بن يقال انها هي التي سقى منها موسى النبي سائمة رعوئيل كاهن
مديان (خرص ٢)

والينبع وهي مدينة بقرب البحر كانت منزلاً لبني الحسن بن علي بن ابي
طالب ولها فريضة على البحر نحو مرحلة منها وبقربها جبل رضوى الذي منه
يُجَلّ جبر المسن الى الآفاق واليه اشار صفي الدين الحلي بقوله
وحقك آني قانع بالذي هموى وراض واولجته في الهوى رضوى
اما المدينة فهي التي اشار اليها الفارض بقوله

تبقيت ان لادار من بعد طيبة تطيب وان لا عزة بعد عزة

وخبير فيها قبائل يهود متعربة بوصفون بالكر والخبث وكان بها السموأل
بن عاديا الذي مر ذكره قبل كانت للعائلة ثم صارت لبني عزة بن اسد بن
ربيعة وهي ردية الهوى تولد الحميات وحماها موصوفة بالشدة قال الاخفش

فمن يك امسى في بلاد مقامه يسائل اطلاقاً بها لا تجاوب
وقفك بها ابكي وأشعر سحنة كما اعتاد معمولاً بتجبر صالب^(١)

(١) يريد بالصالب المحي التي يكون معها صداد

المقالة الاولى الفصل الاول

١٠

وخبر هذه كثيرة الخيل يُجل منها التمر الى الجهات القصوى . قال
خارجة بن ضرار المرّي

أخالد هلاً اذ سَفِهَتْ عشيرةً كَفَنْتُ لسان السوء ان يَتَدَعَّرَا
فانك واستبضعك الشعر نَحُونَا كَسْبُ سَبْضِعٍ نَمْرًا الى ارض خيبرَا

وعجز البيت الثاني مثل مضروب بين العرب
واما الجار فهي الى الجنوب الشرقي من المدينة على نحو يومٍ وليلة وهي
فرضة المدينة واليهما يُنسب جماعة منهم عبد الملك بن الحسن الجاري الاحول
والى الجنوب الشرقي منها على نحو مرحلة مالا يقال له بدر وبقرية قرية بدر
التي كان فيها اليوم المشهور بين المسلمين والمشرّكين من قریش وكانت النصره
للمسلمين فسُيَّ بدر القتال وبدر الموعد وكان ممّن قبل ذلك اليوم بدر بن
الاسود بن زمعة بن المطلب بن نوفل القرشي وكان مشركاً فقال ابوهُ برثيو
آنبيكي ان يضلّ لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهودُ
فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ نقاصرت المجدود

وعلى نحو منتصف الطريق بين الحجة التي هي الآن خراب وبين مكة
عُسفان ويقال لها مدرج عثمان وهي المشار اليها بقول عنترة العبيسي

كأنهم يوم صدّت ما تكلمنا ظلي بعسفان ساحي الطرف مطروفُ

واما الطائف فهي الى شرقي مكة ببطن من جبل غرّوان وهو شديد
البرد كثير الفواكه يلا في جوارره من البساتين التي تسمى بها العيون والجداول
المحدرة من الجبال ويقال انها سُميت بذلك لانها طافت على الماء في الطوفان
اولاًن جبريل طاف بها على البيت لانها كانت بالشام فنقلها الله تعالى الى
الحجاز بدعوة ابراهيم واهلها من قبيلة ثقف الذين منهم الحجاج بن يوسف الثقفي
وهم من قيس عيلان وقيل من اباد وقيل هم من بقايا ثمود

وبقرب الحد بين اليمامة وبنهامة عكاظ التي كان يقوم بها سوق سوف يأتي
الكلام عليه

واما صنعاء اليمن فهي من اشهر مدن بلاد العرب وانزهها وهي قصبة بلاد
اليمن قيل انها تشبه دمشق لكثرة مياهها واشجارها وهي معتدلة الهواء حسنة
الاسواق واسعة التجارة وكانت كرسي ملوك اليمن في الزمان القديم ولم بها قصر
عظيم يقال له غيدان سوف يأتي الكلام عليه

والى الجنوب الشرقي من صنعاء موقع مدينة مارب ويقال لها سبا نسبة
باسم عبد شمس الملقب سبا . قيل انه بنى هناك سدا عظيما فساق اليه السيول
من اميد بعيد وبني جانبا كبيرا من المدينة على السد ففي بعض السنين تراكمت
الامطار ودفعت ذلك السد فهلك بذلك خلق كثير وسميت هذه الحادثة
سيل العرم الذي تفرق به عدة قبائل من العرب . وفي تلك النواحي كتابات
على الصخور بالخط المسند المعروف بالخط الحميري وكان مجهولا قبل الان الى
ان اُكتشفت الى معرفته في سنة ١٨٧٥ م بعض السياج من الفرساوية والانكليز
الذين طافوا اكثر انحاء هذه البلاد بواسطة مقابلتهم ما هو منقوش منه على
الآثار التي اكتشفوها بالخط الحبشي والكوفي والفينيقي والعبثاني (راجع سياحة
المعارف صفحة ٥٠١) وزعم بعضهم انها من عصر عاد وثمود وان نسبتها الى
حبيبر وهم مبنون على ان ثمود طرده حبيبر من اليمن فنزل في الحجر
والى جهة الشمال الغربي من صنعاء صعدة التي بنى الحميري عليها مقامته
الصعدة التي يقول فيها

مَنْ ضَامَهُ أَوْ ضَارَهُ دَهْرُهُ فَلْيَقْصِدِ الْفَاضِيَّ فِي صَعْدِهِ
سَاحَهُ أَوْ رَى مِنْ قِبَلِهِ وَعَدْلُهُ أَنْعَمَ مِنْ بَعْدِهِ

والى الغرب من صنعاء على نحو مرحلة من شط البحر الاحمر مدينة زيد ولها
فرصة على البحر تسمى علافة والى الجنوب منها على شط البحر ايضا مدينة الحنا

التي تجلب منها البن وعلى اربع مراحل من الخنايت النقيه وهي من الاراضي التي
ينبت بها البن ايضاً فتأتيها التجار من جميع الاقطار
واما مدينة عدن فهي على شط بحر الهند ولها مرساة امينة للسفن كانت لها
تجارة واسعة بين الشرق والغرب لكنها الآن لم يبق لها اعتبار والاراضي التي
حولها جديدة يابسة وهي بيد الانكليز محطاً لمراكبهم التجارية بين الهند والسويس
ويتبع اليمن جزيرة سقطرة التي تجلب منها الصبر السطري المشهور. والى
هنا تنتهي خطة اليمن

واما مدينة مسقط في قصبة بلاد عمان
والاحساء قصة بلاد البحرين وهي ذات مياه جارية وفيها ينابيع شديدة
الحارة ونخيلها يقارب غوطة دمشق في الكثرة ويوسفون الثمر الى نواحي الهامة
ويستبدلونه بالحنطة

والى شمال الاحساء على شط خليج العجم القطيف وهناك مغاص للؤلؤ ويأتيها
وين كاظمة ٤ ايام وبقرها في خليج العجم جزائر البحرين بها مغاوص لؤلؤ ليس
لها نظير في العالم

واما كاظمة المذكورة في علي خليج العجم الى الجنوب من الابلّة وربما تحسب
من العراق وقد ذكرها صاحب البردة بقوله

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

واومض البرق في الظلماء من اضم

واما مدينة الهامة فهي الى الجنوب من الاحساء بميلة الى الغرب وقد
سبق ذكرها

ومن المدن القديمة ببلاد العرب النعم وهي الى الشمال الشرقي من زبير
والى الجنوب من زبير حصن تعز كان مقام ملوك اليمن وهو على جبل مطل
على النهام وارض زبير والى شرقي صنعاء على شط جون داخل البحر مدينة

طفار وهي قصبة بلاد شحرو بينها وبين الهند تجارة وفي اراضيها كثير من شجر
الهند كالنارجيل والتنبيل والى شمالي طفار رمال الاحقاف وهي بلاد عاد
واما نجران فهي على جبال من شمال اليمن الى شمال صعدة تبعد عن صنعاء
نحو ١٠ مراحل وكانت اراضيها لقبيلة همدان وهمدان هو كهلان بن سبا

—xox—

الفصل الثاني

في الكلام على بلاد الجزيرة وتسمى ديار بكر وديار ربيعة
وديار مضر

قبل ان يبعد سيل العرم الذي سبق الكلام عليه رجل ثلاث قبائل من
عرب اليمن وهم ربيعة وبكر ومُضَرَّ وسكنت في شمال ما بين البحرين (يعني
نهر دجلة والفرات وتسمى تلك الاراضي بالجزيرة) فتسمت حينئذ تلك النواحي
ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر قال الشيخ صفي الدين الحلي

هو يفتادني بديار بكر وآخر نواحي الجامعين
ساسرع نحو راس العين خطوا واقصدها على راسي وعيني

وفيهما يجري نهر الخابور وعلى جانبيه اشجار كثيرة اشار اليها قول الخاريجة
في رثاء ابن طريف

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

ومن بقايا بني مضر المذكورين العرب الطائية وطى قبيلة حاتم بن عبد الله
المشهور بالكرم فاوس بن حبيب المعروف بابي تمام الطائي الشاعر المشهور

ومن مدنها سروج واليهما يُنسب ابو زيد السروجي الذي بنى الحريري
مقاماته عليه . ومدينة الرقة ويقال لها ايضاً البيضاء واليهما يُنسب الامام
البيضاوي صاحب تفسير القرآن

والرحبة وتُنسب الى مالك بن طوق احد قواد الرشيد العباسي فيقال لها
رحبة مالك

وقرقيسيا وهي مدينة هند بنت الريان التي قتلت جذيمة الابرش وتعد من
ديار مُضر

ومدينة دارا التي يقول فيها بعض الشعراء

ولقد قلتُ لرحلي بين حرّان ودارا
اصبري يا رجلُ حتّى يرزق اللهُ حمّارا

ومدينة نصيبين من ديار ربيعة مخضفة بالورد الابيض ويُجلب منها الى
الافاق ولا توجد فيها وردة حمراء

وجزيرة ابن عمر وهي مدينة صغيرة على غربي دجلة يُنسب اليها طائفة
كبيرة من اهل العلم منهم بنو الاثير وهم المبارك صاحب كتاب جامع الاصول
في احاديث الرسول ونصر الله صاحب الانشاء والبلاغة وعلي صاحب التاريخ
فيقال لكلّ منهم الجزري نسبة الى هذه الجزيرة

وعانة وهي بلدة بالقرب من موقع بابل القديمة موصوفة بجودة الخمر
قال الشاعر

أأين بابلٍ ام من لم احظك السيرُ ومن عانةٍ ام من مرأشفتك الخمرُ
وهل ما اراه الموت ام حادث النوى

وهل هو شوق بين جنبيّ ام جرّ

وتكريت واليهما يُنسب جماعة من العلماء وسُميت بتكريت بنت بابل وهي
الآن خراب

الفصل الثالث

في الكلام على بلاد العراق

قال ابو الفداء انما سمي العراق عراقاً لانه سفل عن نجد ودنا من البحر
أخذاً عن عراق القرية وهو الخرز الذي من أسفلها والعراق علي ضفتي دجلة
مثلاً بلاد مصر علي ضفتي النيل

وحكى ابن خلدون المغربي في كلامه على الطبقة الثالثة من العرب وهم
العرب التابعة للعرب ان هذه الامة من عرب البادية اهل الخيام الذين
لا اغلاق لهم لم يزالوا من اعظم العالم واكثر اجبال الخليفة يكثرهم الامم تارة
وينتهي اليهم العز والغلبة بالكثرة فيظفرون بالملك ويغلبون على الاقاليم
والمدن والامصار. ثم يهلكهم الترفه والتنعيم ويغلبون عليهم ويقتلون ويرجعون الى
باديتهم الى ان قال وجعلوا طلب رزقهم في معاشهم يترصده السبيل وانتهاب
متاع الناس وكان في الطبقة الاولى منهم العالقة. وفي الثانية التابعة ولم وقائع
وحروب مع بختنصر ملك بابل وهو الذي اسكن بعضهم في الحيرة وبعد موته
انتقلوا منها الى الانبار فانتشروا بعد ذلك بارض العراق والشام

اما الحيرة المذكورة فهي مدينة على حافة البادية وحافة سواد العراق قيل
ان تبعاً لما سار من اليمن الى خراسان وانتهى الى موضعها ليلاً فتمخبر ونزل وامر
ببنائها فسميت الحيرة وضارت مقام الملوك للخميين من آل النعمان بن المنذر
وبها تنصّر المنذر بن امرئ القيس وبني بها الكنائس العظيمة واقام قصراً سماه
الزوراء واليه اشار النابغة الذبياني اذ قال

وتسقى اذا ما شئت غير مصرد
بزوراء في اكفافها المسك كارع

وكانت مدينة عظيمة ذات زرعٍ وانهار فلما ظهر الاسلام افتتحها ابو بكر
الخليفة الاول بالامان فمن ثم صارت دار الخلافة الاسلامية مدة يسيرة الى ان
انتقل منها التخت الى الانبار

والانبار مدينة في العراق ايضاً على شرفي نهر الفرات بينها وبين بغداد
١٠ فراسخ قيل انها تسمت بهذا الاسم لان الملوك الاكاسرة كانوا يجزئون فيها
الطعام وقد نسب اليها جماعة كثيرة من اهل العلم في كل فن
ومن ثم شرع عمر بن الخطاب خليفة ابي بكر المثار اليه وخلفاؤه من بعده
في بناء بلاد بهذه البقعة التي اختاروها مركزاً لاقامتهم وكانوا ينقلون كرسي
الخلافة الى البعض منها فغصت بالسكان وعمرت وتزينت بالعلوم والفنون التي
ادخلوها فيها وازهرت

ولول مدينة بناها المسلمون على ما ذكرنا كانت البصرة في زمن عمر بن
الخطاب المقدم ذكره ومعنى البصرة البحارة الرخوة وينسب اليها جماعة من
اهل الادب منهم الشيخ محمد ابو القاسم الحريري صاحب المقامات المشهورة .
وفي الجنوب الغربي منها وادي يقال له وادي النساء لان النساء يجرن اليه
ويجنيبن منه الكا وفيها مرصد البصرة المشهور وسوف ياتي ذكره في محله
ومدينة الكوفة مصرها سعد بن ابي وقاص احد الصحابة في زمن خلافة عمر
المثار اليه ايضاً ونقل اليها اهل الحيرة وقيل هي على ذراعٍ من الفرات ولعله
المسي بالخورنق قال ابو الفداء . الخورنق نهر بارض الكوفة وهو ايضاً قصر
بها . وقد لهجت شعراء العرب كثيراً بذكر الخورنق قال ابو العتاهية

لطي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

وقال الاسود بن يغفر

اهل الخورنق والسدير وبارق والفصر ذي الشرفات من سندار

وقال النخيل الشكري

في بلاد العراق

١٧

ولقد شربت من الماء مة بالصغير والكبير
وإذا أتشيت فأنني رب الخورنق والسدير
وإذا صحت فأنني رب الشوبهة والبغير

وبين الكوفة والقادسية موضع الواقعة الشهيرة التي كانت بين العرب
والفرس وتُعرف بيوم القادسية وإليها أشار أيضاً بقوله

وبوم القادسية قد دعينا إلى تبديد شملهم دواعي

وبينها وبين واسط أيضاً جرت واقعة أخرى بينها وهي من أعظم وقائع
العرب وفيها يقول بكير بن الأصم النعالي

هم يوم ذي قارٍ وقد حيس الوغى خلطوا لهاماً حجنلاً بهامـ
ضربوا بني الاحرار يوم لقوهم بالمشرفي على صميم الهامـ

والكوفة مولد أحمد بن الحسين الشاعر المعروف بالمتنبّي المولود في سنة
٢٠٢ للهجرة (سنة ٩١٥ م) وبالقرب منها مسجد عليّ وهو مدفن الامام علي بن
ابي طالب واليويج كثيرون من شيعة الفرس وغيرهم وفي هذه الاراضي نشأت
الطائفة الباطنية والقرامطة

ومدينة واسط بناها الحجاج في ايام خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٨
لهجرة (سنة ٦٩٧ م) وسماها بهذا الاسم لكونها متوسطة بين البصرة والكوفة
ومدينة بغداد بناها ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي وسوف يأتي الكلام
عليها في محله

ومدينة سرّمن رأى التي خففها الناس وقالوا سامري وعلى ذلك قول ابي
الطيب المتنبّي في كتابه كان من اهلها عند سيف الدولة العدوي

أسامري ضحكة كلّ راء فطنت وكنت أغني الاغنياء

ومن انهر العراق نهر يُعرف بنهر عيسى نسبةً الى عيسى بن عبد الله العباسي

والحلة مولد الشيخ صفى الدين بن سرايا الحلي صاحب الديوان المشهور
في الشعر والمحجوكات الارثقية قيل ان هذه المدينة بنيت من حجارة بابل القديمة
وموقع بابل الى الشرق منها وهي على الجنوب الغربي من بغداد
والقادسية وهي على حافة البادية وحافة سواد العراق
وقطر بل الى جهة بغداد بالقرب من بلدة يقال لها عكبري كانت مجعاً
للخفاف ومألفاً لاهل النصف وفيها يقول محمد بن جعفر الحلي
يقولون ما قطر بل فوق دجلة عذمتك الفاظاً بغير معاني
اقرب طرفي لا اري النقص دونها ولا النحل بادية من قري البردان
وهي توصف بجودة الخبز حتى صار ينسب اليها قال المنيني
بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصي ثريها نقيته للحناني
سفتني بها القطر ثلي مليحة على كاذب من وعدا ضوء صادق
وقال ابو النواس المحكي حكاية عن الخمر
قطر بل مربعي ولي بقري الكر خ مصيف وأمي العنب
والملايين على بعد مرحلة من بغداد لجهة الجنوب وكانت تسمى قديماً
طيسيفون وكان فيها بقايا ايوان كسرى قيل ان سعته من ركنه الى ركنه ٩٥
ذراعاً وارتفاعه ٨٠ ذراعاً
وبين بغداد واسط بلدة يقال لها جيل ينسب اليها خلق كثير منهم ابن
الخطاب الشاعر الجليلي كانت بيته وبين الشيخ ابي العلا المعري مشاعرة وفيه
قال المعري قصيدته المشهورة
غير مجيد في ملتي واعنفادي توح باك ولا ترثم شاد

الفصل الرابع

في الكلام على اراضي الشام

قال ابو الفداء انما سُمي الشام شاماً لان قوماً من بني كنعان تشاءوا اليه اي تياسروا لانه عن يسار الكعبة وقيل سُمي شاماً بسام بن نوح واسمه بالعبرانية والسريانية شام وقيل سُمي شاماً لبقع فيه حمر وبيض وسود تشبهها لها بالشامات وهي تجمع على شام كما تجمع الهامة على هام اه . وهذا الاسم لم يُطلق على هذا القسم الا منذ افتتاحه من العرب المسلمين سنة ٦٣٢ م وكان يُطلق عليه قبل ذلك اسم سورية وقد اعادت له هذا الاسم الآن الدولة العلية العثمانية منذ جمعت كثيراً من اقسامه الى ولاية واحدة اطلقت عليها اسم ولاية سورية

وقد ذكرنا في الكلام على العراق ما حكاه ابن خلدون المغربي عن سبب سكي العرب في هذا القسم واسناده ذلك الى مختصر مالك بابل وقال ابن الفداء ان قوماً من اليمن من بني الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن ادد ابن زيد بن كهلان بن سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه

وغسان هذه قرية من قرى حوران التي هي الى الجنوب الشرقي من دمشق وهناك قرية أخرى يقال لها بصرى ذكر ابو الفداء انها من ديار فزارة وبني مرة ومن قرى حوران ايضاً اذرع المذكورة في التوراة (يش ص ٢١: ١٢) وكانت العرب تسميها اذرعاً قال امرؤ القيس

تنورتها من اذرعاً واهلها يثرب ادنى دارها بظُر عالي

ومنها ايضا السويلاء التي فيها بني النعمان بن عمرو بن المنذر من ملوك
غسان قصراً وفيه يقول النابغة

لم شجرة لم يعطها الله غيرهم من اناس والاجلام غير عواذب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
تجبرن في ازمان يوم حليته الى اليوم قد جرب كل التجارب

ومنها قوله في عمرو المذکور

عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

والى شرقي جبل حوران المذکور ارض البثنية المسماة في الكتب المقدسة
ارض باسان وعماها ابو الفداء البثنية وقال انها كانت لايوب الصديق ملكاً
ومن قراها صلخد ويقال ايضاً صرخد وهي بلدة ذات قلعة مرتفعة يقول ابن
الفداء انها قاعة بني هلال

واكثر الاماكن المشهورة بهذه الاراضي في الزمان القديم هي الآن خراب
لكن اسماؤها باقية وابنيها متينة من الحجر الاسود الذي يجلب الى سائر البلاد
لارحية الطواحين وسقوفها من اعمدة حجرية مكان الجسور عليها صفائح من الحجارة
مكان الالواح قيل ان في بصرى بيت ينسب الى سرطيس الراهب الذي
يقال له بجيرة مركب من ٥ حجارة لا غير اربعة منها حيطان والخامس سقف
وله باب من الحجر ايضاً سهل الفتح والاعلاق كباب الخشب واكثر ابياتها تحمها
ايات أخرى عميقة في الارض

وكانت ملوك غسان التي مر ذكرها عمالاً للقبصرة على عرب الشام وقبل
ظهور الاسلام كانت دمشق تحت ملكتهم وهم الذين يقول فيهم حسان بن ثابت
الانصاري

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابي مارية المعمر الخول
يستقون من ورد البريص عليهم بردي يصفق بالرحيق السلسل

وبردى المذكور في الشطر الاخير هنا هو نهر يسقي غوطة دمشق التي فيها نفس المدينة وهي غوطة حسنة جداً واحدى جنات الارض الاربع المفضلة على غيرها من المنزهات وثانيها شعب بوان وثالثها نهر الابله ورابعها سفد سمرقند^(١) قال الشيخ برهان الدين الفيراطي يصف وادي بردى

اشناق في وادي دمشق معهداً	كل الجبال الى حاه يُنسب
ما فيه الأروضة او جوسق	او جدول او بلبل او ررب
وكان ذاك النهر فيه معصم	بيد النسيم منقش ومكسب
فاذا تكسر ماؤه ابصرته	في الحال بين رياض يتشعب
وشدت على العبدان ورق اطربت	بغنائها من غاب عنه الطرب
فالورق تشدو والنسيم مشعب	والنهر يسقي والحلائق تطرب
وحلت بقلبي من اعالي جنة	فيها لارباب الخلاعة ملعب
ولكم طربت على السماع يجنكم	وغنا بربوتها اللسان يسهب

ومدينة دمشق هي من المدن القديمة جداً يقال انها سميت بذلك نسبة الى بانيها دمشق بن كعبان او دامشقيوس فتحها المسلمون سنة ١٤ الهجرة (سنة ٦٣٥ م) في خلافة عمر بن الخطاب تحت لواء خالد بن الوليد ونقل اليها كرسي الخلافة من الكوفة في زمن معاوية بن ابي سفيان ولا زال بها الى ان انقضت دولة بني أمية وقامت دولة العباسيين ونشأ بها جماعة من العلماء واهل الادب منهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي صاحب الالفية المشهورة في النحو والشيخ حميد الحريري صاحب الحاشية على شرح الفاكهي للقطر والشيخ حسن البوريني شارح ديوان ابن الفارض والشيخ عبد الغني النابلسي وعائشة الباعونية

(١) شعب بوان المذكور هو شوطة ببلاد فارس بين محل يقال له ارجان ومحل آخر يسمى النوبندجان وسفد سمرقند هو ببلاد بخارا واما نهر الابله فهو شعبة من نهر دجلة تتفرع في اراضي البصرة

صاحبة البديعية المشهورة وكثيرون من العلماء والشعراء قبل ان في مائها
سريرة لدفع الجلام عن اهلها فلا يصيبهم البتة وكسر عاديته عن الغريب
المصاب به فانه اذا اقام فيها توقف به في الدرجة التي يكون قد بلغ اليها فلا
يزيد عليها وكل ذلك وهم

وفي وادي نهر بردى المذكور قرى كثيرة ومنزهات كالقبة وبلودان
والرباني والصاحبة التي يقول فيها الشيخ عبد الغني النابلسي

الصاحبة جنة والصالحون بها اقاموا

وقارة والنبك وما اعدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بجودة
هوائها ومائها وقد لقيت بها الشعراء قال بعضهم

اذا هاجت الرضاء ذكر لك بردت

حشائي كائي بين قارة والنبك

والنيرب والربوة والمشار وفي ذلك يقول صلاح الدين الصفدي

انمض الى الربوة مستمتعاً تجد من اللذة ما يكفي

فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنك والدف

وبيت راس التي ماتت بها حيازة جارية يزيد بن عبد الملك الاموي
فات كمناً عليها وذلك انه نزل في بيت راس للثبته فقال زعموا انه لا يصفى
لاحق عيشه يوماً كاملاً وسأجرب ذلك ولما اصبح امران لا يرفع اليه شيء من
مهمات الملك الى الليل وخلا بحيازة تغنيته الى ان حضر الطعام فجلس للأكل
وفي معه وكان قد قدم اليه من رمان بيت راس وهو عظيم الحب في الغاية
فشرقت حيازة بحببه منه وماتت قبل انتصاف النهار فخرج عليها جرعاً شديداً
افضى به الى الموت في ذلك الشهر

اما بعلبك فليس لها اعتبار في هذه الايام الا لسبب آثار ابنتها القديمة

وأما في الزمان القديم فكانت مدينة عظيمة من احصن المدن وامنعها ولم تزل على جانب من العظمة بعد استيلاء المسلمين الى نحو سنة ٧٠٠ هجرية (سنة ١٢٠٠ م) وكان فيها اسواق كثيرة وجوامع وحواريات ولها سور عظيم تراكم عليه السيل مرة من الجهة الجنوبية فدفعه وطغمت المياه على المدينة فاخرت منها ما ينيف على ١٥٠٠ بيت واهلكت خلفا كثيرا والآث قد بقي منها قلعة عجيبة البناء في اركانها واعمدتها وحجارتها العظيمة الهائلة وفيها كثير من الاعمدة مسقوفة بالواجح حجرية وعليها نقوش كثيرة مختلفة الاشكال يصعد الى سطحها بالولب من جوف بعض الاركان وعليها آثار يقال لها قصر بنت الملك وجميع هذه الابنية محكمة الوصل حتى كانها حجر واحد . وقال بعض الذين يترددون الى هذه القلعة انه لا يدخلها مرة الا ويرى فيها شيئا جديدا لم ينسب له قبلا لكثرة ما فيها من الصنائع والاعمال غير انها الآن تهدمت ولم يبق منها الا ما لم يقدر عليه كرور الايام ومع ذلك لم تزل معدودة من عجائب الابنية والناس يزعمون انها من بناء سليمان بن داود وان الرومانيين بنوا على آثارها كانت قبل عصرهم وذلك في ايام الملك انطونيوس بيوس في القرن الثاني بعد الميلاد

أما مدينة حلب الشهباء فقبل انها سميت بذلك لان ابراهيم الخليل كان له بقرة شهباء يحملها على التل الذي عليه قلعة حلب الآن وينادي رجل على الفقراء قائلاً ابراهيم حلب الشهباء فيجيبون اليه ويتصدق عليهم بلبنها لكن الصحيح ان العلة مجهولة في تسميتها واما في لبنها فهي بناؤها الذي هو من حجر ابيض او على ارض بيضاء وفيها يقول ابن الوردي

عليك بصهوة الشهباء تُكفى بحوشها محاربة الزمان
فللغرفات في الفردوس طيب يفوح شذاه من باب الجنان

والى ناحية الجنوب منها موقع قنسرين التي كانت في اوائل الاسلام مدينة اعظم من حلب وهي الآن خراب وبقريها حاضر قنسرين الذي يقول فيه عكرشة

سقى الله اخوانا ورأيي تركنهم بحاضر قنسرين من سبل القطر
وبقربها ايضاً موضع يقال له الفراديس وهو المأسدة التي مرّ فيها ابن
الطيب المنبي ولما زارت عليه الاسود قال

أجارك يا أسد الفراديس مكرم فتسكن نفسي ام مهان فمسلم
ورأيي وقداحي علة كثيرة احاذر من لصي ومنك ومنهم

وبقرب قنسرين موقع مدينة الخناصرة التي كان يسكنها عمر بن عبد
العزيز وقد ذكرها المنبي فقال

احب حبصاً الى خناصرة وكل نفس تحب محباها

اما معرة النعمن فهي منسوبة الى النعمان بن بشير الانصاري وكان اجنار
بها فات له ولد فيها فاقام عليه فنسبت اليه بهذا السبب الضعيف ثم مات
النعمان المذكور قتيلاً بيد اهل حص سنة ٦٥ الهجرة (سنة ٦٨٤ م) وإلى المعرة
المذكورة ينسب ابو العلا احمد بن عبد الله بن سليمان التبوخي المعري الشاعر
الاعلى المشهور وفيها يقول

يا ماء دجلة ما اراك تلذ لي شوقاً كما معرة النعمان

توفي سنة ٤٩٤ الهجرة (سنة ١١٠٠ م)

ومدينة حمه على جانبي نهر العاصي قال ابو الفداء هي انزه البلاد الشامية
وتشبه شندر بكثرة الدواوير التي تخص بها دون غيرها من بلاد الشام وكان لها
سور عظيم قال فيه شهاب الدين البارزي سور حمه بر بها محروس وهي عبارة
بدیعة في الصناعة لاستوائها في القراءة طرداً وعكساً واليها ينسب كثير من
الادباء كياقوت وابي الفداء المؤرخين والشيخ نقي الدين بن حجة صاحب
البدیعة المشهورة وشیخ الشيوخ بحامه وغيرهم وفيها يقول ابن حجة المذكور

مرج حمارة نواعيرُهُ زادت على المقياس في روضته (١)
واغناظ غور دمشق لما قلت لا افكر في غيضته
ومدينة حص وهي بالقرب من نهر العاصي ايضا وفيها يقول بدر الدين
حسن بن حبيب

جزيرة حص كعبة اللهو اصبحت يطوف بها دان ويسعى لها قاضي
لما حلة من نبتهم سندسية تعلق في ذيل استارها العاصي

فعارضه الشيخ نقي الدين ابن حجة وقال

جزيرة حص لم تكن قط كعبة يطوف بها دان ويسعى لها قاضي
ولكنها اللهو والقصف حانة أ لم تنظروها كيف جاورها العاصي

وعلى مسافة ٤ ساعات من حماه لجهة الشرق خرائب مدينة سلمية التي
اشهرت في ايام اليونانيين وفي اوائل الاسلام وقد ذكرها المتنبى بقوله في وصف
واقعة جرت مع سيف الدولة العدوي سنة ٢٤٤ للهجرة (سنة ٩٥٥ م)

فأقبلها المروج مسومات ضوا مر لا هزال ولا شيار
تثير على سلمية مسبطرا تناكر تحته نولا الشعار

والى شرقي حص تدمر وهي من لفظة عبرانية معناها الثمر فترجمها
اليونانيون والرومانيون بليلاي مدينة النخل يقال بناها سليمان بن داود
(ا ص ص ١٨٦) ولعل المراد انه حسنها وزاد في ابنتها وقد ذكرها المتنبى حين
فحص بها بنو عامر وكلاب من سيف الدولة سنة ٢٤٤ للهجرة (سنة ٩٥٥ م)

وايس بغير تدمر مستغات وتدمر كاسمها لهم دمار
ارادوا ان يدبروا الراي فيها فصنعهم برأي لا يدار

وكانت العرب تزعم انها من بناء الجن لما ترى من قوتها الباهرة وعلى

(١) اشارة الى الروضة والمقياس وما في جزيرة وسط النيل من اعظم منزهات مصر

ذلك قول النابغة الذبياني

الأُسلبانَ إذ قال إله لهُ قم في البرية فاحدُدها عن القَدْرِ
وجيشِ الجنِّ اني قد أذِنْتُ لَهُمْ بينوبَ تَدْمُرُ بالصُّفْحِ والعُدَى

وكانت هذه المدينة في أعظم زهوتها في عصر الملكة زينب التي تسميها
الأفرنج زنوبيا وكانت خلفت على الملكة زوجها المسمى عند الأفرنج اودونانتوس
لكونه من بني عذينة وذلك في أواخر القرن الثالث للتاريخ المسيحي أعني قبل
الإسلام بأكثر من ٣٠٠ سنة فلما انتصر على هذه الملكة القيصر اوريانوس
الروماني واخذها أسيرة الى رومية ابتدأت تدمر تحيط عن عظيمها القديمة وكان
لم يبقَ منها سوى آثارها كلها وابنتها القديمة

ومن مدن ريف البحر المتوسط مبتدأ من جهة الشمال مدينة اللاذقية
بناها الملك سلوقوس الغالب وسماها على اسم أمه وكانت قديماً من المدن
المعتبرة ومقاماً للتونخيين أمراء تلك الأعمال وفيها توفي الأمير محمد بن اسحق
التونخي الذي رثاه المتنبي بقصيدة منها قوله

خرجوا بك وكلَّ بالكِ خلفه صَعَقَاتُ موسى يومَ ذكَّ الطورِ
والشمس في كبِد السماء مريضةً والأرض واجفة تكاد تمورُ
وحفيف اجنحة الملائك حوله وعميون اهل اللاذقية سورُ

وقد خربت هذه المدينة بزلزلة حصلت سنة ١٢١١ للهجرة (سنة ١٧٩٤ م)
أما جبلة فلا يوجد بها سوى الجامع الذي بناه السلطان اسرهم ادهم وآثار
مكان الملاعب الرومانيين لا زال للآن يسمى التياترو وهو على شكل قوس
دائرية مقاعده صفوف حول الساحة المتوسطة كل صف منها مرتفع قليلاً عما
تحتة ونصف قطر الدائرة نحو ١٥٠ قدماً والمحيط من خارج نحو ٤٠٠ قدماً وتحت
المقاعد مرايض كانوا يضعون فيها الوحوش التي يستحضرونها لتلك الملاعب
وفي قرية يقال لها سفيطة شرقي طرطوس لجهة الجنوب برج على تل من

أيام الرومانيين وإلى الجنوب الشرقي منها دير الحبيراء المنسوب إلى القديس جاورجيوس بالقرب من عين دورية تجري منها المياه مدة ثم تنقطع مدة أخرى وطول مدة جريانها أو انقطاعها يختلف بحسب اختلاف الفصول وهو النهر السبي الذي أشار إليه يوسفوس بن كرون المؤرخ اليهودي

وإلى الجنوب من هذا الدير قلعة الحصن وهو المعروف قديماً بحصن الأكراد وكان مقام السلطنة قبل افتتاح طرابلس ويقال له حصن عكار أيضاً وكان قد حاصره الملك الظاهر بيبرس (انظر تاريخ أبي الفداء المحوي مجلد ٥ صفحة ٢٨) فامتنع عليه زماناً وكان في خدمته القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر فقال في ذلك

حصن عكار ما صفا قط يوماً من الكدر
كيف يصفو الذي ثلاثة أرباعه عكر

وكان في تلك الأيام قد أقام بعض أجناده على حصار عكا وامتنع عليه أيضاً ثم افتتح حصن عكار ولم تزل عكا ممتنعة فقال القاضي المشار إليه

يا ملك النصر قد هشت فابشر بالاراده
ان عكار لعمرى هي عكا وزياده

وعكار المذكورة هنا هي الآن إحدى مقاطعات طرابلس التي ذكرها وكانت مقام الأمراء بني سيف ومن قراها قرية عرقا التي كانت قديماً مدينة مشهورة وإلا الآن ليست إلا قرية بجلة قرى هذه المقاطعة (راجع كتابنا سياحة المعارف وجه ٢٧)

أما طرابلس فقد قيل إن أصلها من أناس رحلوا من صور وصيدا ورواد في الأيام القديمة فبنى كل قوم منهم محلة ثم انضمت تلك الأبنية إلى واحدة ودعيت باسم طرابلس لأن معناها باليونانية المدن الثلاث. وقال أبو الفداء طرابلس

مدينة رومية على طرف داخل البحر افتتحها المسلمون (اي استرجعوها من الصليبيين) سنة ٦٨٨ للهجرة (سنة ١٢٨٩ م) وخربوها وعمرها على نحو ميل منها مدينة سموها باسمها . قال ياقوت في المشترك وقد فرق بعضهم بينها وبين مدينة اخرى بهذا الاسم في شمال افريقية فجعلوا التي في الشام طرابلس بزيادة الهزة في اولها والاخرى طرابلس بغير هزة الا ان المتي خالف هذا بقوله في طرابلس الشاميه

اكارم حسد الارض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس

ويفرقون بينها ايضا بقولهم لهذه طرابلس الشام ولتلك طرابلس الغرب وهو المشهور اه . وكان في طرابلس القديمة التي الآن في موقعها الميناء مكتبة قد اعنى بجمعها القاضي ابو طالب حسن حتى اشتملت على ٢٠٠ الف مجلد في اللغة العربية والفارسية واليونانية احترقت لما افتتح الافرنج الصليبيون تلك المدينة سنة ٤٩٦ للهجرة (سنة ١١٠٣ م) وقال العلامة الفاضل الدكتور كرنيلوس فان ديك الحكيم الاميركاني في كتابه المرأة الوضية في الكرة الارضية الذي نقلنا عنه اغلب ما اوردناه في هذه المقالة . طرابلس قسما من المدينة والميناء اما المدينة فعلى جانبي نهري علي والماء دائرة في شوارعها وايامها (وربما صعدت الى الطبقة الثالثة من دورها) واما الميناء فهي على راس لسان داخل البحر وهي موقع المدينة القديمة واهالي طرابلس بوصفون بشدة البأس وعزّة النفس وأكثرهم يجهلون العلم والعلماء وهذه المدينة بساكن كثيرة تكثف فيها الاثمار والفواكه وهي مشهورة بطبيب السفرجل والبردقاف والورد اه . وتلقب هذه المدينة بالفيحاء عدلا لشدة ما ينتشر فيها من روائح الازهار العطرية وخاصة في ايام الربيع عند ما تمتدق زهر اشجار الليمون والاترج المستحيطة بكل اطرافها بل وفي حلائق بيوتها ايضا وقد وصفها ابن مامية الرومي فقال

ألا تخلي من قول زبيد ومن عمرو ولم نهب اللذات في فرص العمر

في بلاد الشام

٢٩

فان الليالي تسرق العمر خلصة
فيا قلب لا تأسف على كل فائت
ففي كل يوم تلتقي الف موطن
وان كان وادي الشام سار بهائم
حكمت جنة الفردوس حسنا ومنظرا
ها قصبات السبق بالقصب الذي
ولو لم تكن تحكي الجنان لما حوت
بوادي بواديها حنين رجائها
واراجها عد الكواكب سبعة
وكم طمست عين العدو بقلعة
باربعة سادت وساد مقامها
بايض تلج واحرار كنيها
بنوها بنوا في الجدر كونا مشيدا
وناهيك من قوم واهل مروة
كرام الحيا شيخهم وفتاهم
وفهم اماري للامارة امهم
وفيهما تجار تريح الكسب والثنا
آيا رب فاحرسهم بعين عناية

ومدينة بيروت وهي فرضة دمشق والى جهة الجنوب منها بغو ساعة مقام
الامام الاوزاعي الفقيه وهو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الاوزاعي
امام اهل الشام توفي سنة ١٥٧ للهجرة (سنة ٧٧٣ م) وقد رثاه بعضهم بقوله

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبرا نضن لحده الاوزاعي
قبرا نضن فيه طود شريعة
سقيما له من عالم نفاع

عرضت لهُ الدنيا فاعرض مقلعاً عنها بزهدٍ آيماً اقلع
واما مدينةنا صيدا وصور فقد نقلنا ما وصل اليها من اخبارها في الكتاب
المسمى بزبدة الصحائف في سباحة المعارق (صفحة ٢٦) فليراجع
واما عكا فهي الى الجنوب من صور وكانت تسمى قديماً بطولماس وهي
الآن حصن مهم من الحصون العثمانية
وعلى الجنوب من عكا مدينة حيفا فوقها جبل الكرمل الذي كان يتردد
اليه ايليا النبي
ومدينة طبرية يوجد بالقرب منها مياه سخنة وعليها حمام يغتسل الناس به
وفي ما يلي هذا الحمام بحيرة عظيمة واسعة تجمع اليها المياه وهي ذات امواج
واساك وكانت حولها غياض وبساتين كثيرة وفيها يقول ابو الطيب المتنبّي في
قصيدته التي يدح بها علي بن ابراهيم التنوخي

لولاك لم اترك البحيرة والـ	غور دفي وماؤها شيم
والموج مثل الفحول مزينة	مهدر فيها وما بها قطع
والطير فوق الحباب تحسبها	فرسان بلقي تخونها للشم
كأنها والرياح نصرها	جيش ونغي هازم ومنهم
كأنها في انهارها قر	حفت به من جنباتها ظلم
تغنت الطير في جوانبها	وجادت الارض حولها الدم
فهي كمارية مطوقة	جرّد عنها غشاؤها آدم

وفي مدينة نابلس قرية يقال لها بورين التي منها اصل الشيخ حسن البوريني
ونابلس هي مدينة شعيم المذكورة في الكتاب المقدس (تك ص ١٢ و ٢٢ و ٢٤
و ٣٧) ومنها الشيخ عبد الغني النابلسي المشهور بالصوف وصناعة الشعر نشأ
بدمشق الشام وتوفي في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)
ونواحي يافا جهة الجنوب الشرقي منها مدينة الرملة التي منها خرج الشيخ

خير الدين الرملي صاحب الفتاوي الخيرية المشهورة عند الفقهاء وكانت دار ولاية الامراء بني طنج الذين يقول فيهم ابو الطيب المتنبي

ارى دون ما بين الفرات وبرقة خراباً يُسَيِّ الخيل فوق المجامع
وطعن غضاريف كأنَّ أَكْفَمَ عرفن الرديئات قبل المعاصم
حَبَّتْ على الاعلاء من كل جانب سيف بني طنج بن جَفَّت القامع
هم المحسنون الكَرَّ في حومة الوغى واحسنُ منه كُرْهم في المكارم

واما مدينة اورشليم المعروفة بالقدس الشريف فقد استوفينا كلامنا عليها في كتابنا زبدة الصحائف في اصول المعارف (صفحة ١٤-١٧)

ومدينة حبرون ويقال لها الخليل وهي مدينة قديمة وهناك سكن ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب ودفنوا مع بعض نسائهم

ومدينة غزة الى الجنوب الغربي من الخليل ويقال لها غزة هاشم لان عمر ابن عبد مناف القرشي الملقب بهاشم الثريد خطر اليها تاجراً فأت فيها وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الخزاعي

وهاشم في ضريح وسط بلقعة تسفي الرياح عليه بين غزات

—o—

الفصل الخامس

في الكلام على بلاد مصر

هذه البلاد استولى عليها العرب بحق الفتح مرتين الاولى قبل التاريخ المسيحي بعدة قرون ذكر بعض المؤرخين انهم جاءوا اليها من جهة اسيا ودخلوها

من الجهة البحرية المسماة دلتا واستولوا على جميع جهات مصر السنلى تحت راية
الوليد بن دوقع وهو المسمى عند اليونان باسم سلاطيس ولما استقر بالولاية
احرق المعابد والهياكل وبني القلاع والحصون وشيئها بالعساكر ومهات الحرب
خوفاً من هجوم المصريين وجعل مدينة منفيس تحت الملكة وكان المصريون
بكرهون هؤلاء العرب الذين يقال عنهم بانهم من رعاة المواشي وينفرون منهم
لفسائهم وكثرة جورهم واحتقارهم الديانة المصرية واستمرت احكام البلاد في
ايادهم نحو ٢٦٠ سنة وقيل اكثر من ذلك الى ان استخلصها منهم فرعون
اموسيس بعد حروب كثيرة وذلك قبل الميلاد بنحو ١٨٠٠ سنة

اما المرة الثانية فكانت بعد الاسلام في سنة ٣٠ للهجرة (سنة ٦٤٠ م) تحت
راية عمرو بن العاص في زمن خلافة عمر بن الخطاب ومن ثم استوطنوها الى
يومنا هذا وحيث قد تكلمنا على هذه الخطة بالكفاية في كتابنا زبدة الصيائف في
سياحة المعارف (وجه ٤٢-٧٨) فلا حاجة الى اعادة ذكر شي من بلادها
وانارها وما قاله الشعراء فيها هنا بل نكتفي بما قاله الشيخ عمر الفارض

وطفي مصر وفيها وطري ولعيني مشتهاها مشتهاها
ولنفسى غيرها ان سكنت يا خياليل سلاها ما سلاها

المقالة الثانية

في اقسام العرب الاصلية وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

في اقسام العرب الاصلية

لا يوجد اسم من تاريخ هذه الامة في الاعصار القديمة وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام بائنة وعاربة ومستعربة . اما البائدة فهم العرب الاولون الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم لتقدم عهدهم كعاد وثود وجرهم الاولى ولم يبق من ذكرهم الا القليل وسوف نذكر شيئاً منه . واما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان . واما العرب المستعربة فهم ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل الذي على ما قيل انصل بحجرهم الثانية من ولد قحطان ايضاً وتزوج منها وقيل لنسلك المستعربة لان اصل اسماعيل ولسانه كان عبرانياً ومن العرب العاربة والمستعربة تكونت قبائل العرب المعروفة

الكلام على العرب البائدة

قيل ان اولاد سام بن نوح استوطنوا هذه البلاد ونشأ منهم قبائل وبطون

كثيرة باد أكثرها او اندرج مع غيرها حتي لم يبق لها رسم منذ ادوار وهؤلاء هم
المسمون بالعرب البائدة وقيل انها سبع قبائل عاد وثمود وصحار وجاسم ووبار
وطسم وجديس وكانت مساكنهم بعمان والبحرين واليامة وكانت لغتهم غليظة
خشنة

واشهر هذه القبائل قبيلة عاد بن عوض بن ارام بن سام بن نوح (تك ص ١٠: ٢٢) وكانوا ينزلون في الاحناف في حَضْرَمَوْت
وقبيلة ثمود وهي قبيلة جاشر بن ارام بن سام (تك ص ١٠: ٢٢) سكنوا
اولاً في اليمن ثم طردهم منها حمير بن عبد شمس الملقب سبا فنزلوا في الحجر من
الحجاز وصار ذلك مثلاً يُضْرَب في تفرُّق القوم يقال لعبت بهم ايدي سبا
وقبيلة طسم من ولد لود بن سام (تك ص ١٠: ٢٢) وجديس من ولد
جاشر المذكور آنفاً وسكنت هاتان القبيلتان معاً الى ان وقع السيف بينهما فبادتا
جميعاً قال المتنبي

أشمت الخلف بالشرارة علاها وشفى رب فارس من اياد
وملوكا كأمس في القرب منا وكطسم واخنها في البعاد
وقبيلة جرهم الاولى وقد وقع ذكرهما وذكر عاد في شعر المتنبي ايضاً حيث
يقول

يقرُّ له بالفضل من لا بودُّه ويقضي له بالسعد من لا يُبْجَمُ
اجار على الايام حتى ظننته نطالبة بالردِّ عاد وجرهم

وقبيلة عماليق بن اليناز بن عيسو (تك ص ١٢: ٣٢) وهم اشهر قبائل
العرب البائدة ولم يزل منوطاً شيء من اسماء احيائهم وقطع من اشعارهم. قال
أليف بن زياد وقيل أنيف بن حكيم الديهاني

لم عجز بالرمل فالحزن فاللوى وقد جاوزت حَيَّ جديس رعاها

وقال الملبس

ألم تر أنّ الجون^(١) أصبح راسياً نُطِفْتُ به الأيام ما يتأّسُّ
ومن اشعارهم قول عقيدة بنت عباس الجديسية ويقال لها الشمس
تجرّس قومها على عملاق ملك طسم وكان فاحشاً ظلوماً

لا أحد أذلّ من جديس أهكنا يفعل بالعروس
يرضى بهلا يا لقوي جرّ هلا وقد أعطي وسبق المهر
لخوضه بجر الردى بنفسه خير له من فعل ذا بعرو

وقول هذيلة امرأة قرقس الجديسي في عملاق المذكور

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا فانفذ حكمًا في هذيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعا ولا كنت في من يبرم الحكم عالما

وكان انقراض القبيلتين على يد عملاق المذكور فانه لما هتك ستر
الشمس الجديسية المذكورة غار اخوها الاسود فاحتمل على عملاق حتى تمكن
منه وهو في نفر من قومه فاغناهم بسبوف اصحابه الجديسين حتى اتى على آخرهم
ثم قال

ذوق ببغيك يا طسم مجلّة فقد اتيت لعربي اعجب العجب
انا اتينا فلم نخفل بقتلهم والبغي هيج منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيرهم ابدا ولن يكونوا لدى انف ولا ذنب
فلو رعيت لانا قربي مؤكدة كنا الاقارب في الارحام والنسب

ونجحت بقية طسم الى حسان بن تبع فغزا بني جديس وقتل رجالهم واخرب

(١) يريد بالجون حصن البامة ويقال انه من صنائع طسم وجديس قال به التبريزي
في شرح الحماسة

بلادهم فمكثت القبيلتان جميعاً ولذلك قيل في الامثال انفر من جد يس عن
خاسم

الكلام على العرب العاربة والمستعربة

اما العرب العاربة والمستعربة فقد ذكروا ايضاً انه سكن في بلاد العرب
نواحي اليمن بنو قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح (نك
ص ٢٥١-٢٥٠) وسمي نسله العرب العاربة
ومن نسل قحطان من ملك في اليمن ومنهم من ملك في الحجاز والذين
ملكوا في اليمن على ما قاله بعضهم قحطان بن عابر المذكور وان ملكه كان قبل
عهد الاسكندر المكدوني بنحو ١٧٠٠ سنة وفيه يقول بعض الشعراء

فما مثل قحطان الساحة والندى ولا كابنو رب النصاحه يعرب

وقيل بل هو يعرب بن قحطان وبه سميت العرب وكان اول من حياه
قوه بنحيه الملك واول من ابتدا بعبارة المدن في اليمن واول من نطق بالعربية
ايضاً وقيل بل ان قحطان اباؤه اول من نطق بها وتأول ابن خلدون المغربي
بان معناه من اهل هذا الجبل الذين هم العرب المستعربة والا فقد كان للعرب
جيل آخر وهم العرب العاربة ومنهم تعلم قحطان اللغة العربية ضرورة ولا يمكن
ان يتكلم بها من ذات نفسه

ثم ملك بعده يشجب بن يعرب وعبد شمس بن يشجب وهو الملقب بسبا.
وقيل انه لقب بهذا اللقب لكثرة فتكه وسيئه . قال ابن خلدون انه هو اول
من سن السي وهو الذي بنى مدينة سبا وسد مارب وعين شمس باقليم مصر
ثم اولاده حبيبر وكهلان وعمرو واشقر وعاملة ومن هؤلاء قبائل العرب العاربة
واما الذين ملكوا في الحجاز فاولهم جرهم بن قحطان بن عبد ياليل ثم
عبد المنان بن نفيثة ثم عبد المسبح بن مضاض الذي تزوج بابنته رة اسماعيل

الذي من نسله الهاجريون وقد اتخذوا لقبهم من اسم امه هاجر والنبيوثيون
المتخذون لقبهم من نبيوث والابثوريون من ابنه ابثور (نك ص ١٢٥-١٥)
ثم عمرو بن الحرث بن مضاض بن عمرو ومنهم العرب العاربة وهم قبيلة جرهم
الثانية ولحقون نسبهم الى عدنان لا الى اسماعيل بسبب الاختلاف الواقع في
الاجيال بين اسماعيل وعدنان فقد قيل انها ٨ اجيال وقيل ٧ وقيل ٢ ومن
عدنان قبائل العرب المستعربة واشهرها قبيلة فهر الملقب قريش ومنه آل
قريش الذين هم سدة الكعبة ومنهم ظهر صاحب الشريعة الاسلامية كما يتضح
ذلك من التفصيلات الآتية

— ١٠٠ —

الفصل الثاني

في قبائل العرب وما يتفرع عنها

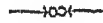
نقسم العرب في اصطلاح علماء النسب الى طوائف اعظمها الشعب
واخص منه القبيلة ثم العارة ثم البطن والبطون هم اوساط الانساب في القرب
من الجذ الأعلى والبعده عنه ثم اتخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة وهم ادنى الاقارب
فالشعوب في القبائل مثل بني مضر والقبائل مثل بني قيس بن عيلان بن مضر
والعائر مثل بني سعد بن قيس بن عيلان والبطون مثل بني غطفان بن سعد
ابن قيس والافخاذ مثل بني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان والفصائل
مثل بني فزارة بن ذبيان والعشائر مثل بني بدر الفزاري
وعندهم المجامع جمع جمجمة هم السادات والقبائل التي تجمع البطون
في نسب اليهم دونهم نحو كلب بن وبرة اذا قلت الكلالي استغنيت عن ان تشبه

الى شيء من بطونهم اما قولهم بالحِث مثلاً فهو مقطوع من بني الحِث بن كعب وهو من شواذ التخفيف وكذلك يفعلون في كل قبيلة تظهر فيها لام التعريف كبلتين لبني النين وبلهيم لبني الهيم وبلعبر لبني العبر وهكذا الخ وينقسمون ايضاً الى حضر ووبر قال ملطبرون يُعرَف من مؤرخي العبرانيين بان العرب ينقسمون من قديم الزمان الى قبائل عديدة بعضها رحل وبعضها مقيم في المدن فالمتقيمون في المدن هم العرب ويُعرَب عنهم بالحضر من الحضارة والمدن والمحصن. واما الرحالة النزلة سكان الخيام فهم اعراب جمعة اعراب قال المتنبي

من الجادر في زبي الاعراب يسر بيض الطلا والشنايا والجلايسر

ويطلق عليهم البدو واهل الوبر فالبدو نسبة الى البادية وهي الصحراء واما الوبر فهو شعر الجمال

وذكر ملطبرون ايضاً مراتب بعض هذه التسميات فقال نفلاً عن بعض المؤرخين ان العرب الجنوبية كانوا مثل الهنديين والمصريين منقسمين الى خمسة طوائف طائفة المحاربين وطائفة الزراعين وطائفة الصناع وطائفة العلماء وطائفة التجار



الفصل الثالث

في اشراف العرب

وكان كرم العرب وشريفها في الجاهلية عبد مناف من ولد قصي بن كلاب القرشي وبنوه عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل وهم كذلك في الاسلام

وكان يدعى القمر والسيد والفهد واسمها المغيرة واخوته عبد المار وعبد العزى
وكان اسمها اولاً عبد مناة بن كنانة بن خزيمه فأحيل الى عبد مناف
وكذلك عبد المنان بن الريان بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك
ابن ربيعة الحارثي رهطه من بني الحرث بن زياد واهل بيته بنو قنّان واولاده
اخوال بني العباس الآتي ذكرهم وهو من اشراف العالم واكابر الدنيا ويؤثر
المثل للرجل العظيم فيقال اشرف من ابن عبد المنان قال لقيط بن زرار

شربت الخمر حتى خلت أني ابو قابوس^(١) او عبد المنان
اسير في بني عبس بن زبد رخي البال منطلق اللسان

وكانت العرب تعد البيوت المشهورة بالكبر والشرف من القبائل بعد
بيت هاشم بن عبد مناف المتقدم ذكره في قريش ثلاثة بيوت ومنهم من يقول
اربعة اولها بيت حذيفة بن بدر الفزاري وبيت قيس وبيت آل زرار بن
عدي الدارمي وبيت تميم وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن هاشم وبيت
شيبان وبيت بني الديان من بني الحرث بن كعب بيت اليمن . واما كندة فلا
يعدون من اهل البيوتات وإنما كانوا ملوكاً

اما بعد الاسلام فقد انحصر الشرف العربي في السلالة الهاشمية وبعبارة عنها
باهل البيت (اي بيت صاحب الشريعة الاسلامية) فلا يعرف الشريف رسماً
ويطلق عليه لقب السيد الا اذا كان نسبه متصلاً باحد من اهل البيت بدون
التفات الى حالة دنياه ولا الى صناعته

وصاحب الشريعة المشار اليه هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لوي بن غالب بن فهر بن
مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان

(١) ابو قابوس كنية النعمان بن المنذر النخعي ملك العرب

وتوفي عن تسع نسوة جُمعن في هذه الايات الثلاثة

توفي رسول الله عن تسع نسوة
 اليمى: تُعزى المكرمات وتنسب
 فعائشة ميمونة وصفية وحفصة يملوهن هند وزينب
 جويرة مع رملة ثم سودة ثلاث وست ذكهن مهذب

وخلفه بعد وفاته كبار اصحابه ولهم كان ابو بكر الصديق الخليفة الاول
 واسمته عتيق ويقال عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن
 نيم القرشي وثاناهم عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح
 بن رزاح بن عدي القرشي. والثالث عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن
 عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الذي تقدم ذكره. والرابع علي بن ابي
 طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي

اما الذين تولوا الخلافة بعد كبار الصحابة المشار اليهم فينقسمون الى ثلاث
 طوائف الاولى منهم بنو أمية ويقال لهم الأمويون وأمية هو ابن عبد شمس بن
 عبد مناف بن قصي. والثانية العباسيون وهم بنو العباس عم الرسول صاحب
 الشريعة المشار اليه. والثالثة بنو الحسين بن علي بن ابي طالب المتقدم ذكره
 ويقال لهم الفاطميون نسبة الى فاطمة الزهراء زوج علي المشار اليه وهي بنت الرسول
 صاحب الشريعة الاسلامية لكنهم شيعة وفي نسبهم خلاف كبير بين العلماء
 فمنهم من ينكر عليهم هذا النسب ومنهم من يثبت

الفصل الرابع

في علم الانساب

قال ابن خلدون المغربي ان حفظ الانساب واللغة كان في مضر وقريش
وكدانة وثقيف وبني اسد وهذيل ومن جاورهم من خراة لانهم كانوا اهل
شظف^(١) ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعثوا من ارياف^(٢) الشام
والعراق ومعادن الادم^(٣) والمحجوب فلم يخلطوا بغيرهم فكانت انسابهم صريحة
شفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عُرِفَ فيها شوب^(٤)
ويضربون المثل في نسب تميم فيقولون لمن ارادوا المبالغة في حسن نسبه
احسن نسباً من تميم وقيم هذا هواد بن طابجة بن الياس بن مضر وهو خال
النضر بن كنانة ابي قريش وذلك ان برة بنت مر اخنت تميم هي ام النضر وفيها
يقول جرير

وما الاثم التي ولدت قريشاً بمعرفة الرجال ولا عقيم
فما ولد باكرم من قريش ولا خال باكرم من تميم

ومن قبائل تميم بنو الحرث الذين منهم الاحنف بن قيس بن عاصم بن
صبي وكنى منهم مثل في ما اخص به
ولشدة مباهاة الجاهلية في انسابهم كان كثيراً ما يقع التنافر بسببها فكان

(١) الشظف ضيق العرش (٢) الريف الارض الخصبة ذات خضرة ومياه
(٣) الادم هنا المجلود (٤) الشوب الاختلاط

اذا تنافر رجلان في الحسب والنسب^(١) تنافرا الى حكائهم فيقولان عند المنافرة
أينا اعز نفراً والمنفور هو المغلوب والنافر الغالب ويقال لمن ينفي في ذلك
الحكم وكان المنفور يعطي النافر ما يقع عليه الشرط فينخط قدره بين العرب
وكان من حكام تميم أكتم بن صيفي وحاجب بن زرارة والاقريع بن حابس
وربيعة بن مخاشن وضرة بن ابي ضرة غيران ضرة هذا حكم فاخذ رشوة فغدر
ومن حكام قيس عامر بن الظرب الذي مر ذكره وعيلان بن ابي سلمي
الشفني يزعمون انه كان له ثلاثة ايام يوم يحكم به بين الناس ويوم ينشد شعره
فيه ويوم ينظر فيه الى جماله وجاء الاسلام وعنده عشر نسوة فخيرته الرسول
صاحب الشريعة الاسلامية فاختر منهم اربعة فصار ذلك سنة
ومن حكام قريش عبد المطلب وابو طالب والعاص بن وائل والهملا بن
حارثة

ومن حكام اسد ربيعة بن ضرار
ومن حكام كنانة يعمر الشراخ وصفوان بن أمية وسلي بن نوفل
واما الذين اشتهروا في الجاهلية بمعرفة الانساب وضربت بهم في ذلك
الامثال ف منهم دغفل بن حنظلة السدوسي من بني ذهل بن ثعلبة وكان اعلم
اهل زمانه بالانساب وورقاء بن الاشعر ويكنى ابا الكلاب ويقال ايضا ان
رجلاً يقال له عبد الله بن حصين كان انسب العرب واعظمهم كبراً وهو الذي
يُضرب به المثل فيقال أنسب من ابن لسان الحجرة ومنهم زيد بن الكيس
وقيل ابن الحرث الثمري ومالك بن خنبر وهو صاحب المثل المشهور على الخبير
بها سقطت يُضرب للواقف على الحقائق العالم بها
ومن اشتهر بالحياة على الاصلاح بين المتنافرين رجل يقال له هرم بن
قطبة فانه احنال في المصالحة بين غلامه بن غلامه بن صعصعة وعامر بن الطفيل

(١) قيل الحسب من طرف الاب والنسب من طرف الأم

ومنع بجملته العداوة التي كان لابد من وقوعها بين الفريقين فضرِب به المثل
في الحكمة

ويحكى ايضا بان عامر بن الظرب العدواني ويقال له ذوالحلم كان
لا يعدل بفهمه قهّاه ولا بجكمه حكماء فلما طعن في السن انكر من عقله شيئا فقال
لبنيه قد كبرت سنّي وعرض لي سهو فاذا رايتوني خرجت من كلاي واخذت
في غيره فافرعوا لي الحنّ بالعصا ولذلك قيل في امثالهم ان العصا قُرعت لذي
الحلم. يحكى انه اُتي بجني ليحكم فيه فلم يدري ما الحكم فجعل يغير لهم ويضعهم ويدافعهم
بالنضاء وكان له جارية يقال لها خُصيلة فقالت له ما شأنك قد اتلفت مالك
فاخبرها انه لم يدري ما حكم الخنثى فقالت اتبعه مباله يعني ان ينظر الى محل
ما يبول فان كان بائلا كالرجل فيكون حكمه ذكرا وان كان كالمرأة فيكون
خنثى ثم لما جاء الاسلام صار ذلك سنة فيه فيعامل المحكوم عليه على هذه الطريقة
بانه رجل معاملة الرجال في ميراثه فاذا مات غسله رجل واما اذا حكم عليه
بانه امرأة فيعامل في ميراثه معاملة امرأة وتغسله كذلك بعد موته امرأة

وكان للعرب في الجاهلية حكايات من النساء ايضا ومنهن صبر بنت لحيان
وهند بنت الحُصّ وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذي مر ذكره

وفائدة معرفة الانساب للعرب في الجاهلية انما هي ايجاد العصبية التي بها
قوام سطوتهم فهي منهم كالقطب الذي عليه مدار ظفرهم في غزاهم وفتكهم في
بعضهم ولذلك يقال ان النسب علم لا ينفع وجهاله لا تنصر يعني ان النسب اذا
خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم لتحصل معرفته من الكتاب والتعلم
ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النقرة^(١) التي تحمل عليها العصبية
فلا منفعة فيه حينئذ كما وقع في صدر الاسلام لانه لما ضاعت العصبية النسبية
قام موضعها التشيعات كما يأتي ذكر ذلك في محله ثم وقع الانتهاء الى المواطن

(١) النقرة النكتة على ظهر النواة

فقبل جند قنسرين وجند دمشق وجند العواصم وانتقل ذلك الى المغرب ايضاً
كبلاد الاندلس وغيرها ولا سيما بعد ان وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم
ففسدت الانساب الا في البدو

واما ما بقي من فائدتها في الاسلام فهو لكون الحاجة تدعو الى هذا العلم في
كثير من المسائل الشرعية مثل تعصب الوراثه وولاية النكاح والعاقلة^(١) في
الديات والعلم ينسب صاحب الشريعة الاسلامية وكذا الخلافة عند من يشترط
النسب فيها وكذا من يفرق في الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم

وهذا هو السبب الذي لاجله اعتنى كثيرون من علماء النسب في الاسلام
كمحمد المحميد بن عبد الله بن اسامة الكوفي والشريف قثم بن طلحة النسابة وابن
عبد السميع الخطيب وغيرهم. والافوا تصانيف كثيرة في الطريقة التي يقال لها
المشبر وهي الشجرة التي يصنعونها في كتب هذا الفن وهي سلسلة كانهما شجرة قائمة
على عروشها باغصانها وافنانها وقائمها ومنهدها وعروقها وسوقها بيدون بها
بالطن الاسفل ثم يرتقون الى البطن الاعلى وبين ذلك خطوط ونقط تدل على
جهة القرب والبعد في النسب بين الانساب

ومن جملة المؤلفين في هذا الفن ايضاً ابو المنذر هشام بن ابي النصر محمد بن
السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة الكوفي كان اعلم الناس بعلم الانساب
وله كتاب المجهرة في النسب وهو من مخاسن الكتب في هذا الفن وكتاب المثل
وكتاب الموجز وكتاب الفريد صنفة المأمون العباسي وكتاب الملوك صنفة
لجعفر البرمكي وكلهم في النسب وله ايضاً كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة
وكتاب حلف النضول وكتاب حلف تميم وكتاب المناقرات وكتاب
بيونات قریش وكتاب فضائل قيس بن عيلان وكتاب المورديات وكتاب
بيونات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والاسلام

(١) العاقلة دية المفنول تؤخذ من القاتل

وكتاب القاب قریش وكتاب القاب الیمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل
وكتاب ادعاء معاوية زياد بن ابيہ وكتاب اخبار زياد المذكور وكتاب صنائع
قریش وكتاب المشاجرات وكتاب المعانيات وكتاب ملوك الطوائف
وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الازد وكتاب طسم
وجدیس وغير ذلك توفي سنة ٢٠٤ للهجرة
(سنة ٨١٩ م)

المقالة الثالثة

في نقاطيع العرب وسمنها واوصافها وزواجها وما يتبع ذلك وفيها
اربعة فصول

الفصل الاول

في نقاطيع العرب واوصافها

وصف ملطبرون العرب فقال هم في الغالب ليسوا بالطوال ولا بالقصار
بل هم ربماات ونحاف كانهم يبسوا بالحر ولونهم اسمر وهم سود العيون والشعور
ولون نسائهم اصفر فاقع واما في الجمال فتكون بعض الاحيان النساء ذوات
نقاطيع لطيفة وتناسب في الاعضاء ولون ايض كلون نساء الاروام وافرنج
ايطاليا

اما الرجال فبتمدحون بخفة اللحم لان كثرة داعية الى الكسل والثقل
ويقولون اشد الرجال الاجحف ويسمون الرجل الخفيف اللين الضرب
والصغير حُرقة والمستوي البنية الرتل والجسيم الطويل المشرب
وكنت اعثيت ان اجمع من القاموس كل ما يتعلق بفروع كنائي هذا من
الاسماء فكان ما جمعتُه من الالفاظ المختصة باوصاف الرجال والنساء دون

غيرهم من ملجٍ وقبح بعد كل ما اهانتة نحو مئين وخمسين لفظة أكثرها في الطويل الاحق ومع هذا لم اتم حرف الحاء فعند ذلك وجدت نفسي بانني اذا اكملت مشروعني هذا اكون جمعت كتابا كبيرا مجنوبي على معظم القاموس فعدلت عنه واكتفيت بما وجدته مجموعا في مؤلفات البعض من اهل الفضل

اوصاف الرجال . ومن ذلك انهم يقولون للرجل العظيم فيلم والعظيم الرأس كروّس وأرأس والعظيم الاذنين كنفاريّ والعظيم الأنف قنّان والعظيم الشفتين شفاهيّ والعظيم الرجل أرّجل والعظيم الركبة أرّكب والعظيم العينين جعّظم والعظيم الخلفة جعرّنعش

والكثير الاكل آكول وجروز وجراخم والكثير الكلام ثرثار ومهتار والكثير السفر سفير والكثير الفكر فكير والكثير الاضطجاع والكسلان الملامز البيت لا يكاد يهض ويخرج لمكرمة ضجعة والكثير النعود قعدة والكثير الصلاة والصيام عمار والكثير الصدق صديق والكثير الشعر أشعر

واذا كان الرجل سريع الفهم فهو لقين او كان ذا رأي وتجربة فهو خير وداه واذا سافر واستفاد التجارب فهو باقعة واذا نقب في البلاد واستفاد العلم فهو نقاب فاذا كان جديد الفواد فهو شهيم فاذا كان صادق الظنّ جيد الحدس فهو لودعي فاذا كان ذكيا متوقد الرأي فهو المعبي فاذا كان طيب النفس ضموكا فهو فكه فاذا كان ماضيا في الحوائج فهو أصليت فاذا كان مليح الشائل فهو كيس فاذا كان حاذقا في صناعته فهو عبقرّي فاذا حثكته مصائر الامور فهو متجذ فاذا كان كاتما للسّر فهو كنوم

اما اذا كان يظهر من حذقه أكثر مما عنده فهو متخلق وعناهية واذا كان يدي من سخائه وبروته ودينه غير ما هو عليه فهو متلهوق فاذا كان يتظرف ويتكيس من غير ظرف فهو متبائع فاذا كان يركب الامور ويأخذ من هذا ويعطي ذاك فهو متغذير فاذا كان ينجس الامور بعضها في بعض فهو خباص فاذا كان لا يعرف من اين يدخل في الامر ولا من اين يخرج منه فهو

مزيال فاذا كان خبيثاً فاجراً فهو عزيز فاذا كان غليظاً جافياً فهو غلّ
فاذا كان ثقيلاً فهو فظّ فاذا كان لا يقيم الكلام فهو لحانة فاذا كان معترضاً
لما لا يعنيه فهو متباح ومعنّ فاذا كان يتكلم بما لا يسأل فهو فضولي فاذا كان
يقول لكل احب انا معك فهو اوعية فاذا كان لا يثبت على صحة احد فهو مطريف
وتلماظ فاذا كان لا يحسن العمل ولا يثبت على حديث فهو أعفك فاذا كان
لا يرى شيئاً الا احب ان يكون له فهو طرف فاذا كان لا يستطيع كتم السر فهو
بدير وثام وعلة فاذا كان لا يرجي عنده الخير فهو حريص فاذا كان يلقب
الناس ويسخر بهم فهو آيس فاذا كان يدخل على الناس وهم ياكلون فهو وارش
فاذا كان يدخل بغير اذن ويتجسس طعامهم فهو متطفل وطفلي وحضر فاذا
كان لا يطرب للهو فهو غيرهاة فاذا كان يسأل الناس كثيراً فهو سؤلة فاذا
كان لصاً لا ينام الليل فهو شهمار فاذا كان يحب بنفسه فهو شقيق فاذا كان
يرقص ويشب ويصنف ويلاعب ويحدث ويضحك فهو متعشش فاذا كان يصاحب
ويغضب من غير سبب فهو مسنوت فاذا كان يمي مع الضيف فهو ضيفن فاذا
كان يخاطب الامور فهو مخلط فاذا كان احق فهو وقب واذا كان يشخ بانو
زهواً وكبراً فهو شامخ

اوصاف النساء . اما النساء فقد قيل فيهن اذا كانت المرأة حبيبة فهي
خفيرة واذا كانت متخففة الصوت فهي رجيبة واذا كانت محبة لزوجها متحبة
اليه فهي عروب فاذا كانت نفورا من الرية فهي نوار فاذا كانت تجنب
الافذار فهي قدور فاذا كانت عاملة الكفين فهي صناع فاذا كانت كثيرة الولد
فهي ثنور ومتناق وبرزاء فاذا كانت قليلة الاولاد فهي نزور فاذا كانت تلد الذكور
فهي منكرا فاذا كانت تلد الاناث فهي مئاث فاذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة
انثى فهي معقاب فاذا كانت تلد توأمين فهي متأم فاذا كانت تلد الخباء فهي
مخياب فاذا كانت تلد الحمقى فهي محاق ومقاب فاذا كانت كثيرة موت الاولاد
فهي ميكال فاذا تركت الزينة لموت زوجها فهي محيد واذا تزوجت بعد زوجها

ولها ابن بالغ كبير فهي برؤك فإذا كانت ملازمة بيتها فهي خُبَاءٌ وخبيئة وإذا كانت تطلع ثم تخفي في خُبعة طُلعة فإذا كانت لا تثبت على حال فهي خِيَرُوع فإذا كانت بارعة المجال مستغنية بكمال جاهها عن التزين فهي غانية لكن ابن عقيل يقول الغانية هي الشابة الحسنة التي تعجب الرجال ويعجبها الرجال وقال آخر أنها هي المقيمة في بيت ابوها لم تنزوج بعد وقيل بل هي ذات الزوج لأنها غنية بزوجها من الرجال أما المجارية إذا بقيت في بيت ابوها غير متزوجة فهي العانس وفي درة الغواص لا عائق إلا ما دامت في بيت ابوها والخُبَاءُ المجارية المخدرة لم تنزوج بعد

ويعبرون عن الشابة الحسنة الخلق بالرخصة وعن البيضاء اللينة الجسيمة اللحية الرقيقة العظم بالخرعة وعن العظيمة البطن المسترخية اللحم بالمفاضة وعن اللطيفة الخصر الضامرة البطن بالمهيفة وعن التي في شفتها سُمرة بالحواء كالبياء وعن الناعمة البدن رقيقة الجلد بالغضة كالفضة وعن الحسنة الخلق السمينة الناعمة بالبهككة وعن كريمة النساء بالعقيلة وعن كريمة المال كذلك وعن الحرائر الخيار من النساء بالعواتك ومنه اسم عاتكة أما الخاتون فهي كلمة اعجمية من لغة التاتار تطلق على المرأة الشريفة وتلقب بها نساء الملوك عند العرب ونجع على خواتين ويعبرون أيضاً عن المرأة التي لا تمد عينها الى غير بعلمها بقاصرة الطرف وعن الناعمة التي لم تجرب الامور بالغريرة وعن طويلة هذب العينين بالريشاء وعن السيئة البصر بالعمشاء ومنه الاعمش اسم رجل وعن الحسنة بالجشوب وعن القليلة الخير بالخطوب وعن المرأة السمينة بزيب وراح وعن الحزونة بالهم الشجوب وعن اللطيفة باللينة وعن الحسنة الدل^(١) بالعوب وعن التي تستحسن وحدها لا يين النساء بالحنوت والتي لا يعيش لها ولد بالمقلات وبقابلها العبي وهي التي لا يكاد يموت لها ولد ويعبرون عن البكر في اول حملها

(١) الدل الدلال يقال دلت المرأة على زوجها اظهرت جراحة علو كائنها بخالفة

وما بها خلاف

المقالة الثالثة الفصل الاول

٥٠

بالحُرُوس وكذلك التي تُعمل لها الحُرسة^(١) والقليلة الدَّر وعن الجارية التي تُفترع^(٢) قبل الاوان بالهاجن ومئة المثل جأت الهاجن عن الولد يضرب في التعرض للشيء قبل وقته واما التي لم تفترع بعد فيسمونها البكر والمفترعة التي فارقت زوجها الثيب ويقولون عركت المرأة او ضحكت اذا خاضت واما التي لا تحيض ولا لبن لها فهي الضياء والتي ينزل لبنها من غير حبل فهي المحبل اما الأم فهي الارملة وتجمع على ايامى والظعينة هي المرأة في هودجها او في بينها سميت بذلك لانها تظعن مع زوجها والظعن الارتحال بالارض العليا اي المرتفعة قاله الروزني ويكون عن العيال بالقرلان النساء عمل الحرث والزرع ومئة المثل جاء بجر بقره اي عياله

اما الخرز فهو ضيق العين وصعرها ويقال ان يكون الانسان كانه ينظر بوخرها والتصعر هو ميل في الوجه او في احدى الشفتين وساجي العين ساكها اما العين النجلاء فهي الواسعة . والرتل هو الثغر المستوي النبت والحذلة هي المتلفة والضخبة واللحس سواد في الشفة تستحسنه العرب والمتفأل المنتنة الريح والحنب اعوجاج الساقين والطرطب الندي الضخم المسترخي قال المني يهجو ضبة بن يزيد

ما انصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

والرتقي اللثغاء والهنباء البلهاء والأعفت الاعسر واللثغاء الحولاء والفالج تباعد ما بين القدمين وما بين الاسنان
قال الروزني ان العرب تشبه النساء بالبيض وذلك من ثلاثة اوجه احدها بالصحة والسلامة عن الطمث ومئة قول الفرزدق

خرجن الي لم يطمنن قبلي وهن اصح من يرض النعام

والثاني في الصيانة والستر لان الطائر يصون بيضه ويحضه . والثالث في

(١) الخرس طعام للنساء . (٢) الافتراغ ازالة البكارة

صفاء اللون ونفاثه وربما شُبِّهَت النساء ببض النعامة لان بيض النعامة ابيض
تشوبه صفرة يسيرة وهذا اللون هو احسن الوان النساء عند العرب وعليه قول
ذي الرمة

كانها فضة قد مسها ذهب

ومن كلامهم بيضة الخد وجاريتي

والظاهر ان بعض صفات الجمال يُعتبر دليلاً عند العرب على رفعة
القدر وعلو المنزلة وشرف الحسب قال الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ايها واما عبد شمس وهاشم

فريد بعيد مهوى القرط طول العنق وقال حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة احسانهم شم الانوف من الطراز الاول

وعارضة آخر فقال

سود الوجوه شيمة احسانهم فطس الانوف من الطراز الآخر

قال الزوزني ان وصف العرب بالبياض تلويح الى الاحرار الذين ولدتهم
حرائر لم تُعرف الاماء فيهم فتورثهم الوانهم ولا شراق الوانهم وتلاؤ غرهم في
الاندية^(١) والمقامات اذ لم يلحقهم عار يُعيرونه فتغير الوانهم ولتقائمهم من العيوب
لان البيض يكون نقياً من الدرن والوسخ ولا شتبارهم لان الفرس الاغتر مشهور
فيما بين الخيل والمدح بالبياض في كلام العرب لا يخرج من هذه الوجوه ولذلك
كانوا يقيمون بالوجه الابيض

—*—

(١) الاندية جمع نادي وهو مجلس القوم وتحدثهم بهاراً او المجلس ما داموا مجتمعين

الفصل الثاني

في الحسن عند العرب

تعبّر العرب عن الحسن بالوسامة قال الزوزني الميسم الحسن وهو من
الوسام والوسامة وهما الحسن والجمال وكلتا القسامة وفي محيط المحيط الميسم المكواة
يوسم به الحيوان ويُعلم وهو أيضاً اثر الجمال وقسم الغلام يقسم قسامة كان جميلاً
وقد فرّق بعضهم بين معنى الحسن ومعنى الجمال فقال قوم الحسن يلاحظ
لون الوجه والجمال يلاحظ صورة اعضاءه والملاحظة تعنيها جميعاً فكل مليح حسن
وجميل معاً وليس كل حسن جميلاً ولا كل جميل حسناً وقيل الجميل الذي
ياخذ بعينك على البعد والمليح الذي ياخذ بقلبك على القرب وقيل ان الجميلة
هي التي تعجبك على البعد فاذا دنيت لم تجدّها كذلك والمليحة هي التي تعجبك على
البعد والقرب وقال آخرون الحسن في الوجه صباحة وفي البشرة وضاعة وفي
الانف جمال وفي العينين حلاوة وفي الفم ملاحة وفي اللسان ظُرف وفي القد
رشاقة وفي الشمائل لباقه وقد يتسع فيها فيقوم بعضها مقام بعض

وقال آخرون ان وصف الجمال عند العرب هو اعتدال القد وبروز
النهد وذبول العيون السود واحمرار الخدود وابيضاض الصدور وثقل
الردف ونحول الخصر وطول الجيد

ويحكى ان رجلاً من العرب استشار صديقاً له في امرأة ينزوجه فقال
خذ مائة الفدين لفاء^(١) الفخذين فضحة الذراعين رخصة الكفين ناهدة^(٢)

(١) اللف الضمّ

(٢) النهد الشيء المرتفع

الندبين حمراء الخدين كحلأ^(١) العينين زجاء^(٢) الحاجبين لمياء^(٣) الشفتين
بلجاء^(٤) الجبين شماء^(٥) العينين شنباء^(٦) الشجر معلوككة^(٧) الشعر غيداء^(٨) العنق
مكسرة^(٩) البطن

ولما ارسل الحرث بن عمرو ملك كندة امرأة من كندة لتختبر له جمال ابنة
عوف بن سلم الشيباني وكالها وقوة عقلها رجعت اليه فقال ما وراءك يا عصام
فذهبت مثلاً فقالت صرّح الخنث عن الزبد رأيت جبهة كالمرأة المصقولة
يزريتها شعراً حال كذا ذئاب الخيل ان ارسلته خلفه السلاسل وان مشطانه
قلت عناقيد جلاها الابل وحاجبين كأنما خطأ بقلم او سودا بغم نفوسا على مثل
عين ظبية عميرة^(١٠) بينها انف كحلر السيف حفت به وجنتان كالارجوان^(١١)
في يياض كالجمان^(١٢) شق في فم كالخاتم لذيذ الميسم فيه ثيابا^(١٣) شر ذات
أشر^(١٤) نقاب فيه لسان ذو فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي
فيه شفتان حمراوان تحلبان ريقاً كالشهد اذا ذلّك في رقبة بيضاء كالفضة
رُكبت في صدر كصدر ثمال دمية^(١٥) وعضدان مدبجان^(١٦) يتصل بهما
ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يمس رُكبت فيهما كفان دقيق قصهما
لين عصهما تعقد أن شئت منها الا نامل تتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين

- (١) الكحل هو ان يعلو منابت اهداب العين سواد خلفه (٢) الزجاء دقة
الحاجبين في الطول (٣) اللبي سواد او سمر في الشفة والالي البارد الريق ايضاً
(٤) البلج نقارة ما بين الحاجبين (٥) الشيم حسن الانف وارتفاع قصته
والعوين الانف (٦) الشنب عدوبة ماء الاسنان والثغر اللب والاسنان او مقدم
الاسنان (٧) المحلكة شدة السواد (٨) الاقيد المثني (٩) الكسر المثني
وتكسر البطن طيانه (١٠) الظبي حيوان كالغزال والبهير المثني الجسم
(١١) الارجوان الاحمر (١٢) الجمال اللؤلؤ (١٣) الثيابا اربع اسنان في
مقدم الفم ثقتان من فوق وثقتان من اسفل والثغرة يياض الاسنان (١٤) تأشير
الاسنان تجزئها وتحدد اطرافها (١٥) الدمية راجع اديان العرب
(١٦) المندج المدور

ينخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوي ظي القباطي المدبجة كسر عكنا
كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك العكن سرّة كالمدهن المجلو خلف ذلك
ظهر فيه كالمجدول^(١) ينهي الى خصر لولارجمة الله لانبهر^(٢) لها كفل بقعدها
اذا نهضت وينهضها اذا قعدت كأنه دعص^(٣) الرمل لبده سقوط الطل^(٤)
يجهله فحنان كأنما قلبا على نضد جان تخنها ساقان حذلمان^(٥) كالبرديتين^(٦)
وشيا بشعر اسود كأنه حلق الزرد ويجعل ذلك قدما نكدو اللسان فتبارك
الله مع صغرها كيف يطيقان حمل ما فوقها

وكتب المنذر الاكبر الى كسرى انوشروان وقد اهدى له جارية اني قد
وجهت الى الملك جارية معتدلة الخلق نقية اللون والنفر يضاء وطفاء^(٧) كحلاء
دعماء^(٨) خوراء^(٩) عيناء^(١٠) قنواء^(١١) شماء برجاء^(١٢) رجاء^(١٣) اسيلة^(١٤) الخند
شبهة المنقبل جثلة الشعر عظيمة الهامة بعيدة مهوى الفرط عيطاء^(١٥) عريضة
الصدر كاعب^(١٦) الثدي ضخمة مشاش^(١٧) المنكب^(١٨) والعضد حسنة المعصم
اطيفة الكعب والقدم قطوف^(١٩) المشي مكسال^(٢٠) الضبي بضة^(٢١) المنجود سموع

- (١) المجدول الدهر الصغير (٢) البئر النطع (٣) الدعص كيب الرمل
(٤) الطل المطر الضعيف والندى (٥) الخند الميل نحو الشيء
(٦) البردي نبات (٧) الوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين
(٨) الدعج شدة سواد العين (٩) المحور لثمداد بياض العين وسوادها
واستدارة حلقتهما ورقة جفونهما (١٠) العين عظم سواد العين بانساع
(١١) قني الالف ارتفاع اعلاه وارفعت قصبتها وضاق مخزاه
(١٢) البرج هو ان يكون بياض العين محققا بالسواد كالد
(١٣) الرج التحريك والعرك والاستهزاز (١٤) اسيل الاملس
(١٥) العبط طول العنق (١٦) الكعوبة نهود ثدي الجارية يعني ارتفاعها
(١٧) المشاش جمع مشاشة وهي رأس العظم الممكن مضغته (١٨) والمنكب
ممنوع رأس الكنف والعضد (١٩) القطوف الخدوش والطف الاثر
(٢٠) المكسال من الكسل وهو التواني عن الشيء والغتر فيه
(٢١) البض الرخص الجسم الرقيق الجلد

للسيد ليست بخنساء^(١) ولا سقاء^(٢) رفيقة الانف عزيزة النفس لم تغذ^(٣) في
بوس جنية^(٤) رزية حلية ركنة كريمة الخال تقتصر على نسب ايها دون
فصيلتها وتسغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها قد احببتها الامور في الادب فراها
رأي اهل الشرف وعلمها عمل اهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان
زهوت^(٥) الصوت ساكنة تزين الولي وتشين العدو وان اردتها اشتهت وان
تركها انتهت تمحلق^(٦) عينها ونحمر وجنتها وتدبدب^(٧) شفها وتبادرك الوثبة
اذا قمت ولا تجلس الا بامرك اذا جلست

—•••—

نبذة

في بعض المشتبهات في المجال والمتادبات من النساء

اشتهر كثير من النساء العربيات بالمجال المفرط من النساء والرجال
ايضاً وضربت بهم فيه الامثال فمن النساء ماوية بنت عوف بن جشم وقيل
بنت ربيعة الثعلبي وهي ام المنذر ملك العراق ابن امرئ القيس بن النعمان خليفة
كسرى على العرب وكان مقامه في قصر الخورنق والبحيرة ويضرب المثل
فيقال اكفى لقومة من ابن ماء السماء فان امه ماوية المذكورة كانت تلقب بماء
السماء لجالها والمنذر هذا هو ابو النعمان الذي كان يحكي ظهر الكوفة رغبة في

(١) الخنساء تأخر الوجه عن الانف مع ارتفاع الارنية

(٢) السقاء قروح تكون في رأس الصبي ووجهه والسقاء سواد يضرب الى الحمرة

ايضاً (٣) اغذ بالغ في السير وغذ وثب (٤) الحمية المرأة لا يروعك منظرها

(٥) الزهو الكبر والتب والنفخ (٦) المحملة فحج العينين والنظر الشديد

(٧) الدبدبة راجع الاصوات في الفصل الثالث من المقالة السابقة

الشقائق التي كانت تنبت فيه فُنُسبت اليه فقبل شقائق النعمان
وممن شيرين وهي بنت رجل كبير من رؤساء بلدة يقال لها ساروج او
ساروج اخذها والي تلك البلدة من ايها واهلها الى قيصر فاهلها قيصر الى
كسرى ابرويز فوقعته في قلبه حتى صار حبه لها مثلاً نظير حبها فانهم
يقولون في المثل اجل من شيرين

وممن عائشة بنت طلحة وامها ام كلثوم بنت ابي بكر الصديق وكانت
لا تستر وجهها فعاتبها مصعب بن الزبير في ذلك وكان جميلاً فقالت ان الله
وسمي باسم جمال احببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم
وممن لبابة بنت عبد الله بن العباس وكانت عند الوليد بن عتبة بن ابي
سفیان وكان الوليد جميلاً ايضاً فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع
انسان الا رحمتي من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع
وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه

وممن اشهر بالجمال من الرجال غير الوليد المذكور ذو العمامة سعيد بن
العباس بن أمية كان اذا خرج لم تبق امرأة الا برزت للنظر اليه وتضرب
اهل مكة المثل فيقولون اجل من ذي العمامة
وممن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد وسوف يأتي ذكره

وممن المنع الكندي محمد بن ظفر بن عمير بن فرعان بن قيس بن الاسود
ابن عبد الله بن الحرث بن عمرو بن معاوية بن كندة كان اجل الناس وجهاً
واكلهم خلفاً واعدهم قواماً وكان يمشي بين الناس مقنعا اي مغطياً وجهه كالمرأة
خوفاً من اصابة العين (وهو غير المنع الخراساني المشهور بالشعبذة) قال
الاصمعياني ان المنع الكندي وابا زيد الطائي ووضاح اليمن واسمه عبد الرحمن
ابن اسماعيل لقب وضاح اليمن الجمال وبهائه كانوا يردون مواسم العرب متنعين
يسترون وجوههم خوفاً من العين

وحيث ان العرب لم تكن تنكر على النساء شيئاً من الاوصاف التي تستحسن

في الرجال الآ الشجاعة والكرم كان مما لا بأس بذكره هنا بعض النساء المتأدبات اللواتي اشتهرن بالفصاحة والمعارف وضربت بهن الامثال في ذلك ومنهن الخنساء واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية التي اشتهرت بمراثيها في اخيها صخر الذي كان اجمل رجل في العرب قتله ربيعة بن ثور الاسدي في يوم ذي الائل فحزنت عليه حزناً شديداً لم يسمع بمثله وضرب المثل في رثائها فقالوا ارثي من الخنساء وزعموا بانه لا يمكن ان تأتي فحول الرجال باحسن من مراثيها ومن ذلك قولها

واولا كثرة الباكين حولي علي اخوانهم اقلت نفسي
وما يكون مثل اخي ولكن اعزني النفس عنه بالناسي
وقولها في مدحه

وان صخرًا لئن تم الهللة به كأنه علم^(١) في رأسه نار

ومنهن ليلى الاخيلية بنت عبد الله بن الرجال كانت من النساء المتأدبات في الشعر بعد الاسلام وكان توبة بن الحمير احد بني الاسدية راغباً فيها فخطبها الى ابيها فاني ان يزوجه اياها وزوجها الى رجل من بني الادلع ثم قتل توبة في خلافة معاوية قتله رهط عوف بن عامر بن عقيل لكونه كان يغير على احيائهم فكانت تراثه مراثٍ جيدة ولها نقاطع من الشعر في مدح عبد الملك بن مروان والحجاج وغيره حسنة للغاية

ومنهن الفارعة المربية اخت مسعود بن شداد وغيرها كثير من النساء البدويات نضرب عن ذكرهن اختصاراً

واما الحضريات فمنهن عائشة الباعونية التي مر ذكرها في الكلام على

دهشقي

(١) العلم من اساء المجمل العظيم

ومنهنّ الفارعة وقيل فاطمة وقيل ليلي اخت الوليد بن طريف بن الصلت
الشيباني احد الطغاة الابطال كان راس الخوارج في خلافة الرشيد العباسي
وقتل سنة ١٧٩ للهجرة (سنة ٧٩٥ م) فكانت ترثه بقصائد تسلك فيها سبيل
الخنساء في اخيها صخر

ومنهنّ فاطمة بنت السلطان محمد السلجوقي زوجة المنفي لامر الله العباسي
كانت ثقراً وتكتب ولها التديير الصائب توفيت سنة ٥٤٢ للهجرة (سنة ١١٤٧ م)
ومنهنّ فخر النساء شهوة بنت ابي البصر احمد بن الفرج بن عمر الابرقي
الكاظمة الدينورية الاصل البغدادية المولدة كانت من العلماء وتكتب الخط الجيد
وسمع عليها خلق كثير توفيت سنة ٥٧٤ للهجرة (سنة ١١٨٨ م)

وام علي نقيّة بنت ابي الفرج وهي ام تاج الدين ابي المحسن علي بن فاضل
ابن حمدون الصوري الاصل نظمت قصيدة تمّدهج فيها الملك المظفر نقي الدين
عمر ابن اخي السلطان صلاح الدين وكانت القصيدة خيرية فلما وقف عليها
قال الشيخة تعرف هذه الاحوال في زمن صباها فلما بلغها ذلك نظمت قصيدة
اخرى خيرية وصفت الحرب بها احسن وصف وسيرت اليه نقول علي بها
كمالي في ذلك توفيت سنة ٥٧٩ للهجرة (سنة ١١٨٣ م)

وام المؤيد زينب وتدعى حرّة ايضاً بنت ابي الفاسم عبد الرحمن بن
الحسن بن احمد بن سهل بن احمد بن عبدوس الجرجاني كانت من العلماء
وكتبت لبعضهم اجازة ايضاً توفيت سنة ٦١٥ للهجرة (سنة ١٢١٨ م)
وما احسن ما اجاب به يحيى بن علي النخعي الجاحظ وقد قال في كتابه
المسمى بكتاب البيان والتبيين انما يستحسن اللحن من النساء في الكلام واستشهد
بقول مالك بن اسماء وهو

وحديث الله هو ما ينعت الناعنون بوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيا نأواحلي الحديث ما كان لحنا

فقال له الخيم ان المرأة فطنة تلحن بالكلام الى غير الظاهر بالمعنى لتستر
معناه وتوري عنه وتفهمه من ارادت بالتعريض وفي الآية لتعرفهم في لحن
القول ولم يرد الخطاء من الكلام والخطاء لا يستحسن من احد

—x—

الفصل الثالث

العشق في الاعراب

لا يخفى بان اصل دواعي العشق في البادية هو لكون نساء العرب في
الجاهلية لم يكن يتبرقن اصلاً لان لبس البراقع للنساء هو امر حادث في نساء
الحضر واجبة الشريعة الاسلامية منذ انزلت آية الحجاب ومن ثم امرت بعدم تمكن
الرجال من رؤية النساء بل روى الاصبهاني انه في عهد الخلفاء العباسيين
ايضاً ما كانوا يحبون جوارهم ما لم يلدن اه . اما نساء البدو فلازلن حتى
الآن يظهرن امام الرجال منكشفات الوجوه قال بعضهم ولذلك كانت البادية
محل العشق وما يترتب عليه من الغزل وغيره كالنوادير المذكورة في كتب
الادب

وقالوا ان العشق هو نهاية درجات المحبة وقد عرفوه بانه عجب المحب
بمحبوبة او افراط الحب ويكون في عفاف وفي دعاقة او عنى المحس عن ادراك
عيوب المعشوق او مرض وسواسي يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استحسن
بعض الصور وقال ابن فارس ما العشق الا غرام بالنساء وقد عدت الاطباء
العشق من الامراض قال ابقراط ان العشق نصف الامراض وقال الفارابي
انه ثلثا الامراض لتعلقه بالبدن والنفس جميعاً وقالوا لا يعرض لغليظ الطبع

ولا لفساد المزاج ووضع الممة قال المتنبي

وعذلت اهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وذكر في مجمع السلوك ان بداءة المحبة الموافقة^(١) ثم الميل^(٢) ثم الموانسة^(٣) ثم المودة^(٤) ثم الهوى^(٥) ثم الخلة^(٦) ثم المحبة^(٧) ثم الشغف^(٨) ثم التيمم^(٩) ثم الوله^(١٠) ثم العشق^(١١) واما في الكلمات فقد قيل ان اول مراتب الحب الهوى ثم العلاقة^(١٢) ثم الكلف^(١٣) ثم العشق ثم الشغف واللوعة واللاج مثل الشغف ثم التيمم ثم التبل^(١٤) ثم الوله ثم الهيام^(١٥)

ويضرب المثل بين العرب ببني عذرة في ذلك فيقال عاشق من بني عذرة كما انهم يعبرون عن الهوى الخالي من الرية بالهوى العذري نسبة الى هؤلاء القوم الذين ازهروا به وعليه قول الفارض

يا لائي في الهوى العذري معذرة مني اليك فلو انصفت لم تلم

وبنو عذرة المذكورون هم حي من احياء العرب يقال انهم اذا احبوا مانوا ومنهم ثينة بنت عبد الله العذرية صاحبة جميل بن معمر العذري وعفراء بنت

- (١) الموافقة ضد الخالصة (٢) الميل العدول الى الشيء عن غيره مع التردد
- (٣) الانس ضد التوحش وقيل الملاطفة والترقق وارتفاع المحبة مع وجود الهيبة
- (٤) المودة والتعني والخاصة (٥) الهوى ارادة النفس وميلها الى ما تستلذه
- (٦) الخلة الماخاة والصداقة المختصة لا خلل فيها بخلاص المودة
- (٧) المحبة ميل الطبع الى الشيء الملد وقيل ترادف الارادة
- (٨) الشغف هو ان يشق الى شغاف القلب وهو حجابة حتى يصل الى النواد
- (٩) التيمم والتعبد والتذلل وممة تيم اللات ابي عبد اللات
- (١٠) الوله اضطراب العقل والخيرة من شدة الوجد والخوف منه
- (١١) العشق عجب المحب بمحبوبه (١٢) العلاقة المحب اللازم للقلب
- (١٣) الكلف المحب الشديد مع الولوع والهج (١٤) التبل الذهاب بالعقل
- (١٥) الهيام الوسوسة والمجنون في العشق والسقم من العشق

مالك العذرية صاحبة عروة بن حزام قال شاعرهم
 اذا ما نجا العذري من مية الهوى فلذاك ورب العاشقين دخیل
 قيل لاعرابي ممن انت قال من قوم اذا احبوا ماتوا فقلت جارية سمعته
 عذري ورب الكعبة
 وصحب جملاً الذي مر ذكره رجل من بني عذرة يدعي العشق وهو سمين
 فقال فيه

وقد رايت من زهدم ان زهدما يشد على خبزي ويبكي علي عمل
 فلو كنت عذري العلاقة لم تكن سميناً وانساك الهوى كثرة الاكل
 وترجم العرب ان المرأة اذا احبت رجلاً واحبها ثم لم يشق عليها رداءه
 ونشق عليه برقها فسدد جبهها قال عبد بن الحنساس
 وكم قد شققنا من رداء مزير ومن برق عن ناظر غير ناعس
 اذا شق برد نيط بالبرد برق على ذاك حتى كلنا غير لابس
 هكذا رواه الزوزني واما الشيخ ناصيف اليازجي فقد اورد هذين البيتين
 في كتابه مجمع البحرين هكذا

وكم قد شققنا من رداء محير^(١) ومن برق عن طفلة^(٢) غير عانس^(٣)
 اذا شق برد شق بالبرد برق من الحب حتى كلنا غير لابس
 وفي محيط المحيط

اذا شق برد شق بالبرد مثله^(٤) دوايك^(٤) حتى ليس للبرد لابس

(١) المحبر والجبر الناعم الجديد (٢) الطفل الرخص الناعم من كل شيء
 (٣) العانس المجارية التي طال مكثها في بيت ابيها بعد ادراكها
 (٤) دوايك كرات متتابعة يقال فقلنا ذلك دوايك اي كرات بعضها في اثر

والعرب خزرة تسمى السلوانة تُجمع على سلوان يزعمون ان العاشق اذا
حكما وشرب ما يخرج منها صبر واليهما نسب الامام ابو عبد الله محمد بن ابي محمد
ابن ظفر كتابه المسمى سلوان المطاع في عدوان الاتباع
قال روية

لو اشرب السلوان ما سايئت ما ي غني عنكم وان غنيبت
وكان من امثالهم اذا دخلت ارض الحصب فهرول ابي اسرع في مرورك
لئلا تفنك نساؤه بجماها والحصب موضع في الين بوصف يجسن النساء مع
ان اهالي الين مشهورين بين العرب بفتح الصورة

—o—

الفصل الرابع

في احوال الزواج وما يتعلق به وبالاولاد الى غير ذلك من
سني المعيشة والمات

اما في امر الزواج فقد قل في حرائر العرب من برغبين في الزواج بغير
من هو كفؤهن وفي طبقتهم وقد تعرض الآباء على بناتهم امر الزواج قبل
العقد عليهن ليحكى انه كان لرجل في الجاهلية يقال له هام بن مرة بنات يستحيين
ان يجاورنه عند ما عرض ذلك عليهن فيظنه لعدم رغبتهن فيمتنع الى ان سمعن
يتحدثن يوما في خلوة من امر الزواج فكانت كل واحدة منهن تقول ابياتا
تهدي رأيا فيه الى ان وصل الدور بصغراهن فالحمن عليا ان تقول فقالت
زوج من عود خير من قعود فذهبت مثالا

وكانت الرجال ترغب في المرأة الغربية أكثر من القرائب ولذلك قالوا في أمثالهم الترائع ولا القرائب والزريعة الغربية يعني ان الغربية انجب وصدق على ذلك الاسلام لما ورد في الحديث اغتربوا ولا تَنْصُبُوا اي تزوجوا في الاجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة وهذا النهي ليس هو من قبيل التحريم بل على سبيل النصيحة لان العرب تعتقد ان ولد الرجل من قرابته يعني ضاويًا يعني نجيحًا غير انه يعني كرمًا علي طبع قومه قال الشاعر

فتي تلدُه بنت عمِّ قريبة فيضوي وقد يضيوي رويد القرائبُ

ولا ينبغي بان الشريعة الاسلامية لم ترد شيئًا في امر الزواج على ما جاءت به النوراة الا في منع الرجل من التزوج برضيعته فان المرأة التي تكون رضعت مع الرجل من حليب امه او هو رضع معها من حليب امها تُعتبر نظير الاخت الشقيقة له فلا يجوز ان يتزوج بها فمن ثم كانت درجات القرابة المحرمة عندهم تنحصر في الامهات والبنات والاختوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت والامهات من الرضاعة والاختوات من الرضاعة وامهات النساء والربائب اللاتي في المحجور من النساء اللاتي دخلن بهن وحلائل الابناء الذين من الاصلاب والاجام بين الاختين .

ويظهر ان بعض هذه القواعد كان محفوظًا في الجاهلية ايضًا لانهم كانوا لا يجتمعون في الزواج بين الاختين ولا يتزوجون المرأة وبناتها وانما بعضها كان مهملاً بالكلية حتى انه كان من سننهم نكاح المقت وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الأكبر فالتى ثوبه على امرأة ابيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض اخوته بهر جديد فكانوا يرثون ذلك كما يرثون الاموال وقال آخرون انهم كانوا يعيبون من يفعل ذلك ويسمونه الضيَّرن وفي محيط المحيط الضيَّرن من بزاح اباه في امراته قال اوس بن حجر المازني وكلهم لا يبيحون الضيَّرن خلفُ ومنه الضيَّرن الغساني عم الزباء ملكة جزيرة العرب وقال ابن خلكان

ضَيَّرَ اسم صنم كان في الجاهلية ويُسَمَّى الساطرون صاحب تكريت (من بلاد الجزيرة) وحاصل الامر ان الاسلام أبطل من بينهم هذه العادة الردية وجرث العادة ان ابا البنت او اخاها اذا كان ابوها ميتاً او من كانت تحت حجره من الأقارب يَدُّ يدهُ الى نفس المخاطب او الى ابوه ولن يكون بُعْث وسيطاً في الطلب ويجيب سؤله في طلبه بعد ان يتفقا على مهر معلوم للزوجة كما يأتي الكلام على ذلك وقيل كانت العرب تنزوج بهذه الكلمة وهي ان يقول المخطوب نكحني ويضمان ثم يتواعدن على يومٍ او وقتٍ معين للزفاف بحضرة شهود عدل وفي الاسلام لا بد من تحرير صك بذلك يسمونه الكتاب فتي قيل ان فلاناً كتب كتابه على فلانة علم انه قد تزوج بها

ومتى جاء اليوم المعين اولوا الولائم وزُفَّت العروس على عريسها بعد ان تصلح النساء المسميات بالمواشط وخدمتهن ماشطة شائها ويقدم لها الزوج الجلوة وتكون اما وصيفة او غيرها ثم تُضْرَبُ له قبة فيدخل عليها بها ويشر للخاصرين في العرس اشياء كاللحك والخبيص يشمون بها النثار وقيل بل ان نثار العرب في اعراسهم كان القمح

ويسمون الليلة التي تُنْتَرَع فيها المرأة شبياء والليلة التي لا يقدر الزوج فيها على ذلك حرّة ولذلك جاء في امثالهم بانث بليانة حرّة يعني لم يغلبها الزوج وبانث بليانة شبياء اذا غلبها يضربان للغالب والمغلوب ويقولون عن الرجل هو بعل المرأة والمرأة هي بعلته وبعلة كما يقال هو زوجها وهي زوجته وزوجته وكذلك الحليل هو الزوج والحليلة الزوجة لانهما تحلان مثلاً واحداً وفراداً واحداً

ويعني عند زواج البكر بوجود البكارة عند الدخول عليها واعلان ذلك يوم صباحيتها باظهار مندبل او نحوه ولا زالت العادة محفوظة على هذه الصورة عند المصريين الى عصرنا هذا وما في بعض بلاد الشام فيكتفي بارسال قميص المبيت ليلة الزواج الى بيت ابيها وبعلة لهذا السبب كانت العرب في

الجاهلية لا يزوجون امرأة لرجل شَبَّ بها قبل خطبتها كما انه اذا كان زوجها في بيت ابوها عند ما لم يكن العريس من سكان نَجْمها قلَّ ان سمحت له باقتنابها منها احتراماً لابنها وعشيرتها فلا يتم له ذلك الا بعد ان يرجع بها الى وطنه ثم لا بد لنساء العرب من متبنة وهي كيس تضع فيه المرأة مراءتها وادائها ويضربون المثل بشقاوة امرأة الغريبة لان المرأة التي تزوجت بغير قومها لا ترى من تعتمد عليه فتحسب ان تنفي مراءتها من كل ما يكدرها حتى ترى من تنسها ما يحفي عليها فتزليها ولذلك يقولون لمن ارادوا المبالغة في وصف تفاوته اني من امرأة الغريبة

واذا لم تحسن المعاشرة بعد ذلك بين الزوجين كان للمرأة في الجاهلية حتى ان تطلق زوجها كما جرت عادة الرجال عندهم ان يُطلقوا نساءهم بان يقول الرجل لامرأته الحق يا هلك اواذهي فلا آئنه سربك والنده الزجر والسرب المال الراعي فكانت تطلق عندهم بهذه اللفظة او ان يقال لها الطباء على البئر واما النساء اذا اردن الطلاق وكُنَّ في بيوت من شعر فان كان البيت من قبل المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم ان امرأته طلقته فلم يأتمها بعده لكن لما جاء الاسلام جعلت العصمة للرجال لا للنساء وان الرجل سيد اهل بيته ولا يقع الطلاق الا ان يقول الرجل لامرأته صراحة انت طالق ويجوز بعدها ان تُردَّ اذا كان لم يقع الطلاق الا مرتين في كل مرة طلقه واحدة واما بعد الثالثة او اذا قال الرجل لامرأته دفعة واحدة انت طالق ثلاثا فلا يجوز حينئذ الرد الا ان تدخل المطلقة في عصمة زوج آخر بعد ان تنقضي العدة ليتحقق خلوها من الحبل ثم تطلق منه ايضاً وحينئذ يمكن لمن طلقها قبلاً ان يستردّها غير ان هذا الرد لا يكون مقبولاً كل القبول الا اذا كان وقوع ذلك انفاقاً عن غير قصد واما اذا كان وقوعه مقصوداً فلا

والعدة التي مرَّ ذكرها ثنتان عدة طلاق وهي ثلاث حيض أو ثلاث اطهار
وعدة وفاة وهي اربعة اشهر وعشر يلزم المرأة التريص فيها شرعاً ليصير بعد
ذلك التزوج بها حلالاً وكانت العادة عند العرب في الجاهلية ان المرأة متى
انتمت عدتها اي تربصها الاربعة الاشهر بعد موت زوجها كسرتها بمس الطبيب
او بغيره او دلكت جسدها بدابة او بطير ليكون ذلك خروجاً عن العدة
وقيل بان الطائر الذي كانت تسمع المرأة به قبلها على ما تقدم لا يكاد يعيش
بعد ذلك ولا يستبرأ للأمة نظير العدة للمرأة

وكان تعدد الزوجات واباحة ما في ملك الرجل من الاماء شائعاً في
الجاهلية فافتر ذلك الاسلام ايضاً للرجل بخلاف النساء فان المرأة لا تكون
الا في عصمة رجل واحد فقط واما الرجل فانه يتزوج بانثي ارادها بحيث
لا يكون في عصمته سوى اربع نسوة فقط في آن واحد غير ملك اليمن فان
ذلك لاحصر فيه ويقال للرجل اذا تزوج أحسن كما يقال للمرأة اذا تزوجت
أحسنّت فهو مُحْصَنٌ وهي مُحْصَنَةٌ ومُحْصَنَةٌ وأثنى الرجل اذا تزوج بثلاث نسوة
والمثنى الرجل دفن ثلاث نساء والذي تموت له الازواج كثيراً والمثناة
موت المثنى وحرث الرجل جمع بين اربع زوجات اما النساء المتزوجات
برجل واحد فيقال لهنّ ضرائر وقبل ان العرب تكني عن الضرّة بالجارّة
تطيراً من الضرر وتجمع على جارات واما المرأة التي تتزوج بعدة رجال في آن
واحد فيسمونها بغية واذا ولد لها ولد الحقة من شاعث فربما ادّعاه وربما انكره
لانها لا تمنع من يتنابها ولذلك يقولون في امثالهم ابنتك ابن بوحك يشرب من
صوبحك يريدون بذلك ابنتك من بحت به وباحت به أمه
واما الصلاق^(١) للمرأة وهو المهر الذي مرَّ ذكره فكان لا بد منه في الجاهلية

(١) العرب يعمدون لكل عطية اسماً فاسم ما تُعطى المرأة في النكاح الصداق واسم ما
يعطى الشاعر الجائزة واسم ما يعطى عن دم المقتول الدية واسم ما يعطى عما يتلف الثيابة
واسم ما تصح به المعاوضات الثمن وما يعطى عن تفاوت الجنايات الارش وما يعطى الدليل

وهو كذلك في الاسلام ايضاً وربما بلغ مبلغاً عظيماً ولذلك كانت العرب في الجاهلية تقول اذا وُلدت لاحد منهم بنتٌ هنيئاً لك الناحجة اي المعظمة لما لك لانك تاخذ مهرها فتضمه الى مالك فينتفع فلا يمكن للرجل ان يتزوج بدون اصراف الزوجة شيئاً يعطيها بعضه قبل دخوله عليها وبعضه يبقى ديناً عليه تستوفيه منه متى طلقها او من تركته بعد موته وذلك ما عدا حقها من ارثه بحسب ما توجبها لها الفريضة الشرعية بمنتهى الاحكام القرآنية

اما حقوق الارث فهي اذا كان للميت اولاد من زوجاته كلهن او من واحدةٍ منهن كان حق نساء واحدةٍ كنّ او اربع الثمن من مخلفاته فاما ان لم يكن له اولاد فيكون الربع يستقل به الواحدة او يقسمه اذا كنّ اكثر من ذلك وحيث ان الذكر في الشريعة الاسلامية له مثل حظ الانثيين كان حق ارث الرجل من ارث الزوجة مضاعفاً يعني من التي لها اولاد الربع ومن التي ليست بولاد النصف يستقل به لذاته

وكذلك للذكر من اولاد الميت مثل حظ الانثيين فان كنّ نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولا يورث لكل واحدٍ منها السدس ما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمّ الثلث فان كان له اخوة فلأمّ السدس وان كان رجل يورث كلاً او امرأة وله اخ او اخوة فلكل واحدٍ منها السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وان امرت هلك ليس له ولد وله اخوة فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلها الثلثان ما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الانثيين وجميع ذلك لا يكون الا من بعد انفاذ وصية المتوفي ووفاء دينه

الجمالة وما يعطى الخنير الخفارة وما يعطى الراقي البسلة وما يعطى الدلال وشيرة ما من المحلوان وما يعطى الفقير الصدقة وما يعطى تلميذ الصانع الراشن وما يعطى السلطان الاناوى وما يعطى الجندى الوظيفة وما يعطى الذي الجزية

نبذة

في ما يتعلق بالاولاد

وكانت العادة عند العرب ان لا يلحقوا في النسب الا من ارادوا ان يبحرول به على ما سبقت الاشارة اليه اذا كان مولوداً لهم من بغية ولا بقي منسوباً الى امه او الى ابيه مجهول كما وقع ذلك لزياد بن سمية زوج عبيد الذي الحقة معاوية بن ابي سفيان في النسب ليستبيله اليه عند ما مدحه عمرو بن العاص بقوله لو كان هذا الغلام من قريش لساق الناس بعصاه وكان ابو سفيان قد قال اني لاعرف الذي وضعه في رحم امه ومع ذلك بقي هذا الرجل مشهوراً باسم امه سمية فيقولون له زياد بن سمية او زياد ابن ابيه او ابن امه فلم تكف العرب عن الطعن عليه وعلى نسبه فآلف هو كتاباً في مثالب العرب واعطاه لولده وقال لهم استظفروا بهما على العرب فانهم يكفون عنكم فكان هو اول من آلف في هذا الموضوع

اما اولادهم من الاماء فكانوا يستعبدونهم الا اذا انجب الولد فميتئذ يعترف به ابوه (كما وقع لعنتره بن شداد العبيسي) والابني عبداً واما في الاسلام فلا فرق بين الاولاد سواء كانوا مولودين من حرائر او من اماء بل اذا كان الولد مولوداً من أمية فان امه تصير حرة شرعاً ولا يوجد فرق بينه وبين سائر اخوته المولودين لابيهم من حرائر لا في النسب ولا في الحقوق وكان من عادة نساء العرب ايضاً ان لا يرضعن اولاد غيرهن لان ذلك عارٌ عندهم فتجوع المرأة الشريفة النفس ولا تأجر نفسها للرضاع ولذلك جرى

في المثل عندهم تجوع الحرّة ولا تأكل بندبها
ونكفي العرب عن الولد بالبول وعلى هذا عبر ابن سيرين رؤيا
عبد الملك بن مروان وكان رأى في حلمه بانه قام في محراب المسجد وبال فيه
خمس مرّات فكتب له ابن سيرين المذكور ان صدقت رؤياك فسيقوم من
اولادك خمسة في المحراب ويتقلدون الخلافة من بعدك وكان كذلك
ويعبرون عن الولد ما دام في بطن امه بالجنين اما اذا كان في بطن
امه وقد أخذت من ارض الشرك فهو حبيب فاذا مات الولد في بطن امه فهو
حشّ فاذا التفت ميتاً فهو حشيش واذا كان يُبقر عنه بطن امه اذا ماتت فهو
خيشعة فاذا ولدته اما اي كان ابره عبلاً واه جارية فهو الخبوس اما المولود
من الحرّة فهو وليد فان لم تستتم عليه سبعة ايام فهو صديغ ثم ما دام يرضع فهو
رضيع فاذا فطم عنه اللبن فهو فطيم فاذا دبّ ودرج فهو دارج فاذا نبت
استأنه بعد السقوط فهو مؤنّير فاذا كان يجاوز عشر سنين فهو مؤرّع وناش
فاذا كان يبلغ الحلم فهو يافع وحوئل ومراهق فاذا اخضرّ شاربه فهو فتى ثم
شاب ثم كهل وهو من جاوز الثلاثين الى الخمسين من عمره ثم شيخ وهو من
جاوز الخمسين الى الثمانين ثم يقن وكُنّي قال الشاعر

وماذا تبغى الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

وقال آخر

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجان

ويقولون في سنّ الرجل ابن العشر سنين لعاب بالقلين^(١) وابن العشرين
باغي نسنين^(٢) وابن الثلاثين اسعي الساعين وابن الاربعين ابطش الباطشين وابن
الخمسين ليث عفرين وابن الستين مؤنس الجليسين وابن السبعين احكم الحاكمين

(١) القلين مثنى القلة وهما عودان يلعب بهما الصبيان ج قلات وقليون

(٢) باغي نسنين اي طالب نساء

وابن الثمانين اسرع المحاسبين وابن التسعين احد الارزليين وابن المئة لاحاء ولا
سأء (١)

ويسمّون اول ولد المرأة زكّة والآخر عجرة وقيل بل ان زكّة مرادف عجرة
وهو آخر ولد الابوين والهرل ولد المرأة من زوجها الاول وهو فاروط له عند
العامة والجربذة الذي لامه زوج واليتيم من فقد اباه ولم يبلغ الحلم فان مات
الابن فهو لظيم وان ماتت امه فهو عجي اما اليتيم من البهايم من فقدت امه
ويضة العفر آخر الاولاد لان الام قد صارت عافراً بعده

ويسمون اول الاولاد البكر لان البكر اول كل شيء على ان الاوليات
لا بد لكل نوع منها اسم مخصوص ايضاً يعرف به فتي قيل الفاتحة عرفت بانها
اول الكتاب والشرح والربعمان والعنفوان والميعة والفلاء اول الشباب .
واول المطر ريق واول الامر حدثان واول الربيع عُمُون واول الصبح تباشير
واول النهار صبح واول الليل غسق واول مطر الربيع وسى واول الليل
بارض واول الزرع نعا واول الفاكهة باكورة واول الجيش طليعة واول
الشرب نهل واول السكر تشوة واول النوم نعا واول الشيب وخط واول
صباح المولود اذا ولد استهلل واول الحى رس واول المرض دعث واول
ما يفتح الخطيب خطبته والشاعر قصيدته براعة الاستهلل او حسن المطالع

وكان الرجل في الجاهلية اذا غلبه ابنه او من هو بسبب او نسب منه اتي
به الى الموسم ثم نادى يا ايها الناس الا اتي خلفت ابني هذا فان جرّم اضمن
وان جرّم عليه لا اطلب اي قد تهرأت منه فكان لا يؤخذ بعد ذلك على جرائره
قال الروزني الخليع الذي خلعه اهله لحبه وزعم الآية ان الخليع في البيت
المقامر والمعمل الكثير العيال

— ١٠٠١ —

نبذة

في الجنائز

تندب العرب في الجاهلية الميت بقولهم وا حرباه قبل اصلها انه لما توفي حرب بن امية ندبه اهل مكة فقالوا وا حربا ثم استعملت بعد ذلك عندهم لندب الميت والاشعار بالتأسف والحزن عليه. واما تشييعه عند عرب البادية فيكون بمشي الاقارب خلف الجنازة حفاة وتحمل النساء شعورهن والطنن رؤوسهن بالرماد ويستمين من قول العرب لا تفعل ذلك امك حالي ان النساء كن يحلقن رؤوسهن في الجاهلية حزنا على الميت وفي اللغة الحالفة التي تحلق شعرها في المصيبة والشوم. ثم تستأجر النائح ليطهرن شعار الحزن والحسرة ويذكرن للميت محاسن من حيث كان وبعد ذلك يحضر شيء من الطعام بعد الرجوع من تشييعه ويصنع ايضا ست مرات من الضيافات الحزنية وتاكل النائح المستأجرات فيها وذلك في اليوم الثالث والتاسع والخامس عشر والاربعين ولتمام ستة اشهر والسادسة على راس السنة من موت الميت وقال الاصمغاني كانت المرأة في العرب اذا ناحت قائمة على زوجها علم انها لا تريد ان تتزوج بعده

وقد بقي شيء من هذه العوائد في البلاد الاسلامية الى عصرنا هذا ايضا لكنه يختلف باختلاف الامصار فان في بعضها لا يكون البكاء والندب وحل شعور النساء ونواحيهن الا فوق راس الميت ما دام في البيت ومتى دفن بطل ذلك كله وفي بعضها يكون الى ايام معينة وفي بلاد مصر ربما دامت النائح مستأجرات اسبوعا او اكثر الى اربعين يوما يندبه صابغات اياديهن بالنبيلة

كالحناء ولا طمخات وجوههن بها ايضاً ويحلقن شعورهن ويرقصن في الخافل
والساحات والمرايح رقصاً هائلاً لاطات وجوههن على نقر الدفوف نقرات
مزجية ينشدن عليها نواحاً بصوت حزين تحسبه خارجاً من قبور الموتى
واما العادة الجارية في تشييع الميت فهي بعد ان يغسل في بيته ويحط
ويكفن باكتاف ربما بلغ عددها الى سبعة اكفان من القاش القطن الايض
يوضع على نعش واذا كان من اهل العلم اذن المؤذنون في المساجد يدعون
الناس الى الصلاة ولا تنقل الى الجامع بدون اذان وعلى اي حال كان لابد
ان يكون امام الجنازة صفت من المشايخ وحفظة القرآن رافعين علامات اي
رايات مكتوبة على قاشها الشهادتان او بعض الآيات من القرآن وهم
ينشدون البردة وهي قصيدة امتدح بها الشيخ محمد البوصيري صاحب الشريعة
الاسلامية او يوحّدون الى ان يصلوا به الى الجامع فيصاؤون عليه الناس
المجتمعون هناك مع المشايخ في جنازته على حسب حاله ودرجته في الدنيا
والدين ثم ينقلونه الى الجبابة ويدفنونه في اللحد المجهز له بلا صندوق وبعد
ان يلقنه الشيخ في اذنه حسب قواعد الديانة يحثون عليه التراب وبعد ذلك
يبنون عليه قبراً اما من الرخام واما من البلاط او من الحجر المعتاد على حسب
سخاء ورثائه وغالباً ينقشون تاريخ وفاته على رخامة منظوماً في ايات من الشعر
ويضعونها على القبر واكثر الناس الموجودين وقت الدفن يعزّون اقرباءه
عند القبر وبعضهم في البيت واما اطعام الفقراء والتصدق بشيء من دراهم
وعمل الموالد والاذكار الليلية في بيته وتلاوة القرآن على قبره اياماً وزيارة قبره
من اقاربه رجالاً ونساءً ولا سيما في كل يوم جمعة وتزيين قبره بشيء من الزهور
والنباتات وخاصة اغصان الآس النضرة كل ذلك من الامور التي لابد منها
وفي اللغة الموت والغيب والأكّة والخزاع بمعنى واحد ومن الغلط ان
يقال توفي بصيغة المعلوم والصواب توفي على المجهول والمعنى قبضت روحه ويعبرون
عن الموت بهادم اللذات واما المجهز من الموت فهو السريع والمُخصر فهو

القريب من الموت واخضر الرجل بالخاء المعجمة اذا مات شاباً غضاً واجزر الشيخ جان له ان يموت ومات حنف انفه اي مات موتاً طبيعياً والموت الابيض الموت فجأة والموت الاحمر الموت قتلاً وفي حاشية امثال ابي عبيدة الموت الاحمر ان يقتل بالسيف والموت الاسود ان يُخنق حتى يموت والموت الابيض ان يموت حنف انفه . والحجاف الموت العام وحبال الموت اسبابه واحنسب فلان ولدنا له مات ولده كبيراً فان مات صغيراً قيل افتطرطه وفوز الرجل قضى نحبته وهوز وتيقن وجئز مات

والجنائز والعاكي والمخبيص والنيط والعرش الميت والحيفة جئة الميت المثنية والجبين المقبور والمهل صديد الميت والرغ والشرجع والنعش والتابوت والازان والآلة سرير من الخشب يُحمل فيه والخرج خشب يشد بعضه الى بعض تحمل فيه الموتى ايضاً وربما وضع فوق نعش النساء والدكة كرسي من الخشب ايضاً يُغسل عليه

والحجرة والحفير والذنوب والرحم والرجمة والراموس والرأس والمرس والريم والرحلوفة والثكنة والحيوة والجن والرحلوفة والصهر والصير والصرح والتربة والحد والوتيرة والودع والأدم والجداث والجدف والجذل القبر والاصواء القبور والجنافير القبور العادية مفردها جنفور والحد الشق المائل يكون في عرض القبر اي جانبيه والنواويس قبور النصارى اذا خربت قبل الاسلام جاز اخذ ترابها للسهاد والجبانة والبلد وبيت الله والتربة المقبرة والمحنة حفرة القبر والجأل والجول ناحية القبر والحجارة حجر عريض بوضع على الحد والمخسق قبرة القبر والتخسب دفن الميت في الحجارة او مكفناً ورجم القبر علمه او وضع عليه الرجام والهائي تراب القبر وجهه القبر وضع عليه التراب ولم يطينه

المقالة الرابعة

في اديان العرب ومعاييدها ومناسكها وفيها ستة فصول

الفصل الاول

في اديان العرب

كانت العرب في الجاهلية على انواع مختلفة من العبادات فمنهم من انكر الخالق والبعث وقالوا بالطبع المعني والدهر المفعلي ومنهم من عرف الخالق وانكر البعث ومنهم من عبد الاصنام وكان اكثرهم يعبدون النجوم كالشمس والقمر وعطارد والمشتري وغير ذلك ومنه اسماؤهم كعبد العزى وعبد يغوث ونيم اللات وعبد شمس وعبد المشتري ونحو ذلك وكانت الجوسبة في بني تميم ومنهم زرارة بن عدي وابنة علي وكان تزوج بنته حسب اباحة ذلك في دين الجوس ثم ندم بعده وكانت الزندقة في قريش اخذوها من الجزيرة وكانت اليهودية في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة قال المنري ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب على عهد صموئيل النبي (الذي توفي سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد) وقال ابو النرج الاصمعياني

في ترجمة السموأل بن عاديا اليهودي انه كان من اليهود من ولد الكاهن ابن هرون بن عمران وكان موسى النبي وجهه جيشاً الى العالمين وكانوا قد تسطوا وبلغت غاراتهم الى الشام وامرهم ان ظفروا بهم يقتلوهم اجمعين فظفروا بهم وقتلوه اجمعين سوى ابن ملك لم كان جديلاً فرحوه واستبقوه وقدموا الشام بعد وفاة موسى فاخبروا بني اسرائيل ما فعلوه فقالوا انتم عصاة لاتدخلون الشام علينا ابداً فاخرجوهم عنها فقال بعضهم لبعض ما لنا غير البلد الذي ظفروا به وقتلنا اهله فرجعوا الى يثرب واقاموا بها وذلك قبل ورود الاوس والخزرج اياها عند وقوع سيل العرم باليمن فمن هؤلاء اليهود قرظة والنضير وبنو قينقاع وغيرهم ولم يوجد لهم نسب يذكر لانهم ليسوا من العرب فتدون العرب انسابهم وانما هم حلفاؤهم

فاذا اردنا المطابقة بين كلام المفريزي وبين ما قاله الاصمغاني بعد حذف ما جرت به عادة الرواة من زخرف القصص يمكننا ان نجد في ذلك اشارة الى حرب شاول ملك اسرائيل مع اجاج ملك عماليق (١ ص ١٠٥ - ٢٥) وقال ابن خلدون ان اول من ادخل الديانة اليهودية بين العرب هي ذونواس احد ملوك التبابعة وكان اسمه يوسف ويهودت معه اهل اليمن وقتل اهل نجران من النصارى وقال غيره ان جلوس هذا الملك كان في سنة ٤٩٠ م وفي محيط المحيط ما نصه واصحاب الاخدود اهل نجران الذين وفد عليهم زرعة ابن كعب ملك اليمن الملقب بذي نواس الحميري ودعاهم ان يتحولوا عن النصرانية الى اليهودية فامتنعوا فاحنفر لهم اخذوداً واضرم فيه النار والى فيها من ظفر به منهم

وفي بعض تواريخ النصارى كان دميان اليهودي حاكماً على اليمن اضطهد من كان هناك من الاربوسيين فسار اليه ايلسبان ملك الحبشة وقهره سنة ٥٢١ م وفي بعض المؤلفات ان هذه الواقعة جرت بين الحبش وعرب اليمن عند البحر في موقع ايلة التي هي الآن خراب فالقي ملكهم ذونواس الحميري نفسه في

الجيرانفة من وقوعه في اسرا الحبشة

وفي تاريخ القرون الوسطى ان ملوك الين الحمير بين كانوا قد تهودوا في
اوائل القرن الرابع للميلاد ولما تعدوا على الدصارى وظلمهم التجأ هؤلاء
المظلومون الى من دب عنهم من ارباب الشوكة وهم ملوك الحبشة فلما اتى
التجاشي الين سنة ٥٢٩ م جعل الملك طبر رجلاً يقال له ارباط وهو ابو ابرهة
الاشرم صاحب القيل الذي قصد مكة ولم ينجح في محاصرتها لشجاعة عبد المطالب
وكان سنة ٥٧٠ م ولما صار الملك لاولاد ابرهة طردهم كسرى انوشروان من
بلاد الين وولّى بدلم رجلاً من نسل قدماء ملوك تلك الارض وذلك
سنة ٥٧٢ م

والرجل الذي أشير اليه هنا انه تولّى من قبل كسرى انوشروان هو
سيف بن ذي بزن الحميري وفي ذلك يقول ابن دريد

وسيف استعلت به هيمته حتى رى أبعد شأو المرتضى
فجرع الأحبش سماً نافعاً واحلل من غمدان ممراب الدمى

وكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاة قال ابن خلدون
المغربي كان اهل نجران من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل في
الدين واستقامة اخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له
سيمون من بقية اصحاب الحوار بين

وفي الكتاب المقدس ان بولس الرسول كان اول من بشر العرب
بالانجيل (غل ص ١٥١-١٧) وفي بعض التواريخ المسيحية ايضاً ان في القرن
الثالث من الميلاد استنار احد حكام العرب المعلم اوريجانوس الشهير فهدى
قبيلة من همل العرب الناعمين وكذلك في خلال القرن الرابع سار موسى
الراهب المصري الى العرب ذرية اسماعيل وبشرهم فتنصرت زوجة حاكمهم
المسماة موفية وفي تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان تنصروا في ايام القيصر

والثنين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام (يعني الساسك)
 واما العبادة الوثنية فهي وان تكن قد ميتها في العرب من الامور الواضحة
 ومعرفة اسباب دخولها عندهم من الغوامض الخفية لكن نذكر هنا ما ذكره
 كثيرون من مؤرخي العرب كالشهرستاني وابن خلدون وغيرها وهو ان اول
 من جعل الاصنام على الكعبة وعبدوها واطاعته العرب وعبدوها معه واستمروا
 على ذلك الى ان جاء الاسلام هو عمرو بن لحي بن حارثة بن امرئ القيس بن
 ثعلبة بن مازن بن الازد من ولد كهلان بن سبا كان ملك الحجاز واليه تنسب
 خزاعة فيقولون انهم من ولد كعب بن عمرو المذكور وان السبب في ذلك
 هو انه لما سار عمرو وهما الى البلقاء من اراضي الشام رأى قوماً يعبدون الاصنام
 فسألم عنها فقالوا هذه ارباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص
 البشرية لنستنصر بها فننصر ونستقي بها فتسقى فاعجبه ذلك وطلب منهم صنماً
 فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة ووضعه على الكعبة واستحب ايضاً صنمين
 يقال لهما اساف ونائلة وكانا على موضع زعم ودعا الناس الى تعظيم الاصنام
 فاجابوه وكان ذلك في ايام سابور ملك الفرس نحو سنة ٤٠٠ قبل الاسلام
 (سنة ٢٠٠ م) ويحكى عن عمرو المذكور ايضاً بأنه هو الذي بجر البحيرة وسبب
 السائبة وحي الحامي وكان ينكر البعث وفي ذلك يقول

حياة ثم موت ثم حشر كلام خرافة يا أم عمرو

وزعم آخرون ان اساف هو ابن عمرو ونائلة بنت سهل ارتكبا الفجيع في
 الكعبة فمسخما الله سبحانه حجرين فعبدتهما قرش
 وقيل ايضاً ان يغوث ويعوق ونسر كانوا اولاد آدم وكانوا من العباد
 الا نقياء فلما ماتوا جاء الشيطان وحسن للناس ان يصوروا صورهم ويجعلوها في
 قبلة المسجد ليدكروهم اذا نظروهم ثم حسن لهم ان يعبدوهم فعبدوهم وذكروا ان
 ود كان على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد

ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر
وكانت هذه الاصنام ونظائرهما من الاوثان المعبودة عند العرب مخصصة
بالقبائل فكان كثرى لجديس وطسم وود لكاب وهو بدومة الجندل وتيم لبني
تيم وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض
حماير ويعوق لهلمان واللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنو ميث من ثقيف
والعزى لقريش وبني كنانة وكان حجابها بنو شيبه ومناة وذو الشرى للؤوس
والخزرج والباجر للزد والجهار لبني هوازن وأول لبكر وتغلب والمخزوم لبني
بكر بن وائل وسعد لبني ملكان بن كنانة وسعير لبني عنزة خاصة وعيانس
لخولان كانوا يقسمون له من انعامهم وحروثهم والفلس ورضا لبني طي وذو الكهين
لدوس . اما الهة جريش والجند والشارق والعائم والأقصر وكسعة والمدان
وعوف ومناف وباليل والجبهة فهي اصنام ايضا لكن لم تنف الا على اسمائها
فقط واما اساف ونائلة اللذان سبق ذكرهما فكانا على الصفا والمروة وهبل وهو
اعظم اصنامهم كان على ظهر الكعبة

وقال مطربون ان اللات وقد مر ذكرها هي معبودة تشبه الزهرة
الساوية كانت تُعبد في تمثال حجري اسود واما بعض كتاب العرب فيقولون
الظاهر ان الحجر الاسود الذي يعتقدون انه من جواهر الجنة وكان ابيض
ساطعاً ثم اسود لكثرة لمس الحجاج وتقبيلهم له او كما قال آخرون انه ياقوتة من
بواقيت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به ويشهد لمن
اسئله بحق وصدق كان معظماً في الجاهلية ايضا لان قبائل العرب كانت تجتمع
في الكعبة ويطوفون بها سبع مرات ويلتمون ههنا الحجر

وذكر مطربون صنما آخر سماه ابراطلاه قال انه من معبودات العرب
وانه اله النار

وقال الابشهي انه كان لاهل كل دار صنم في دارهم يعبدونه فاذا اراد
الرجل سفراً تمنع به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره

فاذا قدم من سفره بلا به قبل ان يدخل الى اهله
 ثم ان المصنوع من هذه الاوثان من الحجارة يقال لها الانصاب واحدها
 نصب اما البعيم فهو الصنم والتمثال من الخشب والدمية من الصمغ وقيل الدمية
 الصورة المنقوشة فيها حجرة كالدن او هي من الرخام او عامّة وقيل هي الصورة
 من العاج تُصَرَّب مثلاً في الحسن فيقال احسن من الدمية والدمية الصنم ايضاً
 وكذلك البُهار والحجبت واما البُغبور فهو الحجر الذي يُذبح عليه القران للصنم
 ويستفاد ما ذكره ابو الفرج الاصمغاني ان العرب كانوا يعبدون الجبل
 الاسود ايضاً فانه يقول لما دخل زيد بن مهمل الى المسجد كان صاحب
 الشريعة الاسلامية يخطب فلما رآه قال آني خيركم من العزى وما حازت
 منافع من كل ضارٍ غير نفاع ومن الجبل الاسود الذي تعبدونه من دون الله
 وكانوا يعبدون للنصاحه ايضاً امام المعلقات السبع ويسمونها السموط
 والسبع الطول جمعها حماد الراوية واعلنت علماء الاسلام بشرحها لما فيها من
 النصاحه والصناعة الشعرية ويعتبرونها الطبقة الاولى وكانت العرب تفتخر بها
 ويسمو درجة فصاحتها علقها ناظوها على باب الكعبة قال صاحب تذكرة الحكم
 في طبقات الامم ان العرب اقامت تسجد هذه المعلقات نحو مئة وخمسين سنة
 الى ان ظهر الاسلام وابطل القرآن جمسوط فصاحت اعبار العرب هذه المعلقات
 ثم كما ابطل الدين الاسلامي سجود العرب للنصاحه ابطل كذلك عبادة
 الاوثان واقام مبانية في خمسة قواعد اساسية وهي اولاً النطق بالشهادتين البتين
 احدها تتضمن الاعتراف بوحداية الباري تعالى جل شأنه والثانية الاقرار
 برسالة صاحب الشريعة الاسلامية ويعبر عنها بكلمة الاخلاص واما الاربعة
 الباقية فهي اقامة الصلوة واتيان الزكوة وصوم شهر رمضان اياماً معدودات فمن
 كان مريضاً او على سفرٍ فعدة من ايامٍ آخر واما ان صام فهو خير له وحج
 البيت من استطاع اليه سبيلاً
 اما الصلاة فهي الدعاء والدين والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله

على الرسول وصلاة العباداة يكون فيها ركوع وسجود واقوال وافعال مفتتحة
بالتكبير ومختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة وقالوا هي من الله الرحمة ومن
الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء ومن الطير والهوام التسبيح

واما الزكاة فيراد بها قدر معين من النصاب الحولي اي قدر المال الذي
تجب فيه الزكاة كل سنة يخرجهُ الحر المسلم المكلف لله تعالى الى الفقير المسلم غير
الهاشي ولا مولاة (اي ولا عبده) وهو معطوف على الهاشي مع قطع المنفعة عنه
من كل وجه قيل سميت بذلك لانها تزيد في المال الذي تخرج منه وتوفرهُ
وتنقيه من الاقاقات وفي الحديث هاتوا ربع العشر من اموالكم ولا يُعفى من ذلك
الا من كان ما في حوزته اقل من مئتي درهم من الفضة او عشرين مثقالاً من
الذهب ولا يُأنفك الى قيمة الارزاق والعتارات والفتيات بل الى غلالها فقط
وفي الحديث ايضاً ليس في الجبهة ولا في الكسعة ولا في الخنقة صدقة . والجبهة هي
الخنجل والكسعة الخمير والخنقة الرقيق وقيل البئر العوامل واما في الخضراوات
صدقة والخضراوات هي الخضر والفواكه والبقول ولذلك لا يلتزم المسلمون بتزكية
شيء هو من هذا القبيل

واما الصوم فهو الامساك عن الطعام والشراب والوطئ من زمان الصبح
الى المغرب مع النية (اي مع عقد النية على الصوم) وشهر رمضان هو تاسع
الشهور القمرية وفي الحديث كان عليه السلام يأمرنا ان نصوم ايام البيض وايام
البيض هي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر القمري اما
صوم الوصال فهو صوم يومين او ثلاثة

واما حج البيت فسوف يأتي الكلام عليه في الفصل الثالث من هذه المقالة
فتعلم العرب التوحيد وان كل ما يحدث هو معين بقدر لا مناص منه
وانه بعد الموت يجازى الخير خيراً والشر شراً والمداومة على الصلوات المتابعة
في الاوقات الخمسة والحسنة للمساكين وصوم شهر رمضان والامتناع عن الخمر
وتقرر عندهم الخنان وزواج اكثر من امرأة واحدة والطلاق وتحولت مقاصدهم

في الغارات بعضهم على بعض الى الجهاد في سبيل الدين وانضم الى ذلك رغبتهم في المكافاة عليه بالنعيم في جنة تجري من تحتها الانهار فيها من كل ما تشتهي النفس وتلد الاعين وخلاصة الاسرار ان القرآن ازال ما كان في قلوبهم من العداوة والبغضاء فجعلوا باخذون في التآلف والانضمام حتى انه في ظرف يسير من الزمان خضعت كل بلاد جزيرة العرب وبواديها الى هذا الدين وصار اندر من النادر ان يوجد فيها من لا ينطق بالشهادتين ولئن كان اغلب اهلها في البادية لا يعرفون من المعتقدات والسنن والفرائض الاسلامية غيرها

الفصل الثاني

في معابد العرب

الكعبة التي مر ذكرها هي الآن في وسط المسجد الحرام بمكة من بلاد الحجاز وقد نُسبت بهذا الاسم لعلوها من اسم الكعب وقد ذكرنا بان موضع الكعبة الحقيقية منها كان فيه خيمة لآدم وضعها الله له من الجنة فبنى شيث بن آدم هناك الكعبة بالطين وان الذي بنى البيت هو آدم نفسه وانه لما قضى مناسكته فيه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ومقبل ان بناء البيت كان قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان وقال ابن خلدون ان ابراهيم لما ترك هاجر في الفلاة وضعها وابنها اسماعيل في مكان البيت فاتخذ اسماعيل هناك بيتا وادار عليه سياجا من الردم وجعله زربا لغنم ثم لما جاء ابوه لزيارته من الشام آخر مرة امره الله ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب وان يؤذن في الناس بالحق فيه فيناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن وسكن اسماعيل به

مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودُفنا بالحجر منه اه . وعلى هذا يكون ابراهيم واسماعيل ابنة ها اول من رفع قواعد الكعبة ثم لما غلبت قريش خزاعة على امر البيت كما يتضح ذلك ما يأتي بني قصي بن كلاب البيت وسقفة بنحشب الدوم وجريد النخل قال الاعشى

خلفت بثوبي راهب الدور والتي بناها قصي والمضاض بن جرهم

ثم اصابته سيل وقيل حريق فتمدم فاعادوا بناءه ثم اصابته حريق سنة ٦٤ للهجرة (سنة ٦٨٣ م) من النفط الذي رى به جيوش يزيد بن معاوية على ابن الزبير لما تحصن به فاحضر بعد ذلك بنائين من الفرس والروم واعاد بناءه على احسن ما كان ثم هدمه لما اختلفت عليه الصحابة في بنائه واقامه ثانياً على اساس ابراهيم وجعل فرش الكعبة وازرّها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصنّاع الابواب من الذهب ثم لما حاصر كليب بن يوسف الثقيفي المعروف بالحجاج ابن الزبير المذكور في ايام عبد الملك بن مروان وظفر به امر بهدم البيت وردّه على قواعد قريش كما هو اليوم فهو والحالة هذه من بناء ابن الزبير وبناء الحجاج اما الذين زادوا في ارضه ووسعوه فهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك الذي اقام فيه عمدة الرخام ثم زاد فيه المنصور العباسي وابنه المهدي

ووصف ملطبرون الكعبة فقال وفي كتب الجغرافية المعنادة قد مدحوا جمال الكعبة وزينتها وابوابها الكثيرة وقبنها المذهبة فلما رآها المعلم نيبوهر (احد السياح الالمانيين) قال في وصفه لها انها اشد شبيهاً بهياكل الهند القديمة وهياكل بلاد سيام من شبيها بالمساجد المتجددة بعد ظهور الاسلام فانها بناها مربع مكشوف تحاط به اعمدة وبه منارات بدلاً عن الاهرام والمسلات الموجودة بغيرها وفي هذا النائرة مساجد للصلاة وداخلها بناها مربع هو الكعبة الحقيقية وكان اول من كسا الكعبة على ما قاله ابن خلدون هو تبع كساها بالملاء

والواصل وجعل لها مفتاحاً وهو اول من يهود من العرب وتبعته في ذلك قبيلة حمير وقال ابو الفرج الاصمعياني ان قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية من اموالها باجمعها سنة وكان بحير بن ابي ربيعة الذي سماه صاحب الشريعة الاسلامية عبد الله يكسوها من ماله سنة ولذلك لقبته قريش بالعدل يريدون انه وحده عدلهم جميعاً وكان عبد الله المذكور تاجراً موسراً وتجره الى اليمن وابوه ابو ربيعة واخوته هشام وهاشم والفاكه بنو المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم يُضْرَب بعزهم المثل وقال المقرئ ان كسوة الكعبة كانت المسوح والانطاع واول من كساها الديبايح هو عبد الله بن الزبير الذي مر ذكره احد الخلفاء الامويين

وقال الزوزني بان العرب في الجاهلية كانوا اذا نالوا عن الكعبة ينصبون حجراً يسمونه الدوار يطوفون حوله تشبيهاً بالطائفين حول الكعبة وكان لبعض القبائل من العرب معابد خصوصية ايضاً فقد ذكر الاصمعياني بان غطفان بنت بناء سمته لبس وشبهته بالكعبة فكانوا يحبونه ويعظمونهم ويسمونهم حرماً فغزاهم زهير بن جناب الكلبي وهدمه وفي محيط العزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها وكانوا بنوا لها بيتاً وفاموا لها سدة فبعث اليها صاحب الشريعة الاسلامية خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة وهو يقول

يا عز كفرانك لا سيجانك اني رأيت الله قد اهانك

وحكى غيره ان ذا الخلصة بيت لبني خنهم كان يدعى الكعبة ايضاً وسمي بذئ الخلصة لصلبهم كان فيه يسمى الخلصة اولاً لانه كان في منبث الخلصة^(١) وهناك بيت آخر يسمى سعيدة كانت العرب تفتح اليه في جبل أحد وذو الكعبات بيت لربيعة كانوا يطوفون به

اما كعبة نجران فهي قبة لعبد المسيح بن دارس بن عدي مصنوعة من

(١) شجر كالكرم يتعلق بالشجر فيعلو وهو طيب الريح وحبته كحز العقوق

ثلاث مئة جلد وكانت العرب تسميها كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها
كما يقصدون زيارة الكعبة فكان اذا نزل بها مستجيرٌ أُجبرَ او خائفٌ آمن او
جائع شبع او طالبٌ حاجة فُضيت او مسترفدٌ أُعطي ما يريد قال الاعشى
يخاطب ناقته

فكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بابوابها
نزورُ يزينا وعبد المسبح وقسا هم خيرُ اربابها

قال ابو الفرج الاصبهاني انها بيعة بناها بنو عبد المنان على بناء الكعبة
وعظوها مضاهاةً للكعبة

ثم بعد ظهور الاسلام اندرس جميع ما ذكر وتعرض عنه بالكعبة والمساجد
التي احدثت بعد الاسلام وكان اول اتخاذها المسجد الذي بناه صاحب
الشرعة الاسلامية في المدينة قال ابن خلدون ان الله تعالى امره بالهجرة اليها
واقامة دين الاسلام فيها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملجده الشريف في تربتها
وان هذه المساجد الثلاثة هي قرّة عين المسلمين (يريد بذلك الكعبة التي
نقدم ذكرها ومسجد المدينة الذي نحن بصدده وبيت المقدس وهو الجامع
الاقصى الذي بناه عمر بن الخطاب في اورشليم في المحل الذي كان مبنياً عليه
هيكل سليمان بن داود ملك اسرائيل) ثم ذكر ايضاً مسجداً آخر غير الثلاثة
المذكورين قال انه لا دم ابي البشر في سرنديب من جزر الهند لكنه لم يقطع
بصحته

وكانت هذه المساجد وغيرها من الجوامع الاسلامية خالية في مبدأ الامر
من المناظر ولم تتخذ فيها الا في زمن الخلفاء من الصحابة وكان اول من اتخذها
عمرو بن العاص عامل عمر بن الخطاب على مصر لما بنى جامعة المشهور فيها
فانكر عليه ذلك الخليفة المشار اليه وامره بكسره ثم لما تولى الخلافة ابو عبد الله
المهدي امر بتفجيرها

واما الدعاء على المنابر للخلفاء فاول من ابتدأ به ابن عباس دّعا لعلي بن ابي طالب وكان عاملة على البصرة وسرى ذلك الى ان صارت الخطبة من شعائر الملك فتمهد الخوارج ملوكها باقامة الدعاء في الخطبة لغيرهم واول من اتخذ المفصورة من المسجد لصلاة السلطان كان معاوية بن ابي سفيان اول خلفاء بني أمية حين طعنه الخارجي ليقنله وقيل بل هو مروان بن الحكم حين طعنه البائي ثم اتخذها الخلفاء بعد ذلك في المشرق والمغرب

— — —

نبذة

في سداة الكعبة

وكانت سداة الكعبة في زمن الجاهلية مع بني اسماعيل حتى انتهى ذلك الى ثابت احد اولاده فلما توفي صارت الى جدّه لأمّه مضاض بن عمرو الجرهني حتى غلبت خزاعة على مكة فصارت اليهم ونفوا بني جرهم عن مكة وفي ذلك يقول مضاض المذكور

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا	انيس ولم يسر بمكة سامر
ولم يترع واسطاً فجنوبة	الى المتحنى من ذي الاراكفة حاضر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا	صروف الليالي والجودود العوائر
ونحن ولاه البيت من بعد ثابت	نطوف بذاك البيت والامر ظاهر
فاخرجنا منها المليك بتدرة	كذلك بين الناس تجري المفادير

الى ان يقول

فبطنٌ مِنِّي امسى كأن لم يكن به مضاضٌ ولا بين البطاح عائرٌ
فهل فرجٌ يأتي بشيء نجبة وهل جزعٌ يُغييك مما تحاذرُ

ولم تزل السدانة في خراعة الى ان انتهت الى غبشان الملكاني وصيًّا للحليل
بن حبشية المخزاعي فاسكره قصي بن كلاب الفريسي واشترى منه مفاتيح الكعبة
بزق خمر فلما صحى ابو غبشان ندم حيث لم ينفعه الندم فسار ذلك مثلاً يقال
اُخسر من ابي غبشان قال الشاعر

باعمت خراعة بيت الله اذ سكرت بزق خمر فبُست صفقة البادية
باعمت سدانتها بالذر وانصرفت عن المقام وظل البيت والنادية

فمن ثم صارت سدانة الكعبة لآل قريش حيث استولى قصي المذكور على
مفاتيحها بعد ان قضى له بذلك يعمر بن عوف بن كعب بن عمرو بن لبيث بن
بكر بن عبد مناة بن كنانة احد حكام العرب وقد مر ذكره وتولى البيت وصار
له لواء الحرب وحجابه البيت وتيمنت قريش برأيه فاتخذ دار الندوة ازاء الكعبة
في مشاوراتهم وتصدي لاطعام الحج وسقايته وفرض على قريش خراجاً يودونه
اليه فتمت له بذلك الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء

—•—

الفصل الثالث

في مناسك العرب

الحج^(١). وللعرب كثير من المناسك التي جاءت شريعة الاسلام اخيراً بها

(١) الحج القصد والكف والقدوم وكثرة الاختلاف والتردد

ومنها الحج إلى البيت فكانت قبائلهم تجتمع حول الكعبة ويطوفون بها سبع مرات ويعتصرون^(١) ويحرمون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويؤمنون الحجارة كما هو الحال جارٍ عليه بعد الإسلام

والأحرام هو الدخول في أعمال الحج سمي بذلك لأن الحاج يحرم على نفسه الخلق وتقليم الأظفار وقتل الصيد ومباشرة النساء وينابذة الإحلال أو انهم يطوفون عراً بالماز فقط ومنه قول الشاعر

لما رأيت مناديكم هلم بنا^(٢) شددت مئزر أحرابي وليت^(٣)

وكانوا يطرحون أثوابهم بين أياديهم في الطواف ويسمونهم حرماً قال ابن خلدون الأحرام هو لبس الأثواب غير الخيطة لما أن البدو من العرب يشتملون اللباس اشتمالاً وأما اللباس المخطط فهو مختص بالعمران الحضري وهذا هو السر في تحريمهم لبس المخطط في الحج لما أن مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها

وأما الحجارة فهو جمع حجرة يعني الصغار من الحصى وجرات مئ ثلاث بين كل حجرين مقدار غلوة ترميها التحجاج بالحصى وذلك من مناسك الحج وفي محيط المحيط الحجارة مئ هي من جمر فلاتنا أي نخاء أو من أحرابي أسرع وقبل أن آدم رمى إبليس فاجبر بين يديه

النس^(٤) كان الحج عندهم يقع في الأزمنة الشمسية كلها وهو أبداً عاشر ذي الحجة إلى أن تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين يثرب فابتدأوا به قبل الإسلام بخمسة مئ سنة ليجعلوا حجهم في وقت أدراك شغلهم من الأدم والجلود

(١) الاعتناء من العبادة وهو التصدد إلى مكان عام أو الزيادة وشرعاً أفعال مخصوصة تسمى بالحج الأصغر وأفعالها ثلاثة الأحرام وسوف يأتي ذكره والطواف وقد ذكر في ما مر والسعي بين الصفا والمروة والخلق (٢) التلبية إجابة الداعي مصدر هلم أي أقبل (٣) التلبية إجابة الداعي (٤) النسب معناه التأخير وإنشاء أمثلة

والثار ونحوها وإن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الأزمنة وأخصبها فكانوا يكسبون في كل ثلاثة أعوام شهراً واحداً لأجل مطابقة السنة القمرية على دورة الشمس السنوية وقال المفريزي أنهم كانوا يكسبون في كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر حتى تبقى السنة ثابتة مع الأزمنة على حال واحدة لا يتغير وكان يقول ذلك النساء^(١) من بني كنانة المعروفون بالفلاس واحدهم فلس^(٢) وأختلف في من كان أول من أنشأ الشهور منهم فقيل الفلاس هو عدي بن زيد وقيل هو سبهر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة قال المفريزي أنه كان يلي ذلك منهم أبو تمامة المالكي ثم من بني فقيم وبني فقيم هم النساء وهو منسب الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهككم العزى قد أنشأت صفر الأول وكان يحمله عاماً ويحرمه عاماً وكان أتباعهم على ذلك هوازن وغطفان وسليم وقيم وآخر النساء جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد الله بن فقيم وقيل الفلاس هو حذيفة المذكور بن عبد ابن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام وكان إذا أراد أن ينسب منها شيئاً حل المحرم فحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه لكي يواطئوا عدة أربعة أشهر حرم عندهم قال غمير بن قيس جندل الطلعان يفتقر

وأي الناس لم يسبق بوتر وأي الناس لم يعلك لجاما
ألسنا الناسيت على معدي شهور الحل فجعلها حراما

وقال آخر

أترعم اني من فقيم بن مالك لعبري لقد غيرت ما كنت اعلم
لم ناسي لا يشورت تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور ويحرم

ثم لما حج صاحب الشريعة الإسلامية في السنة العاشرة للهجرة أنزلت الآية

(١) النساء الميعنون لهذا العمل (٢) الفلاس البحر الغزير

بقرهم النسيء فبطل ما أحدثته الجاهلية من ذلك واستمر وقوع الصوم والحج بروية الأهل فرجع الحج الى ما كان عليه من الوقوع في ازمة السنة الشمسية كلها

الاجازة وكانت اجازة الحج لخزاعة فاخذتها منهم عدوان فكان الرجل منهم يميز الناس الى الحج بان يقدمهم على حمار ثم يخطيهم فيقول اللهم اصلح بين نساءنا وعاديت رعاينا واجعل المال في سمحائنا ايها الناس اوفوا بعهديم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول اشرك ثبير كيا نغير وكانت هذه اجازة ثم ينفر ويتبعه الناس

الابل في ازمة الحج وكانت العرب اذا حجت فلدت الابل النعال والبستها الجلال واشعرتها فلا تعرض لها احد الا بنو خنتم كما ينضح ذلك مما يأتي

القرايين وكانوا يقربون القرايين في الكعبة من الغنم والابل الى ثلاث مئة وستين صنفا موضوعا عليها وظن بعضهم ان الاصنام بهذا العدد هي خلائم السنة من الجن كما في معتقدات اليونان وان الصنم الموضوع على الكعبة هو الشمس وكانوا يسمون هداياهم اليها الوزائم وكانوا يذبحون ذبيحة في رجب يسمونها العتيرة

وكانوا يذبحون لها القرع وهو اول ولد نتجة الناقة فكان الرجل يقول اذا تمت ابلي كلما نحرث اول ولدي ينح منها وكانوا اذا ارادوا نحره زينوه والبسوه قال الزوزني وقد كان الرجل ينذر ان بلغ الله غنمه مئة ذبيح منها واحدة ثم ربما ضلت نفسه بها فاخذ ظيها وذبيحة مكان الشاة الواجبة عليه وكان المسلمون ايضا يفعلون ذلك في صدر الاسلام ثم نسخ وفي الحديث لا فرع ولا غيرة

وقال بعضهم ان العرب كانوا يقربون الى معبوداتهم بذبح الادميين قربانا كالانعام ايضا ومن ذلك ما ذكره عن هاشم جده صاحب الشريعة الاسلامية وكان نذر لث ولده عشرة من الولد لينحرن احدهم قربانا فلما

كأول عشرة ضرب عليهم الفلاح (وسوف يأتي الكلام عليها) فخرج الفلاح على
ابن عبد الله أبي صاحب الشريعة المشار إليه فمعه قومه من القرية قرباناً
فافتداه بمئة من الأبل بأشارة العرافة وقد جاء في الحديث أنا ابن الذبيحين
يعني عبد الله أباه وأحد ابني إبراهيم الخليل لأن علماء الاسلام لا يقطعون بمن هو
الذي امر الله بتقديله قرباناً منها ثم افتداه بالكبش نظراً لعدم الصراحة باسمه
في القرآن أما الذين يرتجمون اسحق في هذا الأمر فيطابقون ذلك على الحديث
كما لو كان اسماعيل لأن الم أب أيضاً
وكانوا يسمون اليوم الأول من التحرير يوم التحرر والثاني يوم الفّر والثالث يوم
النحر والرابع يوم الصدر

مناسك اخرى وكان باقياً عند العرب بعض المناسك الشائعة بينهم
أما من عهد اسماعيل بن إبراهيم الخليل وأما سرت الهم من الديانة اليهودية
التي كانت منتشرة في بلادهم وهي أنهم لا يجمعون في الزواج بين الاخين ولا
يتزوجون المرأة وبناتها ويتسلون ويدلّون على المضضة والاستنشاق وفرك
الراس والسواك والاستنجاء وتقليم الاظفار وقص الشارب وخلق الراس والعانة
والخفاف ويحرمون أكل لحم الخنزير ويقطعون يد السارق اليمنى فلما ظهر
الاسلام امر بذلك أيضاً وزاد عليه أيضاً ما زجرهم به عن ارتكاب القبائح التي
كانوا الفوها في زمن جاهليتهم بتأيد الحدود التي وافقت بها شريعته كثيراً من
احكام التوراة كالطلاق والجلد والرجم ومقابلة الجاني بما فعل كالعين بالعين
والسنن بالسنن وما شاكل ذلك

الفهم واليمين وكانوا يقولون في حلفهم لحق لا اتيك وهو يمين لهم
ومعناه لحق الله لا اتيك فاذا اسقطوا اللام قالوا حقاً لا اتيك
وكانوا يحنفون بزعم الحطيم ويقولون ايضاً لا ورب هذه البنية اما زمزم
فهو بئر الماء الذي مر ذكره في الكلام على مكة قال بعض مؤلفي الافرنج ان
هذا البئر لا يوجد بمكة غيره وأنه لا يصلح للشرب لانه يسبب الفروج

في مناسك العرب

٩١

والشور وإما سبب تعظيمه فهو اعتقادهم بأنه البئر الذي أظهره الله لماجر
المصرية أم إسماعيل لما كانت نائمة مع ابنها في بركة بأرض سبوع وقد فرغ الماء
الذي كان في قربها لتسقي إسماعيل ابنها (نك ص ١٤٠: ٢١) وذكر بعض
المؤلفين من العرب أن هذه البئر حفرها عبد المطلب وكانت مطبومة فاستخرج
منها غزالين ذهب ضرب أحدهما صفائح لباب الكعبة وجعل الآخر فيها وقال
ابن خلدون أن هذين الغزالين كانا من قرابين الفرس لأنهم كانوا يحجون إليه.
وأما الحطيم فهو الحائط الذي يحيط على حجر الكعبة من الجانب الغربي قال
ابن دُرَيْد وكان الجاهلية يخلفون به فيحطم الكاذب ولذلك سمي الحطيم. وإما
البنية فهي الكعبة

ويخلفون أيضاً بذمة العرب فإذا قال أحدهم لا وذمة العرب كان صادقاً
في ما قال وإذا كان ذلك لعهد فلا يخون بعده أصلاً قال ميم بن زبيرة
يعاتب أبا بكر وكان خالد بن الوليد قتل أخاه في الردة

نعم القتل إذا الرياح تناوحت نحت الأزار قنلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم قنلته أو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر أنا ما دعوته ولا قنلته

ويخلفون أيضاً بشهر رجب لأنهم كانوا يختمونه ويتنعون فيه عن الغزو
والقتل ويسمونه الأصم ومنصل آل والآل الأسنة فكانوا إذا دخل رجب
انصلوا الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر وهذا السبب في تسميته بالأصم لأنه
لا يسمع فيه رنة السلاح ولا صهيل الخيل ولا جلبة القتال وقيل إنهم كانوا
يصومونه أيضاً قال الميلاني في تفسير المثل المضروب وهو إذا العجوز ارتجبت
فارجبها يقال رجبته إذا هبته وعظيته ومنه رجب مضر لأن الكفار كانوا يهايونه
ويعظمونه ولا يقاتلون فيه وكذلك في ذي القعدة وذو الحجة ومحرم ويسمونها
الاشهر الحرم لأنهم لا يستحلون فيها القتال إلا مع بني خثعم وبني طيء لاستحلالهم

الدماء فيها فكان الذين ينسأون الشهور أيام المواسم يقولون حرمنا عليكم القتال
في هذه الشهور إلا دماء المماليك يعني القبياتين المذكورين وقيل أنه كان لغوم
من غطفان وقمس ثمانية أشهر حرم يستعملها البسل
ويحلفون أيضاً بالذي يخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة
فالعذق يفتح العين المهمة الثغلة والجريمة النواة والوثيمة الصخر والبحر

— ١٠٠١ —

الفصل الرابع

في المدارك الغيبية

قال ابن خلدون المغربي كما أن عالم العناصر المشاهدة تدرج صاعداً من
من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض وكل واحد
منها مستعد أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً أو هابطاً^(١) والصاعد منها الطيف ما
قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو الطيف من الكل كلاً عالم التكوين ابتداءً
من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدية من التدرج^(٢) فأخيراً
المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا يزرع وأخيراً أفق
النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الخنازير والصدف
وهو ما لم يوجد له إلا قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن
آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذي بعده

(١) انظر كلام تاليس وفيثاغورس من فلاسفة اليونانيين في كتابها زبدة الصغاني

(٢) انظر لك ص ٩١-٩٥

في أصول المعارف

وانسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية

ثم بعد ان برهن على وجود النفس المدركة والمحركة في الانسان قال ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا ويكون ذاته ادراكا صرفا وتعقلا محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليكون بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الاوقات في لحظة من اللحظات

ثم قسم النفوس البشرية على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني وليس له الا الممارك الحسية والخيالية وبها يستفيد العلوم التصويرية والتصديقية بحسب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم

وصنف يتوجه بمحركة الفكر نحو العفل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر الى الآلات البدنية فينسح نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهذه مدارك العلماء الاولياء اهل العلوم الدنية والمعارف الربانية

وصنف منطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمية وروحانية الى الملائكة من الافق الاعلى ليصير لحظة من اللحظات ملكاً بالفعل ويحصل على شهود الملاء الاعلى في افقهم وسامع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهؤلاء الانبياء في حالة الوحي^(١) يجوزونها بما ركز في غرائزهم من الصدق والاستقامة واما الكهانة فهي من خواص النفس الانسانية وذلك لما تقدم في ما مر من ان للنفس الانسانية استعداد للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العفلي ان

(١) الوحي في اللغة الاسراع وقد سمي الاعلان الروحي بهذا الاسم لاسراعه باقرب

من لمح البصر

هنا صنفًا آخر من البشر ناقصًا عن رتبة الصنف الأول نقصان الضد عن ضده الكامل إلا أنه مفطور على أن تحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يبعثها النوع الى ذلك وهي ناقصة عنه بالجيلة فيكون لها بالجيلة عندما يعرفها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة ومختلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسمع الكلام وما سخر من طير او حيوان فيستندم ذلك الاحساس والتخيل مستعينًا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالشيخ له وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هي الكهانة^(١)

ولا ينوي الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وارفح احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن المحاسن ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فربما صدق ووافى الحق وربما كذب واصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان وتخذ الكهانة في زمن النبوة كما تخذ الكواكب والسرور عند وجود الشمس وبلي الكهان على النمط المذكور الرؤيا والتمنن والرياضة والصناعة ولكل من ذلك كلام في ما يأتي

الكلام على الكهان

الكهان عند اليهود والنصارى والامم هو الذي يقدم الذبائح والفرايين وربها كان مأخوذًا في الاصل من معنى القضا بالغيب كما كانت تفعل كهنة الامم واليهود وفي التعريفات الكهان هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وفي الكليات الكهان من يخبر بالاحوال الماضية والعراف من يخبر بالاحوال المستقبلية

والمعروف بهذه الوظيفة من الجاهلية كثير ومنهم الافعى الكهان الذي

(١) تامل في ما يروى عن علماء العراف وغيره من اصحاب العرافة والانبياء كذبة في العهد القديم

في الملائكة الغيبية

٩٥

حكم بين ولد نزار بن معد لما تنافروا اليه بعد موت نزار بن عمر ماء السماء الحميري وكذلك جذية الابرش كان قد تكهن وأدعى النبوة ومثله الزبابة وسوف يأتي ذكرها في محله وابن عباد وسواد بن قارب ولم تنف على ترجمتها وأما الذين وقفنا على تراجمهم فهم

أولاً. الاسود العنسي من قبيلة مذحج واسمه عبيدة بن كعب وكان يُسمى ذا الحجار أيضاً لأنه كان له حمار اسود معلّم يقول له اسجد لربك فيسجد له ويقول له ابرك فيبرك أدعى النبوة في اليمن وكان يشعبذ ويرى الجهال الاعاجيب ويسمي بمنطقه من يسمعه قبله رجل يقال له فيروز قبل وفاة صاحب الشريعة الاسلامية بيوم وليلة

ثانياً. عامر بن عبد الله بن سعد بن ابي سرح الذي كان اخاً لعثمان بن عفان من الرضاة وكان كاتباً للوحي يحكي عنه انه كان يكتب آية ابتداء الخليفة فقال تعجباً فتبارك الله احسن الخالقين فقال له صاحب الشريعة الاسلامية اكتبها فانها انزلت فارتد لوقته عن الاسلام وقال لئن كان محمد نبياً فانا نبي وواحي اليّ وفيه يقول ابو تمام

واختار من سعد لعين بني ابي سرح لوحي الله غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التي رفعت له شجفاً من الاستار

ولما هدر دمه صاحب الشريعة المشار اليه اتى به عثمان وسأله فيه فأمنه وبقي الى زمن خلافة عثمان فولاه مصرًا

ثالثاً. مسيلة الكلاب وكينته ابو تمام من قبيلة بكر بن وائل تنبأ باليامة فقيل له رحمان اليامة من باب التهم لان الرحمن من اسماء الله الحسنى مخضّ بالله فلا يجوز ان يسمى به غيره ثم مخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد وقتله في ايام خلافة ابي بكر وبه يضرب المثل في الكذب فيقال اكذب من ابي تمام

رابعاً . سباج^(١) وهي امرأة تميمية من بني يربوع وابوها الحارث بن سويد ابن عفتان وكنيتها ام صادر ظهرت في ايام مسيلة المذكور وسارت اليه لتناظره وتحذره فأمنت به ووهبت له نفسها وقيل ان ادعاهما النبوة كان بعد وفاة صاحب الشريعة الاسلامية وكان ذلك بالجزيرة في بني تغلب وانبعها قوم من بني قيم وظهر امرها حتى هابتها العرب وصالحتها على ان تجوز من بلادهم حيث شاعت وبها يضررون المثل في الكذب ايضاً فيقولون اكذب من سباج خامساً . طلحة الاسدي اجد مشاهير الشجعان في الجاهلية والاسلام أسلم ثم ارتد ونبأ وجمع جمعاً عظيماً وكان يتكهن فلما قل خالد بن الوليد جمعة عاد الى الاسلام

سادساً . المنار بن ابي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عُمير بن عوف بن غيرة الصحابي المقتول يوم الجسر من ايام الفادسية وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على الكوفة انتفض اولاً عليه ودعا لمحمد بن الحنفية ثم اخيراً ادعى النبوة سابعاً . ابو الطيب المتنبي الشاعر المشهور ظهر بارض الشام في آخر القرن الرابع من الهجرة (العاشر من الميلاد) وادعى النبوة ايضاً فخرج عليه اولو امير حمص وامسكه وسجنه في القلعة الى ان تاب واقبل

والنرجع الى ما كنا بصددہ فنقول ويوجد بطن في كندة يقال له السكاسك لم يجالأت شرقى اليمن متميزة كانوا معروفين بالسير والكهانة وكثيرون غيرهم لا يمكن استقراء اسمائهم جميعاً واما الاشهر بينهم اثنان الواحد يقال له شق والثاني سطيج كانا اولاد خالات وقريبين من زمن ظهور الاسلام . اما شق فاسم ابو صعب شكر بن رهب بن امول بن يزيد بن قيس عكر بن امار وينولون انه دعي شق لكونه كان نصف انسان اي شق الانسان فكانت له يد واحدة ورجل واحدة واما سطيج فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ابن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان ولوقوع اسم ذئب في نسبه كان يعرف

(١) سباج مشتق من السجاجة وهي السهولة

بالذئبي وكان جسداً ملقى لاجوارح له وكان وجهه في صدره فلم يكن له رأس ولا عنق وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غصّب فانه ينفخ ويجلس وكانت ولادتهما في يوم واحد وهو الذي ماتت فيه طريفة بنت الخير المحمدي الكاهنة زوجة عمرو مزقيا اخي عمران الكاهن بن عامر ماء السماء ولما ولدا دعت بكل واحد منها وتفلت في فيه وزعمت انه سيخلفها في علمها وكماله ثم ماتت في ساعتهما ويقال بانه عاش كل منهما ست مئة سنة وقيل ان سطيجاً عاش سبع مئة سنة وانه مات في ايام كسرى انوشروان

وكما كان العرب يتنافرون الى حكائهم في مفاخرة الانساب على ما تقدم هكلا كانوا يفرعون الى هؤلاء الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب الاخبار بين كثير من ذلك قال الشاعر

فقلت لعراف اليامة داوي فانك ان داويتي لطيب

وقال آخر

جعلت لعراف اليامة حكمة وعراف نجد ان ها شنباني
فقالا شفاك الله والله ما لنا بما حلت منك الضلوع يلدن

قال ابن خلدون المغربي وقد وجد من هذا النوع بعد الاسلام ايضاً فانه كان للبربر بالمغرب كهان من اشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن له كلمات حدثانية برطانهم^(١) على طريقة الشعر وفيها حدثان كبير ومعظمة في ما يكون لزيانته من الملوك والدولة بالمغرب ووقع في الدول الاسلامية منه كثير في ما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفي ما يرجع الى الدولة واخبارها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثار منقولة عن مسلمة بني اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالها وكانوا يخرجون مدة الملل

(١) الرطانة التكلم بغير العربية

وبقاء الدنيا من بعض الاحاديث ومن الحروف المنطعة في اوائل سور القرآن
ولهم في ذلك اعتبارات بحساب الجمل يطول شرحها
واما في حدثان الدول فكانوا يستندون الى كتاب الجفر ويزعمون فيه
علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون اصله
ولا مستنده. واصله ان هرون بن سعيد العجلي راس الزيدية له كتاب يرويه
عن جعفر الصادق (السادس من الأئمة المستورين العلويين) وفيه علم ما سيقع
لاهل البيت على العموم وبعض الاشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر
ونظائره من رجالهم وذلك على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لثلاث من
الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي
وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه لان الجفر في اللغة هو جلد المعز
الصغير^(١) وصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن
وما في باطنه من غريب المعاني مروية عن جعفر الصادق انتهى كلام ابن
خلدون غير ان ابن خلكان يقول ان الروافض يفسرون القرآن ويدعون
علم باطنه بما وقع لهم عن الجفر الذي ذكره سعيد بن هرون العجلي وكان راس
الزيدية بقوله

ألم تر ان الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا امام ومنهم طوائف سبته النبي المطهرا
ومن عجب لم اقصه جلد جعفرهم برئت الى الرحمن ممن تجفرا

قال ابن قتيبة هو جلد جعفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام كل ما يحتاجون
اليه وكل ما يكون الى يوم القيامة وقولهم الامام يريدون به جعفر الصديق والى

(١) الجفر بفتح الجيم وسكون الفاء بعدها راء من اولاد المعز ما بلغ اربعة اشهر
وجعفر جنباه وفصل عن امه والابن جنة وكانت عاقبتهم في ذلك الزمان يكتبون في
المجلود والعظام والمخرق وامثال ذلك

هذا اشار ابو العلاء المعري بقوله

لقد عجبوا لاهل البيت لما
مراة المنجم وهي صغرى
اناهم علمهم في مسك^(١) جفر
أرته كل عامرة وفقر

وفي محيط المحيط علم الجفر هو علم يبحث فيه عن الحروف من حيث هي
بناءً مستغلًا بالدلالة ويسمى علم الحروف وعلم التفسير ايضاً قال السيد السند
من نوع العلم الجفر والجامعة كتابان لعل كرم الله وجهه ذكر فيهما على طريقة
علم الحروف الحوادث التي تحدث الى افراض العالم وكان الائمة من اولاده
يعرفونها ويحكمون بها وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى الرضا
الى المأمون العباسي بعد وعد المأمون له بالخلافة انك قد عرفت من حقوقنا
ما لم يعرفه آبائك فقبلت منك عهدك الا ان الجفر والجامعة يدلان على انه
لا يتم قيل ولما شأخ المغاربة نصيب من علم الحرف ينسبون فيه الى اهل البيت

الكلام على التكمين

وقال ابن خلدون ايضاً انه يوجد اشخاص يظنون بالكائنات قيل
وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى
صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها انما مداركهم فيه يقتضي
فطرتهم التي فطروا عليها ومنهم العرافون الذين يسلطون افكارهم على الامر
الذي يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين ويدعون بذلك معرفة
الغيب وهم ليسوا به على الحقيقة. ومنهم الناظرون في الاجسام الشفافة كالمرآة
وطساس الماء والناظرون في قلوب الحيوانات واكبادها وعظامها واهل
الطرق بالخصى والمحبوب من الخنطة والنوى كلهم من قبيل الكهان الا انهم
اضعف رتبة في الكهانة وكذلك اهل الزجر في الطير والسياب وهذه كلها

(١) المسك بفتح الميم وسكون السين المهملة المجلد

موجودة في عالم الانسان لا يسع احدٌ مجدها ولا انكارها واضعفٌ منهم من يشغل حسه بالخورقة طمّ بالعزائم للاستعداد ويزعمون انهم برون الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة ثم المجانين وادراك هولاء كلهم مشوب الحق بالباطل وحتى الآن يوجد في المدن والامصار الاسلامية كثيرٌ من الناس ضعفاء العقول والنساء والصبيان يستكشفون عن عواقب امرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشره والعلاقات وامثال ذلك من اناس يتخلون معاشهم في الخط بالرمل ويسمونه النجم والطرق بالحصا والمحبوب ويسمونه الحاسب والنظر في المراعي والمياه ويسمونه ضارب المندل

القيافة . قال بعض المؤلفين ان القيافة في العرب الجاهلية كانت على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر . اما قيافة البشر فهي ان يستدل المتكهن من النظر في خيلان الوجه وفي بعض اعضاء الانسان ليتكهن ويسمّن من يتكهن بذلك المحاذي وكانت تختص بنومٍ من العرب يقال لهم بنو مدلج يُعرض على احدهم مولود في عشرين نفراً فيلحقه باحدهم

واما قيافة الاثر فهي الاستدلال بالاقلام والخوافر والخفاف وقد اختصّ به قومٌ من العرب ارضهم ذات رملٍ اذا هرب منهم هاربٌ او دخل عليهم سارقٌ لتبعوا آثار قدمه حتى يظفرون به والعجب في ذلك انهم يعرفون قدم الشيخ من الشاب والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن . يحكي عن رجلٍ منهم يقال له عمر بن خالد المازني انه كان عائلاً قائلاً وكان يسير يوماً في طريق فقال اري ائراً رجلين شديد كليهما غزير سليهما والفرار بقرباكي اكيس فذهب قوله مثلاً يضرب في الرضا باليسير والثناء مع سلامة العرض وقالوا ان القرباكي بالضم من قريب يراد به تعجيل الفرار ممن لا طاقة له به والصحيح ان قرباكي بالضم اسم فرس عبد الله بن الصمة اخي دريد المشهور كان معه في حربٍ فاستضعف دريد نفسه وقومه فقال لاخيه الفرار بقرباكي

أكيس اي آحزم رأيا والصواب من الثبات فلم يطعه أخوه وقايل فقتل وأخذ
الفرس

الفراسة. وكلنا الفراسة هي من مذهب النوعين أيضاً وهي ان يتوسم الانسان
من النظر الى وجه صاحبه ما اضره في نفسه ومن استماع كلامه على امره ومن
هيمته على صناعته ومن تقاطيع سمته على اخلاقه او ينظر الى جرم الشيء من
مكيل او موزون فيعرف مقداراً وضروب استدلال العراف كثيرة منها ان
يرى شخصاً اول مقابلته مثلاً انه جالس في محل عال فيستدل بذلك على
علاه او يديه ما فيستدل له بالحياة والحاصل انه يراقب حركات الانسان
وتصرفاته وظروفه ويتخذها كرمز يشير الى مستقبل امور^(١)

التفاؤل والتشاؤم^(٢). ومن ذلك نتج أيضاً التفاؤل والتشاؤم اما التفاؤل
فهو ان يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم او يكون طالباً لحاجة
فيسمع آخر يقول يا واجد يا غانم والحاصل ان الفأل كلمة طيبة يطمئن بها او
حركة اخلاص في الجسم ايضاً كاخلاص العين مثلاً فانهم يتفألون منه بلقاء
الحبيب قال الشاعر

ظلمت تبشرني عيني اذ اختلجت بان اراك وقد كئنا على حذر

او في اليد اليمنى فيكون دالاً على الاخذ وعكسه اذا كان ذلك في اليسرى
اما حركة طين الاذن فتكون دالة على استماع حوادث جديدة وامثال ذلك
وهو مباهج في الشريعة الاسلامية بخلاف الطيرة حيث ورد في الحديث الطيرة
والعيافة والطرق من التجبت

اما الطيرة فهي التشاؤم من اي ما يتشائم به من الخوس كروية الغراب
مثلاً فانه يدل عندهم على الغربة ويزعمون انه اذا رحل العرب من مكان نزل

(١) انظر سفر العدد ص ١٢٢: ٤١ وص ١٣٣: ١٤ و ٢٧ و ٢٨

(٢) الفأل بالهزة يكون في الخير والتشاؤم من الشر يكون في الشر

فيه وزعق في اثرهم ولذلك يضيفونه الى البين وهو البعاد فيقولون غراب البين
ثم كرهوا اطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر وتطيراً منه ايضاً وعلموا انه نافذ
البصر صافي العين حتى قالوا في امثالهم اصنى من عين الغراب كما قالوا اصفى
من عين الديك فسموه الاعور كنايةً كما كنوا طيرة عن الاعى فقالوا يا بصير
وكما سئل الملدوغ والمنهوس السليم وكما قالوا للمالك المماز وهذا كثير. ومن
اجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا منه اسم الغربة والاشتراب والغريب وليس في
الارض بارح ولا نطح ولا قعيد ولا اعضب ولا شيء مما يتشاءمون به الا
والغراب عندهم انكر منه ويرون ان صياحه اكثر اخباراً وان الزجر فيه اعم
ويرعون انه اذا صاح مرتين فشرّ واذا صاح ثلاثة فخير ويسمونه بالفاسق ايضاً
واشد انواع الغراب كراهة الغراب ذو المنقار والرجلين الحمر
وبعضهم اعرض عن الغراب وتطير بالابل لكونها تحمل اقبال من ارتحل
وفي ذلك يقول الشاعر

زعموا بان مطعمهم سبب الذوى والمؤذونات بفرقة الاحباب

وقال الميماني في تفسير قولهم اشأم من ورقاء انهم يعنون به النافقة
وكانوا يتشاءمون من العطاس وقيل سبب ذلك انهم كانوا يكرهون دابة
يقال لها العاطوس

واعظم ما يتشاءمون به من الخجوس ايضاً اليوم فانه يدل عندهم على الموت
والخراب

والأخيل وهو طائر يقال له الشفراق ويسمونه منطع الظهور لانهم
يتطيرون منه للطير فاذا وقع على بعير وان كان سالماً يتسوا منه واذا لقيه
المسافر تطير وايقن بالعقر^(١) وان لم يكن موت في الظهر واورد بعضهم في هذا

(١) عقره يعقره عقرًا جرحه ونحره وادبره والكاب والنرس والابل قطع قوائمها
كالحمز

في المذرك الغيبية

١٠٣

المعنى بيتاً عن الفرزدق يخاطب ناقته حيث يقول

إذا قطنَ بَلْعَنِيهِ ابنُ مدركٍ فلقيت من طير العراقيب أخبلاً

واسطرده منه الى ذكر طير العراقيب بقوله فان العرب تسمي كل طائر
تطير منه الابل طير العراقيب لانه يعرقها وهو طير الشوم عندهم وإذا عاب
احدهم شيئاً من طير العراقيب قالوا أتيج له ابنا عيان كأنه قد عاب التبل
والعقر لكن صاحب محيط المحيط يقول الأخيل ذو الخال والكثير الخيلان
وطائر مشروم أو هو الصرد أو الشراق مبي به لاختلاف لونه بالسواد والبياض
تفاعل به العرب قال الفرزدق

إذا قطنَ بَلْعَنِيهِ ابنُ مدركٍ فلقيت من طير الاخائل أخبلاً

يدعوا لناقته قطن التي يناديها بان تلاقى هذا الطائر المبارك اذا بلغته هذا
الرجل الذي هو ابن مدرك (ولا يخفى ما في ذلك من التناقض)
ويتشاعمون ايضاً بالظباء ومن نومة الضحى ويسمون بها نومة الحرق قيل لها
ذلك لانها تدل على البلادة ويعتقدون انها تورث الغم والخوف ونومة العصر
فانها تورث المجنون وقد قال بعضهم في ذلك

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى غموماً ونومات العصور جنوناً

ويضربون المثل بنومات رجل يقال له عبود وكان عبداً اسود بزعمون
انه نام سبعة سنين فيقولون نام نومة عبود او انوم من عبود وقال بعض رقاد
العرب

رقدت رقاد اهِمٍ حتى لو أنني يكونُ رقادي مغتماً لغيبْتُ

ويزعمون ايضاً ان من خرج الى سفرٍ والتفت وراءه لم يتم سفره ولذلك
كانوا اذا التفت المسافر يطيطرون له
وقال ابن خلدون زعم بعض اهل الخواص من المسلمين ان المدينة اذا

كثير فيها غرس النارج في الدور تآذنت بالخراب حتى ان كثيراً من العامة
يتعاشى غرسه فيها وقيل مثل ذلك في الدفلى ايضاً وسببه كونه من الترف
الذي ينشأ عن زيادة الحضارة لان هذه الاشجار لا تكون الا للزينة وهي تسبب
الخراب لان زيادة الترف تكون سبباً للجبن والرخاوة اللذين يعتمدها عادة
الانقلاب وذل العبودية

العيافة. واما العيافة فهي زجر الطير وهو ضرب من التكن يقال عاف
الطائر عيافاً اي زجرها ومعنى الزجر في اللغة الندبة والزجر النوادة
وهو ان يري الطائر بالحصاة او يصيح الرجل به فان ولاءه ميامنه في الطيران
تفاعل به اي يمين وان ولاءه مياسره تشاءم به وقيل انهم اذا ارادوا الدفر خرجوا
من الغلس والطير في اوكارها على الشجر فيطيرونها فان اخذت يميناً اخذوا يميناً
وان اخذت شمالاً اخذوا شمالاً وفي ذلك يقول امرؤ القيس

وقد اغندى والطير في وكناهما ^(١) بمنجرد ^(٢) قيد الاوابد هيكل ^(٣)

وكانت بنو فهد هم زجرة الطير وعن الجوهري ان عيافة الطير تعتبر
باسماها او مساقطها واصواتها ومن امثالهم أ بكر من الغراب لان الغراب يبكر
على الطيران دون بقية الطيور وكثوثه باي زجر لانه يزجر به في العيافة ومن
امثالهم مرلة غراب شال اي لقي ما يكره. قال بعض المؤلفين يستبين من
اشعار العرب بان نمط زجرهم فيه واحد لا يتغير بل قد يزجرون الطير غير
الغراب على طريقين احدهما على طريق الغراب في التشاوم والآخر على طريق
التفاؤل لان الشاعر ان شاء جعل العقاب عقبي خير وان شاء جعلها عقبي شر
وان شاء جعل الحمام حياماً وان شاء قال حم القفا والهدد هدى وهداية
والبحاري حبوراً وحبرة والبان بيان بلوح والدوم نوع من الشجر دوام العهد

(١) الوكناات مواقع الطير (٢) والمنجرد الفرس الماضي السمر الغصير الشعر

(٣) والهيكل العظيم الحرم والاوابد الوحش

كما صارت الصبابة عنده صبابةً والجنوب اجنباً والصد تصريداً الا انه لم
يزجر احد منهم في الغراب شيئاً من الخير هذا قول اهل اللغة وذكر بعض
اهل المعاني ان نعيب الغراب يطير منه ونعيقه يتفائل به ويقال نفق الغراب
نغيقاً اذا قال غيق غيق فيقال عندها نفق ويقال نعيب الغراب نعيباً اذا قال
غاق فيقال عندها نعيب بشيء قال ومنهم من يقول نفق بين ومنهم من يجتج
للغراب ويقول العرب نعمين به ومنهم من يدفع ذلك اما طير الفارسة فكانت
تشرح له صدورهم ويتمنون رؤيته وهو طائر قصير الرجلين طويل المنقار
اخضر الظفر

الطرق. واما الطرق فهو الطرق بالخصا نوع من التكن سفي الجاهلية
ايضاً واصحابه يسمون الطراق ومنه الطوارق المتكلمات من النساء قال لبيد
ابن ربيعة العامري

لعمرك ما تدري الطوارق بالخصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وفي بعض المؤلفات الضوارب بالخصا
النقد والعقد. ومن ضروب التكن ايضاً النقد جمع نقد وهي نوع من
السحر والعقد التي تعقدها الساحرات ويتفلن عليها فمن النافعات في العقد
دور التهم. وكان اذا اراد الكاهن استخراج السرقة أخذ قفصة وجعلها
بين سباتيه ينفث فيها ويرقي ويدبرها فاذا انتهى في زعمه الى السارق دار
التهم ولذلك يقولون في المثل على هذا دار التهم يضرب لمن ينتهي الخبر ودار
عليه

نداء الكهان. وكان اذا تكهن كاهنهم او زجر زاجرهم او خطا خطهم
فرأى في ذلك ما يكره قال ابنا عيان اظهرا البيان وبروي اسرعا البيان وهما
خطان يخطهما الزاجر ويقول هذا اللفظ كانه بها ينظر الى ما يريد ان يعلمه
وبروي ابني عيان اظهرا البيان على النداء اي يا ابني عيان اظهرا البيان

الكلام على الرياضات

قال ابن خلدون ومن هذه الممارك الغيبية ما يصدر لبعض اناس عند مفارقة اليقظة والتباس بالنوم من الكلام على الشيء الذي يشوق اليه ولا يقع ذلك الا في مبادئ النوم وكذلك الميت لاول موته يتكلم بالغيب وما يصدر ايضاً من المتولين عند مفارقة رؤوسهم واساطيلهم من التكلم بمثل ذلك ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالجاهدة موتاً صناعياً بامانة جميع القوس البدنية ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المغيبات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية ويوجد اكثرهم في الاقاليم المتخرفة جنوباً وشمالاً خصوصاً بلاد الهند ويسمون هناك المحوكة ولم كتب في هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة^(١)

اما المتصوفة فرياضتهم دينية وعرفية عن المقاصد المدمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكيفية لتحصل لهم ادواق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى التجمع والجموع والتغذية بالذكر فيها تنم وجهتهم في هذه

(١) يمكن هنا الظن بأنه ربما كان من هذا القبيل ما لسمعة من اخبار المغنطيسية الشائعة اخبارها في هذه الايام وهو ان البعض من اهل اوربا يسمون سبيريتيين ومعناه الروحانيين يغطسون بعض الاشخاص بالمغنطيس فتحدث حاسياتهم بحيث لو وضع على جسمه شيء كبحرة نار او نحرها لما شعر به الا بعد ان يصحى من نومه ثم يسألونه في حال غيبوته عن كل ما ارادوه وكلوه للبحث عنه او المجاوبة عليه فيجاب بها كانت الاسئلة عويصة او بعيدة عن معارفه او في اقصى البلاد بعداً عن المركز الذي هو فيه ومتى نهضوا من الغيبوبة اتبعه غير مشعر بشيء مما سئل عنه او اجاب به غير ان بعض المخبرين يقول انه ربما صدق او كذب ويقال انهم بهذه الوسطة يستحضرون ارواح الموتى ايضاً ويسالونها فتجاوبهم عن كل ما ارادوا ويقال بان الافرنج اكتشفوا على هذه الطريق حديثاً من سرافي الهند وان قدماً المصريين كانوا يستحضرون الارواح بهذه الطريقة ويسالونهم عن العلاجات الطبية الموافقة للمرضى

الرياضة ويسمّون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفاً وما يقع بهم من التصرف كرامة ولا يحصل لهم ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف إلا بالعرض لا عن قصد وكثير منهم من يثر منه اذا عرض له وقد ذهب الى انكاره من العلماء ابو اسحق الاسفرائيني وابو محمد بن ابي زيد المالكي

ومن هؤلاء المريد بن من المتصوفة قوم بهاليل معتمدون أشبه بالجنائين ما هم بالعقلاء قد صحّت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين ويقع لهم من الانبياء عن المغيبات عجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل إلا بالعبادة لكن بعضهم يظن ان الاعتراض عليهم بهذا السبب غلط ويسمّون من لا شيخ له بالجنود ويريدون بذلك انه جلب الى طريق الخير والصالح

اما اعتبار العرب للاحلام وتعبير الرؤيا فهو من الامور الشائعة والمتينة عندهم منذ الاجيال القديمة^(١) وعدّ آخرون منهم تعبيريها من الطبيعيات قال ابن خلدون ما ملخصه اذا كانت الرؤيا ضعيفة غير جلية وهي بالمحاكاة والمثال كانت محتاجة الى التعبير واذا كانت جلية فلا تحتاج الى تعبير وتنقسم الى ثلاثة انواع رؤيا من الله وهي الجلية ورؤيا من الملاك وهي المحاكاة اللاعية الى التعبير واضغات احلام وهي من الشيطان لان كلها باطل وقد ذكر اهل الرياضات في كتبهم اساء زعموا انها تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا في ما يتشوق اليه ويسمونها المحالومية

وكان لابي بكر الصديق اليد الطولى في تعبيريها ثم ألف كثير من بعده كتباً في ذلك ومن جليلهم الشيخ محمد بن سيرين الذي يحكي عنه بأنه كان ازهد الناس وصنعته بزاز وفي اذنه صمّ توفي سنة ١١٠ الهجرة (سنة ٧٢٨ م) وتأليفه هو المعول عليه الآن في هذا الباب

(١) انظر قصص ص ١٢٧ و١٢٨ واصل المعارف وجه ٢٠١

الكلام على الصناعة

التعجيم . قال ابن خلدون وقد يزعم بعض الناس ان هناك مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس وهم الفائلون بالدلالات التجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأذى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المتعجبون ليس من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات باطلة

وكانت العرب في ايام جاهليتهم يعتقدون في انواع المنازل اعتقاد المتعجبين في السيارات حتى ان بعضهم لا يتحرك الا بنوع من الانواع كما سوف تأتي تفاصيل ذلك في محلها

فلما تُرجمت كتب الفلاسفة الى العربية وعلق الناس على العلوم والاصطلاحات صار اكثر معتد بهم في ذلك كلام المتعجبين في الملك والدول وسائر الامور العامة من القرائن وخصوصاً بين العلويين كرحل والمشتري ومنها القرن الكبير فانه يدل على عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم واما القرن الوسط فانه يدل على ظهور المتغلبين والطالبيين للملك واما القرن الصغير فانه يدل على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن وعمرائها . وقران النجسين يدل على الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والقحط وكان لبني أمية منجم من الروم يقال له ثيوفيل تكلم في بقاء مدة الاسلام . اما الرشيد وابنه المأمون من الخلفاء العباسيين فكان لهما يعقوب بن اسحق الكندي وضع كتاباً في القرائن الكاملة في الملة الاسلامية سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق ذكر فيه على ما يقال حدثان دولة بني العباس وكيفية انقراضها وحيث لم يقف احد على شيء من خبر هذا الكتاب

يظن أنه غرق في كتبه التي طرحها هلاكاً. ملك التتر في مبر دجلة عند
استيلائه على بغداد كما يتضح ذلك في محله من هذا الكتاب
وقد وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب ويسمونه الجفر الصغير
والظاهر أنه وضع لبني عبد المؤمن لذكر الأولين من ملوك الموحدين
والكتب والأخبار امثال ذلك كثيرة منها قصيدة ابن مرانة بالمغرب
وقصيدة أخرى نسي التبعية نحو الف بيت وملعبة من الشعر الزجلي منسوبة
لبعض اليهود وهي نحو خمس مئة بيت في الفرائد التي دلت على دولة الموحدين
وقصيدة من عروض المتقارب على روي الباء في حدثان دولة بني ابي حفص
بتونس من الموحدين منسوبة لرجل يقال له ابن الأبار خياط من اهل تونس
وملحة أخرى في دولة بني ابي حفص أيضاً وملعبة منسوبة الى الهوثني على لغة
العامة محفوظه بين اهالي المغرب

وملعبة منسوبة الى ابن العربي الحاتمي في المشرق في كلام طويل شبه
الافاز واشكال حيوانات ورووس منقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي
آخرها قصيدة على روي اللام وملحة أخرى منسوبة الى ابن سينا وابن عتب
وملحة من حدثان دولة الترك منسوبة لرجل من الصوفية يقال له الباجريقي
وكلمها الغار بالحروف وكثير من ارباب النخيل في بغداد وغيرها كانوا يصطنعون
رموزاً نظير ذلك يعنون بها ارباب الوجاهة والمراتب السامية يقدمونها اليهم
ويخضعون منهم بواسطتها المناصب العالية او ما يادهم من الاموال

ومن المؤلفات المتناولة بين ايادي العامة الى هذا العصر الذي نحن فيه
تسكتشف الناس فيها عواقب امرهم وما يحدث لهم مدة حياتهم من خير وشر
مؤلفات ابي معشر جعفر بن محمد بن عمر البجلي المشهور بالتنبؤ حتى كان يضرب
به المثل فيقال انجم من ابي معشر ومؤلفاته شهيرة وهي المدخل والزيج والاف
وكتاب الفرائد وكتاب الدول والمثل وكتاب الملاحم وكتاب الاقاليم وكتاب
السلاح وكتاب المسائل في الموالي وكتاب الطبائع يحكى ان المستعين بالله

العباسي ضربه اسواطاً لانه أخبر بشيء قبل وقوعه فكان يقول اصبحت فعوقبت
وكان ذلك سبب موته في سنة ٢٧٢ للهجرة (سنة ٨٨٥ م)^(١)

خط الرمل . ومن مدارك الغيب بالصناعة ايضاً خط الرمل قال
ابن خلدون ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف
الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها علمهم
ومحصل هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالاً ذات اربع مراتب تختلف
باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيها فكانت ستة عشر بيتاً
طبيعية بزعمهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والافلاك الاربعة وجعلوا
لكل شكل منها بيتاً وحظوظاً ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر
يخص به واستنبطوا من ذلك فناً حازوا به فن النجامة ونوع قضائه الا ان
احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما مستندها
اوضاع تحكمية واهل الاتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها ويزعمون ان اصل
ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما نسبوها الى دانيال او ادريس كما ينضج
ذلك في ما يأتي) وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التاليف

(١) زعموا ان ملكاً من الملوك طلب رجلاً من اتباعه ليعاقبه بسبب جريمة
ارتكبها وعلم الرجل ان ابا معشر يدل عليه بالطرائق التي بها يستخرج النجبا فآخذ طستاً
وجعل فيه دماً وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون اياماً وتطلب الملك ذلك
الرجل وبالغ في التطلب فلما عجز عنه احضرا با معشر وقال له تعرفني موضعه بما جرت
به عادتك فعمل المسئلة التي بها يستخرج النجبا وسكت زماناً حائراً فقال له الملك ما
سبب سكوتك وحزنك فقال ارى شيئاً عجيباً قال وما هو قال ارى الرجل المطلوب على
جبل من ذهب والجبل في بحر من الدم ولا اعلم موضعه في العالم على هذه الصفة فامر
الملك ان يعيد النظر واخذ الطالع جديداً ففعل ثم قال ما ارى الا كما رأيت وذكرت
فلما ايس الملك من القدرة عليه بهذه الطريق نادى في البلد بالامان للرجل ولما اخفاه
فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فساله عن الموضع الذي كان فيه فاخبره
فاعجبه حسن احتياله ولطافة ابي معشر في استخراج

واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين
 حساب النيم. ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست
 من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني
 على تأثيرات النجوم كما زعم بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه
 العرافون وانما هي مغالط يجعلونها لاهل العقول المستضعفة وما ذكره من ذلك
 المصنفون وولع به الخواص الحساب الذي يقال انه حساب النيم وهو مذكور
 في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو الفيلسوف يعرف به الغالب من
 المغلوب من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في احدها بحساب الجمل
 وتنظر مجموع المتحصل ثم تحسب اسم الاخر كذلك ثم يطرح كل واحد منها
 تسعة تسعة وينظر بين العددين الباقيين بعد ذلك من حساب الاسمين فاذا
 كان العددان مختلفين في الكمية وكانا معاً زوجين او فردين فصاحب الاقل
 متما هو الغالب وان كان احدهما زوجاً والاخر فرداً فصاحب الاكثر هو
 الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معاً زوجان فالمطلوب هو الغالب
 وان كانا معاً فردين فالطالب هو الغالب وقد اجتمع ذلك في هذين البيتين
 ارى الزوج والافراد يسمو اقلها واكثرها عند التخالف غالب
 ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوي وعند استواء الفرد يغلب طالب
 ثم وضعوا لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانوناً معروفاً
 عندهم في طرح تسعة حتى اذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل حرف في
 اي كلمة هو من تلك الكلمات واخذوا عددها مكانه وهي ايش بكر جلس
 دمت هنت وضح زعد حفظ طضع ولكن بعض الشيوخ يرى ان الصحيح فيها
 كلمات اخرى غير هذه المتداولة بين الناس منذ القديم وهي ارب يسفك
 جزلط مدوص هف تحذن عش ضغ تعبط وهولاء الشيوخ كانوا ينقلونها عن
 شيخ المغرب في هذه المعارف من السيميا واسرار الحروف والنجامة وهو ابو العباس

ابن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات أصح من العمل بكلمات ايش ثم ان الكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزوق الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق

الزايجة . ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب في ما يزعمون الزايجة أيضاً وهي المسماة بزايجة العالم المعزوقة الى ابي العباس احمد السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة للهجرة (آخر القرن الثاني عشر لليلاد) بمراكش ولعهد ابي يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعةً وصورها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فللكا اما الدروج واما العناصر وغيرها وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فتمها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد عند اهل الدواوين والحساب بالمغرب ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايجة وبين الدوائر اسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول بمكسر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومئة واحد وثلاثين في الطول وجوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم لسبب تلك الاعداد في اوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامرة من الخالية وتوجد ايات من عروض الطويل على روي اللام المنصوبة تضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايجة الا انها من قبيل الالغاز وفي بعض جوانب الزايجة بيت من الشعر منسوب لبعض اكابر اهل الحداث بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشبيلية كان في الدولة الموحية ونص البيت

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن

غرائب شك ضبطه الجذ مثلاً

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في الزايرة وغيرها ثم ان الحروف المنقطعة التي يأخذونها منها عند انتهاء كل دور من العمل الذي يعملونه تولف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل وروية وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم وهناك زايرة اخرى منسوبة الى سهل بن عبد الله والزايرة من الاعمال الغريبة والمعانة الغيبية وعلى كل حال لا سبيل الى معرفة الغيب بواسطتها لان الغيب لا يدرك بواسطة الصناعة مها كانت من الاختراعات الدقيقة

المغاربة في كشف الدفائن . وكثيرون من طلبة البربر بالمغرب عاجزون عن المعاش الطبيعي واسبابهم يقتربون الى اهل الدنيا بالارواق المتحرمة الحواشي اما بخطوط اعجمية او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء امارات تدل على كنوز ودفائن مدفونة في الارض يبتغون بذلك الرزق منهم بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويوهمون عليهم بانهم انما حسمهم على ذلك طلب الجاه في مثل هذه من منال الحكام والعقوبات فكثير من ضعفاء العقول في الامصار يصدقون ذلك معتقدين ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها تحت الارض مخنونة عليها بطلاسم سحرية لا يفيض خزانها الا من عثر على علمه واستخضر ما يحمله من الخور والدعاء والقران فاهل البلاد في افريقية^(١) يرون ان الافرنج الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا اموالهم وادعوها في الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في امم القبط والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث خرافية من مشاهدة بعض الطالبين الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم او تيمد به الارض حتى يظنها خسفًا واذا اقرؤا بانهم لم يعثروا على شيء ردوا ذلك الى الجهل بالطلاسم وفي القطر المصري كانوا يبحثون عن تغوير المياه او نضوبها بالاعمال السحرية لما يرون من ان اموال

(١) يراد بافريقية فاس ونونس وطرابلس وغيرها من بلاد المغرب

قدمائهم كلها مدفونة في مجاري النيل انتهى كلام ابن خلدون
 الطلسم . والطلسم المذكور هنا ويجمع على طلسمات هو عبارة عن تزيج
 القوى الساوية الفعالة بالقوى الأرضية المنعلة بواسطة خطوط مخصوصة
 يستخدمها من يتعاطى هذا الفن ليدفع كل مؤذ

السحر . وإما السحر فهو نوعان حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي قبل هو اخراج
 الباطل في صورة الحق وهو في اصل اللغة الصرف وسي سحرًا لأنه يصرف
 الشيء عن جهته وقيل هو عمل يتقرب به من يتعاطاه الى الشيطان ومعوته منه
 ما لا يستغل به الانسان ويزعمون بأنه خمسة انواع ترجع الى اصلين وهما السحر
 الايض اي الالهي والسحر الاسود اي الشيطاني فالاول يمكن صاحبه ان يستخدم
 الشيطان بالقوى والتعزيم والثاني يجعل صاحبه خادماً للشيطان بعبادته
 وتكرمه والكفران بالله وبكتبه . وعندهم ان الاول حلال والثاني حرام
 وبواسطته يعمل الرصد وهو شخص سحري او غيره ينصب في الخبايا والدفائن
 لحراسها

وإما غير الحقيقي من السحر فهو السيميا وهي على ما زعموا علم حاصله احداث
 مثالات خيالية لا وجود لها في الحس وقد يطلق على ايجاد تلك المثالات
 بصورها في الحس وتكون في جوهر الهواء

الفصل الخامس

في الاسماء الشريفة وغيرها من اهل العالم الروحاني

يُشار الى الثلاث الالهية بتسعة وتسعين اسماً يقال لها اسماء الله المحسنى وهي

الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر الخالق البار المصور الغفار الظاهر الوهاب الرزاق الفتاح
العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير الحكيم
العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ
المغيث الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الودود المجيد
الباعث الشهيد الوكيل القوي المتين الولي المحيد المصفي المبدي المعيد
المحيي المميت الحق القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المتندر
المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوال المتعال البرّ الثواب
المنتقم الغفور الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المتعسط الجامع
الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث
الرشيد الصبور

واصاحب الشريعة الاسلامية ميثا اسم واسم وفي

محمد احمد حامد محمود اجيد وحيد ماج حاشر عاقب طه يس طاهر
مطهر طيب سيد رسول نبي رسول الرحمة قيم جامع مُتَغَفٍّ مُتَغَفٍّ في رسول الملاحم
رسول الراحة كامل اكليل مذكر زميل عبد الله حبيب الله صفي الله نبي الله

كليم الله خاتم الانبياء خاتم الرسل محيي منجي مذكر ناصر منصور نبي الرحمة
 نبي التوبة حريص عليم معلوم شهيد شاهر شهيد مشهور بشير مبشر نذير منذر
 نور سراج مصباح هدى مهدي منير داع مدعو مجيب مجاب حفي عفو ولي
 حق قوي امين مأمون كريم مكرم مكين متين مبين مؤمل وصول ذو قوة
 ذو حرمة ذو مكانة ذو عز ذو فضل مطاع مطيع قدم صدق رحمة بشري
 غوث غيث غياث نعمة الله هدية الله عروة وثقى صراط الله صراط مستقيم
 ذكر الله سيف الله ضرب الله النجم الثاقب مصطفى مجتبي متقى أمي مختار اجبر
 جبار ابو القاسم ابو الطاهر ابو الطيب ابو ابراهيم مشفع شافع صالح مصلح مهين
 صادق مصدق صدق سيد المرسلين امام المؤمنين قائد الغر المحجلين خليل
 الرحمن بر مبر وجهه نصيح ناصع وكيل متوكل كنيل شفيق مقيم السنة مقدس
 روح القدس روح الحق روح القسط كافٍ مكفٍ بالغ مبلغ شافٍ واصل
 موصل سابق سائق هادي مهدي مقدم عزيز فاضل مفضل فاتح مفتاح مناج
 الرحمة مفتاح الجنة علم الايمان علم اليقين دليل الخيرات مصحح الحسنات مفيل
 الغارات صفيح عن الزلات صاحب الشفاعة صاحب المقام صاحب القدم
 مخصوص بالعز مخصوص بالجد مخصوص بالشرف صاحب الوسيلة صاحب
 السيف صاحب الفضيلة صاحب الازار صاحب الحجة صاحب السلطان صاحب
 الرداء صاحب الدرجة الرفيعة صاحب الناج صاحب المغفرة صاحب اللواء
 صاحب المعراج صاحب النصيب صاحب البراق صاحب الخاتم صاحب
 العلامة صاحب البرهان صاحب البيان فصيح اللسان مطهر الجنان رؤوف
 رحيم اذن خير صحيح الاسلام سيد الكونين عين النعيم عين الغر سعد الله
 سعد الخلق خطيب الامم علم الهدى كاشف الكرب رافع الرتب عز العرب
 صاحب الفرج

اما الصحابة فهم الذين ادركوه والتابعون هم الذين ادركوا اصحابه
 والمهاجرون هم الذين هاجروا معه في هجرته من مكة الى المدينة والانصار هم

الذين نصرؤ من اهل المدينة ورحبوا به لما هاجر اليها والحديث ما جاء عنه
والخبر ما جاء عن غيره والاثر ما روي عن اصحابه ويجوز اطلاقه على كلامه
ايضاً وام المؤمنين عائشة زوجته والبتول الزهراء فاطمة ابنته زوجة علي بن
ابي طالب والحسن والحسين سبطاه منها وحاجبة بنت ذؤيب السعدي مرضعته
وبلال مؤذنه وابو طيبة حاجبه ونعيان بن عمرو مزاحه وعبد الله ذو الجادين
دليله والعقاب رايته والعبدان قدح كان يبول فيه ودلدل بغلة شهباء اهداها
له المتوقس صاحب الاسكندرية مع جارية يقال لها مارية القبطية والقصواء او
العضباء او الجعداء ناقته ويعفور او عنبر حمارة والطرب او الطرب والخيف
فرساة والبراق دابة دون البغل وفوق الحمار ركبا ليلة المعراج وهي الليلة التي
عرج فيها من مكة الى القدس ومنها الى السماء

وليلة القدر ويقال لها الجهنمي فهي الليلة التي أنزل عليه فيها القرآن وهي من
اوتار العشر الاخيرة من رمضان اي من الليالي التي عددها فرد لا زوج كالثالثة
والخامسة ولعلها السابعة منها وقبل الثالثة والعشرون واما السبع الطول من
القرآن فهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
ويونس والانفال والبراءة جميعاً

واولي العزم هم على الاشهر نوح وابراهيم وموسى وعيسى والحواري ناصر
الانبياء ومنه الحواريون انصار المسيح اي تلاميذه وصاحب الحوت يونان النبي
والقطب رجل واحد موضع نظر الله سبحانه في العالم في كل زمان ويسى بالغوث
ايضاً والابنال هم قوم من الصالحين لا يتخلو الدنيا منهم ولا يموت احدهم الا قام
مكائنه آخر من الناس وهم سبعون منهم اربعون بالشام وثلاثون بغيرها والخضر
وهو صاحب موسى النبي ويكنى بابي العباس وقبل اسمه آليا وهو نبي المشهور
انه ماري جرجس عند النصارى والمتصرون هم المصلون بالليل فاذا تعبوا
وضعوا ايديهم على خواصرهم وقبل المعتمدون على اعمالهم يوم القيامة وذو الكفل
قبل هو ايلياس النبي وقيل هوشع وقيل زكريا ويحيى الحصور هو المعروف

يوحنا المعمدان عند النصارى ايضاً وشعيب نبيّ وهو رعوثيل كاهن مديان
 حو موسى النبي وهو نبيّ وهو عابر بن صالح أرسل الى قوم عاد وكانوا اتخذوا
 دين الصابئة ليردهم الى التوحيد فاطاعه منهم جماعة منهم لقان بن عاد وصالح
 نبيّ بعث الى ثمود ليدعوهم الى عبادة الله فطلبوا منه آية فخرج بهم الى هضبة
 من الارض فتمخضت عن نافقة ذات فصيل بها هم صالح عن ان يتعرضوا لها
 بعقر او هلكة فلم يتخلوا كلامه بل رماها اخيراً احدهم بسهم في ضرعها وقتلها
 غير انهم لم يدركوا فصيلها فصنعوا بصيعة من السماء انقطعت بها قلوبهم وهلكوا
 اجمعين ولذلك يقولون في المثل اخبث من الذين عقروا الناقة يضرب للارشار
 من القوم وحظلة بن صفوان كان نبياً في اهل الرس وهم قوم من ثمود وقيل
 انهم من بني فالج بن عابر وهو الاصم وادريس اخنوخ وعزير نبيّ وهو عزرا
 الكاهن

وطالوت شاول ملك اسرائيل وجالوت جليات الجبار الفلسطيني واهل
 الكهف هم الفتيمة السبعة وقطير هو كلهم واما معروف الكرخي فهو ابو محفوظ
 ابن فيروز وقيل الفيروزان كان ابوه نصراني فاسلم هو على يد علي بن موسى
 الرضا واشتهر باجابه الدعوى توفي ببغداد سنة ٢٠٤ الهجرة (سنة ٨١٩ م)
 والرجال الاربعون هم الاربعون شهيداً عند النصارى والفضيل هو ابن عياض
 الراهد كان في ايام الخليفة هرون الرشيد واصله من خراسان وقيل من سمرقند
 وابراهيم بن ادهم هو ابو اسحق العجلي الخراساني الذي صحبه في زهده سفيان الثوري
 واويس القرني الذي يضرب المثل في زهده فيقولون آزهده من القرني اويس
 وهو ابن عامر ويضرب المثل نظيره ايضاً بذي النون المصري وهو ابو الغياض
 ثومان بن ابراهيم وقيل الغياض بن ابراهيم المصري المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة
 (سنة ٨٥٩ م) وكذلك يضرب المثل بنسك رابعة العدوية وهي بنت اسماعيل
 النيسي البصري مولاة آل عنيك وكنيتها أم الخير ومن شعرها ما رواه
 شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف

اني جعلتك في القواد محمدي واجبت جسدي من اراد جلوسي
 فالجسم في للجاس مؤنس وحبيب قلبي في القواد انيسي
 اما الملائكة ويوصفون بالبررة فمنهم الكرويون او الكروية وهم سادة
 الملائكة او المقربون منهم بعد السروفين والناوس الاكبر وروح القدس
 وجبريل فهو الملاك جبرائيل عند النصاري وحيزوم اسم فرسه والسفرة او
 الحفظ الملائكة يحصون الاعمال والحفيظ هو الذي يكتب حسنات الناس
 وسيئاتهم واصحاب الاعراف قيل هم انبياء وقيل ملائكة يعرفون اهل الجنة
 واهل النار والمغنيات ملائكة الليل والنهار وقزح ملك موكل بالسحابة ومنه
 قوس قزح والرع اسم ملك يسوق السحابة كما يسوق الحادي الابل بجلائه
 والصاعقة اسم الخراق الذي يكون بيده ولا ياتي على شيء الا احرقه ومنه سيف
 الصاعقة ينطبع من جسم معدني كالحديد يسقط مع الصاعقة والرابضة ملائكة
 أمبطوا مع آدم وبقية حملة النجاة لا تخلو الارض منهم وعزرائيل ملك الموت
 موكل بالتبص على ارواح البشر ومنكر ونكير ملكان هما فتانا القبور يسألان
 الموتي في قبورهم عما كانوا عليه من الدين والسيرة في جال حياتهم في الدنيا ولها
 سلطان ان يعذبوا مستحق العذاب في قبره ويدوح اسم ملك موكل بحفظ
 الامانات ولذلك يكتبون اسمه على ظروف المكاتب تحت العنوان اما
 بالحروف المعتادة واما بالرقم على منقضى حساب الجمل وهو (١٦٤٢) كما انهم
 يكتبون عليها اسم معروف الكرخي وقطير الذين مر ذكرها. اما هاروت
 وماروت فكانا من الملائكة لكنها عصيا ربها فأهبط بها الى الارض واستوليا
 على مدينة بابل وقد البسها الله الجنة الانسانية ليكونا حكما للناس ويمنعاهم عن
 الاغواء بالاهواء فجري من امرها ان اغواها حب النساء حتى ابعدها عن رضى
 الحق وبما ان عنصرها الاصلي روحي ملائكي ولها حقيقة الاطلاع على الاجرام
 العلوية والسفلية فاحكما صناعة السحر بانقان وعلمها الى حكماء بابل^(١) ولذلك

(١) ذكر الاشعري عن مجاهد انه رأى بعينه هاروت في بابل لم يزل بها هاروت

يقولون سيفي امثالهم استمر من هاروت وماروت ويضيفون بابل الى السحراء
فيقولون بابل السحراء كما انهم يضيفون السحر الى بابل ايضاً فيقولون سحر بابل
والجند الرقيق والسما او كرة الهواء او الماء المنجند فوق السماوات والرقيع
هو السماء الاولى والضاغورة السماء الثالثة والحاورة السماء الرابعة والبرقع السماء
الرابعة وقيل الاولى وقيل السابعة والعروبا والعزقة السماء السابعة وسدرة المنتهى
شجرة في السماء السابعة وقيل في شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها احد من
الملائكة وغيرهم والضراح البيت المهور في السماء الرابعة وقيل هو بيت في السماء
حيال الكعبة والمجلى الكتاب الاول وهو اللوح المحفوظ جسم فوق السماء
السابعة كتب فيه ما سيكون الى يوم القيامة

والساعة ويوم الدين واليوم الآخر ويوم الحساب ويوم الحشر والآفة
ويوم البعث ويوم المعاد والحاقة والخروج يوم القيامة ودار السلام ودار الجزاء
وحظيرة القدس الجنة ورضوان حارسها والتسليم ما لا يجري فوق الغرف
والقصور قيل هو ارفع شراب اهل الجنة والفناج نهر في الجنة ايضاً والكوش
نهر فيها احلى من العسل واشد بياضاً من اللبن وبرد من الثلج وألين من الزبد
خافناه الزرجد ووانبه من فضة لا يظلم من شرب منه وطوبى او طوبى شجرة
في الجنة والعلبون جمع علي اسم لاهل الجنة وقيل موضع في السماء السابعة تصعد
اليه ارواح المؤمنين وقيل السماء السابعة والجنة وقائمة الينى وقيل سدرة المنتهى
والاعراف سور بين الجنة والنار

ودار البوار في دار الهلاك والظى وشعير وحطمة وبواس وجهنم وهابوة
وسفر في سبعة ادراك لنار الآخرة والدرك هو اقصى قعر الشيء والمدركة
المنزلة يقابلها الدرجة للصاد ومالك اسم خازنها والزبانية ملائكة يدفعون
اهل النار اليها والصراط جسر ممدود على متن جهنم ارق من الشعرة واحد
من السيف والآثم واد في جهنم وسجين واد آخر فيها او كتاب جامع لأعمال

وماروت مسجونين الى هذا اليوم

الشياطين والكفرة وقيل هو كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين أي الانس والجن وقيل السبيل بمعنى السجين أيضاً ومنه حجارة طنجت بنار جهنم وكتب فيها اسماء القوم كانت الطير الأبايل أي المنفرقة ترمي بها اصحاب النبل والصعود جبل في جهنم يصعد فيه سبعين خريفاً ثم هوى منه ولا يزال كذلك ابداً والغسلين هو ما يسيل من جلود اهل النار ولحومهم ودمائهم وشجر في جهنم والخبال صديد اهل النار والزقوم شجرة تخرج في اصل الحميم طلعها كانه رؤوس الشياطين ومنها طعام اهل النار وهي الشجرة الملعونة في القرآن

اما الراهون فهو جبل في الهند هبط عليه آدم وحيد حور او حيد حور او قور جبل في اليمن يقولون ان فيه كهف يعلمون فيه السحر وبرهوت اسم يتر في حصر موت تجتمع ارواح الكفار اليها والموتفكات الملائن التي قلمها الله على قوم لوط وهرشي ثنية في طريق مكة يرى منها الجبر لها طريقان فكل من سلكها كان مصيباً وطاخية اسم النملة التي كلمت سليمان وبنت طبق سفينة ترمع العرب انها تبيض تسعة وتسعين بيضة كلها سلاحف وتبيض بيضة تنقث عن حية اما الجساسة فهي دابة تكون في الجزائر نجس الاخبار فتاتي بها الرجال ودابة الارض حيوان ظهوره من اشرط الساعة قبل اول علامات هذه الدابة تخرج بمكة من جبل الصفا فيصدع لها والناس سائرون الى مي او من الطائف او تخرج من ثلاثة اماكن ثلاث مرات لها عصا موسى وخاتم سليمان تضرب المؤمن بالعصا وتطبع وجه الكافر بالخاتم فينتش فيه هذا كافر

واما الجن فهم مثل البشر طوائف وقبائل وعماير وبطون وإفخاذ وفصائل وعشائر ولهم ملوك وحكام ويدبنون بما تدبى به الآدميون من انواع الاديان والمذاهب ويتزاوجون ويتناسلون الى غير ذلك من الصفات البشرية ومنهم الابيض والاسود والاحمر والاخضر والاصفر والازرق . يحكى ان ابا السري سهل بن ابي غالب الخزرجي الشاعر الذي كان في ايام الخليفة هرون الرشيد العباسي ادعى انه نشأ بسجستان وارضعته الجن وانه صار اليهم ووضع كتاباً في

أمرهم وحكمتهم وإنسانهم وأشعارهم وزعم أنه بأيهم للأمين بن الرشيد المشار إليه
 بولاية العهد فقربته الرشيد وابنة الأمين وزبيدة أم الأمين وبلغ معهم وأفاد منهم
 وله أشعار حسنة وضعها على الجن والشياطين والسما على فقال له الرشيد إن
 كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا وإن كنت ما رأيت فقد وضعت ادبا
 وقال الشيخ شرف الدين المجاحظ إن الجن إذا ظلم وكفر وتعدي وأفسد
 فهو شيطان فان قوي على حمل البنيان والشية الثقيل وعلى استراق السمع فهو
 مارد فان زاد على ذلك فهو عنبريت فان طهر ونظف وصار خيرا كانه فهو ملك
 والجن في اللغة خلاف الانس او كل ما استتر عن الحواس من الملائكة
 والشياطين قبل سمي بذلك لانها تسمى ولا ترى^(١) وقيل بين الملائكة والجن
 عموم وخصوص فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعرفه الشيخ ابن
 علي الحسن بن سينا بأنه حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح
 الاسم اي بيان لمداول هذا اللفظ سواء كان معدوما في الخارج ام موجودا ولم
 يعلم وجوده فيه وقال ابو البقاء وظاهر كلام الفلاسفة ان الجن والشياطين هم
 النفوس البشرية المنفارقة عن الابدان بحسب الخبر والشر وذكر ابو وهب ان
 الجن منهم من يولد لهم ويأكلون ويشربون ومنهم بمنزلة الرج
 والجان هو ابو الجن كما ان آدم هو ابو البشر ومن اسماء اولاده اباء
 القبائل دحرش او دهرش ومن اسماء قبائلهم الشيبان ومردة غزوان
 والعسل اما الجن فهو حي من احيائهم قيل منهم الكلاب السود البهم او سئلة
 الجن وضعفائهم او كلابهم او خلق بين الانس والجن واما الشق فهو جنس من
 اجناس الجن صورته صورة نصف آدمي وقد مر ذكره في الفصل الرابع من
 هذه المقالة والعار سكان البيوت من الجن والأحجب جن من الذين استعملوا
 القرآن والعكس المارد من الجن

(١) اي لاختمها عن الابصار البشرية قال الاصمغاني الجن مأخوذ من جن جن

اي مخفي والجنة من ذلك ايضا

ومن المواطن المشهورة عندهم بانهم مخصصة بسكن الجن البراض وجنهم
 ووبار وبقار وهو موضع برمل عالج والبلوقة موضع بناحية البحر فوق كاخلة
 والحوش وهو موضع وراء رمل يبرين لا يسكنه احد من الناس واليه ينسبون
 نوعاً من الابل يقال له الحوشبة سوف يأتي الكلام عليه وهوب دابر وقيل هوت
 دابر هو موضع يضربون به المثل فيقولون تركته في هوب دابر اي بحيث
 لا يدري وعبر هو موضع يضربون به المثل ايضاً فيقولون هذا عبقرى القوم
 لانهم ينسبون اليه كل ما يستحسن ويستغرب وكان الجن صنعته لغرابته وحسنه
 حتى قالوا ايضاً ظم عبقرى والاول يضرب للرجل القوي والثاني المظلم القوي
 وقال آخرون ان عبقر او عبقر هو البرد ويعنون بالمحضور ايضاً ما تحضره الجن
 فيقولون اللبب محضر فغط اناك اي كثير الآفة والجن تحضره وكف
 محضرة تحضرها الجن

ومن ابنة الجن صرواح وهو قصر بلقيس الآتي ذكرها وتدمر مدينة
 تقدم الكلام عليها في اراضي الشام وعلى هذا ففس كل ما كان من الابنية القديمة
 الهائلة

والجن صوت يقولون انه يسمع في الفاو ز لبالاً يسمونه العزف اما زي زي
 والزيم فيها حكاية هذا الصوت ايضاً

ومعظم الخوف من الجن هو لكون ان نساء الجن قد تعرض لصرع رجال
 الانس على جهة العشق في طلب السفاد كما تعرض كذلك رجال الجن لنساء
 الانس ايضاً وقد يقع التناسل بين الفريقين بهذا السبب لاما كان حصول ذلك
 بين الارواح المجردة والادميين

ومن تدعي العرب انه متولد على هذه الطريقة جرهم فانه كان من نتاج
 الملائكة والادميين وكذلك بلقيس ملكة سبا المار ذكرها والاسكندر ذو القرنين
 وبعضهم يرى ان الاسكندر ذا القرنين المذكور هو غير الاسكندر بن فيلبس
 المكدي وانه هو المسمى في خرافات اليونانيين هرقول اما عمرو بن بربوع

فيقولون انه متولد بين السملاة الآ تي ذكرها والانسان ولم تنزع من تخيلاتهم
هذه الاوهام الا بعد ان ظهر الاسلام
واما الجيم فهم الشياطين والخبيث ذكورهم والخباث اناسهم ومن ذكورهم
ابو مرة وابوقرة وهما كنية ابليس وقرة علم للشيطان وزكبور وثور واعور
ومسوط وداسم خمسة اولاد لابليس وهم ذريته لكل منهم علم خاص به وليبي
اسم ابنته والقلاط والقلاط من اولاد الشياطين وهما ودكالي والدلاز من
اسماء الشياطين والوهان والمذهب شيطان يغري بكثرة صب الماء في الموضوع
وخنزب اسم الشيطان الذي يتسلط على المصلي وارث شيطان العقبة وقيل
اسم جني لاقاه ابن الزبير فوضع السوط في راسه حتى باص اي استر والزوجة
اسم شيطان او رئيس للجن ومنه سميت الاعصار وهي الريح التي تنير الغبار
وترفع الى السماء كنها عمود وتسمى ام زوابة لانه هو الذي يثور بها

—•••••

الفصل السادس

في عوائد العرب واوابدها^(١) الملقاة في الاسلام

وكان للعرب كثير من العوائد والاوابد يرونها فضلاً فابطلها
الاسلام منها المجيرة والسائبة والحام والنحر والميسر والانصاب والازلام واد البنات
والرافدة في الحج فلما أنزلت آية ما جعل الله من مجيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا

(١) الاوابد الوحشيات ومنه قولهم اتى فلان في كلامه بابدية اي بكلمة وحشية

حام وآية الخمر والميسر ولا نصاب ولا زلام رجس من عمل الشيطان هو
فاجنبوه بطل ذلك جميعه

البهيمة هي ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكراً مجرواً
اذنها اي شقوها وامتنعوا عن ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى
السائبة هي ان الرجل اذا اعتق عبداً قال هو سائبة فلا يفتي بينها
عقد ولا ميراث

الوصيلة تكون في الغنم وهي اذا ولدت الشاة انثى فهي لم وان ولدت
ذكراً جعلوه لآلهم فان ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها فلا يذبحون
الذكر لآلهم

الحام هو الذكر من الابل كان اذا نتج من صلب الفحل عشرة ابطن
قالوا حي ظهرة فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى

الخمر هو ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرًا وكانت باعة الخمر في
الجاهلية بنصبون رايات ليعرف مكانهم بها ويسمونها الغاية وكانت العرب تفخر
بشرها وبلعب القار لانها من دلائل الجود عندهم وقد بلغ تولعهم في شرب
الخمر ما فعله ابو غيثان اذ باع مفاتيح الكعبة بريق خمر ثم ان فتنهم في اوصافها
اوجهم ان يسموها باسماء كثيرة في اشعارهم سواء كان في زمن الجاهلية او بعده
ولهم اليد الطولى في مدحها واحسن انواع الشعر ما كان مبنياً على تعداد اوصافها
والفنان في كيفية معاطاتها وما كان ناظموه من المتصوفة كالامام الفارض وغيره
تأولوا فيه معاني اخرى روحانية قال الفارض

قالوا شربت الاثم كلاً وانما شربت التي في تركها عندي الاثم

على ان امثال هؤلاء يجرمون لا الخمر فقط بل شرب اللبن اذا مال طعمه
الى المحبوضة ايضاً لانهم يرون فيه وهو على تلك الحالة خاصة التخدير فيعدونه
من المسكرات

والادباء من المتأخرين مؤلفات وتعاليق لا تحصى كثرة في الخمرة ومن جعلتها كتاباً يسمى حلبة الكهيت للامام النواجي قبل ان من قرأه مرة قل ان يستطيع بعدها ضبط نفسه عن شرب الخمر وقد جمع هذا المؤلف في الباب الاول من كتابه المذكور الاسماء التي اطلقها العرب على الخمرة قال انه اعنى بجمعها من كلام الشعراء الجاهليين والاسلاميين وهي هذه

الخمر والراح والراحة والملم والمرفق والنفار والخندريس والصهباء
والقهوة والشراب والطلا والرحيق والشمول والحجما والكهيت والمروقة والعنفة
والمشعشة والصفانية والشمولة والصرف والعتيق والعائق والبكر والذراء
والعروس وام الدهر واخت المسرة وابنة العنكب والسلسال والسلسيل والسكر
والبنين والفضوح والعجوز والشمطاء والكليساء والدم والجريال والاسفند والعقور
والنزة والمعركة والمعرق والدرياق والزنجبيل والتامور والمازية والسبا والسبية
والخطبة والمصطار والمصطلق والمصنق والمصنفة والمخرطوم والقطب والسقامة
والعانة والحائية والحانية والخيلة والمطية والحجبية والملازي والنشأة والمنشية والهبية
والبابلية والبلسانية والمزنية والزبينية والثلمية والحفية والسامرية والساهرية
والمرية والمغدية والمفدية والمسالبة والسارية والمعينة والاسرة والقاهرة والخلة
والنامة والذبابية والنومة والمصرعة والطاردة والمهمة والمقدمة والمؤخرة والفهمج
والصرخد والفنديل والكسيس والزرجون والشهوس والمغري والغرب
والرساطون والقارض والمواقع والناقع والمبجع والنسيد والسويف والصومع
والمفاج والحجة والعبيد وفواد الدين وام عنا وام زنبق وام ليلي وام الحبيات
والحرام والاثم والمثلثة (وهي التي غليت على النار حتى صارت على الثلث) والخمرة
(وهي التي عسرت بعد الخلطة) والتميع (وهو نبيذ العسل) والجمعة (نبيذ الشعير)
والمرز (نبيذ المخلطة) والسكركة (نبيذ الذرة وهو شراب الحبشة) ويقال ان
الخمرة الف اسم

ويسمون شراب الغلانة صوحاً وشراب العشية غبوقاً وشراب نصف النهار

فيلاً وشراب اول الليل فحمة وشراب السحر جاشية قال الشاعر
 وأفضل ما يهدي الى الشيء جسة والروح اهدي الراح فهي لها جنس
 وقال ابو نواس يريد ان تشترك كل حواسها
 ألا فاسقني خمرًا وقل لي في الخمر ولا تسقني سرًا اذا امكن الجهر
 وقال ايضا يعين مقدار الشرب منها
 رأيت طبائع الانسا ن اربعة في الاصل
 فاربعة لاربعة لكل طبيعة رطل
 وقال الاعشى يصف دواء الخمر
 وكاس شربت على لذة واخرى تلويت منها بها
 وقال احد ارباب الجون يخصص حياته كلها للمسكرات
 للبرش يوم ويوم للحشيش ولل افيون يوم وللصهاة يومان
 الميسر والازلام . الميسر هو الفار والازلام هي السهام قبل ان تراش
 وازلام الميسر هي قار العرب بهذه الازلام ويسمون بها ايضا المغاليق سميت بذلك
 لانهم تغلق الخطر من قولهم غلق الرهن يغلق غلقا اذا لم يوجد له تخلص وفكاك
 يقال ان اهل الثروة من الجاهلية كانوا يشتركون جزورا^(١) فيخرونه ويقسمونه
 ثمانية وعشرين قسما يتساهمون عليها بعشرة قلائح يسمونها الازلام ويسمون كل واحد
 منها باسم وهي الفذ والنوام والرقيب والنافس والحلس والمسيل والمعل والمسيح
 والمنج والوعد ويفرضون لسبعة منها اسهم مقدرة فيجعلون للفذ منها نصيبا
 واحدا وللنوام نصيبين وللرقيب ثلاثة وهكذا الى المعل فان له سبعة انصبة
 واختلف في ترتيب النافس بينها ف قيل هو الرابع وقيل بل الخامس واما الثلاثة

(١) الجزور جمع جزرة وهي الشاة المعدة للذبح

الباقية فلا نصيب لها وكانوا يكتبون على كل قِدَح اسمها وكانوا يجمعون هذه القِدَاح في خريطة يضعونها في يد رجل عدل يسمونه الجبل أو المقبض^(١) فيجعلها في تلك الخريطة ويخرج منها قِدَاحاً للرجل فمن خرج له قِدَحٌ من ذوات الانصبة أخذ نصيبه ومن خرج له منهم قِدَحٌ لا نصيب له عُزِمَ ثمن الجزور وكانوا يكثر من هذا اللعب في أيام الشتاء لتفرغهم له وكانوا يحيلون هذه القِدَاح عند هيل الصنم العظيم الذي كان في جوف الكعبة على البئر التي كانوا ينجرون فيها هدايا لعبوداتهم

وكان لقمان بن عاد أضرب الناس بهذه القِدَاح ولذلك قالوا في أمثالهم ايسر من لقمان وكان له ايسار يضربون معه ايضاً وهم ثمانية واسماؤهم بياض وحمصة وطفيل وزفافة ومالك وفرعة وثيل وعمار فضربت العرب بهم الامثال ويقولون للأيسار اذا شرفوهم كاييسار لقمان قال طرفة بن العبد

وهم ايسار لقمان اذا أغلقت الشتوة ابداء الجزور

ومن امثالهم عجول القِدَاح والجزور ترتع يضرب لمن يتعجل في امر لم يتحن بعد فان القِدَح لا يحال الا بعد ان تبحر الجزور

ومن امثالهم ايضاً حن قِدَح يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم لانه اذا كان احد القِدَاح من غير جوهرة اخوانه خرج له صوت يخالف اصواتهم عند ما يجيئه المقبض في الخريطة فيعرف بذلك انه ليس من القِدَاح

ويضرب المثل ايضاً بقِدَح ابن مقبل وهو قِدَح اشنهر بالاصابة وعدم الخطاء كان صاحبه بقِدَح النار قبل خروجه ثقة بفوزه . قال بعضهم ان هلا القِدَح فاز سبعين مرة لم ينخب منها مرة واحدة

ومن امثالهم ايضاً كل امرء أعرف بوسم قِدَحِهِ وهو يضرب للعارف بقدر

(١) وفي محيط المحيط المحرصة امين المقامرين الذي يضرب الايسار للقِدَاح ولا يكون الا ساقطاً برماً والبرم البغل والليم ومن لا يدخل مع النعم في الايسر ليجلو وشعو

نفسه الواثق بما عنده وهو من قولهم ابصر وسم قدحك لانه كانت العادة عندهم ان يسموا اقلامهم بعلامات يميز بها كل واحد منهم قدحه ويستدل به على نصيبه

وانواع الميسر عندهم كثيرة ومنها نوع آخر يقال له الفيال وهو ان يجمع التراب فيدفن فيه شيء ثم يجعل التراب نصفين ويسأل عن الدفين في ايها هو فن اصاب قهراً ومن اخطأ قهراً ومنه قولهم فابل الرجل اذا لعب بهللا اللعب قال طرفة بن العبد البكري

يشق حباب الماء حين رومها بها كما قسم التراب المنايل باليد

ومنها المخرجة وهي المناهدة بالاصابع فيخرج الرجل من اصابه ما شاء والاخر مثل ذلك على سبيل المساهة

ومنها المخزق عويد في طرفه مسمار محدد يكون عند بيع البسر بالنوى بطريق المبادلة وله مخازق كثيرة ياتي به الصبي بالنوى فياخذه منه ويشط له كلاً او كلاً ضربة بالمخزق فما انتظم من البسر فيه فهو له قل او كثر. واما ان اخطأ فلا شيء له وذهب نواه

الاصاب . هي الاوثان من حجارة وقد سبق الكلام عليها

الازلام . هي من التي سبق ذكرها تسمى ازلام الاستخارة . يمكن انهم كانوا يتخذون منها ثلاثة قلاح يكتبون على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي ويتركون الثالث غفلاً فاذا ارادوا امراً يحيلون هذه القلاح في خريطة ويخرجون منها واحداً فان كان هو الامر مضوا على الامر الذي ارادوه وان كان هو الناهي عدلوا عنه فان خرج الغفل اعادوها ثانية حتى يخرج احد المكتوبين وكانت هذه القلاح توضع عند سدة الاصنام ويقال لها قلاح الاستقسام والاستخارة وأد^(١) البنات . وهو ان بعض العرب كان اذا ولدت له بنت يدفنها

(١) الوأد في اللغة دفن الولد وهو حي

وهي حية واختلفوا في اسباب ذلك فمنهم من قال انهم كانوا يفعلونه ايام الجذب ومنهم من قال خوفاً من عار السبي اذا عاشت ومنهم من قال انها من زواجها ويقولون ان اول من واد البنات رجل يقال له قيس بن عاصم التميمي وتبعه الناس في ذلك الى ان ابطله الاسلام. وقال الاصمعياني ان قيساً المذكور ادرك الاسلام وسلم. اما عبارة المبدئي في الامثال فهي قال حمزة ذكر الهيثم بن عدي ان المواد كان مستعملاً في قبائل العرب فاطبة وكان يستعمل واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام وقد قل ذلك فيها الا من بني تميم فانه ترايد فهم قبل الاسلام لان الريان اخا النعمان كان استاق نعمهم وسبي ذرارهم لما منعوا اخاه المذكور الاناة^(١) التي كانت عليهم ثم لما وفدت وفود بني تميم على النعمان وكلوه في الذراري فتحكم النعمان بان يكون الخيار للنساء في ذلك وكان فيهم بنت لقيس بن عاصم المذكور فاخترت سايها على زوجها فنذر قيس ان يدس كل بنت تولد له في التراب فواد بضع عشرة بنتاً وبضئع قيس هلا واحيائه هذه السنة نزل القرآن في ذم واد البنات

ويقال بانه يوجد بمكة جبل يقال له ابو دلامة قيل ان قريشاً كانت

تهد فيه البنات

وتقترب بنو تميم الماز ذكرهم برجل يقال له محيي الوئيدات واسمه صعصعة ابن ناجية التميمي وهو جد الفرزدق الشاعر المشهور ضرب به المثل لكونه كان على خلاف قومه فكان يشتري هذه البنات منهم ويربيها في ابيائه فكان هو اول من فداهن

الرفادة^(٢) في الحج . وهي الخرج الذي كانت تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصي بن كلاب القرشي فيصنع به طعاماً للحجاج لياكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصي المذكور فرض ذلك على قريش كما سبقت

(١) الاناة المال الذي يؤخذ على الاراضي الخراجية والرشوة او تحض الرشوة على الماء

(٢) الرفادة العطاء والاعانة قال يعطيو المرفود الى الرافد

الإشارة اليه في آخر الفصل الثاني من المقالة الرابعة وقيل ان أول من أقام
الرفادة عبد المطلب

الرتم^(١) من أوابد العرب أيضاً وهو شجر معروف كان اذا خرج احدهم
الى سفر عتد الى شجرة منه فيعتد غصناً منها فاذا عاد من سفره ووجده قد
انحلّ يعتقد ان امرأته قد خائنه قال بعضهم يخاطب رجلاً من العرب اراد
سفرًا فاخذ بوصي امرأته ويقول اياك ان تفعلني فاني عاقبتك رمة بشجرة
فان احدثت حدثاً انحلّت

هل ينفعك اليوم ان همت بهم كثرة ما توصي وتعتاد الرتم

ومنه المثل المضروب عندهم اهل من تعتاد الرتم
الرتيمة . وهي من الرتم ايضاً كان اذا مات واحد منهم غفلوا ناقته عند
قبره وسدوا عينها حتى تموت يزعمون انه اذا بُعث من قبره يركبها ونسي البلية
ايضاً وعكس البلية هي ان يربطوها معكوسة الراس الى ما يلي كلكلها^(٢) وبطنها
ويقال الى مؤخرها ما يلي ظهرها ثم يتركونها على تلك الحالة حتى تموت
التعمية والتفقية : كان الرجل اذا بلغت ابنة الفأ قلع عين الفحل يزعمون
ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت عن الالف فقا عينه الاخرى ولذلك
يقولون في امثالهم عنده من المال عائرة^(٣) عين

دواء العر . كانوا اذا اصاب الابل داء العر وهو يشبه الجرب يكون
السلية يزعمون ان ذلك يبرئ المريضة قال النابغة

حملت علي ذنبه وتركته كذي العر يكوى غيره وهورانع

(١) الرتمة شيء يعتد في الاصبع او غيره للتذكر يقال نرتم الرجل وارتم عقد الرتمة
في اصبعه والرتم نبات كثيف ومن دفعوه شبه بالرتم زهره كالخيمى وبزره كالعندس الواحدة
منه رتمة (٢) والكلكل الصدر او باطن الزور ومن الفرس ما بين مخزوم الى
ما مس الارض منه (٣) يقال عرت عينه اي عورجها

وشطار البيت الاخير مثل يضربونه في خذ البريء بجريدة المذنب
تسكين النوق النافرة . يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذُكر اسمها
فانما تسكن

هقي البقر . وكانوا اذا امتنع البقر عن الشرب ضربوا الثور يزعمون
ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب قال ابن مردك
اني وقتلي سليكا ثم اغفله كالثور يضرب لما عافت البقر

وشطار البيت الاخير يضرب كذلك في عقوبة الانسان بذنب غيره
وقال آخرون ان الثور هو الطمب نبات يكون على وجه الماء المزمن فتكره
البقر الماء بسببه فاذا ضرب ونقي عن وجه الماء شرب البقر وفي محيط المحيط
اهم كانوا لا يضربون البقر لكونها ذات لبن وانما يضربون الثيران لتنزع هي
فتشرب

الهامة . يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بشاره يخرج من راسه
طائر يسمى الهامة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني الى ان يؤخذ بشاره . وطائفة
منهم تزعم ان هذا الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه اذا مات او قتل
ولا يزال منصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له قال الشاعر

ساحل الموت والمنون حلهم فاهم في صدى المنابر هام

وقال الاصبهاني ان العرب تسمي هذا الطائر الصدى قال طرفة

كريم بروي نفسه في حياته ستعلم ان منا صدى ابنا الصدي

وزعمون ان هذا الطائر يكبر ويتوحش ويوجد في الديار المعطلة
والنواويس ومصارع القتلى ويقولون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما
يكون من خبره فتنبه الميت ولذلك كانت نساء العرب لا تبكي المقتول حتى
يؤخذ بشاره

ولا زالت العرب تعتقدُ بالهامة إلى أن جاء الإسلام وورد في الحديث
لأعدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام (العدوى سرية المرض من المريض لغيره
والطيرة ما يتشائم به من الفأل الردي وقد مر ذكرها وإهام ما نحن بصدد)
الصفر. حية تكون في بطن الإنسان يزعمون بأنه إذا جاع عض الصفر
هنا على شرسوف^(١)

الجبان . يزعمون أن الجبن تطلب بشار الجبان فربما مات قاتله أو أصابه
خيل والجبان حية بيضاء كحلاء العين كثيرة في الدور ولذلك يقولون في أمثالهم
كالأراقم أن يقتل ينقير وإن يترك يلقم يزعمون أن الحية تموت في أول ضربة
فإن ثبتت عاشت

حفظ الاسنان . يزعمون أن الغلام إذا نغّر فرس سنّه في عين الشمس
بسببته وإبهامه وقال إبداني بإحسن منها فإنه يأمن على أسنانه من العوج
والفلج

التحفظ من الوباء . يزعمون أن الرجل إذا قديم قرية فخاف وباءها
فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهى كما تنهى المحرم لم يصبه وباءها
الاهتداء . وإن الرجل إذا ضلّ فقلب ثيابه اهتدى

دواء المثلاث . وهو إذا وطئت رجلاً كريماً قتل غدرًا عاش وإدها
الاستسقاء . كانوا إذا جدبت أرضهم من قلة المطر أخذوا أغصاناً من
شجر السّلع والعُشر^(٢) وعلقوها بأذناب ثيران الوحش وحذروها من الجبال
واشعلوا في ذلك السّلع والعُشر النار يعتقدون أن ذلك يستنزل المطر قال
الشاعر

(١) الشرسوف غصروف معلق بكل ضلع أو منط الضلع وهو الطرف المشرف
على البطن والصفر المجموعة من الصفرة وهي الخلا
(٢) السّلع شبر مر أو سم أو ضرب من الصبر أو بقلة خبيثة الطعم والعُشر شبر
يفندح به

لا دَرَّ دَرُّ اَناسٍ خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات^(١) بالعُشرِ
 اَجاعِلْ اَنْتَ بيقورا^(٢) مسلعة^(٣) ذريعةً لك بين الله والمطر
 صدحة المطر. هي رقية تمنع المطران يصيب مكانا اصاب كل ما حوله
 من الارض قبل كان يستعملها اهل السكون وحضر موت والسكاسك من عرب
 اليمن فكان احدهم يصدح عن حليته او مواشيه فلا يصيبها شيء من المطر وهو
 قد عم كل ارض في تلك البلاد

التوايع. يزعمون ان لكل انسان تابع من الجن يكون مع الانسان يتبعه
 حيث ذهب ومئة قولهم معه تابعة اي جنية وان الجن تمرب من الارنب فمن
 علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر ولذلك كانوا يخذونها كضرب
 من التائم

التائم. جمع تيمة وهي الحرز ويجمع على احراز والعمامة تقول المحرزة
 والاصل فيها خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق وتسميت تيمة لان
 بها يتم امر الصبي وكان الاعراب يضعونها على اولادهم للوقاية من العين ولدفع
 الامراض التي تحصل الى الاولاد كالصرع المسمى عند الاطباء بامر الصبيان
 لانهم يظنون حدوثه من الجن ويسمونه فرعة المحيط قال المنيني

اظلمت مواهبة عليه ثنائما فاعنادها فاذا سقطن يفرعا

واماطة هذه التائم اي ازالتمها عند العرب رديف الكبر لانهم كانوا
 لا يزيلونها الا متى بلغ الصبي الحلم وحينئذ يلبسونه العمامة والازار ويقلدونه
 السيف وذلك جميعه عندهم من لوازم البلوغ لانهم كانوا لا يبالون باستئثار
 الغلام قبل بلوغه فاذا بلغ يلبسونه الازار ليستتر به ولما جاء الاسلام نهى عن
 لبس هذه التائم وقد ورد في الحديث من علق تيمة فلا اثم الله له وايضا من
 علق تيمة فقد اشرك

(١) الازمات جمع ازمة اي شديدة توصف بها السنة المجيدة

(٢) اليقور اسم جمع للبقر (٣) المسلع الدليل

التولة. هو خرزٌ يسمونه بهذا الاسم ويجمع على تولات تلبسه النساء بزعمهن
انه يجيب المرأة الى زوجها

التبخر بالحزى. وهو بالفصر والمد نبات يشبه الكرفس الواحدة حزة
وحزاة كانوا يتدخنون به للارواح يزعمون ان الجن لا تقرب بيتا هو فيه
فيؤمنون بذلك من غوائلها

السعلاة. هي حيوان من المشيطة ينراعى للناس بالنهار ويعول بالليل
واكثر ما توجد بالغياض فاذا انفردت بانسان امسكتة ترقصه وتلعب به كما
يلعب القط بالفار ويقولون ربما صاها الذئب واكلها وهي حينئذ ترفع صوتها
وتقول ادركوني فقد اخذني الذئب وربما قالت من انفذني منه فله الف
دينار فيسمعها من يجاورها ولا يلتفت لكلامها لمعرفة الناس بها

القطرب. زعم بعض المؤلفين بانه ذكر السعالي المار ذكرها وانه يظهر في
أكاف اليمن وصعيد مصر

الغول. هي ساحرة الجن تتلون للناس في الخلوات بصور شتى لتضلهم في
الطريق وتهلكهم فتخاطبهم ويخاطبونهم ويروون عنها احاديث ومساجلات
واحاجي ادبية يطول شرحها وقالوا انها تشبه الانسان والبهيمة وقالوا هي ذكر
واثنى قال كعب ابن زهير

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في اثنائها الغول

ولذلك يقولون في امثالهم كتلون الغول يضرب للتلون في سلوكه
ويقولون ايضا تغولت المرأة اذا تشبهت بالغول في تلونها وفي بعض المؤلفات
الغول سبع من سباع الجن وبعضهم لا يفرق بين الغول والسعلاة التي مر
ذكرها قال بعض الادباء

لما فحست بني الزمان ولم آجد خلا وقيا للشائد اصطنعي

ايقنت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

العنقاء . يقال لما عنقاء مغرب يزعمون انها طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم وانها سميت بذلك لبياض في عنقها كالطوق قال الجاحظ الام كلها تضرب المثل بعنقاء في الشيء يُسمع ولا يرى ومن امثالهم حلقت به في الجوّ عنقاء مغرب قال الشاعر

اذا ما ابن عبد الله خلى مكانه وقد حلقت بالجوّ عنقاء مغرب
الخيالان وحش من نظائر العنقاء يزعمون انه في البحر نصفه انسان والباقي سمك قال بعض الادباء

فلا البيغاء بالنطق يعتد عاقلاً ولا الخيالان بالجسم يعتد انساناً
المحرقوس . دويبة صغيرة اكبر من البرغوث تاتي الابهكار فتفرض بكارتهن

الهواتف . هي تمتد بصوت مسموع وجسم غير مرئي تجاوب من يخاطب نفسه وخاصة في ظلام الليل

أكلة الشيطان . حية كانت في الجاهلية كان يأتي البيت المحرام في كل حين ويضرب بنفسه الارض فلا يمر به احد الا اهلكه وبه يضرب المثل في كل شيء ذهب فلم يوجد له اثر

المقالة الخامسة

في مساكن العرب وأبنيتهم وملابسهم ومآكلهم وأدب مخاطباتهم
وتحياتهم وفيها أربعة فصول

الفصل الأول

في مساكن العرب

كانت مساكن العرب في الجاهلية تقسم الى نوعين حضرية ووبرية

الكلام على مباني الحضر في الجاهلية

مساكن الحضر اي سكان المدن كانت ابنة ذات هياكل وقصور في
مدنهم وكانوا يزینونها بالمعادن النفيسة التي كانوا يخذونها بالمبادلة من الروم
والعجم كما يأتي الكلام على ذلك في محله ومنها

مدينة مأرب . ذكر المؤرخون وغيرهم في كتب الآداب العربية ان
هذه المدينة التي تعرف بمدينة سبا بناها عبد شمس الملقب بسبا فصارت دار
ملكة اليمن وكان من ملوكها الملكة التي جاءت لتسمع حكمة سليمان ملك اسرائيل
(امل ص ١٠١-١٢) ونسب في الكتب العربية بلقيس روى بعضهم بانها

هي التي ضربت في هذه المدينة السد المشهور بسد مأرب وهو سور غليظ في
فرجة واد بين جبلين عرضها خمس اوست دقات حقت به ماء العيون
والامطار لكي تنوزع في وقت الحاجة على المزارع والبساتين وقيل بل الذي
ضربه هو عبد شمس المذكور وقيل لقمان بن عاد وكان هذا السد معدودا عند
العرب من عجائب الدنيا وقد تكلم مؤلفوهم على ما ترتب من هدم هذا السد من
المكارة وأرخوا بزمه وعينوه بتاريخ غير مجمع عليه عند العلماء
قصر الخورنق . بناء رجل من الروم يقال له سنار في ظهر الكوفة
للملك النعمان الأكبر ابن امرئ القيس اللخمي الملقب بالهرق . يحكى انه لما فرغ
من بنائه الفاء الملك المذكور من اعلاه الى الارض ففتله لثلا يبنى مثله لغيره
فذهب ذلك مثالا عند العرب يقال جوزي جزاء سنار قال الشاعر

جزى بنو ابا الغيلان عن كبير وحسن فعل كما جوزي سنار

على ان هذا الملك بعد ان مكث في الملك ثلاثين سنة كان جالسا يوما في
هذا القصر فتأمل في الملك الذي له والاموال والذخائر التي عنده وكانت على
جانب عظيم فقال لاخير في هذا الذي ملكته اليوم وملكته غيري غنا ومن
ثم زهد في الملك وامر حجابة ان يعزلوا عن بابو ولما جن الليل التحف بكساء
وخرج سائحا في الارض فلم يره احد بعد ذلك

السدير . قصر آخر في العراق للنعمان المذكور

حصن الصنبر . لامرئ القيس بن النعمان الاعور وقيل ان ما وقع لسنار
المار ذكره كان مع هذا الملك بعد ان بنى له هذا الحصن

قصر عهدان . هو بظاهر صنعاء اليمن وله غرف شهيرة يسكنها الحارثيون
وهو يحكم البناء عجيب الارتفاع لانه سبع طبقات وفيه ما لا يوصف من الخراف
والصنائع الغريبة بناء الملك شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المتباف بن زيد
ابن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير واقام فيه مدة ملكه ثم صار بعد ذلك

دار الملك للاتباع وفي محيط المحيط الغلمان قصر باليمن بناءً يشرح باربعة
وجوه احمر واصفر وابيض واخضر وفي داخله قصرًا بسبعة ستوف بين كل
سقفين اربعون ذراعًا اه . وهذا القصر هو الذي اخذه سيف بن ذي يزن
البحيري من الحبشة كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الاول من المقالة الرابعة
مارد والابلق . حصان للسؤال بن عادي اليهودي الغساني وكان
مارد في دومة الجندل وهو مبنى من حجارة سود والابلق كان في ارض تباه
مبنى من حجارة سود وبيض وكانت قصدهما هند ملكة الجزيرة المعروفة بالزباء
وعجزت عنها فقالت تمرّد مارّد وعزّ الابلق فذهبت مثلاً
صرح الغدير . من ابنة ملوك غسان في اطراف حوران ما يلي البلقاء
بناءً ثعلبة بن عمرو بن جفنة الغساني

القناطر واذرح والقسطل . من ابنة جبلة بن الحرث بن ثعلبة المذكور
الحفير ومصنعة وقصر ابير ومعان . من ابنة الحرث بن جبلة
المذكور وكان يسكن في البلقاء

قصر الغضا وصفات العجالات وقصر منار . من بناء عمرو بن الحرث
المذكور فانه انشأ في دمشق وضواحيها عدة من القصور الشائخة منها هذه الابنية
قصر السويداء وقصر حارب . بناها النعمان بن عمرو المارّ ذكره
قصر برقع . بُني في البرية لجبلة بن الحرث اخي عمرو الذي تقدم ذكره
وكان صاحب تدمر وقصر بركة وذات انمار بناءً له عاملة الفين

جبلة الادهوية . بلدة بناها جبلة بن الأهم آخر ملوك غسان الذي
كان أسلم في أيام الخليفة عمر بن الخطاب ثم لحق بقيصر ملك الروم فتنصر
واقام عنده ويضربون المثل في عزّة الملك فيقولون اعزّ ملكاً من جبلة بن
الأهم وجبلة هذه تُنسب الآن الى السلطان ابراهيم ادهم الزاهد المدفون فيها
هنا ما وقفنا عليه من الابنية التي انشاها العرب في زمن الجاهلية واما التي
انشاها في العصر الاسلامي فقد سبق ذكر اكثرها في الفصل الثالث من المقالة

الاولى من هذا الكتاب غير انه اخترنا ان نذكرها هنا تذكراً لفوائدها وما كان
 القصد في بنائها وما آل اليه امرها بحسب ازمته حدوثها ومنها
 البصرة . اول مدينة شُرع في بنائها في العصر الاسلامي بناها عمر بن
 الخطاب الذي تولى الخلافة بعد ابي بكر الصديق سنة ١٢ للهجرة (سنة ٦٣٤ م)
 فكان بذلك هو اول من شيد الابنية ومصر الامصار في ذلك العصر الجديد
 وكان بناؤها سنة ١٤ للهجرة (سنة ٦٣٥ م) في العراق تحت مجنec نهري دجلة
 والفرات على شط نهر العرب وسبب ذلك على ما قيل هو لكي يقطع عن الفرس
 المواصلات مع اهالي الهند بواسطة الخليج الفارسي فعمرت هذه المدينة وازهرت
 وكان بها السوق المشهور بمريد البصرة تجتمع فيه شعراء العرب ويتناشدون ما
 نظموه من الاشعار ولذلك كان بها العلماء والادباء والفصحاء في اللغة العربية
 وعلمائها محبسون في النحر وبينهم وبين علماء الكوفة خلاف مذهب في ذلك
 العلم ولم تنفصل الكوفة عليها الا بكونها صارت داراً للخلافة قبل بغداد ولم تصدر
 هي داراً للخلافة اصلاً وانما كانت قاعدة لحاكم السواد^(١) ومن العجب ان الخلفاء
 كانوا يبعثون اليها دائماً اجبر العمال كريد بن أمية والتجّاج ونحو القرن
 الثاني عشر للهجرة المقابل للقرن الثامن عشر من الميلاد بلغت سكانها نحو
 اربع مئة الف نفس لكنها خربت اخيراً فلا يوجد بها الآن اكثر من ستين الفا
 الكوفة . بناها كذلك الخليفة الممار اليه سنة ١٧ للهجرة (سنة ٦٣٨ م)
 ونقل كرسي الخلافة اليها بعد ان كان في الانبار فلقيت خد العذراء لان ارضها
 رملية حمراء ومن ثم صارت هذه المدينة مدينة العراق الكبرى ويصنفونها بانها قبة
 الاسلام ودار هجرتهم واليها ينسب الخط الكوفي وفيها كانت خطط العرب في
 ايام عثمان بن عفان والى هاتين المدينتين اي البصرة والكوفة ينسب جماعة من
 العلماء والنجاة والشعراء وينال لها العراقيان وصار اهله ممن يوثق بعريتهم بعد
 الاسلام ويستشهد بكلامهم قال بعض الفضلاء حيثما وجد خلاف بينهم فذهب

البصريين اصح من جهة اللفظ ومذهب الكوفيين اصح من جهة المعنى
الجامع الاقصى . بناء الخليفة المشار اليه في مدينة اورشليم المعروفة
بالقدس الشريف في الحل الذي كان مبنياً فيه هيكل سليمان وهو احد الجوامع
الثلاثة التي مر ذكرها في الفصل الثاني من المقالة الرابعة من هذا الكتاب
واسط . مدينة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في ايام خلافة عبد الملك
بن مروان وذلك في سنة ٧٨ للهجرة (سنة ٦٩٧ م) قبل سماها بهذا الاسم لكونها
متوسطة بين البصرة والكوفة

الجامع الاموي . وكان لما تولي الخلافة معاوية بعد علي بن ابي طالب
اتخذ الشام داراً للخلافة ولا زالت كذلك مدة الامويين كلها وكانت هذه المدينة
القديمة شهيرة بمعامل السيوف المصنوعة من خيط اوراق رقيقة من الحديد
والبولاد فكانت تشفي الى المقبض وتؤثر في الاشياء الصلبة غير انه انقصد منها
سر هذه الصناعة الآن ويقال ان تيمورلنك ملك المغول لما ملك هذه المدينة
في اواخر القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر من الميلاد) اخذ منها الى
بلاد العجم اصحاب معرفة هذه الصناعة فاشتغلوا له السيوف وصحّت غير انها
جاءت دون سيوف دمشق في الجودة ولم يزل بها الى الآن شغل الابنوس
المزّين بالعاج والصدف وبعبرون عن هذه الصناعة بالتطعيم ويصنع فيها
كثير من اقمشة الحرير وادوات الخيل ولصاغت صناعة في صياغة الذهب
لا يقدر عليها غيرهم ثم لما تولي الخلافة فيها الوليد بن عبد الملك بن مروان
الذي تقدم ذكره بنى فيها الجامع الاموي الذي يقال عنه بانه اعظم ابنية العرب
وليس له نظير في جوامع الاسلام طوله يبلغ خمس مئة وخمسين قدماً وعرضه
مئة وخمسين قدماً وهو مبني على اعمدة عظيمة من الحجر السامي والرخام الخفاف
الالوان وفي قبة ست مئة قنديل معلقة بسلاسل من الذهب والفضة واما في
شهر رمضان فكان يشعل فيه اثنا عشر الف قنديل وفيه اربعة محاريب
لاصحاب المذاهب الاربعة وفيه خمسة وسبعون مؤذناً يؤذنون في مناراته الثلاث

وقال بعضهم انه صرف عليه ثلاثة آلاف ألف دينار وبني الجامع الاقصى
بالقدس ومسجد المدينة ايضاً وانشأ هور الضيافات وغيرها فكان هو اول من
فعل ذلك في البلاد الاسلامية سنة ١٨ للهجرة (سنة ٧٠٦ م)
الرملة . مدينة بينهما وبين القدس مسافة يوم واحد بنيت في مدة خلافة
سليمان بن عبد الملك الذي سبق ذكره

وصافة هشام . مشهورة في اراضي الشام بنيت في ايام خلافة هشام بن
عبد الملك المشار اليه

الهاشمية . مدينة عند الانبار بناها عبد الله السفّاح العباسي بعد انقراض
دولة بني أمية المذكورين من المشرق وقيامه هو بالامر وكان اقام اولاً في الحيرة
ثم لما بنى هذه المدينة نقل كرسي الخلافة اليها

بغداد . ويقال بغداد وبغداد وبغدين وبغدان وبغدان مدينة شهيرة في
العراق العربي على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة وسميت مدينة السلام لان
دجلة كان يقال له وادي السلام ولذلك يقال له نهر السلام ايضاً بناها ابن
جعفر المنصور اخو السفّاح المشار اليه في سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٣ م) ولقبته
الزوراء لانه جعل ابواب المدينة الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة وقيل
الزوراء اسم لدجلة سميت به ليلها وانعراجها قال الفارض

ارجُ النسيم سرى من الزوراء سحرًا فاحبى ميت الاحياء

ومعنى بغداد على ما ذكرنا عطية الصنم لان كسرى كان اقطم الخصي له
وكان لم صنم يعبدونه في المشرق يقال له بغ فقال ذلك الخصي بغ داد اي
اعطاني الصنم ولذلك يكره الفقهاء هذا الاسم وكان ابن المبارك يقول لا يقال
بغداد بالنال المعجمة فان بغ صنم وداد عطية وإنما يقال بغداد بالمهملتين
وبغدان ايضاً وقال بعضهم ان بغ بالعجمة بستان وداد اسم رجل يعني بستان
داد

ثم امر المنصور بنقل كرسي الخلافة اليها من الهاشمية وامر ببناء الرصافة^(١) الشهيرة لولده المهدي فصارت هذه المدينة من ذلك الوقت مركز شوكة الخلافة المشرقية وللعلوم ايضاً لانها اخذت في التعاظم الى ان جمع فيها ما كان باقياً من علوم المشرق كما يتضح ذلك مما يأتي في محله
والى الجانب الغربي منها محل يسمى الكرخ كان يسكن به ابو جعفر المذكور وفيه يقول ابن زريق البغدادي

استودع الله في بغداد لي قهراً بالكرخ من فلك الازرار مطلعة
وكانت الرصافة التي مر ذكرها في الجانب الشرقي من بغداد فلما تولّى
الخلافة هرون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين المشار اليهم بنى فيها قصراً
وكانت يومئذ الرصافة ذات بهجة عظيمة وفيها يقول علي بن الجهم
عيون الهوى بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وما زالت الرصافة كذلك في عصر الخلفاء العباسيين حتى انقرضت
دولتهم فانحطت عن عظمتها
وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه ان الحمامات في بغداد بلغ عددها لعمد
المأمون بن الرشيد المشار اليه خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن
وامصار متلاصقة ومتقاربة لتجاوز الاربعين وقال غيره انها كانت اجل مدن
الدنيا في عصرها اقامت نحو خمس مئة سنة دار مملكة الخلفاء الى ان خربت
بفتنة التبار وكانت معدن العلماء والشعراء والفقهاء والمشاهير في كل علم وفن
واما الآن فان سكانها نحو ستين الف نفس وفي ايام الصيف يسكنون في
سراديب تحمى الارض في النهار لشدة الحر ويرقدون ليلاً على السطوح وبنائوها

(١) الرصافة معناه النقاية

من الخزف المعروف بالقرميد وفيها بقايا من دور الخلفاء وقصورهم التي منها قصر زبيدة بنت جعفر المتوكل العباسي زوج هرون الرشيد وكثير من الجوامع والخانات والحمامات وهي مجتمعة للفوافل ربهما يشغل السخنيان والسكاكين مع الجودة وتصطنع اقمشة القطن والحرير ايضاً

مدن اخرى . ولما تولى الخلافة هرون الرشيد المشار اليه أمر بتجديد مدينتي آدنة وطرسوس فاصلحنا وأعيد عمارها وشرع ببناء مدينة الفاطون ايضاً لكن لم يستتمها فخرت ولما تولى الخلافة ابنه المعتصم بالله شرع في تجديد مدينتيها في سنة ٢٢٠ للهجرة (سنة ٨٢٥ م) وسماها سر من رأى فرخمها الناس سامراً وجعلها داراً للخلافة واستخلف ببغداد الى ان تولى الخلافة ابنه الواثق فانتقل منها الى بغداد ورد اليها كرسي الخلافة فخرت سامرا وهي الآن خراب ليس فيها غير القليل من البناء العامر

هذا ما كان من امر المدن وكراسي الخلافة التي كان اسمها العرب بالمشرق وإما ما كان من ذلك بالمغرب فيلزم ان تمهد له أولاً طريقاً لا يضاعج اسباب قيام باقي الخلافات العربية ودولها الثانوية التي استبدت باحكامها وإنشأتها هناك

الخلافة الاموية بالاندلس

لا يخفى انه بعد انقراض دولة الامويين من بلاد المشرق باستيلاء العباسيين على منصب الخلافة ونقرها على السفاح اول ملوك هذه العائلة في سنة ١٢٣ للهجرة (سنة ٧٤٩ م) اخذ هذا الخليفة ومن تولى بعده من عائلته المتقدم ذكرها في استئصال الامويين وابادتهم قتلاً وتشريداً انتقاماً لاهل البيت من الظالمين وما فعلوه بهم منذ قتل علي بن ابي طالب الى آخر مدة خلافتهم فهرب منهم رجل يقال له عبد الرحمن الاول الملقب بالداخل لكونه اول من دخل بلاد الاندلس وامتلكها على ما يأتي وهو ابن معاوية الاموي واسس فيها خلافة ثانية سنة ١٢٩ للهجرة (سنة ٧٥٦) لكنه لم يلقب نفسه بامير المؤمنين

لكونه كان بايع الخلافة بقر الاسلام ومبني العرب بل كان يُلقَّب بالامير وعليه جرى بنوه من بعده حتى كان عبد الرحمن الناصر الثامن من هؤلاء الامراء فتلقَّب بامير المؤمنين وتوارث هذا اللقب بنوه من بعده.

قال بعض مؤلفي الافرنج ان العرب يستمن جميع بلاد سبانيا بلاد الاندلس باسم اقليم من اقاليمها وهو اقليم الاندلس . وسبب ذلك ان هذا الاقليم هو اول ما عرفوه وفتحوه من بلاد سبانيا ويستمنها ايضا جزيرة الاندلس لانهم لا يفرقون بين الجزيرة وشبه الجزيرة مع انهما شبه جزيرة ويقال ايضا بجيشية لا جزيرة منفصلة عن البر وربما شملها عندهم ايضا لفظ المغرب لانهم يقولون للاندلسي مغربيا كما يقولون لمن كان من بلاد افريقية مغربيا ايضا.

وكان منذ استولى عبد الرحمن الداخل المذكور على تلك البلاد انقطعت العلاقة والمواصلة التي كانت بين العرب المتوطنين بالمغرب وبين اهل المركز الذين هم العرب المستولون على بلاد المشرق حتى ان ملوك بني أمية المشار اليهم خلفاء هذا الامير منعوا اهل دولتهم من السفر لفرصة الحج التي هي احدى شعائر الدين الاسلامي كما فعل ملوك اسرائيل (١ ص ٢٣٠-٢٦) فلم ينجح في ايام حكومتهم احد من بلادهم ودام ذلك الى ان انقضوا من هناك بملوك الطوائف سنة ٤٢٢ للهجرة (سنة ١٠٣٠ م).

مدينة قرطبة . ولما بويع عبد الرحمن المذكور بمدينة قرطبة وصارت هذه المدينة كرسيا للملك بنى فيها قصرا ومسجدا أنفق عليهما على ما قيل ثمانين ألف دينار ومات قبل اتمامها

ثم لما استعمل الملك الناصر بعده صارت هذه المدينة مركزا للعلوم ايضا نظير مدينة بغداد كما يتضح ذلك ما ياتي في محله وصرف نظره الى تشييد المباني والقصور وكان جدُّه الامير محمد وابوه عبد الرحمن اختلفوا في ذلك وبنوا قصورهم على اكل الاتقان والضخامة وكان منها المجلس الزاهر والبهو^(١) والكمال

(١) البهو الرواق امام البيت والواسع من الارض والبهو الحسن وفعله بهو ايضا

والقصر المنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه الروضة وجلب الماء الى قصوره من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوقفوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم اخذ في بناء المنزهات فاتخذ ميناء الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من اعلى الجبل على بعد المسافة وجرها في اقنية غريبة الصنعة عدها ابن خلدون المغربي بحيلة الابنية العظيمة والآثار الباهرة التي تحتاج في عملها الى بذل الاموال وتكاتف الرجال قال المغربي في كتاب نفع الطب وكمل الناصر ببيان القناة الغربية الصنعة التي اجرها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة ويصب في بركة عظيمة عليها اسد عظيم الصورة يبيع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد امي منه في ما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لها وبص^(١) شديد يميز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فجبه^(٢) في تلك البركة من فيه فينظر الناظر بحسده وروعة منظره وشجاجة^(٣) صبه فتسقى من مجاهد جنات هذا القصر على سمعها ويستفيض على ساحاته وجناته ويؤد النهر الاعظم بها فضل منه فكانت هذه القناة وبركها والتمثال الذي يصب فيها من اعظم آثار الملوك في غالب الدهر لبعده مسافتها واختلاف مساكنها وفخامة بانيها وسمو ابراجها التي يرقى الماء منها ويتصوب من اعاليها ثم امر الناصر ايضاً بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس

وقد ذكر في بعض المؤلفات الجغرافية ان هذه المدينة بلغ فيها عدد الجوامع ١٦٠٠ وكان بها ايضاً ٩٠٠ حمام و ٨٠٤٥٥ حانوتاً و ٢٦٢٣٠٠ بيت و ١٠٠٠٠٠ من السكان ولم يزل بها بقايا دور الخلفاء التي مر ذكرها وقد قال فيها بعض علماء الاندلس

(١) الويص الليع والبروق (٢) الحج الرمي (٣) الشج السبلان

باربع فافت الامصار قرطبةً
منهن قنطرة الوادي وجامعها
هذان ثنتان والزهراء ثالثة
والعلم اعظم شي وهو رابعها

الرصافة . وكان قبل ذلك اخبط هذا الخليفة مكاناً بالقرب من هذه
المدينة سماه الرصافة باسم رصافة جدّه هشام بالشام والى هذه الرصافة يُنسب
قوم من اهل الفضل منهم يوسف بن مسعود الرصافي ويقال انه يوجد عشرة
مواضع تُسمّى بهذا الاسم حادثة بعد الاسلام

حصص . وكان بنو مروان بعد انتقال دولتهم من المشرق لا يزالون يلجئون
بالشام حباً لها فسموا عدّة بلاد في الاندلس باسماء بلاد في الشام منها انهم
اطلقوا على مدينة هناك تسمى اشبيلية والافرنج يقولون سيقيل اسم حصص ايضاً
وهي التي يقول في نهرها بعض شعراء الاندلس

خليلي بادري الى النهر بكرة
وقف في حيث المديني عيانه
ولا تجز الارحا لان وراءها
يباباً (١) وعيني لا تريد عيانه

قصر الشراحيب . بُني في مدينة يقال لها شلب وهي من معاملة قرطبة
الما ذكرها وكان قصراً مشهوراً وفيه يقول المعتمد بن عباد الاندلسي
وسلم على قصر الشراحيب عن فتى
له ابداً شوق الى ذلك القصر
قصر السرور ومجلس الذهب . بنوها كذلك في مدينة سرقسطة وهي
ذات منزهات كثيرة وفيها يقول ابن هود

قصر السرور ومجلس الذهب
بكما بلغت نهاية الطريق

قصر طليطلة . وهو قصر مشهور يُعرف بهذا الاسم شادّه المأمون بن
ذي النون بمدينة يقال لها طليطلة التي يقول فيها بعض الشعراء

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نصارة ونعيم
الله زينة فوشح خصره نهر الهجرة والنصون نجوم

وكان المأمون المشار اليه جلب الى هذا القصر اهل الصناعة والمهندسين
والمصورين من الاقطار وانقنه الى الغاية وافق عليه امولا طائلة وصنع في
وسط بحيرة وفي وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب
الماء على راس القبة بتدبير احكامه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة على
جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة ما سكب
خلف الزجاج لا يفتقر من الجري والمأمون قاعد فيها لائمه من الماء شيء ولا
يصاله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع وفيه قال ابو محمد البصري

شمسية الانساب بدرية يحار في تشبيهها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى وهب عليه الفلك الدائر

مدن مشهورة . وقد هام العرب بعدة مدن من البلاد التي تملكوها في
الاندلس نظرا لجمال تربتها وحسن منزهاتها منها مدينة بطليوس التي يقول
فيها ابن الفلاس

بطليوس لا انساك ما اتصل البعد فله غور من جنابك او نجد
ولله دوحات تحفك بينها تجر واديها كما شقق البرد

ومن تلك الاماكن المشهورة عين الذهب التي يقول فيها مصطفى افندي

البابي

بأي وبأي وبأي جرعة من ماء عين الذهب

ومنها مرج النضة وهو الذي رأى المعتمد بن عباد غدبه فيجد بهوب
الريج فقال نسج الريج على الماء زرد وامر وزيره ابا بكر بن عمار باجازه
فانهم فاجازته الرميكية بقولها ياله درعا منيعا لو وجد

ومن الجبال المشهورة ايضاً جبل شلير الذي يقول فيه بعض المغاربة وقد
مرّ به فوجد آلم البرد

يجلّ لنا ترك الصلاة بارضهم وشرب الحدياً وهي شيء محرم
فراراً الى نار الحجيم لأنهم اخفّ علينا من شلير وارحم

مدينة الزهراء. اختطها الملك الناصر بعد ان اكمل ابنته بمدينة غرناطة
التي تقدم ذكرها واتخذها مثلاً وكرسيّاً له وانشأ بها من النصور والمباني
والبساتين ما علا على مباني اجناده واتخذ فيها مجالاً للوحش فسيحة البناء
متباعدة السباح ومسارح للطبور مظلمة بالشباك واتخذ فيها دار الصناعة وآلات
اللساح وللحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن. قال بعض المؤلفين كان
الناصر كلفاً بهجرة الارض واقامة معالمها وانسائط مجاميلها واستجلاها من
ابعد مقامها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك واستقام السلم والعدل في ايامه
وانسع نطاق الحضارة وامتد العمران وراجت سوق الزراعة والتجارة ففاضت
على الاندلس ينابيع النعم واحدقت بها مجاري الثروة فكانت جبايتها ستة آلاف
الف دينار وكان عدد مدنها ثمانين مدينة كبيرة وثلاث مئة مدينة صغيرة وعدد
قراها ومزارعها اثني عشر الف قرية ومزرعة على ضفتي النهر الاكبر وقال ابن
سعيد حسباً ذكره الشقندي ان العارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة
بحيث انه كان يمتلئ فيها لضوء السرج الممتدة عشرة اميال واشهر ما بناه الناصر
مدينة الزهراء اعجوبة زمانها وفريدة هذه الايام لو بقيت

وكان السبب في بنائها هذه المدينة جارية كانت له تسمى الزهراء وكان
يحبها حباً شديداً فطلب منه ان يبني مدينة باسمها تكون خاصة لها فبنى أولاً
قصر الزهراء الشهير الآتي ذكره ثم بنى الزهراء حوله على بعد ما بين اربعة او
خمسة اميال من قرطبة وإلى الشمال منها تحت جبل يسمى جبل العروس وقطع
اشجار الجبل وغرسه تيناً ولوزاً ولم يكن منظر احسن من منظر الزهراء ولا سيما في

زمن الازهار وتفتح الاشجار وكان طولها على قول ابن خلكان الفين وسبع مئة
 ذراع من الشرق للغرب وعرضها الف وخمس مئة ذراع من الشمال الى الجنوب
 ونصب فيها ثلاث مئة سارية من الرخام النفيس وجعل بها اكثر من خمسة عشر
 الف باب ملبسة بالحديد والححاس الموه وقال ابن حيان نقلاً عن ابن دجون
 الفقيه عن مسلمة بن عبد الله العريف المهندس العربي الشهير كان مبلغ ما ينفق
 في الزهراء كل يوم ألفاً وأربع مئة بغل وقيل أكثر منها أربع مئة زوامل الناصر
 لدين الله ومن دواب الأكرية الراتبة للخدمة ألف بغل وكان يرد الزهراء من
 الجير والحصى في كل ثالث من الأيام ألف ومئة حمل وقدر بعضهم النفقة فيها
 كل عام ثلاث مئة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاماً وبقي بناؤها أربعين
 عاماً. أما رخامها ورخام السواري فبعث عرفاء بنائيه الى سائر الآفاق يجلبونه له
 فجابوا الأبيض والجزع من الأندلس والوردي والأخضر من إفريقية من أسفاس
 وقرطاجنة ونصب بها حوضاً منقوشاً مذهباً غريب الشكل غالي القيمة جلبه اليه
 أحمد اليوناني من الفسطاطية وحوضاً صغيراً أخضر منقوشاً بتماثيل الإنسان
 جلبه من الشام وقالوا ان لا قيمة له لفرط غرابته وجماله قال المفري ونصبه
 الناصر في بيت المنام في مجلسه الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر
 تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي ما عمل بدار الصناعة
 بقرطبة صورة أسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفي ما يقابله ثعبان وعقاب
 وفيل وفي الجنبين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحلأة ونسر وكل
 ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها اه . وصنع
 في الزهراء بحيرة وضع فيها الحيتان انواعاً انواعاً وكان يخبز لها كل يوم ثمان مئة
 خبزة وقيل اثنا عشر ألف خبزة ويتبع لها من الحصى الأسود ستة أفرقة

وأما قصر الزهراء فكان متناهيًا في الجلالة والنفامة والرواة يقولون لم
 يدخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنخل المختلفة إلا وكلهم قطع أنه لم ير له
 شبهًا بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى أنه كان من أعجب ما يوصله

القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه وكانت مجالسة
مباعدة بافخر انواع الرخام وسقوفها مغطاة بالذهب الابرز وابوابها من خشب
الارز منقوشة نقشا بغير الابواب وعمدها غاية في الاحكام والانتان كانها اُفرغت
في قوالب وكان بها برك عظيمة يجري منها الماء الصافي الى ابدان تماثيل غريبة
الشكل والصنعة تكاد الخيلة تعجز عن تصورها فكيف يجد النظم سبيلا الى وصفها
واشرف هذه المجالس وابهاها المجلس الذي كان يسمى قصر الخلافة وصفته
المفريزي فقال وكان سمكة (اي سفينة) من الذهب والرخام الغليظ الصافي
لونته المتلونة اجناسا وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه
التيمة التي أُنحِت الناصر بها لاون ملك الفسطينية وكانت قرآمد هذا القصر
من الذهب والفضة وفي وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانب
من هذا المجلس ثمانية ابواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع
بالذهب واصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملوّن والبلور الصافي
وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس
وحيطانه فيصير من ذلك نور ياخذ الابصار وكان الناصر اذا اراد ان يرفع
احدا من اهل مجلسه او ما الى احد صفاته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس
كلهم ان البرق من الدور وياخذ بجميع القلوب حتى يجيل لكل من في المجلس
ان الحفل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك

ولكنكف بما ذكر اذ لا يمكن استيفاء وصف كل ما كان بالاندلس من
الاثاث النفيس والمصنوعات الفاخرة والزخارف الزاهرة والنقوش الباهرة
والمساجد المحكمة الشائخة والقصور المزوقة الباذخة والصور والتماثيل والحركات
والحياض والنواير والفوارات الى غير ذلك من غرائبها

وكما ظهر كثيرون من اهل الادب اصحاب مؤلفات شهيرة في بلاد الخلافة
الشرقية كذلك ظهر كثيرون من اهالي الاندلس لا يحصون عددا من المؤلفين
العظام وكابر الادباء والشعراء منهم من مدينة قرطبة ابو الحسن القرطبي ومن

غرناطة يوسف بن الغرناطي صاحب ايجاز الطب وعبد المنعم بن محمد بن عرس
الغرناطي صاحب احكام القرآن ومن اشيلية احمد بن عمر الاشيلي صاحب
الاستيعاب في فقه مالك المتوفى سنة ٤٠١ للهجرة (سنة ١٠١٠ م) وابن عصفور
وابن فرح وابن زيدون صاحب الرسالة الزيدونية الشهيرة والشيخ علي الاشيلي
صاحب الديوان المشهور في الغزل ومن بلنسية ابو حفص عمر البلنسي صاحب
شرح الاربعين المختارة وابن الجوزي صاحب طبقات الحديث واسماعيل بن
ابراهيم البلنسي شارح كتاب اقتباس الانوار وغيرهم مما ينسبون الى الاندلس
كالشيخ محمد بن مالك الجبالي صاحب الالفية المشهورة في علم النحو والنصرى
والشيخ ابي حيان الاندلسي صاحب اللوحة البدرية في النحو وابن هاني الاندلسي
الشهير بمثنوي المغرب تشبيهاً له بابي الطيب احمد المثنوي الشاعر المشهور وفي ابن
هاني المذكور يقول بعضهم

ان تكن زاهداً فكن كأويس - او تكن شاعراً فكن كابن هاني
ان من يدعي بما ليس فيه - كذبه شواهد الامتحان

والهم يُنسب اختراع نظم الموشحات التي منها السبع الشهيرات واصحابها هم
ابن خلوفا المغربي صاحب الديوان المشهور والسلطان ابو العباس المنصور
وابن لسان الدين الخطيب وابراهيم بن سهل الاشيلي وابو الحسن بن جودي
الاندلسي وابو الفاسم الاشيلي وسوف يأتي الكلام على محصولات هذه البلاد
وتجارها

الخلافة الفاطمية بافريقية

هي خلافة شيعية نشأت لآل ابي طالب بافريقية في القسم المعروف الآن
ببلاد المغرب والصحراء حيثما بني الصوريون قديماً مدينة قرطاجنة التي بالقرب
من موقعها الآن مدينة تونس وتسمى الجغرافيون الآن الى سبعة اقسام وهي .

برقة المسماة عند اليونانيين قديماً بنطابوليس اي المدن الخمس وبما افتتحها العرب في صدر الاسلام سموها برقة لكثرة حجاريتها المختلطة بالرمل والستة الباقية هي فزان وطرابلس وتونس والجزائر التي استولت عليها الفرنسية في النصف الاول من هذا القرن ومراكش وفاس

وسبب ذلك على ما يتلخص من كلام ابن خلدون وغيره من المؤرخين ان بني العباس كانوا من فرقة من الشيعة تُعرف بالكيسانية تقول بامامة محمد بن الحنفية بعد عليٍّ ثم الى ابنه ابي هشام عبد الله فلما شرع السلاج في قتال الامويين ليسلب الملك من ايادهم كان يظهر منه انه يريد بذلك الانتقام منهم وارجاع الامر لبني عليٍّ على ما سبقت الاشارة اليه لكن لما ظفر بقصدِه وقتل مروان بن محمد بن مروان آخر خلفائهم استولى على كرسي الخلافة وخطب خطبة في الناس قال في آخرها ان هذا الامر يبقى في يده ويستقل الى اولاده واحفاده من بعده يتداولونه الواحد بعد الآخر الى ان يتسلمه منهم المهدي وكانت دعائه في البلاد كافي مسلم امير خراسان وغيره يؤيدون هذا القول ويذيعونه بين الناس بالاحاديث الواردة في حق المهدي وهي احاديث ذات تأويلات متنوعة على ما ذكره الفاضل العلامة خير الله افندي المؤرخ العثماني ومن جعلها لا مهدي الا عيسى

وكانت شيعة بني العباس من اهل خراسان المذكورة يسمون الرواندية ويعتقدون بان احق الناس بالامامة بعد صاحب الشريعة الاسلامية هو عمه العباس جد العباسيين فانه وارثه لكونه كان حياً حين وفاته ويستندون في ذلك على الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وان الناس منعه ما هو حقه وظلموه الى ان رده الله الى ولده ويتبرأون من ابي بكر وعثمان ويحيزون بيعة عليٍّ لان العباس قال له يا ابن اخي هلم ابايعك فلا يخالف عليك اثنان

اما العباسيون انفسهم فكانوا يدعون على ما ذكره ابن خلدون المغربي

بان الخلافة انتقلت من ابي هشام بن محمد الذي مر ذكره بوصيته الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم بعده الى ابنه ابراهيم الامام بن محمد ثم بعده الى اخيه ابي العباس السفاح المشار اليه واسمه عبد الله بن الحارثية لكن باقي الفرق العلوية كانوا ينكرون عليهم خروج الامر عن سلسله علي لا بوصاية ابي هشام المذكور ولا بغيرها ولا زالوا يقيمون حججهم حتى ان المأمون سابع الخلفاء العباسيين المذكورين كان مال الى راءهم واوصى بالخلافة من بعده لرجل منهم يقال له علي بن موسى الرضا على ما ذكر ذلك في الفصل الرابع من المقالة الرابعة من هذا الكتاب وزوج ابنته ام الفضل بمحمد بن علي المذكور واولا وفاة علي هذا في حياة الموصي الذي هو المأمون المشار اليه لكان خرج الامر عن بني العباس وعاد الى العلويين ولم تجد نفعا اجتماعات عصاة بني العباس في مقاومة المأمون وخلعه من الخلافة وتولية عمه ابراهيم بن المهدي لانه بدد جمعة اخيرا وظن به وعفى عن قتله لكن لما آسف العباسيين حسن حظهم وقتله هوت علي المذكور عدل المأمون عن لون الخضره الذي كان تظاهر بلبسه ورجع الى لبس السواد شعار العباسيين وكان قد نزع فرده الامر الى بني العباس وسوف يأتي ذكر السبب الذي لاجله اختار العباسيون لبس السواد حتى انهم جعلوا رايانهم ايضا سودا وكان ذلك في ايام ابي جعفر المنصور ثاني خليفة منهم (راجع الفصل الاول من المقالة الثامنة)

وكان في الوقت الذي نال فيه السفاح العباسي حظ الخلافة كان اغلب الجيش الاسلامي يرى ان هذا المسند العظيم هو حق علي وبنوه وبصرف النظر عن العلوي الذي أحدثه بعض فرق شيعته فيه ولذلك كما ان هذا الخليفة اراد ان يهد ساطننه ويقوي شوكة تلك الخطبة التي اشرنا اليها وهي ان الامر لا يخرج عن عائلته الا ليد المهدي تحوات كذلك عزائم اخيه ابي جعفر المنصور المشار اليه بعد ان تولي الخلافة بعده الى اذلال العلويين وابادة كل من كانت تلحق فيه الكفارة لازاحته على منصبه وذلك لما ان ظهرت في ايامه الدعوة بمصر لمحمد

ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولاخيه وكان الداعي علي بن محمد المشار إليه وأتبع اثر أبي جعفر المذكور في ذلك خلفاؤه من بعده الى ان قام بالخلافة محمد المستنصر العباسي فكتب الى عامله بمصر ان لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من اطرافها وان يعمل من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين احد الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة وكتب الى العمال بذلك وكان كل من استغاث بالحسن والحسين يزيدون في قصاصه وتعذيبه

ثم لما تولت الخلافة المعتضد بالله العباسي كتب الى ابن مدرار عامله بسجاسة من بلاد المغرب ان يقبض على رجل من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب يقال له عبيد الله فأخذ وحبس الى ان اخرجته رجل يقال له ابو عبد الله الشيعي من محبسه بدعى انه هذا هو المهدي المشار اليه في ما مر ومن ثم تكفى هذا الاسير المعتوق بسيف أبي عبد الله المذكور باي محمد وتلقب بالمهدي وتبعه مسلمو المغرب فأسس خلافة جديدة للعلويين في بلاد افريقية الماز ذكرها كان هو اول خلفائها وذلك في سنة ٢٩٧ للهجرة (سنة ٩١٤ م) وجعل هذا الخليفة دار اقامته اولا مدينة يقال لها رقادة وهي بالقرب من مدينة مستعينة يقال لها القيروان بنيت في صدر الاسلام وكانت يومئذ قاعدة تلك البلاد وحيث كان يدعي الألوهية قال في ذلك بعض تابعيه

حلّ برقادة المسيح حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها الله ذو البرايا وما سوى ذاك فهو رنج

وقوي امر هذه الدولة بالمغرب وافريقية وجهروا بذهب الاساعيلية وبثوا دعائهم في ارض مصر وامتلكوها في سنة ٣٥٨ للهجرة (سنة ٩٦٨ م) ولما لم تستطع الخلفاء العباسيون ان يقاوموها بقوة الاسلحة عمدوا الى الاستعانة عليها

بالطعن على نسب عبد الله المذكور فقالوا ان جدّه كان اما يهودياً او مجوسياً وساعدتم على ذلك بعض العلماء باثباته لكنهم لم يأتوا بباطل فقد حامي هذه علماء آخرون ودامت سلطة ذريته التي كان منها الحاكم بأمر الله صاحب ديانة الدروز التي انتشرت في ايامه ببلاد مصر والشام الى ان انقرضت دولتهم بدولة الأكراد الايوبية التي انشأها في مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الملقب بالناصر قبل انقراض الخلافة العباسية من بغداد بخمسة وعشرين سنة

المهديّة . وكان اول مشروعات المهدي المذكور هو بناء مدينة في القيروان سماها المهديّة نسبةً له وذلك بعد ان كافأ ابا عبد الله الشيعي وإخاه بالقتل كما فعل قبله السفاح العباسي ايضاً باي مسلم الخراساني واختر هذه المدينة جزيرةً متصلةً بالبر كصورة كفتٍ انصلت بزند وجعلها دار ملكه وادار بها سوراً متحكماً وجعل لها ابواباً من الحديد ووزن كل مصراعٍ مئة قنطار وكان شروعه في بنائها سنة ٢٠٣ للهجرة (سنة ٩١٥ م) وانشأ بالقرب منها في الجبل داراً لانشاء السفن تسع مئة سفين ويحيط في ارضها اهراء للطعام ومصانع للماء ونى فيها القصور والدور ودون الدواوين وجي الاموال وبعث العمال الى البلاد

المسبلة او المحمدية . مدينة بناها الخليفة المشار اليه في ارض بني كلان من هواة وكان اسمها المسبلة فساها المحمدية وحصنها وجعلها مخزناً للاقوات الفاهورة. ثم لما استولى حفيده المعز لدين الله على بلاد مصر بعد موت كافور الاخشيدى شرع وزيره جوهر الفائد الذي كان قائد جيوشه في ذلك الفتوح ببناء القاهرة مصر واسس مدرستها الكبرى الشهيرة بالجامع الازهر فنقل اليها المعز المذكور ما كان في قصره بالمهديّة من الاموال والامثلة وسار اليها في سنة ٣٦٣ للهجرة (سنة ٩٧٢ م) بعد الشروع في بنائها باربع سنوات واتخذها منزلاً له ولخلفائه الى آخر دولتهم ولما تولى الخلافة الفائق بنصر الله عيسى بنى فيها وزيره الصالح بن رزيك المشهد الحسيني ثم لما تولى سلطنتها الملك الناصر

صلاح الدين يوسف بن ابوب تحت الراية العباسية بنى فيها قلعة الجبل والبئر المشهورة بها المعروفة ببئر يوسف وعمتها ثلاث مئة قدم ومع ذلك يمكن النزول فيها الى العمق ولو لم ينزل راكباً على حمارٍ لما فيها من الدرج الدوار

سلطنة مراکش

وكان بعد ان افترضت دولة الفاطميين على ما ذكرنا في ما مر استقلت عمال البلاد في اقسام هذه المملكة فكانت مصر نصيباً للسلطان صلاح الدين الايوبي المار ذكره وكان من اهل السنة فتسلط عليها تحت راية الخلافة العباسية وكذلك بلاد افريقية التي كانت منشأ لتلك الخلافة استقلت بها عمالها على ما تقدم وهي الآن تحت سيادة الدولة العلية العثمانية وتسمى بالوجاقات ولم يفقد منها الا الجزائر التي استولى عليها الفرنسيون على ما تقدم

واما بلاد مراکش التي هي احدى الاقسام المذكورة فان الافرنج تعتبرها والحالة هذه امبراطورية يعني ان صاحبها الذي استقل بها ملك ملوك لكن العرب تطلق عليها اسم سلطنة المغرب ونسبة سكان هذا القسم للعرب على ما ذكره ابن خلدون وغيره من المؤرخين كنسبة سكان باقي الاقسام المذكورة في افريقية فان اصلهم من البربر سكان القفار الكائنة وراء صحاري الريال الممتدة في تلك الاراضي ثم تدينوا بدين الاسلام بعد استيلاء العرب على بلاد الاندلس واختلطوا بهم اختلاطاً كلياً حتى انهم لم يعودوا يتمازجون عنهم في شيء اصلاً وكانت الرياسة فيهم لقبيلة يقال لها لمتونة وكانوا يغيرون على بلاد السودان المجاورة لهم منذ استيلاء عبد الرحمن الداخل الاموي على بلاد الاندلس واستولوا على عدة مواضع منها الى ان صار لهم مملكة واسعة وتعاظم امرهم على عهد عبد الرحمن الناصر بالاندلس وعُبد الله المهدي بافريقية وكانت خرجت طائفة من قبيلة لمتونة المذكورة في اثناء تلك الغارات

هاججة على جماعة من اعدائها فخالها العدو الى بيوتها ولم يكن باقيا بها الا المشايخ والصبيان فامروا النساء ان تلبسن ثياب الرجال وتحملن السلاح ففعلن ذلك وظفرن بالعدو فن تم جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب فسموا من ذلك الوقت بالملثمين ولما ان استغل ملكهم في عصر الخليفة بن المشار اليها قام بالملك عليهم رجل من امراءهم يقال له يوسف بن تاشيف بن البتوني وسمى نفسه امير المسلمين

مراكش . فاخط هذا الامير مدينة في بلاد افريقية سنة ٤٥٤ للهجرة (سنة ١٠٦٣ م) وهوانه ادار سوراً على مسجد وقرية صغيرة ليحفظها مخزناً لاملو له وسلاحه وكانت تلك القرية في غابة من الشجر تأوي اليها اللصوص قبل ذلك فكان سكان تلك البلاد عند ما يرون بها يقولون بعضهم الى بعض مراكش ومعنى ذلك في لغتهم امش مسرعاً فصار هذا اسماً لذلك الموضع وبه سميت تلك المدينة ثم لما تولي الملكة بعده ابنة علي تم اسوارها واكمل تشييدها في سنة ٥٢٦ للهجرة (سنة ١١٣١ م)

واستمرت هذه المدينة كرسي ملكة الملثمين الى ان زالت دولتهم وقام بعدها حكام غيرهم ثم استقر حالها على الملوك المتسلطين عليها الآن . قال بعض المؤلفين ان هذه البلاد كانت تابعة للخلفاء العباسيين في القديم ثم اضيفت الى الدولة الفاطمية ثم استقلت بنفسها ومنذ نحو ثلاث مئة سنة اعني في اثناء القرن العاشر للهجرة والسادس عشر الميلاد تولي عليها احد شرفاء البلاد ولم يزل الملك بيد نسله الى الآن ومدينة مراكش المذكورة قصبة لملكهم واهلها نحو مئتين وسبعين الف نفس والديانة المتبعة هي الدين الاسلامي ويوجد بينهم كثير من اليهود

مغادور . وفي سنة ١١٧٤ للهجرة (سنة ١٧٦٠ م) عمرو مدينة سموها مغادور وهي فرضة عظيمة

مكناسة . ويلى مدينة مراكش مدينة مكناسة ويقال لها مكناسة الزيتون

وهي على نهر فلل يقيم بها سلاطين مراكش غالب اوقاتهم وفيها يقول بعض الشعراء

انظر الى مكناسة الزيتون بين الاباح والجبال المجون
وكأن فلل بينهم مهند بين تعطف وسكون

ويقال انه كان بالقرب من مدينة سبتة المجاذبة لجبل طارق منتزهات كثيرة اشهرها مكان يقال له ييلونش بينه وبين سبتة جبل مستوعر وفي ذلك يقول بعضهم

ييلونش جنة ولكن طريقها ينقطع الباطا
كجنة الخلد لابرهما الا الذي جاوز السراطا

وقد اشتهر في هذه البلاد بعد ان ازهرت الآداب والمعارف في مدينتي القيروان وتونس في عصر الخلفاء الفاطميين جماعة منهم ابو الحسن علي الوداني نسبة الى مدينة تسمى ودان وهو شاعر ومن قوله

من يشتري مني النهار بليغ لا فرق بين نجومها وصباحي

والشيخ الصفاقسي نسبة الى صفاقس وهو صاحب المصنفات في العروض والشيخ عفيف الدين التلمساني نسبة الى مدينة تلمسان وهو صاحب الديوان المشهور

وسوف يأتي الكلام على محصولات هذه البلاد وتجارها

مساكن الوبر اهل البادية

واما عرب البادية الرحالة الذرالة فكانوا يسكنون الخيام ويتبعون في نزولهم الاراضي المطورة طلباً لمراعي مواشهم وكانوا قبل رحيلهم لا بد من ان يرسلوا رائداً ليتفقد لهم مواقع المطر ومنابت الكلال التي تصلح لنزولهم فيها ولما

كانوا لا يرتابون في ما يخبرهم به رائدهم لما ان النفع مشترك بينه وبينهم ضربوا
المثل بصدقهم فقالوا لا يكذب الرائد اهله
وكانوا يسمون الخيمة التي يسكنونها بستارة فتجيب فيها النساء وهي عادة
قديمة جداً عند سكان الخيام^(١) قال بعض المؤلفين حيث اقتضت غيرة
العرب ان تكون مساكن النساء في ظهر الدار كانت المساكن التي في مقدم
الدار للرجال وجعلوا البيت الذي يضرب في مقدم البيوت منزلاً للغرباء فلا
تكون فيه المخدرات ويسمونه البهو والذي يضرب للنساء في المؤخر يسمى
الخدر قال معمر بن مثنى البصري لا يكون خدرًا الا اذا كان خلف امرأة ولا
فستر

ومن انواع هذه البيوت ما يسمى بالسرادق وهو خيمة من نسج النطن
والفسطاط^(٢) وهو بيت كبير من الشعر والخباء بيت من الصوف قال
الاصمغاني هو ما يكون على عمودين او ثلاثة والنجاد من الوبر والقشع من جلد
والستر من طين باس والخيمة من غزل والقبة من اللبن والحظيرة من
الشبر والطراف من الادم

وقال ابن خلدون وكان العرب لهدد الخلفاء الاولين من بني أمية انما
يسكنون في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك وهي خيام من الوبر
والصوف فكانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حللهم واحياتهم
من الابل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد فلما نزلوا المدن والامصار
وانتقلوا من سكني الخيام الى سكني القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر^(٣)

(١) انظر ذلك ص ٩٨

(٢) الفسطاط والنسائط والنسائط والنسائط والسرادق من الابنية ج
فساطيط والنسائط بالضم مجتمع اهل الكورة وعلم اهل مصر القديمة وبعضهم يقول كل
مدينة فسطاط بالكسر

(٣) يريد بذلك من الركوب على ظهر الابل الى الركوب على ظهر الخيل

اتخذوا المسكن في اسفارهم الاخبية والفساطيط والغازات^(١) من ثياب الكتان والصوف والفطن يجدل الكتان والفطن فيبأى بها في الاسفار وتُنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار حتى ان السباغ الذي يُضرب مستديراً على فساطيط الامير وفازاته ويسمى بلسان البربر من اهل المغرب افراك اخض به السلطان في ذلك الفطر فلا يكون لغيره وصاروا يحفظون في ذلك بابلغ مذاهب الزينة والاحتفال وكان الملك في الجاهلية اذا ضرب على رجل قبة من ادم حمراء عُرِف قدره منه ومكانه عنده

وعندهم البيت اسم مسقف واحد له دهليز واصله من بيت الشعراى الصوف سمي به لانه يبات فيه وقال الاصمغاني هو ما كان على ستة اعمدة الى تسعة وقيل ما كان من مدير فهو بيت ومن كرسف فهو سرداق ومن صوف او وبر فهو خباء ومن عيلان فهو خيمة ومن جلود فهو طراف ومن حجارة فهو اقبية اما الجرموز فهو البيت الصغير والحوض الصغير والجنز البيت الصغير من الطين والنجرة الغرفة والنجلة كالقبة وهي موضع يزين بالثياب والاسرة والستور للعروس او ستر للعروس في جوف البيت والمنازل اسم لما يشتمل على بيوت وصحن مسقف ومطبخ ويسكنه الرجل بعياله والدار اسم لما اشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف والبيت يُجمع على ابيات وبيوت وجمع الجمع ابايت وبيوتات وهذا الاخير يختص بالاشراف يقال هو من اهل البيوتات اي الشرف وهم اصحاب الحسب والنسب والجِدل والأطم القصر والأجم الحصن

وكل بناء عال فهو صرح وكل بناء مربع كعبة وكل بناء مربع مسطح آجم

(١) الغازة مظلة ذات عمودين ومنه قولهم ضرب الغازة بالغازة يعني نصب المظلة المذكورة في المفاضة

وكل بناء مرتفع وكل حصن ميني بمجاعة وكل بيت مربع مسطح أطم وأطم
والبيوت المتقاربة أصيصية والبيت المبني من حجر أفن ج أفن والبيت يبنى طولاً
أزج والصغير من البيوت حفش أما المنزلة أي البيت الصغير توضع فيه
الامعة فهي مخدع من الخدع أي الاخفاء والعظيم من الابواب رتاخ ورحبة
المكان ساحته والدار الخاوية هي التي ليس بها ساكن وبئر نزع ليس فيها ماء
والوطن للناس وأما المألف والمراح فهو الابل والاصطبل للدواب
والزريبة للغنم والعربى الاسد والوجار للذهب والضيع والخنل الارنب وفي
محيط المحيط الخزة موضع الارانب ومنه اشتق اسم الخز الثوب باعتبار نعومتها
كأوبارها والمكو للارنب والتملب والخز للضيع والشعاب والكناس للوحش
والادجي للنعامه والافحوص للقطا والوكن للطير والقرية للبل والنافقا للبربع
والخاية للخنل والخجر للضب والحية وقيل الحجر كل مكان تكثر الهوام والسباع
لانفسها جمعة حجرة واجمار واججرة

أما البلدة فهي محلة لا سورها فان كانت ذات سور فهي المدينة وكل
مدينة جامعة فسطاط والعظيم من المدن قصبة وقاعدة وعاصمة وأما موضع
الخافة من فروج البلدان وما يلي دار الحرب فهو ثغر والصغير من الثغرى كثر
والعظيم من الحائط سور وكل بقعة ليس فيها بناء عرصة والواسع من كل شيء
رحب والعظيم من الطرق شارع وثقب والواضح منها خيدب ومرصاد
ووسط الطريق ومعظمه منهج وشجبة وجادة والطريق الواسع مهبج والطريق
المستقيم نسب والطريق في الجبل شعب والطريق في الاشجار غرق والطريق
الواسع بين جباين فج والطريق الضيق زقاق والطريق المتهد درب والطريق
غير نافذ الردب والطرق المحفرة الحجج والطريق يستقيم مرة ويعوج اخرى
الحجج والمخبة المكدودة بالمخافر الحرت وكل محلة دنت منازلها حارة وكل
محلة لا يسكنها اهل الاسلام عديمة وربما عبر عنها بالخراب ايضاً والمجرما
حول المدينة وباعة الدار ساحتها والجبل ساحة البيت

واطلال الديار هو عماد خيامها وحجارة نوعها^(١) وقيام انافيها^(٢) وتراكم
كرسيها^(٣) ورسوم الديار آثارها من الارض من حزنوى^(٤) او حفر وتدير أُخرج
منها اورماد او بعراً او ابوال او اثر لصب صبيان فاذا كانت اطلال الديار
قائمة ورسومها دارة فهي المائل والأفحاج وهي التي تعفي الآثار وتدفعها
ويسمون فناء النار العذرة لكن لما كانوا يطرحون فيها الغائط فكانوا
يكنون بها عنه ثم كثر حتى سمي الغائط بعينه عذرة

اما سعوف النار فهي الثور وهو انا لا يشرب فيه والقصعة والقدر من شعرات
مناع البيت وكلها الخاش ماش هي امة لا خير فيها كالخيش والجواء والخجاة
او الخجوة وهو وعاء القدر او شيء توضع عليه من جلد او خضفة ونحوها
والجعال خرقة تنزل بها القدر عن الاثافي والخرش والبقاق سنط مناع البيت
والحش الجرة او الضغمة من الجرار او الخشبث الاربع توضع عليها الجرة ذات
العروتين والكرامة غطاء الجرة والحش والحشة حديدة تحش بها النار اي
تحرك والحضج والحضأ والحضاء عود تحرك به النار والجبهل والجبهلة خشبة
يحرك بها الجهر والثفال الابريق وجال يسقط فتوضع فوقه الرحي فتطحن باليد
ليسقط عليه الدقيق والثفال الحجر الاسفل من الرحي والمثيلة رخامة يُثقل بها
البساط والجبل البسط والاكسية . والاريكة سرير في حجرة او كل ما يتركب عليه
من سرير ومنصة وفراش او سرير منجد مزين في قبة او بيت فاذا لم يكن فيه
سرير فهو حجلة والأيصير حبل قصر يشد به اسفل الخباء الى وتد وكسالة

(١) النوى حفرة حول الخباء لئلا يدخلها المطر

(٢) الاثافي حجارة يوضعون بها لينصبوا عليها القدر وهي آنية الطبخ والواحدة منها
اثنية واذا كانوا في ذبل جبل وضعوا اثنتين والجبل الثالثة فيكون الجبل اثني الاثافي
والدلك يقولون في امثالهم ثالثة الاثافي بضر بونه للثقل والداية العظيمة

(٣) الكرسي بالكسر الابل والابعار نأبد على بعضها بعضاً وبطلق ايضاً على ايات
من الناس مجتمعة والاصل ايضاً الكرسي

يُحْمَشُ فِيهِ وَالْأَرْضُ بِسَاطِ ضَخْمٍ مِنْ صُوفٍ أَوْ وَبَرٍ وَالْأَهْرَةُ مَتَاعُ الْبَيْتِ وَالْبَقَطُ قِمَاشُ الْبَيْتِ وَالْفَاثَةُ أَيْضًا وَمِنْهُ الْقَثَرْدُ وَهُوَ الْكَثِيرُ لِمَاشِ الْبَيْتِ وَمَا لَا يَحْمَلُ مِنَ الْأَمْنَعَةِ عِنْدَ الرَّحِيلِ وَالنَّسِيٍّ مَا سَقَطَ مِنْ مَنَازِلِ الْمُرْتَحِلِينَ مِنْ رِزَالٍ اِمْتَنَعَهُمْ وَاحْفَاشُ الْبَيْتِ قِمَاشُهُ وَرِزْلُ مَتَاعِهِ وَالْمَاعُونُ مَا يَسْتَعَارُ مِنَ الْإِنَاثِ يَوْجَدُ فِي الْبُيُوتِ

— ❦ —

الفصل الثاني

في ملابس العرب وحليها

يَقَالُ إِنَّ مَلَابِسَ الْعَرَبِ حَتَّى الْآنَ لَمْ يَتَغَيَّرْ نَمُودُ جِهَتِهَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ وَفِي الْأَعَصْرِ الصَّاعِدَةِ جَدًّا لِحِجَّةِ الْأَوَّلِيَّةِ وَهِيَ طَوِيلَةٌ كَمَلَابِسِ الْأَتْرَاكِ وَالْعَجَمِ وَقَدْ يَلْبَسُونَ أَيْضًا سُرَاوِيلَ وَاسِعَةً وَيَنْتَظِقُونَ بِجَرَامٍ مِنَ الْجِلْدِ وَفِيهِ خَيْبَرٌ وَنَحْوُهُ وَيَغْطُونَ رُؤُوسَهُمْ بِالْكَوْفَانِي وَالْعَامَةِ نَقُولُ الْكَفَافِي وَهِيَ أَشْبَهُ بِمَنْدِيلٍ كَبِيرٍ مَنْسُوجٍ مِنَ الصُّوفِ الْخَشْيِيِّ وَغَيْرِهِ وَيَلْفُونَ عَلَيْهَا عَصَائِبَ مِنْ غَزَلِ الصُّوفِ الْمَبْرُومِ أَيْضًا وَتُسَمَّى بِالْعَقَالَاتِ وَاحِدُهَا عَقَالٌ وَكَثِيرُهَا عَقَالٌ مِنْ يَلْبَسُ الطَّوْفَانِي وَاحِدُهَا طَافِيَّةٌ وَهِيَ الْعَرَافِيَّةُ وَفَوْقَهَا الطَّرَائِشُ الْمَعْرُوفَةُ ثُمَّ يَضَعُونَ فَوْقَهَا الْكَوْفَانِي وَالْعَقَالَاتِ الْمَذْكُورَةَ أَوْ يَتَعَمِّمُونَ عَلَيْهَا بِالْعَامِئِ وَتُسَمَّى الْعَصْبُ أَيْضًا عَوْضًا عَنِ الْعَقَالَاتِ

وَالْعَامِئُ نِيْجَانُ الْعَرَبِ وَتُحْمُ فُلَانٌ عَلَى الْجَهْلِ سُوْدَ كَمَا قَبِلَ فِي الْعَجْمِ تُوْجَ وَهِيَ أَنْوَاعٌ مِنْهَا نَوْعٌ يُقَالُ لَهُ الْحَوْتَكِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ حَوْتَكِي^(١) وَنَوْعٌ آخَرُ

(١) وَفِي اللَّغَةِ يُقَالُ لِكُلِّ صَغِيرٍ حَوْتَكِي

يقال له اعتمار الميلاء وهو تكوير العمامة منعطفة الى احد الجانبين ونوع ثالث يقال له الفناء وهو ما ليس له عذبة اي لا يسدل من العمامة طرفها ونوع رابع يقال له الطابقية وهو الافتعاط يقال اعتم فلان العمة الطابقية اي اقتعط يعني نعم ولم يدّر تحت الحنك قال ابن خلدون ان العرب يرسلون من اطراف عمامتهم عذبات يتلثم قوم منهم بفضها وهم عرب المشرق وقوم يلقون منها الليث والاحدع^(١) قبل لبسها ثم يثلثمون بها تحت اذقانهم من فضها وهم عرب المغرب وقال الاصمعي في كانت العادة في صدر الاسلام بان الخلفاء لا تُعزى في العمام فكان من يدخل اليهم معزيا يلبس عمامته وراء ظهره وقال آخرون ان في عصرنا هذا يمتاز المسلمون بلون العمام وصورتها النادرة وطرق الفراء الخ فيميز الشريفة بالاخضر والرفاعي بالاسود

وكل رجال البادية تلبس الكساء والعباءات المشوكة من شعور المعز والابل والعباءات جمع عباءة وهي كساء من صوف بلا كمين او ثوب مربع مطبق مشقوق من الوسط وله نقورة في مثل الرقبة وفخنان من الجهتين يخرج منها الذراعان وذكر مطبرون بان امتحانها قبل الشراء لمعرفة جودتها يكون باراقنة دلو ماء عليها فان كانت جيدة لا يذهب من الماء شي ولا قد يقع ان الماء يبقى عليها نحو ثلاثة ارباع الساعة ولا يذهب منه فطرة واحدة

ولهم لبسة يقال لها اشتال الصباء وهي ان يرد الرجل كساءه من قبل يمينه على يده اليسرى وعائنه الايسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعائنه الايمن فيغطيها جميعا

واغلبهم لا يلبسون النعال فتصالب بطون ارجلهم حتى تقوى على تحمل الرمال المحرقة ولكن في الجبال يسترونها بجلود الغنم

(١) الاحدع احد عرقين يقال لما اخذدان يكونان في العنق في موضع الحمامة وهما شعبتان من جبل الوريد

ونساء الفقراء منهم يلبسن قميصاً وسربالاً^(١) لا غير والحديقة السن من النساء تلبس الشوذر وهو المخنفة فارسي معرب او برداً يشق من غير جيب ولا اكمام

وهنا نذكر ما امكنا جمعة من بعض كتب اللغة من اسماء انواع الملابس المعروفة عند العرب

١ الانب برد يشق في وسطه فتلبسه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين . والانحي والانهية والمخمة برد تنسج في بلاد العرب . والخصاب ثياب للعرب معروفة عندهم والاختى ثوب مخطط . والأردن ضرب من الخنز الاحمر . والاسديق الديباج الغليظ او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حرير صفاق . والاصدة قميص صغير يلبس تحت الثوب وابو قلمون ثوب رومي من ابرسم يتلون للعبون الوانا . والاندرد والاندردية اسم لنوع من السراويل مشتمر فوق الثبان او هي الثبان . والاماط جمع نمط وهو ما يبسط من صنوف الثياب والاسدي ثياب ضرب من الثياب او من الجوخ

ب الباغرية ثياب من الخنز او الكحرير . والبث وهو كساء غليظ من وبر او صوف وقيل طيلسان من خنز واليجاد ثوب مخطط . والبخني والبخك والبخق خرقه تنقع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها في الخمار من الدهن والبرجد كساء غليظ مخطط . والبرد كساء اسود من الصوف يُلحف به والثوب المخطط ج برود . ومنها البرود السديرية نسبة الى السدير ارض باليمن والبرود السعدية ضرب من برود اليمن منسوب الى سعيد بن العاص . والبرود المسهمة هي ثياب مخططة من نسج اليمن . والبرنس قلنسوة طويلة كان النساء يلبسونها في صدر الاسلام وكل ثوب رأسه منه دراعة كان اوجبة او ممطراً . والبرقع خريقة تنقب للعبين تلبسها نساء الاعراب فتستر الوجه فقط . والبريم خيطان مختلفان احمر وابيض تشده الجارية على وسطها وعصدها

(١) السربال التنبص او الدرع او كل ما يلبس ج سراويل

وحيل المرأة فيه لوان مزين بجوهر . والبز ثياب الكتان والظن والبركان
او البرنكان الكساء الاسود . والبطاح ما كان احد طرفيه مخلاً او وسطه
مخمل وطرفاه منيران . والبقيرة كالانث يعني قميص لا يكمن له تلبسة النساء .
والبنادك بنائى القميص

ت التهمة البرود المخططة بالصفرة وثياب التهمة ما يلبس المطلق امرأته
اذا متها . والتبان كالهيمان شلاد السراويل او تكة لها او ما يجعل فيه الدراهم
ويشد على الخنق

ث الثياب شبام البرقع وسير يشد به الرجل والثوب يجمع على اثواب
ومتها الثوب المعرج وهو المخطط في التواء وثوب وارش او ورش اخضر والثياب
الموثجة الرخوة الغزل والنسيج وثوب برود ليس له زبر

ج الجبة ثوب مقطوع الكم طويل يلبس فوق الثياب او الدروع والجديلة
شبه انب من ادم تنزر به النساء الحواض والصبيان والجيز لباس للنساء من
الوبر وجلود الشاة . والجرفقي ضرب من الاكسية . والجرموق ما يلبس فوق
الخف لخنطه من الطين والجلباب والجلباب قميص وثوب واسع للمرأة دون
المخنة او هو ما تغطي به ثيابها من فوق كالخيمة او هو الخمار والجناد ضرب من
الثياب والجنية خرقه تلبسها المرأة تغطي من راسها ما اقبل وادبر غير وسطه
وتغطي الوجه وجنبى الصدر وفيها عيان محبوبتا كالبرقع والجهرمية ثياب من
نحو البسط او هي من الكتان منسوبة الى جهرم بلد بفارس والجودثي اسم
للكساء . والجودباء مدرعة من صوف الملاحين . والجيد المنزعة الصغيرة
والجمازة دراعة من صوف قصيرة الكمين

ح الحبر البرد الموشى والثوب الجديد الناعم والحبر الوشي والحبر
الناعم الجديد والبرد الموشى والثوب الجديد ج حبر والحبرة ضرب من برود
الين . والحبس نطاق الهودج والمفرمة وثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم
عليه . والحجرة معقد الازار وموضع التكة من السراويل . والحذاء ما يلبس في

الأرجل من الثعلب والمخرج أثواب تبسط على حبل لتجف ج حراج . والحرض
من الثوب حاشيته وطرنه وصنفته . والحشيب الثوب الغليظ . والحقاء الأزار
ومعقده . والحقو والحفوة الكشح والأزار ومعقده أيضاً . والحيفة الخرقه برقع بها
ذبل القميص من خلف . والحلة ثوب من جنس واحد ساتر لجميع البدن .
والخوف جلد يشق كهيئة الأزار تلبسه الخيض والصبيان أو أديم أحمر يقذف أمثال
السيور شذراً تلبسه الجارية فوق ثيابها أو نقبة من أدم نقد سيوراً عرض السير
أربع أصابع تلبسها الصغيرة قبل ادراكها والحنب وشي تعلق المرأة به الحلي
وتشدّه في وسطها

نخ الحبيّة رداء من خنز والخنايف الخلفان من الثياب والخدافل الثياب
البالية والخدعل ثياب من أدم تلبسها الحوائض والرعن والخدقرة القطعة من
الثوب والخزراق ثوب أو ثياب بيض والخسرواني نوع من الثياب منسوب
إلى خسرو بن انوشروان ملك من ملوك العجم والخصاص الثوب الصغير
والخصار الأزار والخصف الثعل ذات الطرق وكل طراق منها خصفة والتابع
قميص بلاكم والخمس ضرب من برود اليمن زعموا أن أول من علمها ملك
يقال له خمس وقال بعضهم بردة اخماس هي بردة تكون خمسة اشبار ومن
ذلك المثل المضروب هما في بردة اخماس يضرب للرجلين تحاباً وتقارباً أو
فعلاً فعلاً واحداً أو يشبه احدها الآخر كأنها في ثوب واحد . والخجعل قبل
قميص لا كمين له وقيل الفرو أو ثوب غير مخيط الفرجين أو درع يخاط احد
شقيه ويترك الآخر تلبسه المرأة كالقميص والخزري العامة من نكت الخنز

د الدخار الثوب المصون وهو فارسي معرب أصله نحت دار والدرع
قميص تلبسه المرأة^(١) والدفني ثوب مخطط . والدمقس الأبريسم أو الفز أو
الديباح أو الكتان أو الحرير الأبيض

ر الرداء الخففة يشتمل بها والثوب . والردن أصل الكم كانت العرب

(١) الدرع هنا مذكر وأما درع الحديد فهي مؤنثة

تضع فيه الدراهم والدنانير والرازية ثياب كنان بيض . والررف الرقيق من ثياب الديباچ وكل ثوب عريض والبسط وخرقة تخاط في أسفل السراقد والريطة ثوب يُلبس على الفخذين

في الزينبي ضرب من البرود

من السارية نوع من الثياب الرفيعة يُنسب الى سابور كورة ببلاد فارس . والسميل ثوب لا يُبرم غزله وثوب ابيض او من القطن . والسجل الثوب الابيض من القطن ايضاً . والسدوس الطيلسان الاخضر والسندس ضرب من نسج البر او من رقيق الديباچ

ش الشملة نوع من الاثواب

ط الطبر الكساء البالي من غير الصوف ج اطار والطيلسان ثوب ليس له بطانة او كان من قطن وقيل العدة اي طرف العمامة يُسدل على الكتف وقيل الطيلسان كساء مدور اخضر لا أسفل له لحمة او سداً صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشائخ

ع العصب ضرب من برود اليمن . والعقب خمار للمرأة . والعقل ضرب من البرود وقيل ثوب احمر يجلل به الهودج . والعمة كل ثوب احمر او المرقط الاحمر . والعياب جمع عيبة الثياب

غ الغلطاق ثوب يُلبس فوق الثياب بلا كمين

ف الفزند ضرب من الثياب . والفضلة ثوب واحد يلبس للحنف في العمل والقوط ثياب تجلب من السند او مازر مخططة . والفوف نوع من برود اليمن ق القيا القنبار والقياطي ثياب بيض رفاق من كنان تُنسج بصر والقدم ثوب احمر والقرط ضرب من البرود وقيل ثوب احمر يجلل به الهودج او ضرب من الوشي وهو ما كان نقشه طويلاً واما ما كان نقشه مستديراً فهو الرق والقسطانية ثوب يُنسب غالباً الى قسطله بلد بالاندلس والقطر ثوب مخطط مثل الجباد . والفنار شي يعمل لليدين يُحشى بقطن ويكون له ازرار تُزُر على

الساعدين وها قفازان تلبسها المرأة للبرد او ضرب من الحلى للبدن والرجلين
والقن والقنان كم القميص . والفنبعة خرقة فخاط شبيهة بالبرنس يلبسها الصبيان
ك الكرباس ثوب من الفطن الابيض وقيل الثوب الخشن والكساء قد
مر ذكره وهو ثوب ويسمى الجوزي ايضا . والكيفة الكسفة من الثوب والخرقه
ترقع ذيل القمص من قدام وما كان من خلف خبيثة

ل الملاذ ثوب حرير احمر صيني والخاف كل ثوب يلتحف به

م المازي كساء صغير له خطوط وازرار للساق من الصوف المخطط
والمتمخمة ضرب من البرود تشجع ببلاد العرب والمنافيد بطائن من الثياب
مفردها مثند ، والحشأ والحشأ كساء غليظ او ابيض صغير يشتمل به ج
مخاشي والمجسد من الاكسية ما كان فيه خطوط مختلفة والمجسد الثوب المصوبغ
بالجساد وهو الزعفران وقيل غير ذلك والجن الوشاح ومنه قولم قلب فلان
مجنه اي اسقط الحياء وفعل ما شاء والمجول ثوب تلبسه الجارية الصغيرة والمرحل
هو المنقوش بنقوش تشبه رجال الابل والمرط قد يكون من خز او من صوف
وقد تسمى الملاء مرطاً وهي الازار والمطير ضرب من البرود . والمقرمة محبس
الفراس . والملاء ثوب يلبس على الغذين كالريطة . والمقدية ثياب من البر
والمقطعة والمقطعات برود عليها وشي او شبه الجباب وغيرها من الخز وغيره
والنصار من الثياب . والمكعب الموشى من البرود والاثواب والثوب المطوي
الشديد الادراج . والمعوز والمعوزة الثوب الخلق المبثذل سمي بذلك لانه من
لباس المعوزين . والميدع والميدعة الثوب الخلق المبثذل ايضا .
والمهاصري برد نبي

ن النزيدية برود فيها خطوط حمر نسبة الى نزيد اي قبيلة من العرب .
والنفاض ازار للصبيان يقال في المثل ما عليه نفاض اي ما عليه شيء من
الثياب . والنمرة شملة فيها خطوط بيض وسود او برده من صوف . والنوقية
شيء من صوف تختمر عليه نساء العرب . والنبر علم الثوب

هـ الهدم الكساء الظاهر الرقاع والهدم الكساء البالي من الصوف والمرقع منه ايضاً والهدمل الثوب الخلق الثقيل والهيمن شداد السراويل او تكتنه او ما يجعل فيه الدراهم ويشد على الحنق

و الوتر نفبة من ادم نقد سيوراً عرض السير منها اربعة اصابع او شبر او سيور عريضة تلبسها الجارية الصغيرة او ثوب كالسراويل لاساق له وشبه صنادير والوتر الثوب الذي تجل به الثياب فيعلوها . والوصائل برود القصب سميت بذلك لانها كانت توصل بعضها ببعض والويلج ثوب من كنان

ولما كان من اخلاق العرب الميل الى التفرّد والاستقلال كانوا يرغبون ايضاً في الانفراد ببعض الملابس فكان سعيد بن العاص بمكة ويقال له ذو العمامة اذا وضع على راسه عمامة لم يعتم احدٌ بثملها . اما دامت على راسه وكذلك كان الحجاج بن يوسف اذا اعتم بعمامة لم يجتر احدٌ من خلق الله ان يدخل عليه بثمل عمامته وكان عبد الملك بن مروان اذا لبس الخنف الاصفر لم يلبس احدٌ مثله حتى يزرعه وفي زمن العباسيين كان اللون الاسود من خصائصهم فاذلك لقبوا بالسود واما اللون الابيض فكان من خصائص الشيعة ولذلك اسباب سوف ياتي ذكرها اما في زماننا هذا فاللون الاخضر من خصائص الاشراف الذين يتصل نسبهم باهل البيت على ما مرّ والاسود من خصائص الرفاعية وهم من اهل الطريق^(١) والابيض للعمامة

وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر اشكل والحممر اجمل والخضر اقبل والسود اهل والبيض افضل وقال ابو عبيدة ان العرب تلتق لون الخضرة بالسود فتضع احدهما موضع الاخر قال ذو الرمة
قد اطلع النازح المجهود معسفة^(٢) في ظل اخضر يدعو هامة اليوم

(١) يراد بالطريق السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والذرق في المنامات وتعرف اصحابها باصحاب الطريقة واهل الطريق
(٢) النازح المتبعد عن دياره غيبة بعونة المجهود المكلف لاستفراغ الوسع في

يريد بالاخضر الليل فسماه بهذا لظلمة سواده وقال آخر

ما ابصرت عيناى احسن منظراً مما ارى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة ال حمراء تحت المقالة السوداء

وصف الشامة بالخضراء مع انها سوداء اللون ولتعتون ايضاً الابيض بالاحمر
فيستون الموالى من عجم الفرس والروم الحمر لغلبة البياض على الوانهم وكانت
عائشة ام المؤمنين تسمى الخمر لغلبة البياض على لونها ومن امثالهم الحسن احمر
وينعتون الالوان بنعوت المبالغة في وصفها ومن ذلك النضرة لكل لون
نحو اخضر ناضر واصفر ناضر واما الناصع فهو الخالص من كل شيء وقيل
يخص بالايض مثل يبق فانه يقال ايض يبق كما يقال احمر قاني واصفر
فاقع واسود حاله وفي محيط المحيط احمر او اصفر فاقع اي شديد مشبع اللون
وكل ناصع اللون فاقع من بياض وغيره كقيل والمشهور انه صفة للاصفر
يقال اصفر فاقع كما يقال احمر قرص واخضر حان وايض يبق واسود
حالك

ويعتبرون ايضاً عن العدو الشديد العداوة بالازرق وعن الموت بالاحمر
وعن نعومة العيش بالاخضر ويستعملونه مدحاً ايضاً بمعنى مخصب رحب الجناح
وعكسه الاغبر وعن الدينار بالاصفر واليوم الشوم بالاسود وعكسه بالايض
ومن كلامهم هو ازرق العين يشهدون به على البغض وكذلك قولهم هو اسود
الكبد وهم سود الاكباد وصعب السبال

وقد جرت عادة رجال العرب ان نعتهم بيمينها لكن يستبين ان نقش
الاسماء على الخواتم لم يكن مستعملاً في الجاهلية واول من اتخذ في الاسلام صاحب
الشريعة الاسلامية وذلك لما اراد ان يكتب كتاباً بالملك فارس قيل له ان العجم

تحصيل امر مستلزم للكلفة والمشقة والمعسف من الاعتساف وهو المايل عن الطريق
والعدل عنه واخذ الطريق على غير دراية وهداية

لا يقبلون كتاباً بغير ختم فاتخذوا من النضة كتب عليه محمد رسول الله ثم امتد ذلك ان الى صار الخاتم للاصبع من علامات الملك وشاراه في الدول العربية بالمغرب قال ابن خلدون انهم كانوا يستفيدون صوغه من الذهب وبرصونه بالنصوص من الياقوت والفيروزج ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والفضيب في الدولة العباسية بالمشرق والمظلة في الدولة العبيدية بالمغرب ايضاً

وكانت الخلفاء من الصحابة تختتم باليمين فجعل ذلك معاوية بن ابي سفيان في اليسار واخذ الاموية في ذلك الى ان نقله السفاح العباسي في اليمين فبقي الى ايام الرشيد فنقله الى اليسار واخذ الناس في ذلك

ويرون ان الخواتم اربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنّة والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف ومن كلام المتأخرين من تختتم بالعقيق وقرأ لابي عمرو بن العلاء وثقه للشافعي وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل طرفه وابن زريق هو ابو الحسن علي بن زريق البغدادي واما قصيدته فهي التي يقول في مطلعها

لا تعذبني فان العدل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

ويقال ان ملوك العرب في الجاهلية كانت تلبس نيجاناً واول من نتوج بالذهب منهم كان حيدر بن سبا وكانت الملوك من بعده تضع في نيجانها خرزاً وكان الملك يزيد خرزة كل سنة في ناجة ليعلم سني ملكه ويسمونها خرزات الملك واما الخلفاء في الاسلام من بني أمية وبني العباس فكانوا في احتفالهم التشريفية يجلسون في قبة الناج على سدة على اكتافهم بردة صاحب الشريعة الاسلامية وعلى رؤوسهم العمامة وبين ايادهم الفضيب فكانت العمامة لهم موضع الناج واول من اتخذ سرير الملك وجلس فوقه كان معاوية بن ابي سفيان وتبعه في ذلك الملوك من بعده

وكانوا يركبون بالحليّة الخفيفة من الفضة بالمناطق والسيوف والجم
والسروج ولم يحدث الركوب بحليّة الذهب إلا المعتزّ العباسي ثم آل الأهر
أخيراً أن جعلوا نعال خيولهم من الفضة والذهب وكانوا قبل ذلك استعمالوا
الطرار أيضاً وهو اسماء الملوك وعلاماتهم مكتوبة في نسج أثوابهم الحماة وسدّي
بجيط الذهب وما يخالف لون الثياب من الخيوط الملونة قصداً للتقويه بلاسها
إذا كان هو نفس السلطان أو غيره ممن يريد السلطان تشريفه بلبوسه أخذاً
عن ملوك العجم الذين كانوا يجعلون صورهم وأشكالهم طرازاً لملايسهم وكان لهذه
الطرازات معامل مخصوصة تسمى دور الطراز والفائم على النظر فيها يسمى
صاحب الطراز

وكانوا يفيضون على من أرادوا تشريفه بولاية السلطنة سبعة خلع ويلبسونهم
الطوق والتاج والسوارين ويعقدون لهم اللوا ويقلدونهم بسيفين ويأمرون
بإقامة الخطبة لهم أيضاً والخلع واحداً خلعة وهو الثوب الذي يخلعه الخليفة عن
جسمه ليلبسه من أراد تشريفه بلبوسه كما ذكرنا في ما مرّ وقد توسع في ذلك حتى
صار ما يهديه العامة لبعضهم من الأثواب يسمى خلعة أيضاً قال الشاعر

أَمْبِشْرِي بِقُدُومِ مِنْ أَحِبَّتِهِ وَلَكِ الْبَشَارَةُ بِالْمَسْرَةِ وَالْهِنَا
مَا كَانَ اسْمِي عَلَيْكَ بِخَلْعَةٍ لَوْ كَانَ عِنْدِي حَلَّةٌ خَيْرَ الضَّنَا

وكانت نساء العرب تنزّين بالخواتم كالرجال أيضاً وربما تنزّين في
أصابعهنّ العشر وتلبسن في سواعدهنّ الأساور وقد جاء في المثل ما قاله حاتم
الطائي وقد لطمته أمة وهو أسير في غزاة لو ذات سوارٍ لطمته قال الميداني أن
المراد به لو لطمته حرّة جعل السوار علامة للحرية لأن العرب قلما تلبس الأماء
السوار فهو يقول لو كانت اللاطمة حرّة لكانت أخفّ عليّ وقيل بل قال لو
غير ذات سوارٍ لطمته يعني أنه لا يقتص من النساء
وينزّين كذلك بالجول ونسّى أيضاً الأحمال والحجول وأحدثها حجل وهو

الخنخال حلية من فضة كسوار كبير تلبسها نساء العرب في أرجلهن
والدمج أو الدموج هو المعصم وهو حلية كالسوار تلبس في المعصم أو في
المعصم ويتقلدون بالعقود في أعناقهم والأقراط في آذانهم وممن من لها خزام
في الأنف ويسمون حلي المرأة من الجواهر والحجارة الكريمة البيضاقي وقيل إن
البزة واحدة البز في نوع من الحلي تلبس في الرجلين وإن الحاف هو القلادة
وقيل هو السوار والحبل حلية تجمل في القلائد والحبس حلية تلبس في الأصبع
والخوق حلقة الفرط والشنف كالدمج تلبس في المعصم والحجاب شيء تعلق المرأة
به الحلي وتشده في وسطها والحريصة القطعة من الحلي وأما قولهم ما عليها
خضاض فيريدون به الشيء اليسير من الحلي يضرب في في الحلي عن المرأة
قال الشاعر

ولو اشرفت من كثرة السر عاطلاً لقلت غزالاً ما عليه خضاض

والخوط خيط متول من لونين اسود واحمر فيه خرزات وهلال من فضة
تشده المرأة في وسطها لئلا تصيبها العين ويزين به الصبي ولعله ما يسمى بالعوذة
قال بعض المؤلفين التعاويذ جمع عوذة وهي شكل من فضة يعمل مستديراً
استدارة القمر أو بعض الدائرة فارغ على صورة نعل الدابة تنفش عليه كتابة
ويعلق في أعناق الاطفال قال عكاشة بن عبد الصمد

وجاءوا اليو بالتعاويذ والرفي وصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو صدقوا قالوا من أعين الانس

ومن اشتهر بعمل هذه التعاويذ في الاسلام ابو محمد المبارك بن المبارك بن
السراج التعاويذي البغدادي الزاهد المشهور توفي في سنة ٥٥٣ للهجرة (سنة
١١٥٨ م)

وما بوضعونه للخلي في أعناق الاطفال ايضاً الطوق ورها نذروه للجهة

بري متى شب الولد وكبر ويرون ان اول من وضع الطوق في عنقه من الصغار
هو عمرو بن عدى بن نصر خاله به خاله جذية الابرش اول قواد العرب لما
ادخلته عليه اخنة رفاش ام عمرو المذكور ثم لما كبر الغلام ادخل على خاله مرة
اخرى بعد غيبة طويلة اخطفتها بها الجن فلما رآه خاله فرح به وقال شب
عمرو عن الطوق فذهبت مثلاً
وما يتجلى به الصبيان ايضاً السحاب وهو قلادة من سلك وقرنفل وعلمب
ليس فيها لؤلؤ ولا جواهر قال المنبي

عنا عنهم واطلقهم صغاراً وفي اعناق اكثرهم سقاب

ومن عادة النساء ان يخضبن اظافر اليمين بالحناء بخلاف اليمين والرجلين
فان خضابهن يكون بلون اسمر مصفر وان يكتحلن بالانثد ويقال ان اول من
اكتحل به من العرب زرقاء اليمامة وهي امرأة من جدس يزعمون انها كانت
تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام واسمها عنز وفيها يقول المنبي

وأبصر من زرقاء جوي لاني متى نظرت عيناها ساواها علي (١)

والزرقاء اسم لثلاث من نساء العرب احدهن هذه التي نحن بصددنا
ويضرب المثل بحجة نظرها فيقال أبصر من الزرقاء كما يقولون ايضاً أبصر من
عقاب ملأع والملاع الصحراء وأبصر من غراب وأبصر من الوطواط بالليل

(١) يريد بفضل نظره على نظر الزرقاء المذكورة مولكوه متى وقع نظره على
الشيء ادرك حقيقته حالاً خلافاً لهذه المرأة التي مع كونها رأت رجال حسان بن تبع
الحميري وهم حاملون اشجاراً ليخدعوها بها كيلاً تراهم فنندروهم لم ندرك الحقيقة كما هي
بل ارتابت في الامر وقالت

اقسم بالله لقد دب الشجر او حبر قد اخذت شيئاً بغير
والدالك لم يصدقها قوما فنندت فيهم حيلة حسان الى ان فتك بهم فتكاً ذريعاً والقصة
معروفة

وَأَبْصُرُ مِنْ كَلْبٍ . وَالثَّانِيَةُ الرِّبَاءُ مَلَكَةُ الْجَزِيرَةِ وَاسْمُهَا هِنْدُ . وَالثَّلَاثَةُ الْبَسُوسُ
بَنَتْ مِنْقَذَ التَّمِيمِيَّةِ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهَا الْحَرْبُ الشَّهِيرَةُ بِحَرْبِ الْبَسُوسِ وَيُضْرَبُ
بِهَا الْمَثَلُ فِي الشُّومِ فَيُقَالُ أَشَامٌ مِنْ نَاقَةِ الْبَسُوسِ

وَمِنْ عَادَةِ نِسَاءِ الْعَرَبِ أَيْضًا أَنْ يَذَرْنَ هَذَا الْأَثَدَ عَلَى شَفَاهِمَ وَالْثَلَاثِ
وَهِيَ مَغَارِزُ الْأَسْنَانِ لِشِدَّةِ لَمَعَانِ أَسْنَانِهِمْ وَيُحْتَصَلُ لَهَا الْوَشْمُ الَّذِي يُخَصِّصُ
بِهِ وَهُوَ تَحْطِيطُ الْبَشَرَةِ بِصُورِ حَيَوَانَاتٍ وَأَرْهَامٍ وَنُجُومٍ وَقَدْ جَاءَ تَحْرِيمُهُ فِي الْإِسْلَامِ
وَمِنْ عَادَتِهِمْ إِبْجَارُ الشَّعْرِ وَتَرْجِيلُهُ يُقَالُ حَمَرَتِ الْمَرْأَةُ شَعْرَهَا إِذَا جَمَعَتْهُ
وَعَقَدَتْهُ فِي قَفَاهَا وَالْجَبْرِ الْمَظْلَمُ وَالتَّرْجِيلُ تَسْرِيجُ الشَّعْرِ وَالْمَرْجُلُ وَالْمِسْرَحُ الْمَشْطُ
أَمَّا الْغُلَاظُ فَهِيَ جَمْعُ الْغَدِيرَةِ وَهِيَ الْخَصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَالْعَقِيصَةُ الْخَصْلَةُ الْمَجْمُوعَةُ
مِنْهُ وَالذَّوَائِبُ السَّوَالِفُ وَتَقْضِيبُ الشَّعْرِ تَجْمِيدُهُ وَالسَّعْفَاتُ الشَّعْرُ فِي أَعْلَى
الرَّاسِ وَالْعُتْسُنُ شَعْرُ النَّاصِيَةِ وَالْمُسْرِبَةُ شَعْرُ الصَّدْرِ وَالْعَانَةُ شَعْرُ الْعَوْرَةِ وَالْعِفْرِيَّةُ
شَعْرُ قَفَا الْإِنْسَانِ وَالْهَمَّةُ مَا أَلَمَ بِالْمُنْكَبِ وَالْمَسَاتِخُ الشَّعْرُ مَا بَيْنَ الْأُذُنِ إِلَى
الْحَاجِبِ وَالْوَفْرَةُ مَا بَلَغَ شَعْبَةُ أُذُنِ الْإِنْسَانِ وَالطَّرَّةُ مَا غَشِيَ الْجَبْهَةَ وَالْجَبْهَةُ مَا
غَطَّى الرَّاسَ وَالْهَدْبُ شَعْرُ أَشْفَارِ الْعَيْنِ وَالْعُنْفُفَةُ شَعْرُ الشِّفَةِ السُّفْلَى وَالشَّارِبُ شَعْرُ
الشِّفَةِ الْعُلْيَا وَالْحَارُ شَعْرُ الْخُفْرَيْنِ وَالْعَقِيْقَةُ شَعْرُ كُلِّ مَوْلُودٍ مِنَ النَّاسِ وَالْمِبْهَاطُ
وَصُوفُ الْجَذَعِ وَفِي حَدِيثٍ قَوْلُوا نَسِيكَةً وَلَا تَقُولُوا عَقِيْقَةً لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَطْيُرُونَ
بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَالشَّعْرُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ وَالْمِزْعَرَاءُ لِلْمَعَزِ وَالْوَبْرُ لِلْأَبْلِ وَالصُّوْفُ لِلْغَنَمِ
وَالْعِفَاءُ لِلْحَمِيرِ وَالرِّيشُ لِلطَّيْرِ وَالزَّرْعَبُ لِلْفَرَسِ وَالزَّرْفُ لِلنَّعَامِ وَالْهَلَابُ لِلْفَتْرِيرِ
وَالْحَرْشَفُ لِلسَّمَكِ

وَمِنْ أَوْصَافِ الشَّعْرِ إِذَا كَانَ كَثِيرًا فَهُوَ جُنْفَالٌ وَإِذَا كَانَ مُتَصِلًا أَسْوَدَ
فَهُوَ وَصْفٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرًا فَهُوَ كَثٌّ أَوْ كَانَ كَثِيرًا فِي الْبَدَنِ فَهُوَ زَبِبٌ وَمِنْهُ
قَوْلُهُمْ رَجُلٌ أَرْبٌ وَامْرَأَةٌ زَبَاءٌ وَإِذَا كَانَ مُبَسِّطًا فَهُوَ سَبْطٌ وَإِذَا كَانَ عَكْسَ
ذَلِكَ فَهُوَ جَعْدٌ وَإِذَا كَانَ بَيْنَ بَيْنٍ فَهُوَ رَجَلٌ وَإِذَا كَانَ نَاعِمًا طَوِيلًا فَهُوَ
مُغْدَوْدِنٌ

وإذا كان الرأس ليس به شعر فهو اصلع وإذا كان الحجاب ليس به شعر فهو أمرط أو كان الجفن فهو أمعط أو كان الخد فهو أمرد أو كان البدن فهو أملط

وللنساء الحضريات تفنن في اصلاح وجوههن وتزين بها ومن ذلك الحف والشحاف يقال حفت المرأة وجهها ازالته ما عليه من الشعر تحسيناً والتزجيج يقال زججت المرأة حاجبها دقفته وطولته الى ذنابي عينيها والصيغ هو تلوين الوجه بالطلاء الابيض والاحمر الى غير ذلك مما لا يشتركن معهن فيه النساء البدويات اصلاً قال المنبي

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البدوة حسن غير مجلوب

واما التطيب بانواع الاطياب فهو من عادة النساء البدويات في الجاهلية فانهن كنّ يتطين ولكل واحدة منهن قشوة طيب والقشوة هي قفه من خوص تجمع المرأة فيها ادائها وقيل هي اصناف للطيب مخصوصة بالمرأة لا تفارقها فاذا رحلت من مكان الى آخر تكون بين ايديها وجاء في المثل لا عطر بعد عروس يضرب في ذم اذخار الشيء وقت الحاجة قالته امرأة من بني عذرة يقال لها اما بنت عبد الله مات زوجها وكان ابن عمها واسمها عروس فزوجها آخر وكان ابن عمها ذميماً واراد ان يظعن بها فقال لها ضي اليك عطرِك فقالت لا عطر بعد عروس فذهبت مثلاً

وهكذا التطيب عند الحضريات ورجالهن ايضاً وخاصة بعد الاسلام هو من احسن ما تصبو اليه نفوسهم فكانت الرجال والنساء جميعاً يتطيون بالمسك والطيب المصنوع من المسك والعنبر . حكى عن ابن عباس انه كان يضع الغالية على صدغه حتى يظن الناس انها لزقة وكانت العامة تطيب لحاها وتطلي اجسادها بالاطياب فكانت تملأ ازقة المدينة من روائح الطيب ولذلك سميت طيبة

والغالية المذكورة هنا هي اخلاط من الطيب قيل ان اول من سماها بهذا الاسم سليمان بن عبد الملك الاموي وهناك نوع آخر يعرف بالنّد يصنعونه من العود والعنبر واللّبان ويسمونه مثلثا لانتخاذه من ثلاثة انواع من الطيب . وفي درّة الغواص الصواب فيه مثلوث واما الكافور فأكثر ما يطيبون به الآن اجساد الموتى والأفاوية هي كل ما يعالجون به الطيب ويوجد نوع من العطر يسمى الناردین يؤخذ من شجر يسمى بهذا الاسم فينسب اليه وفي محيط المحيط النردین والناردین هو السنبّل الرومي مغرّب نردس باليونانية

الفصل الثالث

في انواع المأكّل وآداب الطعام عند العرب

قال بعض المؤلفين انه نظراً الى قحولة بلاد العرب جرت عادتهم بالقناعة في المأكّل فان رعاهم لا ياكلون الا مرة واحدة من خبز ردي م مصطنع من الذرة ويأندمون باللّبن ونحوه وينلّ اكلهم العوم . قال ابن خلدون لم تكن امة من الامة اسغب^(١) عيشاً من مضر لما كانوا بالحجاز فكانوا كثيراً ما ياكلون الغنارب والخنافس ويغفرون باكل العلهز وهو وبر الابل يمونهة بالحجارة في الدم ويطنفونه وهكذا كانت حالة قريش وبالاجمال ينال ابن اصول اغذية عامة العرب واقواتهم لتخصّل من ثلاثة انواع وهي الالبان والعوم وبعض الحبوب

(١) السغب المجموع مع التعب

أما الألبان فهي أنواع منها الصريف أي اللبن ساعة يُحلب والزبد وهو ما يُستخرج من لبن البقر والغنم والحجباب وهو ما يستخرج من لبن الإبل ولما كانت هي الأصل المعول عليه في الغذاء العام عند العرب كانوا يعبرون عن اللبن بأنه أحد اللعنين يقولون اطعمها اللهم أسفها اللبن وجعلوا له في كل ظرف من ظروف استعماله اسماً يعرفونه به

ومن تلك الأسماء القبل وهو اللبن يشرب في النافاة يعني نصف النهار والنفقة بالكسر اللبن يجمع في ضرع النافاة بين الحلبتين ومنه قولهم في المثل مهلاً فواق نافقة أي مهلني قدر ما يجمع اللبن في ضرع النافاة بين الحلبتين والمظالم والظالم اللبن الذي يَحْتَن يعني الذي يجمع في السقاء^(١) ويصُب حلبته على رائيه ثم يشرب قبل أن يروب والجرعكوك والجرعكيك والجعلطوط والجعلطوط اللبن الرائب الثخين والهديد اللبن الخائر جثاً والضيع والضياح اللبن الخائر رقيق بالماء يصب عليه وهو أسرع اللبن رياً والأحلابة وهو أن يحلب الرجل ويبعث إلى أهله من المراعي فإن النساء لا يحلبن بالبادية لأنه عارٌ عندهن والخبط لبن رائب ومخيض يصب عليه حليب والدخيس لبن الضأن يحلب عليه لبن المعز والنفش القليل من اللبن والمذقة اللبن يخلط بالماء ويسمى بالسمار أيضاً والرثية اللبن الحامض يخلط بحلو والصرام آخر اللبن بعد التغير يعني أن تدع حلبته بين حلبتين إذا احتاج إليه صاحبه حلبته ضرورة والشنب هو ما امتد من اللبن إذا خرج من الضرع والارتجان اختلاط الزبد باللبن والوالج اللبن يرد في الضرع بأن يرش الماء على الضرع ليرتفع اللبن فسمي النافاة والغبر بقية اللبن والرمث بقية قليلة من اللبن تبقى في الضرع والشجبة زبد اللبن تُلصق في اليد وفي السقاء والفارص اللبن يجذي اللسان والحاذر اللبن الحامض جداً وسواة الرضف اللبن يُغلى بالرضفة فيبقى منه شيء لا يسير قد انشوى على الرضفة

(١) السقاء هو القربة وتعرف بالظرف أيضاً

واما اللحوم فيسمون المشاوي منها الخنازير قال الحريري في مقامه الاولى
المعروفة بالصنعانية فوجدته محاذيا لتأنيده على خبز سميد وجدسي حديد اي
مشوي ويسمون ما يجزر من الابل من النخب قبل القسم النقية وشر الاطعمة من
اللحوم عندهم القديد ولذلك يقولون في امثالهم لمن يظهر السخاء ولا يرى منه الا
قليل خير شريف قوم يطعم القديد بل كانوا اذا لم يجدوا علفا للحوهم دقوا اللحم
الياس واطعموها اياه قال الثوريين تولب لصاحب الشريعة الاسلامية

انا اتيناك وقد طال السفر افود خيلا رجعا فيها ضرر
اطعمها اللحم اذا عز الشجر

وكانوا يرون بان اطيب اللحم الكنف ويتباهون بمعرفة اكلها ويضربون
بذلك المثل فيقولون للداهي الذي يأتي الامور من ما تائها انه يعلم من اين
تؤكل الكنف . لانهم يزعمون بان اكلها اعسر من غيرها ويرون بانه يجب ان
يكون اكلها من اسفلها لانه يسهل التحذر لحماها واما من اعلاها فيكون متعقنا
ملتويا وبعضهم يقول ان المرقه تجري بين لحم الكنف والعظم فاذا اخذت من
اسفلها انقشرت من عظمها وبقيت المرقه مكانها ثابتة ويقولون للضعيف الراي
انه لا يحسن اكل الكنف قال الاصمعي

اني على ما تريت من كبري اعلم من حيث تؤكل الكنف

وفي قبائل قضاة قبيلة يقال لها بلى اهلها لا ياكلون الاية لانها من
الجواعر ولا ينها طبق الاست

ويقولون في امثالهم لا تطعم العبد الكراع فيقطع في الذراع يستبين من
ذلك انهم لا يشركون عبيدهم معهم في اكل اطائب اللحوم كما ان افتخارهم بمعرفة
صيغة اكل الكنف يدل على انهم كانوا ياكلونها نهشا
وانضاج الطعام عند العرب يشتمل على طبخ اللحم وشبه وهو على انواع منها

الصفيف وهو المصفوف على الحجارة لينضج والفدير وهو المطبوخ في الفدر
والمرجل التي يوضعونها على الأثافي وأما أن كان ما يضعونها عليه من الحديد
فيسمى منصبا ولا يسمى اثنية وكانوا إذا أعوزهم قدر يطبخون فيها عملوا شيئا كهيئة
الفدر من الجلود وجعلوا فيها الماء واللبن وما أرادوا من وذلك ثم القوا فيها
الرضف لتنضج ما في ذلك الوعاء ويراد بالرضف حجارة محماة بالنار والودك
الدم من اللحم والشحم وهو ما يتخلب من ذلك كما أن الدم يكون من كل ذي
دهن. وأما التوابل فهي ما تعالج به الأظعمة فيطيب الغذاء والزر أيضا التابل
جمعة أزر وأزير وقيل الأزر تستعمل في الأشياء الرطبة والتوابل في اليابسة
وأما الأظعمة من الحبر واللبن والخبز فيسمونها الترائد ويقولون أن أول
من ثرد التريد وهشمة من العرب هو هاشم جد صاحب الشريعة الإسلامية
وأظعمة إلى الحجاج ولذلك سمي هاشما
ومن أنواع الأظعمة الرغبة وهي طعام من اللبن الحليب يغلى ويُدْرَ عليه

الدقيق

والرهيدة هي حنطة تدق ويصَّب عليها اللبن

واللهيدة هي العصيدة الرخوة

واللهيدة هي حسب المختل المحلى يطبخ ويضاف إليه شيء من الدقيق

والبكيلة هي أقط^(١) يُلْت بسمن وقيل هي الأقط المطحون تبكيلة بالماء فتبره

كانك تريد أن تعجنه

والبكالة الدقيق بالرَب^(٢) أو بالسمن أو بالتمر أو بالسويق وهو الناعم من

دقيق الحنطة يبلُّ بلاء أو سويق بتمر ولبن أو دقيق يخلط بسويق ويبلُّ بماء

وسمن أو زيت أو الأقط الجاف يخلط به الرطب أو طحين وتمر يخلطان بزيت

(١) الأقط المجين انتقل من اللبن الحامض

(٢) الرب هو سلافة خنارة كل ثمرة بعد اختصارها وتفل السمن

١٨٢ في انواع المآكل وآداب الطعام عند العرب

والريكة شيء من حسا واقط والحسا دقيق يطبخ بالماء والسمن
والوضيعة طعام من السويق والعسل
والحريرة والحروقة طعام اغلظ من الحسا
والسهيكة طعام رديء يستعملونه في المجاعة
والوديكة طعام من الدقيق والشحم
والوزيعة طعام من لحم الضباب
والحريرة دقيق يطبخ باللبن
والخزيرة ويقال الخزيرة طعام يطبخ بالشحم والدقيق
والمضيرة طعام يطبخ باللبن الحامض
والعبيضة طعام يجعل فيه الجراد
والتمغة ما رق من الطعام واخلط بالودك
والثويناء دقيق يفرش تحت الفرزدق^(١) اذ طم
والجيز الخبز الفطير واليابس
والجودابة ملة تنخبز في التنور معلقة فوقها طائر او لحم فينطردكه
عليها فتفرج عنك ثم الادم
والوجيثة تمر او جراد يدق ويلت بسمن او زيت
والوهيسة جراد يطبخ ويصفى ويدق ويخلط بدسم
والبريقة لبن يصب عليه اهالة^(٢) او سمن قليل
والبريك الرطب يؤكل بالزبد
والبروك الخيصر تعله العرب من التمر والسمن
والسيسة سويق او دقيق او اقط مطبوخ يلى بالسمن والزيت

(١) الفرزدق القطعة من العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف او الرغيف الضخم

الذي تجففه النساء للفقوت

(٢) الاهالة الشحم او ما اذيب منه او الزيت وكل ما اؤندم به

والخبثية كرش البعير المحشو
والجشيش السويق وحنطة تخبث قليلاً وتجعل سفيقاً قدر ويأني عليها لحم
او تمر

والخبث نوع من الحلوى تعلمه العرب من التمر والسمن
والججيرة ما يتخذ من العجين كالنمائل فيجعلونه في الرب اذا طبخوه
والججيرة طعام بضائع من الحليب والسمن يخلطان معاً
والخبث تمر يخلط بسمن او اقط فيخبث ويدلك شديداً حتى ينتزع ثم يندرس
منه نواه وربما جعل فيه سويق

والدواء جليدة تعلمو الهريسة واللبن ونحوه اذا ضربته الريح
والهريسة الحب المدقوق بالمراس فيطبخ
والزريقه الاثريدة بلبن وزيت

والناجعة طعام جاهلي يتخاض الوبر باللبن فيجده (١)
والرصيعة البر (٢) يدق بالتمر (٣) ويبل ويطح بالسمن
والنبيجة طعام من الحسا والتوابل

والجج اللبن ينقع فيه التمر

والججيرة حساء من دقيق يجعل عليه سمن

والوليفة طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن

والسقية طعام ارق من العصيدة وبها كانت تُعير قريش لانها كانت
مولعة باكلها كما كانت تُعير تميم بشدة الحرص على الاكل قيل انهم كانوا يلقون
الموطب وهو سقاء اللبن في الجهاد وهي احسن ثياب العرب . يحكى ان معاوية
ابن ابي سفيان اول الخلفاء الامويين وهو كما لا يخفى من بني قريش المذكورة

(١) المجدح اللث والمخلوط (٢) البر جمع برة من القمح

(٣) التمر الجوز قدر ما يدق به الجوز او يملأ الكف ويستعمل عند الاطباء للجر

الريق الذي تسقى به الادوية على الصلابة

مازح الأحنف بن قيس وكان تيمياً فقال له ما الشيء الملفف في الهجد يريد قول الشاعر

إذا ما مات ميت في تيمٍ وسرك أن يعيش فجي بزد
الحم أو ينجز أو يتمر أو الشيء الملفف في الهجد

فاجابة الأحنف هو السخينة يا امير المؤمنين فانجحه وكان قصد معاوية ما يعاب به بنو تيم فاجابة الاحنف بما يعاب به القرشيون

وكانوا يسمون المرقعة المسخنة بنت نارين والخبز ابن حبة قال الشاعر

في حبة القلب مفي زرعت حب ابن حبة

ويستون الشم ملحا لياضه ويقولون املحت القدر اذا جعلت النساء فيها شيئاً من شحم وعليه فسر ابن فارس قول مسكين اللامي في امرائه

لا تلهاها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

يعني ان همما السمن والشحم وشطر البيت الثاني مأخوذ من قولهم في المثل ملحه على ركبته قال الميمني ان هذا المثل يضرب للذي يغضب من كل شيء سريعاً ويكون سئ الخلق ادنى شيء يبدده اي ينفقه كما ان الملح اذا كان على الركبة ادنى شيء يبدده ويفرقه ويقال هنا اللبن والملح والرضاع اي لا يلاحظ حرمة ولا براعي حقاً

ومن الكنى الموضوعة للاطعمة ما ذكره الحريري في مقامته النصيبية وهو ان ابا مالك و ابا عمرة كنية الجوع و ابا جامع الخوار وهو المائدة و ابا نعيم الخبز الحواري و ابا حبيب الجدي و ابا ثقيف الخل و ابا عون الملح و ابا جميل البقل و ام القرى السكاج و ام جابر الهريسة و ام الفرج الجوزابة و ابا رزين الخبيص و ابا العلا الفالودج و ابا اياس الغسول والمرجان الطشت و لا يرق و ابا السرور الخور وفي بعض المؤلفات ابو الخصب اللحم و ابو الغياث و ابو الحيمان

المائدة وأبو المسافر المجبن وأبو نافع الخَلّ وأبو جابر الخبز وأبو عاصم السكباج
ومن المعلوم أن هذه الكنى هي من بدع المولدين لأن العرب في الجاهلية
لا تعرف أكثر هذه الألوان وإنما كان طعامهم من اللحم يطبخ بالماء والملح أو غير
ذلك مما سبقت الإشارة إليه قال ابن خلدون أن في زمن الصحابة لم تكن
للعرب مناخل فكانوا يأكلون الخنطة بخلها ولما ملكوا فارس والروم قديم لهم
المرقق فكانوا يحسبونه رفقا أي ما يكتب عليه وعثروا في خزائن كسرى على
الكافور فاستعملوه في عجمهم طعما ولم يأخذوا في التأنق في الأطعمة واختراع الألوان
الآن منذ زمن معاوية لأنه كان أكلًا وبه يضرب المثل في ذلك فيقال آكل
من معاوية قال الشاعر

وصاحب لي بطنه كالموايه كأن في امعائه معاويه

وقال آخر

ومعدة هاضمة للصغير كأنما في جوفها ابن صغير

وصغير المذكور في آخر الشطر الأخير هو أبو سفيان والد معاوية المشار إليه
ومن أمثاله أيضا آكل من حوت ومن السوس ومن ضرر ومن
الفيل ومن النار

وكانوا يضربون المثل في الجاهلية بلقمان العادي زعموا أنه كان يتغذى
بجزور ويتعشى بجزور قال بعض المؤلفين أن هذا من أكاذيب العرب لأن
ذلك سنة هذه الطائفة لا يتركها بعضها على بعض وإنما ذلك كثيرة
وأكثر أسماء الأطعمة التي استعملها العرب منذ ظهور الإسلام حتى الآن
ماخوذ من لغتي الفرس والترك كالسكباج الذي مر ذكره فإنه نوع من أطعمة
الفرس معرب سكبيا ومعناه طعام بخل وقد بالغ العرب في مدحه مع أنه لم يكن
مجهزا إلا من مرق اللحم والخَلّ وربما جعل فيه زعفران وكانوا يسمونه سيد المرق

وشيج الاطعمة وزين الموائد وكان عبد الله بن طاهر يقول لو خيرت لونا من الطعام لا ازيد عليه لاخترت الدراجة^(١) لاني ان زدت في خلتها صارت سكباجة وان في زدت مائتها صارت اسفيد باجة^(٢) وان زدت في تصبيرها بل في تشييطها صارت مطبنة

وكذلك الفالودج هو نوع من الحلوى تسميه العامة بالوظة يقال ان اول من استعمله من العرب كان عبد الله بن جدعان الذي اشترى النابغة بنت حرملة بن غرة ام عمرو بن العاص من العرب في سوق عكاظ ووهبها للعاص ابن وائل ابني عمرو المذكور قال الاصمعياني ان عبد الله هذا كان وفد على كسرى فاكل عنده الفالود فسأل عنه فقيل هذا فالود قال وما الفالود قالوا لباب البر^(٣) يلبك مع عسل النحل قال ابغوني غلاما يصنعه فانوه بغلام فابتهاع ثم قدم به مكة فكان يصنع له الفالود

واللوز بنج معرب لوزينه وهو نوع من الحلوى ايضا يمشى باللوز والسكر وقيل شبه القطائف يؤتد بدهن اللوز

والجوزاب معرب كوزاب يتخذ من سكر ورز وجوز ولحم وغير ذلك من الاطعمة الشائعة الآن كالكتاب والكوفة والششبرك والرشمة والخنة والقبلة والجارما والبرق والبقيا وهكذا كل طعام دلنا اسمه الا عجي انه ليس من صنع العرب بخلاف الملهبية فانها من صنع الوزير الملهبي والرشيدية طعام من الحلويات كالمهلبية مشوب الى هرون الرشيد والمأمونية لابنه المأمون والمتوكلية للمتوكل العباسي والقصور الانبرهيمية لابراهيم بن العباس الصولي واما اصابع زينب فقد ذكروا انها من صنع اهل بغداد ثم لما ظهر ذور البراعة من العرب في زمن الخلفاء العباسيين المشار اليهم

(١) الدراجة مؤنث الدراج وهو طائر جميل المنظر ملون الريش قيل ان لحمه يزيد في الدماغ والفتنة

(٢) لعله من سفد اللحم نظمه في السفود للاستواء (٣) لباب البر النشاء

بحث البعض منهم في فن الاطعمة وألفوا فيه كتباً ومنهم ابو الحسن بن يحيى بن
ابي منصور النخعي الذي كان تديم الخليفة المتوكل ومن خواصه وجلسائه وكان
قبل ذلك متصلاً بالفتح بن خاقان وكان حاذقاً ايضاً في صناعة الغناء وله عدة
مؤلفات منها كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين وكتاب في اخبار اساقى بن
ابراهيم الموصلي وكان أخذ الغناء عنه وغير ذلك ألف كتاباً في الطبخ توفي
بسرمن رأى سنة ٢٧٥ للهجرة (سنة ٨٨٩ م) ومنهم الامير الخنار عز الملك
صاحب التاريخ المشهور في مصر المعروف بالمسيحي ألف كتاباً في الطعام والادام
توفي في سنة ٤٢٠ للهجرة (سنة ١٠٢٩ م)

وكانت العرب تولم الولايم وتسميها باسماء متنوعة بحسب ظروفها ودواعيها
ومن ذلك الحرس للنساء ومنه ائيل فخرسي يا نفس لا تخترسي لك قالته امرأة
ولدت ولم يكن لها من يهتم بامرها يضرب في قيام المرء بحاجة نفسه اذا لم يكن
له من يقوم بها . والعقيقة للطفل والاعطار للحنان والملك للخطبة والوليمة للعرس
والوضيمة للميت والوكيرة للبناء والعقيرة لهلال رجب والحفلة للزائر وشندخ
للضال اذا وجد والنعمة للقادم من سفر والقرى للضيف والمأدبة هي التي تعمل
حيثما لم يكن هناك سبب يوجب عابها والجفلى او الحفلى هي الضيافة العامة
والنقري الضيافة الخاصة للافراد والخلق لحافظ القرآن في الاسلام

ويقولون اول من سنّ القرى هو ابراهيم الخليل واول من افطر جيرانه
على طعامه في الاسلام هو عبد الله بن عباس الذي كان اول من وضع مؤاندة
على الطريق ايضاً

ويسمون الاكلة الواحدة البزمة وهي وزن ثلاثين درهماً والليل من الطعام
البسيس وما بقي على المائدة الخشار وما بقي عليها ما لاخير فيه الخشار وما فضل
من الطعام او الادام في الاناء او خاص بالتصعة الترتيم قال الشاعر

لا تحسبن طعام قيس بالقتنا وخرايمم بالبيض حشو الترتيم

واما السُّلَّةُ واللَّهْنَةُ فهما طعام المنعال قبل الغداء والعجالة طعام المستعجل قبل اوان الغداء والستور طعام الفجر والفظور طعام الصبح والغداء طعام الظهر والعشاء طعام المساء والزاد طعام السفر والجائزة ما يُعطى للضيف بعد اكرامه ثلاثة ايام فيجوز به مسافة يوم وليلة ومئة الحديث الضيافة ثلاثة وجائزته يوم وليلة

وكانت اواني الاطعمة عند العرب في الجاهلية تسمى الدسيسة والجفنة والقصة والصحفة والمبكلة والفينة . فالفينة تكفي رجلاً واحداً والدسيسة وهي اعظم هذه الاثنية كانت تكفي عشرة وما بينهما لما بينهما وفي محيط المحيط الجفنة القصة قالوا اعظم الفصاع الجفنة ثم القصة تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المبكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحفة تشبع الرجل

اما اواني الشرب فمنها الثبن وهو اعظم الاقداح يكاد يروي العشرين ثم الصحن مقارب له ثم العس يروي الثلاثة والاربعة ثم القدح يروي الرجلين ثم القعب يروي الرجل ثم الغمر

وكانوا ياكلون على الخوان وهي المائدة قبل ان يوضع عليها الطعام ثم استعمل لها مطلقاً وخلام المائدة يسمون النُدُلَ ويسمون الطباخ الطاهي من الطهو وهي الانصاج ومن ياكل كل يوم صنفاً من الطعام الرزام ومن يسيء الادب في الاكل الناعط والذي قد شبع حتى يشم السني ومن يضع شاة على شيء يكون على الخوان كي لا يتناوله غيره جردبان وهو فارسي معرب اصله كرده بان اي حافظ الرغيف ومئة جردب في الطعام وجردم قال الفراء

اذا ما كنت في قومٍ شهاوى فلا تجعل شمالك جردبانا

والحيء الدعاء الى الطعام والشراب قال الشاعر

وما كان على الحيء ولا الهى امتلاحيكما

قال ابو عمرو الهى الطعام والحيء الشراب ويسمون الاكل بمقدم السنان

القصم والمتطفل على الطعام الوارث والمتطفل على الشراب الواغل والحضر
الذي يتحين طعام الناس حتى يحضره والحضر الواغل اي الداخل على القوم في
طعامهم وشراهم والجرف الاكول جدا والملع الذي يجوع سريعا واما قول
المولدين طفلي ومتطفل فهو نسب الى طفيل بن زلال الداري رجل من الكوفة
كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها ففيل له طفيل الاعراس وضرب به
المثل في ذلك قال بعض الطفيليين

نحن قوم اذا دُعينا اجبنا ومنى تُسبنا يدعنا الطفيل
ونقل علنا دُعينا فغبنا وانانا فلم يجدنا الرسول

وقد عد المولدون عيوباً كثيرة في قبج المأكلة وضعوا لكل منها اسماً ومنها
المتشاف وهو الذي يستحكم رجوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطالعا
لناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو الطعام
والعداد هو الذي يستغرق في عد الزبادي ويعد على اصابعه ويشير
اليها وينسى نفسه

والجرف هو الذي يجعل اللقم في جانب الزبدية ويجرف منه الى الجانب
الآخر

والرشاف وهو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع
صوت لا يخفى على جلسائه وهو يلند بذلك

والنفّاض وهو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض اصابعه في الزبدية
والفراض وهو الذي يقرض اللقمة باطراف اسنانه حتى يذهبها ويضعها
بعد ذلك في الطعام

والبهات وهو الذي يبهت في وجوه الاكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من
بين ايادهم

والمنات وهو الذي يات اللقمة باطراف اصابعه قبل وضعها في الطعام

والعوام وهو الذي يجعل ذراعيه ممتدة ويسرى لاختد الزبادي
والفسام وهو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها الى الطعام من فيه
والمنخل وهو الذي ينخل اسنانه باظفارهم
والمزبد وهو الذي يحمل معه الطعام
والمنقح وهو الذي يرنخ اللقمة في الامراق فلا يبلغ الاولى حتى تلين الثانية
والمنشش وهو الذي يفتش على اللحم باصابعه
والمرشش وهو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مواكبه
والمنشف وهو الذي ينشف يديه من الدهن بالتم ثم يأكلها
والملمبب وهو الذي يملأ الطعام لبابا
والصباغ وهو الذي ينقل الطعام من زبدية الى زبدية أخرى ليبرده
والنفاخ وهو الذي ينفخ في الطعام
والحامي وهو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مواكبه
والمنجج وهو الذي يراحم مواكبه يجناحيه حتى يفسخ له من في المجلس فلا
يشق عليه الاكل
والشطرنجي وهو الذي يرفع زبدية ويضع اخرى مكانها
والمهندس وهو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه هنا حتى
يضع قلامة ما يجب
والمتمني وهو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان بقي
عندك في الدور شي فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل
ومع ان غسل الايادي قبل الطعام هو سنة في الاسلام قد يستبين بان
العرب ليس في الجاهلية فقط بل في صدر الاسلام ايضا لم يعتبروا كما يجب
غسل الايادي بعد الطعام فكانوا يسمعون عنها الزفر اما باثواب او بشيء آخر
كالتراب ونحوه ولاصل في التطهير عندهم هو الماء فقط واما الصابون الذي
من شأنه قلع اثر المادة الدهنية وغيرها فلا يعول عليه في النظافة الا قليلا

وكانت الاطعمة الحارة كاللحم والدجاج تلجئهم بان يقبضوا عليها لاجل النسخ
وقت الاكل بمناديل ونحوها لوقاية ايادهم من حرارتها . حكى الاصمعي ان
سليمان بن عبد الملك احد الخلفاء الامويين كان شرهاً منها وكان من شرهه اذا
أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوي لا يصبر الى ان يوثى بمنديل او يبرد
فكان يأخذ بكمه فياكل واحدة حتى يأتي عليها وان الخليفة هرون الرشيد ظن
ما كان براءه من آثار الدهن على جباب سليمان المذكور طيباً انتهى . لكن لم
تطل المدة بعد الاسلام حتى صار الغسل عند الحض قبل الطعام وبعد من
الضروريات التي لا بد منها وقد اعابوا بعض الاضياف الذين يلد لهم الحديث
وقت غسل ايادهم فيبقى الغلام واقفاً والبريق في يده والناس ينتظرونه

ونهي الاسلام عن الاكل في السوق لانه دناءة وعن الاكل والشرب في
حالة الوقوف وعن النخ في الطعام والشراب وان لا يوكل الطعام حاراً وانابوا
من ياكل من سبط المائدة ونهوا عن ان يتبع الرجل بصره لقمة اخيه وعن
الاكثار من الاكل فان كثرة الطعام تميم القلوب واوجبوا الاكل والشرب
باليد اليمنى وضم الشنيتين عند الاكل وان لا يلتفت يمينا ولا شمالاً ولا يلتقم
بسكين ولا يجلس الانسان فوق من هو اشرف منه ولا يبصق في الأماكن النظيفة
وان يباكر الغداء ويقولون في امثالهم خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وفي
بعض المؤلفات بواصره اي ما يصبر من الطعام قبل هجوم الظلام

وكان الحرث بن كلفة طيبس العرب في الجاهلية يقول اذا تغدى احدكم
فليمن على غداءه واذا تعشى فليخط اربعين خطوة

ومن نهي الاسلام ايضاً ان لا يُعاب الطعام فان اشتبهه الرجل آكله ولا
تركه ولكمهم اباحوا الممازلة عليه واعابوا على الضيف كثرة الاكل المفرط (الا ان
يكون بدوياً فانها عادته) واتخاذ خريطة ليقلب بها الزبادي والامراق
والحلوى واتخاذ الولد الصغير الذي يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى له
منه شي على اسمه

وقد ذمّت امرأة من العرب زوجها فقالت ان اكل لفت وان شرب
اشتفت يعني ان اكل ضمّ الشيء بالشيء وان شرب تنهى في الشرب حتى
يستأصل الشفافة وهي ما بقي من الشراب في الاناء فذهب قولها مثلاً

وجرت العادة عند العرب اهل الخيام باكرام الضيوف فانه متى دخل
عليهم انسان لابد انهم يعزّون عليه ويشدّدون في العزومة ومن اكل طعام
انسان فقد دخل تحت حمايته وحصل في امان منه فبهيات ان يرجع للغدر به
ويقال ان المسافر متى اكل مع شيخ من مشايخ العرب فان هذا الشيخ يحميه عند
الحاجة على قدر الامكان وفي بعض المواضع لهم مضائق ينزل بها المسافرون
ويأكلون يشربون بدون مقابل وقال آخرون ان اهل البدو حين ينزل
عندهم الضيف يذبحون له ذبيحة ومنهم من يغسل له رجليه ويقاسم معه خبزاً
وملحاً ومن هذا الوقت يكون حرماً مدة اقامته عندهم فهم مع كونهم يضربون
المسافر في المفازة ويسلبون جميع ما عليه من الثياب ولا يرق قلوبهم لشكواه ولا
لبكائه ولكن متى وصل الانسان الى اعتنائهم وجب عليهم اكرامه واحترامه
واطعامه ما تيسر عندهم

وقد اشتهر بنو غسان في زمن الجاهلية باكرام الضيوف وضرب هم المثل
في ذلك فيقال أوفر للضيف من بني غسان وكانت العادة في الجاهلية ايضاً
اذا نزل بهم ضيف ضحك اليهم رحله وبقي سلاحه معه خوفاً من الغارة في المبيت
ولذلك قال مرة بن سميكان يخاطب امرأته

يا ربة النار قومي غير صاغرة ضي البك رحال النوم والفرجا

يريد بالقرب سلاحهم لانهم عنده في امان من الغارات فلا يحتاجون الى

السلاح

واما في بلاد الاسلام متى استضافهم احد فمن الآداب عندهم ان المضيف
يخدم اضيافته وان يظهر لهم الغنى وبسط الوجه ويقولون انام الضيافة الطلاقة

عند اول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة قال عاصم بن وائل

وأنا لنفري الضيف قبل نزوله ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

وإنه يجب على المضيف ان يتفقد دابة الضيف ويكرمها قبل أكرامه وان يتحدث اضيافه بما تمل نفوسهم اليه ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ولا يتحدثهم بما يروهم به وان يامر غلمانه بحفظ طعامهم وتنفذ غلمانهم بما يكتفهم وان يمنع حاجبه عن الوقوف ببابه عند حضور الطعام وان يسهر مع اضيافه ويؤانسهم بلذيق المحادثة ويردهم مكان الخلاه ويشيعهم وقت الانصراف الى باب الدار

ويراد بالحاجب المذكور هنا بواب الدار فان من العادة عند المسلمين ان لا يدخل دورهم احد قريبا كان او غريبا بدون استئذان فان لم يكن الزائر معروفا عند هذا الحاجب عرفه باسمه ليدخل على صاحب الدار ويستأذنه بدخوله عليه فان لم ينشرح لذلك صدره رجع الحاجب واعتذر لذلك الزائر بما يرضيه والآقال انه ادخل على الرحب والسعة او اهلا وسهلا تفضل وفي كتب اللغة اهلا وسهلا بالنصب على المعنوية اي صادفت اهلا لا غرباء ووطئت سهلا لا خشنا وهو ترخيب

واما ما يجب على الضيوف في نظير ذلك هو موافقة المضيف في امور منها الاكل ما يقدمه لهم من الطعام وان لا يعتذروا بشيء بل ياكلون كيف امكن ولا يسألوا صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القليلة لاجل الصلاة وموضع قضاء الحاجة وان لا يمتنعوا من غسل ايادهم ولا يمتنعوا صاحب المنزل عن حركة يجرها اهل شيء او احضار شيء وان لا يتطلعوا الى ناحية الحرم وقد اعابوا جانا الضيف المهنار وكثير الفضول في امور يطول شرحها منها ما تصدق الاشرار باظهار ما عندهم من الخلاعة واللفظ والمعارف بصوت مرتفع يصل الى داخل الدار تحت حجاب وحلة الحال وإنما قالوا لا بأس ان يدخل الرجل

بيت صديقك ويأكل وهو غائب لأن ذلك من باب فعل الخير كما أنهم
يكثرون في مدّهم بناء المقامد والسبل لابتداء السبيل لأجل هذه الغاية أيضاً

—x—

الفصل الرابع

في آداب التحيّة وأنواع المخاطبات

النداء . ادواته في اللغة العربية الألف المقرب دون البعيد
نقول أزيد وإياه للقريب والبعيد نقول يا زيد وإي وأياً وإيها لنداء البعيد
دون القريب ومن عادتهم وصف المنادي أيضاً فكان الرجل في الجاهلية إذا
أراد أن ينادي من جهل اسمه أو يريد ملاطفته فيقول له يا وجه العرب أو
يا أخا العرب أو يا أخا طيء إذا كان طائياً أو عيس إذا كان عيسياً مثلاً . كأن
نسبته إلى تلك القبيلة تحقّق له عندهم المباهاة وتوجب له الفخر أو ينادي من
كان عارفاً به بكينيه أو يريد أن يعظمه ويرفع قدره بقوله له يا أبا الفوارس
أو يا حامية القبيلة الفلانية أو ينادي من كان أعظم قدراً منه بقوله له يا مولاي
وسيدي فيجابه المنادي بقوله لبيك وسعديك ومعنى لبيك أنا مقيم على طاعتك
وأخلاصي لك لباب خالص وإما سعديك فمعناه أستاذ بعد أستاذ ولذلك
كان لابد للأعراب أن تلحق الأسماء بالألقاب ولكن
الألقاب . هي على ثلاثة أنواع لقب تشريف ولقب تعريف ولقب تعزيف

وهذا الثالث قد نهي عنه في الاسلام وقد يجعل القلب علماً من غير نبي^(١) فلا
يعبر عن شيء وفي اصطلاح اهل العربية علم يشعر بمدح اذم باعبار معناه
الاصلي ولذلك كما انه يوجد من اسمائها ما هو ملج كالحارث وهام وما هو قبيح
كحرب ومرة كذلك الالغاب . يُحكى ان ابا صفرة وهو ابو المطلب المشهور كان
اسمه ظالم بن سراق وقبل سارق الازدي جاء الى الامام عمر بن الخطاب
وطلب منه ان يوليّه عملاً فقال له ما اسمك فقال ظالم فقال ابن من قال ابن
السراق فقال له انت تظلم وابوك يسرق ولم يولّه شيئاً تطيراً باسمه واسم ابيه
وكانت ملوك العرب في اليمن يُلقَّبون بالاذواء كذي سدر وذي رياش
وذي منار وذي الازعار وذي القرنين وذي جيشان وذي رعين وذي
الاعواد وذي المشائر وذي جدن وذي بن وذي نفر وذي ظليم وذي كلاع
وذي قايش وذي اصبح وذي نواس وذي بزن وذي مروان وذي قيعان
وذي عبل وكان هذا اول ملك غزا الروم من ملوك اليمن واول من ادخل
الدياج والحري اليها ايضاً وذي الملك الذي كان اول من رتب الرواتب
واقام الحرس والروابط وكان لقب الاذواء هذا مخفصاً بالذين يملكون اليمن
وحدها فقط

واما الذين كانوا يملكون في اليمن ولم يجبر وحضر موت ايضاً فكانوا
يلقبونهم تبعاً كما كانوا يلقَّبون ملوك الحبشة بالنعامه او النعام وملوك الخزر
بالملك وملوك الصين بالبغور او الفغفور وملوك فرغانة بالاخشيد وذكر ابن
خلكان ان تفسيره ملك الملوك وكذلك كل من ملك فارس كسرى معرب
خسرو قيل ان معناه واسع الملك ومن ملك الترك خاقاناً ومن ملك الروم
قيصر قال ابن خلدون ان معناه بالعربية شق عنه وسببه ان امه ماتت في
المناس فشق بطنها واخرج فسق قيصر اول من تسمى به اغسطس ملك
رومية وقال آخرون قيصر ملك الرومانيين معربة جيسر وهو الشق لان اول

(١) البز القلب قيل هو شائع في الالغاب المستهجنة النجبة

مَنْ لُقِّبَ بِهِ مِنَ الْفَيَاصِرَةِ كَانَ جَوْفَةً مَشْتَوْقًا وَيُسَمُّونَ مَنْ مَلَكَ الشَّامَ هَرْقَلًا
وَمَنْ مَلَكَ الْحَبْشَةَ نَجَاشِيًّا وَمَنْ مَلَكَ مِصْرَ مَعَ الْأَسْكَدَرِيَّةِ عَزِيزًا وَالْقِبْطَ فَرْعَوْنًا
وَمَعْنَاهُ التَّمْسَاحُ

وَكُنَّا نَقُولُ يُسَمُّونَ قَوَادِ الْبُعُوثِ بِالْأَمِيرِ وَهُوَ فَعِيلٌ مِنَ الْإِمَارَةِ (فُسِمَتْ
الْجَاهِلِيَّةُ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَمِيرُ مَكَّةَ وَأَمِيرُ الْحِجَازِ) ثُمَّ تَلَقَّبَ خَلِيفَتُهُ
أَبُو بَكْرٌ بِالْخَلِيفَةِ وَتَلَقَّبَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ وَهُوَ عَمْرٌ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَوَارَثَ هَذَا التَّلَقُّبُ
الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ وَصَارَ ذَلِكَ عَلَمًا لَهُمْ

وَكَانَتْ الشَّيْعَةُ تَخْصُ الْأَمَامَ عَلِيًّا وَمَنْ يَسُوقُونَ لَهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ بِالْأَمَامِ إِلَى
أَنِ اسْتَعْدَتْ الْخُلَفَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ الْأَعْلَامَ حِجَابًا لِأَسْمَائِهِمْ عَنْ امْتِنَانِهِمْ فِي الدِّينِ
السُّوقَةِ وَصَوَّنَا لَهَا مِنَ الْإِهْتِلَالِ فَتَلَقَّبُوا بِالسَّفَاحِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُهْدِيِّ وَالْمُهَادِي
وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ فَاقْتَفَى آثَرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدِيُّونَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَمِصْرَ وَمَعَ
أَنِ بَقِيَ أُمِّيَّةٌ كَانُوا تَجَافَوْنَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ حَيْثُ كَانَ لَا زَالَ لَمْ يَتَحَوَّلْ
عَنْهُمْ شَعَارُ الْبُلُوَّةِ إِلَى شَعَارِ الْخَضِرَةِ ذَهَبُوا آخِرًا فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَذْهَبُ
الْعَبَّاسِيِّينَ بِالْمَشْرِقِ وَتَسَمَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْآخِرُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ
لِلدِّينِ اللَّهِ (رَاجِعِ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ)

وَكَانَ الْخُلَفَاءُ يُخْصَوْنَ الْمُلُوكَ الَّذِينَ تَحْتَ رِيَاسَتِهِمْ بِالْقَابِ تَشْرِيفِيَّةٌ يُسَمُّونَ
مِنْهَا انْقِيَادَهُمْ لَهَا وَطَاعَتَهُمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَعُضْدِ الدَّوْلَةِ
وَنَظَامِ الْمُلْكِ وَذَخِيرَةِ الْمُلْكِ وَمِنَ الْمُلُوكِ أَيْضًا النَّاصِرُ وَالْمَنْصُورُ وَصَلَاحُ الدِّينِ
وَأَسَدُ الدِّينِ وَنُورُ الدِّينِ الْخ. وَتَخَاطَبُوتُهُمْ فِي الْمَرَاسِمِ الَّتِي يَبْعَثُونَ بِهَا إِلَيْهِمْ
بِالْجَنَابِ الرَّفِيعِ الْخَافِي أَوْ الْجَنَابِ الْعَالِي الشَّاهِسْتَانِي وَإِنَّمَا السُّلَاطِينُ فَكَانُوا
يَكْتُبُونَ فِي الْأَمْضَاءِ عَلَى مَعْرُوضَاتِهِمْ لِلْخُلَفَاءِ خَادِمُكَ الْمَطْوَعُ فَلَانُ أَوْ عَبْدُكَ
فَلَانُ وَالْخَطَّابُ بَعْدَ ذَلِكَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَخَلِيفَةُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ قُدُّوهُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ الْمُنِيفِ عَلَى الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا ابْنُ لُؤْيِ بْنِ
غَالِبٍ

وكان من اشراف العرب قومٌ يقال لهم المطيبون وهم بنو عبد مناف شريف العرب الذي تقدم ذكره في الفصل الثالث من المقالة الثانية وبنو اسد ابن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحارث بن فهر تلقبوا بذلك لانهم غمسلوا ايديهم في خلوق^(١) وتحالفوا على الحرب من اجل سدانة الكعبة ثم تداعوا للصلح على ان يسلموا لبني عبد مناف السقاية والرفادة ويختص بنو عبد الدار بالحجابة وللواء وقوم آخرون يقال لهم الرباب وهم بنو عبد مناة بن ادد بن طابخة ومنهم تميم وعدي وعوف وثور تلقبوا بذلك لانهم غمسلوا ايديهم في الرب^(٢) في حلفي على بني ضبة

واما شيبه الحمد فهو عبد المطلب لقّب بذلك لشيبه في رأسه حين وُلِدَ قال حنيفة بن عامر

بنو شيبه الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر ولقّب امرئ القيس بذي الفروج لان ملك الروم كان كساه حلة مسمومة فقرّحه ومعنى امرئ القيس رجل الشدة وهو لقب له ايضاً قيل لقّب به حين قتل ابيه عليها بن الحارث الكاهلي فحلف انه لا يشرب خمرًا ولا يقرب امرأة ولا يغسل راسه حتى يدرك ثاره اما اسمه الحقيقي فهو جندح وذو الأنف النعمان بن عبد الله قائد خيل خثعم يوم الطائف^(٣)

وكان جعفر بن عوف من بني قريع من ولد تميم يلقّب انف الناقة وهو ابو بطن من سعد بن زيد مناة لان اياه نحر جزوراً فقسم بين نساءه فبعثت جعفرًا امه فاناه وقد قسم الجزور ولم يبق الا رأسها وعنقه فقال له شأنك به فادخل يدك في انفا وجعل يجرها فلقّب به وكان ولده يغضبون من هذا اللقب

(١) الخلوق الطيب (٢) راجع البكاله في الفصل الثالث من هذه المقالة

(٣) ثالث غزوة من غزوات صاحب الشريعة الاسلاميه

الى ان مدحهم الخطيئة بقوله

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذئب
وجران العود لقب عامر بن الحرث النمري لقب به لقوله يخاطب امرأته
خلا حذراً يا جارتى فاني رأيت جران العود قد كاد يصلح
وذلك انه اتخذ لزوجه اللتين كانتا تعصيان سوطاً من الجران ووضعته في
الشمس فانذرهما بجفافه وقرب ضرهما به
ولقب خزيمه بن سعد الخزاعي بالمصطلق لحسن صوته وشدة
وهكلا بعد الاسلام ايضاً فان ابا بكر اول الخلفاء لقب بالصدوق لشدة
صدق.

ولقب عمر الخليفة الثاني بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل
ولقب عثمان بن عفان الخليفة الثالث بذي النورين لانه تزوج بنتي
صاحب الشريعة الاسلامية
ولقب علي بن ابي طالب الخليفة الرابع حيدرة لقبته امه بذلك ومنه
الحديث انا مدينة العلم وحيدرة بابها
ولقب مروان بن الحكم خامس الخلفاء الامويين بخيط باطل وذلك انه
كان طويلاً مضطرباً فلُقب به لدقته لان الخيط باطل هو الهباء الذي يكون
في ضوء الشمس وقبل هو الخيط الذي يخرج من فم العنكبوت وفيه يقول
الشاعر

لحي الله قوماً ملكوا خيط باطل على الناس يعطي من يشاء ويمنع
ولقب ابنة عبد الملك بن مروان سادس الخلفاء المذكورين برشح الحجر
واي ريان ليجله ويجره
ولقب مروان بن محمد بن مروان آخر الخلفاء منهم بالحجار وذلك لان

ملك بني أمية في زمن خلافة كان قارب المئة سنة والعرب يعبرون عن كل قرن من السنين بالحجار كما يعبرون بالحقب عن الدهر ويجمعونه على احقاب وقيل الحقب ثمانون سنة وقيل سبعون اما الحقبه من الدهر فهي مدة لاوقت لها ولقب سعيد بن العاص بعكة الغسل للجمله ولقب الفضل بن سهل بندي الرياسين لانه دبر امر السيف والفلم يعني رياسة الجيوش ورياسة الدواوين

ولقب سعيد بن عباد بالكمال لانه كان يكتب ويحسن الرمي والعموم قال الاصماني كان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعرا كاتباً ساجداً راميّاً سمّوه الكامل وقد شاع على الاسنة قولهم من خطّ وعام وضرب بالسهم فقد استكمل كل الفضل

ولقب عبد الله بن طلحة بطحمة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلمعات لسخائيه وعكرمة بن ربيع دعي ايضاً بالفياض لكرهه وجوده ولقب عبد الله بن عباس بالخبر لعلوه

ومن الالقاب البارجة ايضاً الاعشى والاعى والاعرج والاحول والافطس والافرع ونحو ذلك وقل من وجد في الجاهلية والاسلام وليس له لقب ومن العامة ايضاً من يلقب بشرف الدين وعز الدين وتاج الدين وسيف الدين وامثال ذلك مع انه لم يكن من اهل الديانة وربما كان ممنوعاً على ما يضاد ذلك

الكنى. وكذلك الكنى هي نظير الالقاب عند العرب ايضاً وربما امتازت نوعاً عنها اذ لا يجوز لاحد من الناس ان يكنى بمحضرة من هو اعظم منه وخاصة بمحضرة الخلفاء فلا يقول انا ابو فلان فان وقع ذلك عد من سوء الادب وربما طرد من مجلس الخلفاء وانما الكبراء يخاطبون من هم دونهم بكيتهم اذا ارادوا فان وقع ذلك منهم لاحد عد تلطيفاً زائداً واکراماً لا مزيد عليه وكيفية هذه الكنى هي ان يكنى الرجل باسم ولده والمرأة كذلك فيقال

للرجل ابو فلان والمرأة ام فلان واذا كنوا من لم يكن له ولد فيكون على جهة
التفاؤل وبناء الامر على ان يعيش فيولد له وقد يكون بما يلائم المكثي من غير
الاولاد كفولم ابو لهب لخمرة في خديه وكبي الامام علي ابا تراب لانه نام في
غزوة ذي العشيرة متمرغاً في التراب وكبي ابو هريرة بهذه الكنية لانه كان وهو
صغير يلعب بهرة صغيرة فغلب لقبه هنا على اسمه حتى لم تعد تعرف صيته ويكنى
الكبير الراس باي الراس والكبير العامة باي العامة ومنهم من يكنى باسم ابنته ولا
حرج في ذلك لان الامام عثمان بن عفان يكنى باي ليلي وتيمم الداري باي امامة
واي رقية والمفلد بن معد يكنى باي كريمة ومسروق بن الأجدع باي عائشة
ولا يقتصرون الكنى في الناس فقط بل قد مر عليك في الفصل الثالث
من هذه المقالة كنى الاطعمة وسوف يأتي ايضاً ما وقفنا عليه من كنى الحيوانات
وغيرها في محله.

ويقال انه لم تكن الكنى لاحد من الامم غير العرب ويعتونها من مفاخرهم
قال الشاعر

أكبي حين اناديه لاكرمة ولا القبة والسودد اللقب

النعمة . ويتصل من كتب الآداب العربية ان العرب في الجاهلية كانوا
اذا دخلوا على الملوك قبلوا الارض بين ايادهم وان الرجل يهوس يد من هو
فوقه تعظيماً له واذا اعجب بهن هو دونه او اصغر منه سناً قبلة بين عينيه وكانوا
يقولون للملوك في النعمة ابنت اللعن ومعناه ابنت ان تفعل ما تستوجب به
اللعن وهو عندهم ما لا يخاطب به الا الملوك حتى اذا تولى احدهم الامارة قيل
فلان نال النعمة اي نال الملك الذي يستدعي له هذه النعمة واما في النعميات
المعتادة بين بعضهم فيقولون صبحك الافالح وكل طير صالح او صبحك
الانمة وطيب الاطعمة او يقولون انم صباحاً او غير صباحاً اي طاب عيشك
في صباحك من النعمة وهي طيب العيش وخص الصبح بهذا الدعاء

لان الغارات والكرائه تقع عندهم صباحاً ومن عادتهم في اشعارهم ان يجيئوا
اطلال الديار بهذه التحية ايضاً فيقولون انعم صباحاً ايها الطلل ويتنون لها
الغيث كما يتمنون لمرافد الاموات ايضاً لان الغيث اعظم رحمة يتوقعونها لتوقف
معيشتهم وحياة مواشيهم عليه ويسلمون عليها كما يسلم الرجل منهم على صاحبه في
اي وقت زاره او لقيه ويكون افتتاح مخاطبتهم بهذه العبارة وهي السلام عليكم
قال الشاعر

آلا يا نخلة من ذات عرق^(١) عليك ورحمة الله السلام

اما المخاطب فيجواب من حياه بهذه التحية بلات هذه الالفاظ عنها فيقول
وعليكم السلام لان مخاطبة المفرد بصيغة الجمع المتعظيم هي من عادات العرب
واصطلاحاتهم ومن امثالهم ارحل من تسليم على طلل وهو من قول الشاعر

قالوا السلام عليك يا اطلال قلت السلام على الخيل محال

ومن تكاثم انه قيل لاعرابي السلام عليك فقال عليك الجحشا قبل له
ما هذا جواب فقال ها شجران مران وجمعت علي واحدا منها فجمعت عليك
الآخر

وقد ورث المسلمون عن سلفائهم التحية بهذا السلام عينه ويعتبرونه سنة
ويجيبون الخلفاء والملوك ايضاً فيقولون للخليفة السلام عليك يا امير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته وهو دعاء لهم بالسلامة من الآفات في الدين والعقل
والنفس والعرض والجسم والمال والجاه والولد والاهل اي كان الله معكم حافظاً
لكم وفي سورة طه والسلام على من اتبع الهدى اي من اتبع هدى الله سلم من
عنايه وسخطه ولذلك اعتبروه شعيرة اسلامية تقوم مقام اية تحية كانت يقتضها
الوقت من النهار والليل ولا يجيبون به من كان على غير الاسلام بل ولا يسبحون

(١) اسم محل من اراضي العرب

له ان يلفظ به ايضا

ومن هذا السلام ما جاء في امثال المولدين وهو قولهم الف دق دق ولا سلام عليكم ودق دق في حكاية صوت قرع الباب فكأنهم يقولون الف طارق يدق الباب وينتظر حتى يفتحوا له ولا طارق واحد يجد الباب مفتوحا فيدخل عليهم بغتة قال الشاعر

اغفلوا بابكم مخافة واش الف دق دق ولا سلام عليكم

ويقولون ايضا حديثه بالقصة من الدق دق الى السلام عليك اي من الاول الى الاخر يعني منذ طرق الباب الى ان ودع بهذا السلام وهو مبني على المثل المذكور

ومن التبعات العامة غير هذا السلام قولهم عند اللقاء صباحا اسعد الله صباحكم او الله يصبحكم بالخير وعند الضحى يدلون لفضة الصباح بلفظ النهار فيقولون مثلاً نهاركم سعيد ونحو الظهر او فأنكم سعيدة ومنذ العصر الى الغروب الله يمسككم بالخير وبعد الغروب ومدة الليل ليكنكم سعيدة

الاستقبال، ويحافظ المسلمون على ان ينهض المزور الى الزائر على قدميه وقد يستقبله بعض خطواته ايضا ويجلسه الى جانبه وربما اجلسه فوقه وجلس هو بين يديه رغبة في اكرامه اذا كان من اهل الاسلام وبالاجمال جرت عادتهم بملاطفة الزائر غريباً كان او وطنياً يعرفونه من ذي قبل او لا يعرفونه مسلماً كان او غير مسلم عدواً او محباً فيشكون له وحشيتهم مدة فراقه واشتياقهم الى رؤيته وفرحهم بقدمه وانعاشهم بمسامرتهم والشرحهم لزيارتهم وانهم مرهونون لكل ما يلزمه من الاغراض والمجاهات ولا بد لهم ايضاً من ان يصنفوا بحسب ما لو اخترعوها له اذا لم تكن موجودة فيه كحسن الطباع ودماثة الاخلاق والظرف واللفظ والادب والذكاء ولا يميزون في مثل ذلك بين المسلم وغيره الا بوصف التدين والتقوى والفضيلة في العلم واذا كانت بغضتهم لقبيلة الزائر

او افاربه معروفة بينوا له بانهم لا يجلسونه منهم لامتيازهم بحاسن الاخلاق
والاوصاف المذكورة دون سائرهم
الجلوس^(١). والاعراب جلوس خاصة بهم يجلسونها في اي محل وجدوا فيه
حيث اعنادوها في مساكنهم التي هي خيام لا يوجد فيها حيطان يستند اليها في
مهمهم فكان الرجل منهم يقيم ركبته في جلوسه ويضع عليها سيفاً او يدير بها
ثوباً او يعقد عليها يديه فيسترجح اليها ويقوم له ذلك مقام الاستناد وقال بعضهم
هو ان يجلس الرجل على ركبته متكئاً يلبصق بطنه بغيره ويتأبط كفيه وهي
جلوس الاعراب ويسمونهم القرفصاء وفي محيط المحيط والاعراب جلوس تسمى الحية
من الاحياء وهو ان يجتمع الرجل بين ظهره وساقيه اذا جلس ليصير كالمسند ثم
اذا عبروا عن القيام والعود قالوا حل حيوته اي قام وعقد حيوته اي قعد
واما الحضرة فلم في الجلوس آداب يراعونها بكل تدقيق وخاصة في
الجالس الحافلة ودواوين الكبراء وذوي المراتب والمساند العالية ومنها جلوس
يقال لها التربع وهي ان يجلس الرجل ملتفاً باثوابه وركبته مثنيات الى الارض
بحيث يكون قدم كل رجل من رجليه تحت ركبته الاخرى ويستند بظهره
فيكون بذلك مقبلاً بوجهه على الجالسين عن جانبيه بلا فرق وجلوس اخرى
يقال لها على ركبتيه ونصف وهي ان تكون احدى ركبتيه قائمة والاخرى مثنية
خطها لكن يلاحظ فيها ان لا تكون الركبة القائمة من الجهة التي يكون جالساً
فيها رجل فوقة في المنزلة وجلوس ثالثة وهي ان يركع الرجل على ركبتيه وقدماه
مثنيتان الى الوراء وهذه الجلوس هي اعظم وقاراً وأكثر تأدباً من كل انواع الجلوس
وعلى اية صورة كان الجلوس لا يكون متأدباً كاليجب الا باخفاف الاقدام وعدم
ظهور الخف مما يمكن بحيث لا يظهر شيء من آثار القدمين ومن العادة ايضاً
ان لا يجلس الصغير بحضرة الكبراء الا بعد ان يأمره بالجلوس ثلاث مرات
اما لفظاً او بالاشارة. واما دخول الانسان الى المجلس بدون خلع نعليه او اذا

(١) الجلوس خاص بالانسان كما ان البروك للابل والحيثوم للظير

في آداب الخيمة وأنواع المخاطبات

٢٠٥

مدَّ رجله بعد أن يجلس أو يضع رجلاً فوق أخرى فكان كل ذلك يعدُّ من سوء الأدب وعدم الوقار بما لا مزيد عليه

ما يقدم للزائر. وبعد أن يستقرَّ جلوس الزائر عند البدول لا بدَّ من أكرامه بتقديم ما تيسر من الطعام ولذلك كلامٌ سوف يذكر في المقالة التالية وإما الحضر فلا يكون تقديم الطعام إلى الزوار إلا في الولائم أو الدعوات الخصوصية إلا إذا كان الزائر نبلاً أو مقبلاً من سفر لكن في الزيارات المتبادلة الاعيادية فيكون أكرام الزائر بتقديم شيء لهم من أنواع الفواكه المطبوخة بالسكر والمشروبات من السكر والقهوة والتدخين فقط وبذلك يشترك جميع الحاضرين بدون فرق ولا تمييز إلا في التقديم والتأخير بحسب الرتب ودرجات العمر

تشجيع الزوار. ثم في وقت انصراف الزائر يتمضون كذلك حال نهوضه وقوفاً على الأقدام ويصرفون برهةً وهم وقوف يشكون له بها ما سوف يكابدونه من الوحشة لفراقه وما سوف يلزمهم من الأشواق إليه وربما شيعوه إذا كان من اصحاب الخيمة إلى باب الدار وهم يترجون العوده وإن لا يخل عليهم بالزيارات المتواصلة ولا يجعل زيارته لم كيهضة الديك لأنه يقال إن الديك يبيض مدة زمانه بيضة واحدة قال أبو العنانية

يا طبيب الناس ربّما غير مُختبر
لولا شهادة اطراف المساويك^(١)
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة
ثني ولا تجعلها بيضة الديك

مع أنه قد جاء في الحديث زُرْ غيباً^(٢) تردد حباً والهوى من النوى يعني أن البعد يورث المحبة ومنه لتولد فإن الإنسان إذا كان يرى كل يوم استخف

(١) المساويك جمع المساوك وهو ما تخلل به الأسنان للتنظيف

(٢) غيب عن القوم يغيب غيباً إذا هم يوماً وترك يوماً وغيب الرجل جاء زائراً بعد

أيام أو كل اسبوع

وملّ قال الحارث بن حازم الشكري

آذتنا بينهم^(١) اسماء ربّ ثاويل^(٢) منه الثواء

وداع الراحلين. وكانت العرب تقول في وداع الراحلين شاعكم السلام او شاعكم الله بالسلام اي اتبعكم اياه وجعله صاحبا لكم وتابعا وهو يقابل قولهم السلام عليكم في تحية اللناء على ما سبقت الاشارة اليه او يقولون سرّ على الطائر الميمون ونواك الله اي صحبك في سفرك اذا كان المودع قاصدا السفر. واما المحضرون الآن فيقولون له مع السلامة آنستم شرفتم وحلّيتم البركات وبلغكم الله السلامة ونرجوكم ان تسلم على الاصحاب وان تطلّما بوصولك بالسلامة

آداب الجمعية . وكان من آداب العرب في اجتماعهم تسميت من عطس في الحضرة وفي درّة الغواص التسميت والتسميت للعاطس اشارة بالنشين الى جمع الشمل لان العرب تقول تسمت الابل اذا اجتمعت في المرعى وبالسّين الى ان برزق التسمت الحسن ولذلك يقول الحاضرون لمن عطس في المجلس رحمك الله اما هو فيجأوبهم نحن وانتم وعامة المسلمين

ويقولون لمن شرب الماء هنيئا بعد ان يقول هو عقيب شربه الحمد لله فيجأوب كل واحد من الذين قالوا له ذلك من الحضار هناك الله ويده اليه فوق راسه غير انه من شروط الادب ان الصغير لا يقول ذلك لمن هو اعظم منه قدرا او اكبر سنا

وكانت العرب تقول للصبي اذا تحشّأ حلقه يريدون بذلك طال عمرك وحلق رأسك حلقه بعد حلقه والجشأ من الامور التي يجب الاحتراس منها في مجالس الحضرة الآن وخاصة بحضرة الكبراء فاذا اجبرت الطبيعة على ذلك امال براسه وستر فيه يده او يمدّ يده ونحوه وبعد ان ينتهي يقول استغفر الله

(١) البيوتة الفراق والانتطاع فبراد بينها مفارقتها والبعده عنها

(٢) الثاوي المنيم والثواء المقام

ويقولون لمن حلق رأسه أو اغتسل أو نهض من النوم نعيماً فيجاب هو من يقول له ذلك بقوله الله ينعم عليك

وكانت العرب تقول للعائر نعا وفي مجمع الأمثال للميداني لما لك عالما ويقال لعل لك ذلك للعائر دعالة قال الحميل بن حزن الحارث

لنا فحمة زوراء احمت بلادنا متى برها الشاوي بلجج به وهل
وارماحنا بهزهم نهز فحمة يقن لمن ادركن نعا ولا لعل

وفي درة الغواص للحريري التمس الدعاء على العائر بان لا يتعش ولعا دعالة قال الاعشى

بذات لوث عفراة اذا عثرت فالتبس ادنى لها من ان اقول لعا

واما في ايامنا هذه فيقولون لمن يعثر الله يجذف حرف النداء غالبا او يا خضر مثلاً او غيره من الانبياء والاولياء استغاثة لوقاية العائر وحفظه من الضرر

ويقولون لمن لبس الجديد اهليت جدينا وتملت جيبا اي عشت ملائكت من دهرك وتنتعت به

ولمن ارادوا اخباره بما يسره بشارك او بشرى لك

ولمن ينجح في امر من الامور نعم الله بك عينا ونعمك اي اقر بك عين من تحبة واقر عينك من تحبة . قال الاصمعي اقر الله عينك معناه ابرد الله دمعك اي سر لك غاية السرور لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار . وقال الشيباني معناه انام الله عينك وازال سهرها لان استبعاد الحزن داع الى السهر . وقال آخرون اعطاك الله منك ومبتغاك حتي نقر عينك عن الطماح الى غيره

ويقولون لمن يستحسنون قوله لافض فوك اي لا ثرت اسنانك ولا

فَرَّقَتْ مَاخُذَ مِنْ فَضِّ الْخَتَمِ أَوْ لَسَدَ فُوكَ وَلَا كَانَ مِنْ يَشْنُوكَ^(١)
وَمَنْ يَسْتَحْسِنُونَ فَعَلَهُ لَا شُلَّتْ يَدَاكَ أَوْ لَا شُلَّتْ يَمِينُكَ وَالْمَعْنَى لَا يَبْسُتْ
وَحَيَّاكَ اللَّهُ وَحَيَّاكَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَحَيَّاكَ وَيَّاكَ قَبْلَ أَنْ مَعْنَى حَيَّاكَ مَلَّكَكَ
وَيَّاكَ اعْتَمَدَكَ بِالْحُبَّةِ وَبَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَمَنْ كَلَامُ الْمَوْلَدِينَ بَوْرِكَ فَبِكَ مِنْ
طَلَاكُمَا بَوْرِكَ فِي لَا وَلَا وَهُوَ كَلَامُ أَبِي النَّاسِمِ الْحَرِيرِيِّ فِي مَنَامَتِهِ الْحَلِيَّةِ يَرِيدُ
بِذَلِكَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ كَمَا بَارَكَ فِي شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ^(٢)
يُقَالُ أَنْ أَوَّلَ الدُّعَاءِ قَالَهُ إِعْرَائِي دَخَلَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَسَأَلَهُ بَوَاوَامَ بَوَاوِينَ
يَرِيدُ الشَّهَادَةَ فَاجَابَهُ أَبُو حَنِيفَةَ بَوَاوِينَ فَدَعَا لَهُ الْإِعْرَائِي بِهِمَا الدُّعَاءَ قَالَ بَعْضُهُمْ
أَنْتَ قَوْلُ الْعَرَبِ لِلْمَسَائِلِ بَوْرِكَ فِيكَ فَهُمْ يَقْصِدُونَ بِهِ الرَّدَّ عَلَيْهِ لَا الدُّعَاءَ لَهُ
وَقَدْ كَثُرَ هَذَا فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى جَعَلُوهُ اسْمًا لِلرَّدِّ وَالِدَفْعِ
وَيَقُولُونَ مَنْ أَرَادَ الدُّعَاءَ لَهُ بِطَرْتِ^(٣) عَيْشِكَ كَمَا يَقُولُونَ رَشِدَتْ^(٤)
أَمْرُكَ وَلِلَّهِ دَرْكُ أَيِّ خَيْرِكَ وَعِطَاؤُكَ وَمَا يُوْخَذُ عَنْكَ وَلِلَّهِ ثَوْبَاكَ أَيُّ لِّلَّهِ دَرْكُ
وَالْغَائِبِ عَيْلٍ مَا هُوَ عَائِلَةٌ أَيُّ غَلَبَ مَا هُوَ غَالِبُهُ وَيَقُولُونَ أَيْضًا اسْعِدَكَ الْمَلِكُ
وَلَا عَدَمَتِكَ وَرَحِمَ اللَّهُ مَهْلَكَ أَيُّ اسْلَافِكَ وَفِي الْإِسْلَامِ رَحِمَكَ اللَّهُ وَرَحِمَ اللَّهُ آبَاءَكَ
فَيُحِبُّونَ نَحْنُ وَانْتَمَ وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُونَ أَيْضًا أَكْثَرَ اللَّهُ جِرْذَانَ بَيْتِكَ يَرِيدُونَ
بِذَلِكَ أَكْثَارَ الطَّعَامِ فَتَكْثُرُ بِهِ الْجِرْذَانُ وَحُجُوجًا لَكَ أَيُّ سَلَامَةً وَرَزَقًا لِلَّهِ
قُلْتَنكَ^(٥) يَعْنِي صَفَاهَا وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَالْعَامَّةُ تَقُولُ الْآنَ اللَّهُ يَرْضَى عَلَيْكَ وَهُوَ
غُلَطٌ فَانْتَمَ بِذَلِكَ يَدْعُونَ عَلَيْهِ عَوْضًا عَنْ أَنْ يَدْعُوا لَهُ وَيَقُولُونَ بَلِّغَ اللَّهُ بِكَ
أَكْلًا الْعَمْرَ يَعْنِي بَلِّغَكَ اللَّهُ أَطُولَ الْعَمْرِ وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ نَسَاءُ اللَّهِ أَيُّ أَخْرَجَتْهُ
وَالنِّسَاءُ التَّأْخِيرُ وَقَوْلُ الْمُتَأَخِّرِينَ فَسَخِ اللَّهُ فِي أَجَالِكَ وَأَطَالَ اللَّهُ بِقَائِكَ

(١) الشَّيْءُ الْبَغْضَةُ مَعَ عِدَاوَةٍ وَسُوءٍ خَلَقَ

(٢) زَيْتُونَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ

(٣) بَطَرُ الرَّجُلِ تَشْطُّ وَدَهْشٌ مِنْ قِلَّةِ احْتِمَالِ النِّعَةِ

(٤) الرُّشْدُ الْإِعْتِدَادُ (٥) الْفُلْدَى مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَيُوجِبُهَا

ويقولون لمن أرادوا ان يظهروا له الهيبة مع التعظيم فدريتك او جعلت
فدائك يريد المخاطب ان يظهر للمخاطب بذلك اعتباراً له بهذا المقدار حتى يود
ان يكون له فداء في ما يمكن حدوثه عليه من المصائب او الموت وقد يكتفون
بقولهم بروحي او بأبي واممي انت والمعنى تفدى بروحي وبأبي واممي ويقولون ايضاً
لي الشر اقم سوادك وهو يقال عند التشيع اذا ظهر الخوف ومعناه اقم شخصك
وليكن الشر مقدراً لي لا لك . واما قولهم ابيت اللعن فقد سبقت الاشارة اليه
في الكلام على النخبة وانما يقولون لمن ارادوا اغراءه على شيء من الاعمال افعل
كلنا وخالك ذم فتكون للمغري بمنزلة ابيت اللعن والمعنى افعل كلنا وكلنا وقد
جاوزك الذم فلا تستخفه قال الشاعر

فشأنك وانمي فخالك ذم ولا ارجع الى اهلي ومالي

ويقولون في الاستعطاف قعدت لك الله او قعيدك والله اي ناشدتك الله
وقيل ان المراد كانه قاعد معك ويحفظك وعمرك الله اي سألت الله اطالة
عمرك وناشدتك الله الا فعلت معناه ما طلبت منك شيئاً من الاشياء الا فعلت
وقولهم على رسلك يراد به على رفقتك والرسول الرفق وحنانيك بلفظ التثنية
يراد به تحن علي مرة بعد اخرى اما قولهم اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها
والدلو رشاهما فيريدون به الامر باستكمال المعروف

وكان من عادة العرب ان يقولوا في الاستغاثة يا فلان وينادي الرجل
منهم انا فلان بن فلان فينتهي الى ابيه وجدته لشرفه وعزه فلما جاء الاسلام نهي
عن ذلك وقد ورد في الحديث من تعزاه بعزاه الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا
تكنوا يعني قبحوا عليه فعلة

ويقولون للباني باهله وفي درة الغواص الباني على اهله اذ الاصل فيه ان
الرجل كان اذا اراد ان يدخل على عرسه بنى عليها قبة (راجع الفصل الرابع
من المقالة الثالثة) نعم عوفك والعوف هو البال والشان وقيل ما يقع ذكره

من اعضاء الرجل وفي التهيئة للمعرس بالرفاء والبنين وهنأ بعضهم معرساً فقال
بالرفاء والبنات والبنين والبنات اي بالالتئام وعدم الطلاق واتساع الولادة
فتشمل على البنين والبنات . واما المتأخرون فيقولون مبارك ما علمت ربنا تعالى
يهشك وان شاء الله قرين التوفيق وتنظر الخير ويجعله الله عرساً مقروناً بالهناء
والسرور وما اشبه ذلك

ويقولون فيما اذا ولد لاحد مولود مبارك ما جاءك برى بدلاك
وجعله الله من طوبى الاعمار وان شاء الله تفرح منه وتزوج اولاده وفي درة
الغواص ان العرب كانوا يقولون اذا ولد لاحد بنت هنأ لك النافجة اي
المعظمة لما لك (راجع الفصل المار ذكره)

ويقولون في الزيارات المتبادلة في الاعياد والمواسم كل عام وانتم بخير
احياكم الله لكل عام واذا كان المزور عزيزاً قالوا له في السنة القادمة نشوفك
عريساً ان شاء الله او اذا كان متزوجاً ولم يرزق بمولود بعد قالوا له في السنة
القادمة يكون عندك غلام وفي عيد الاضحي خاصة يقولون السنة القادمة في
عرفات واذا كانوا متغربين عن بيوتهم قالوا له السنة القادمة في الاوطان مع
جبر المخاطر ان شاء الله

وكانت العرب تقول للمريض عند ما يعودونه مَصَحَ الله ما بك اي اذهبه
وفرقة واما المتأخرون فيقولون له زال البأس شفاك الله وعافاك واذا كان
متقدماً الى الصحة قالوا له اجراً وعافية يريدون بذلك ان الله يكتب له ما
اصابه من ذلك المرض في مبرائه ويعوضه عنه عافية

ويقولون في تعزية المخزونين عظم الله اجركم وجملة قاطع الاسواء عنكم
وربنا لا يقي يكدر لكم خاطراً ويجعل العوض بسلامتكم وامثال ذلك وكانوا
يقولون اذا كان الميت طفلاً اللهم اجعله لنا فرطاً اي اجراً يتقدمنا اما المخزون
فيجاب كل من عزاه بما يوافق خطابه . فيجى عن ابي الوليد احمد بن عبد الله
ابن غالب بن زيدون الخزرجي الاندلسي المولود بقرطبة سنة ٣٩٤ الهجرية (سنة

في آداب التحية وأنواع المخاطبات

٢١١

١٠٠٣ م) أنه وقف على قبر ميت له والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما اجاب احدا بما جاوب به غيره ولذلك يضرب به المثل في وسع العبارة فيقال اوسع عبارة من ابن زيدون

ويقولون عند ذكر احد المتوفين من اهل الاسلام في مجالسهم رَحِمَهُ اللهُ او تَعَدَّهُ اللهُ بِالرَّحْمَةِ اِذَا كَانَ ذَكَرَ الْمُتَوَفَّى لِنَظْمٍ . اما في الكتابة فيكتبون طاب ثراه يعني الثراب الذي ضمه وقُدس اللهُ روحه ونور ضريحه وامثال ذلك ويعبرون عن الميت بالمتوفي اذا كان مسلماً ايضاً والا فالميت او الهالك

ويقولون حَبِذا زيد وهو من افعال المدح اي هو حبيب وهذا رجل حسبك من رجل وهو مدح للذكورة ومعناه كافٍ لك عن غيره واما قولهم للمخاطب حسبك الله فيريدون به انتقم الله منك وكفى بالله حسباً اي محاسباً وكافياً

ويقولون لمن ارادوا اجابة سؤله حَبّاً وكرامة ومعناه احببك حَبّاً واكرمك كرامة

واذا اطلع احدكم رجلاً على معائبه لثمنه به قال القيت اليه عَجْرِي وَبَجْرِي واما قولهم بَعَجَ بطنه له فمعناه بالغ في نصحه وقول القائل ابوه اليه بمعناه اي افرح بها وما في صدري حوجاء ولا لوجاء اي مربة ولا شك وكلمته فما رد حوجاء ولا لوجاء اي كلمة قبيحة ولا حسنة واما قولهم حَنَّان الله فمعناه معاذ الله واجلك الله معناه عظم الله قدرك والمكروه حاشاك وحاشا اداه استثناء وترد هنا للتنزيه ومنه حاشا الله عن النقص اي تنزهاً له عن ذلك وحاشا الله معناه معاذ الله ويقولون في التمني ليت شعري والمعنى ليتني شعرت بكلها او كلنا وليتني علمت بحقيقتيه

وكانت العرب في الجاهلية تقول عند الرضى والاعجاب او الغر والمدهح بَنَجٍ بالافراد او بَنَجٍ بَنَجٍ بالتركيب للمبالغة وهو اسم فعل معناه عظم الامر وفهم وبد بد بمعناه ايضاً . اما قولهم وَيَ قِيلَ انها كلمة تعجب وقيل زجر تقول وَيَ لزيد

وإذا سُرُوا بغير سمعوه قالوا وإها ما ابردها على الفؤاد ويروى وإها لها من نغمة
اي صوت ومن امثالهم انه لوأها من الرجال اي محمود الاخلاق كريم يعنون
انه اهل لان نفال له هذه الكلمة اما اللثيم فانه غير وإها قال ابو النجم

وإها لربنا ثم وإها وإها ياليت عيناها لنا وفاما

اما آخ فهي كلمة تكره وتؤوه وتوجع ايضا يقولونها اذا اصاب احدكم شيء
اوجعه وهي مثل كلمة حسن وآخ واؤه من التأوه ومنهم من حذف الهاء فقال
او ومنه قولهم يتأوه من الذنوب

ويقولون في الباطل هو الضلال بن بهل او بهل او بهل وكلاهما من
اسماء الباطل لا يعرف ومعناه باطل بن باطل اما قولهم هيان بن بيان فهو
كناية عن لا يعرف ابوه وكناهي بن يي وجاء بقربي حمار يعني جاء بالكذب
والباطل لان الحمار لا قرن له وجاء بالضلال بن البهل يصفون بذلك من
يشكرون عليه احاديثة

ويبتهمون الكلاب بقولهم صيه صافع ومعناه اسكت يا كلاب ويبتهمون من
اتاهم من الغير بما يكرهونه من شتم وجه المحرش اقبح وهو مثل قول العامة ما
شمتك الا الذي بلغك ولن يتضجرون من كلامه او فعله خسا وهي لفظة يبتهمون
بها الكلاب ايضا واذا انكروا امرا وارادوا دم فاعله حقيقة قالوا اخزاه الله
وقبيحه الله او قالوا افئ ونف افئ فهي من الإفف وهو الضجر والاف ايضا
وسخ الاذن والنف وسخ الظفر وهو ضد يخ يخ التي مر ذكرها ويقولون ايضا
أفأ له اي قدرا للتذكير او يقولون اخ ونف فالتف قد مر ايضا حواها اما الإخ
فمعناه القدر ايضا وقولهم حجزا له معناه دفعا له يقال بن الاستعاذة من الامر
المكروه

ويقولون في التخمير لمن ارادوا ان يصغروا اليه نفسه يا حبة بالحاء والخاء
معاً مكسورتين ومعنى الحقيقة القصير ولن يكرهون طلعته حداد حربه والمعنى

أيها الرادّة رُدِّيهِ ويقولون للرجل القليل الخير أنه لنكد الخطيرة يريدون بالخطيرة أمواله

ومن عادة العرب الدعاء في موضع المدح عند شدة الإعجاب من المتكلم أو سماعهم منه ما لا يتوقعونه في الحضرة قال الروزي إن العرب تفعل ذلك حرماً لعين الكمال عن المدعو عليه قال الشاعر

رحمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي العز من أنيابها^(١) بالقوادح^(٢)

ومن ذلك قولهم قاتله الله ما أفصحته والمعنى لا كان له غير الله قاتلاً أي أنه لا قرن^(٣) له بقدر على قتله غير الله وانظروا أيضاً لأعد من نذره وتكلمته أمه وهباته أمه وهو مثل تكلمته وتكلمته الجبل أي الأم والزوجة والجبل الشعر الكثير فيكون المعنى تكلمته ذوات الجبل وقيل الجبل قبيات^(٤) البيوت وقيل غير ذلك ويقولون أيضاً هوت أمه أي سقطت قال الشاعر

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا^(٥) وماذا يودّي الليل حنين يثوب^(٦)

وأما قولهم ويلك فعناه الويل لك ونفال أيضاً في مثل هذا المقام وأما بوحك فقد قال بعضهم أيها كلمة ترسم كويحك ويحك كلمة ترحم وقيل بمعنى ويل وقال الميمني أني فلان ويسا أي اني ما يريد قال الخليل لم يسمع على هذا البناء إلا ويح وويس وويل وقالوا ويك وويب وكلها متفارب في المعنى إلا ويح وويس فانها كلمتا رأفة واستعجاب

وأما في الدعاء حقيقة فيقولون لمن يتفألون من كلامه بفيك الحجر ولن ارادوا اهلاكه استأصل الله عرقه والعرقه هي الطرة تنسج فتتار حول

(١) الباب السرج انياب (٢) الفدح الطعن والامانة

(٣) القرن الكفو والنظير بالشيعة والمقاوم (٤) القيم على الامر متوليه

(٥) الغدو الذهاب غدوة ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان

(٦) الوب الاتيان من كل مكان وناحية

الفسطاط فتكون كالاصل له ويقولون به لا بظي اعفر وهو من قول
الفرزدق لما نعي اليه زياد بن ابيه

اقول له لما اتاني نعيه به لا بظي بالصريمة اعفرا

وبه لا بكسب ناجح بالسباسب^(١) يقولونه للشامة ويقولون لمن يريدون
نهيبة عن امر يكرهونه لا تفعل ذلك امك حالي اي انكلمها الله حتى تخلق شعرها
حزناً عليه. وبسلاً له اي وبسلاً وبسلاً وبسلاً^(٢) دعاء عليه وبسلاً بمعناه
امين امين ايضاً اما قولهم بغض جدك فهو كنعس جدك وبغض يعدوك عينا
وتب فلان اي هلك وتببت يده خلنا وخسرنا وتباً له بالنصب على المصدر اي
الزمة الله هلاكاً وخسراناً وشل الله عرشه اي امانته وذهب ملكه او عزه وعثر
جده ونعس جده اي هلك وذبل ذبله وذبلأ ذابلأ وذبلأ ذبلأ اي ماله
اذبله الله وارى الله به اي ارى الناس به العذاب والهلاك ويقولون للمرأة
لاحظي رُفْعَكَ دعاء عليها يراد به لا رزقك الله زوجاً ويقولون للغلام
لا اشب الله قرنك اي لا جعله يشب ولا طال عمرك وقولهم اشعب الله عيش
فلان يريدون به شدة اي جعله صعباً واضى الله ظله ايه اهلكه واكره الله
تعالى دعاء بالسوء لان الكثر از داء من شدة البرد ولا كان ولا تكون والحاء
الله اي لعنة ولا هله الله اي لا اسكن عناء واهة له واليدى واللفم ايه اسقطه
الله عليها ورماء الله بافعى حارية يعنى التي نقص جسمها من الكبر فلا تبقي لديها
بل تقتل من ساعتها ورماء الله بالصلام والاولى والجذام فالصرام داء ياخذ في
رووس الدواب والاولى المجنون ورماء الله بلبلة لا اخت لها اي بلبلة يموت فيها
ورماء الله بدينه يعنون به الموت لانه دين على كل احد ورماء الله من كل آفة
يجبر على الشرف الاقصى فابعده اي باعده الله واسمقه وعقر او حلقاً وهو دعاء

(١) السباسب الفاو وارض البعينة المستوية

(٢) الأسل الرماح ورأس النعل وغير ذلك

يقال في الدعاء بالهلكة ويقال للمرأة عقرى حلقى أي أنها تعقر قومها وتحلقهم بشوهمها. وعليه العقار والديار وسوء الدار وعليه العفاء والذئب العواء والعفاء هو الاندساس والبلبلى والهلاك وورباً يقطع العظام ربياً أي ورأه الله ورباً وهو أن يأكل الفجج جوفه وجدع^(١) الله مسامحة واجن الله جبالة أي أسكنها المجن في موحشة ورماه الله بداء الذئب يعني الجوع وقيل بالموت لأن الذئب لا يصيبه من العلل إلا علة الموت ورماه الله بالطلاطة والمحي الماطلة والطلاطة الداء العضال لإدوائه وإصم الله صده^(٢) وولج الرجم واستغن الله عينيه ولا صبيحة ولا وسع عليه ويقولون في الدعاء على المسافر لا قيت أخيراً (راجع الفصل الرابع من المقالة الرابعة) وصفرت يده من كل خير أي خلت وميته المثل صفر الدين وتربّت يده أي افتقرت ولا ترك الله له وأضحته أي لا بقي له شيئاً وقيل يراد به المال الظاهر ويقولون في الدعاء على القوم أباد الله خصرهم قال الأصمعي معناه أباد الله نعمتهم وخصمهم ومنهم من يقول أباد الله غصراهم أي خيرهم وقال آخرون بهجتهم وحسنهم قال الشاعر

احنوا العراب على محاسنهم وعلى غصارة وجهه النضر

ويقولون أبدى الله شواره والشوار القرح أي أزال عنه الستر ويجنبه فلتكن الوجبة يعني داء الجنب فكانه دعاء عليه بالموت وبؤساً له وبؤساً له وحوساً له وهي كلها بمعنى واحد بلا فرق وبهراً له أي ينزل عليه ما يبهره وهو مثل جدعاً له وثبت لده وبراد باللبد هنا لبد فرسه فانه إذا ثبت لبد لم ير في رحله خيراً لأنهم يجلبون الخير لأنفسهم من الغارة ويقولون أيضاً لأحلبت ولا أحلبت وقال رجل لرجل يدعو عليه أن كنت كاذباً فحلبت قاعداً وشربت

(١) المجدع القطع وجدعاً له يعني الزمة الله المجدع أي قطع عنه الخير وجعله ناقصاً

معيباً (٢) أصم الله صده أي أهلكه لأن الرجل إذا مات لم يسمع الصدى منه شيئاً فيحييه والصدى هو الذي يبيحك مثل صوتك في الجبال وغيرها ويقولون صم صده على المجهول يعني مات

بارداً اي جلبت شاةً لاناقةً وشربت بارداً على غير ثقل
 وكانوا اذا شتم الرجل منهم عدواً له نسب امه الى الفحش بقوله له يا ابن
 الفاحشة ويا ابن الخنا اي يا ابن المنه ويا ابن شامة الوزر فالشائم الذي يجر
 الشوم والوزر الاثم والثقل ويا ابن ذات الرايات والراية العلم والعلامة المنصوبة
 للروية ويا ابن ثرى يعني يا ابن الزانية ويا ابن المراغة والمراغة الارض التي
 يتمرغ عليها الدواب ويا ابن الفاعلة ويا ابن الثاء طاء اي يا ابن الأمة ولا ام
 لك يعني ليس لك ام حرة وهذا هو الشتم الصحيح قاله المبدئي عن اي سعيد
 الضرير لان بني الاماء عند العرب ليسوا بنعمودين ولا لاحقين غيرهم من ابناء
 الحرار (راجع ما يتعلق بالاولاد في الفصل الرابع من المقالة الثالثة) فاما اذا
 قالوا لا ابا لك فانه لم يترك له شيء من الشتمية وقال الزوزني لا ابا لك كلمة
 جافية لا يراد بها الجفاء وانما يراد بها التنبية والاعلام وكذلك ينسبون لمن
 يريدون شتمه ما يشين عرضه فيقولون له يا ابن القرنان^(١) وامثال ذلك واذا
 سبوا امرأة قالوا لها يا خبات كما يقولون للرجل يا نخيت ويا لكاع للمرأة ايضاً
 البناء على الكسر كقطام اي لئيمة قال الخطيبه يهجو امرأته

اطوف ما اطوف ثم آوي الى بيت قعيدته^(٢) لكاع

ولا تكاد تستعمل الا في الدناء ويشتم نساء العرب بعضهم بلفظ جيثلوطة
 وقد ظن بعضهم ان معناه الكتابة او السلاحة ويا خزاق معدول عن الخرق
 بمعنى الذرق اما قولهم يا بنظر فهو شتم للامة فيج المعنى واذا سبوا ولداً قالوا له
 يا ولد الزناء وتربية الخناء ويا ابن الكعاء ويا ابن اللقطة وغير ذلك من
 النسب القبيحة والالفاظ المستهجنة البربرية

ونقول العرب في التهديد الشديد المحقق لا كوينك كبة المتلوم والمتلوم

(١) قرن الرجل من بشاركة في قرية واي زوجته والقرنان الديوث الذي لا غيرة
 له المشارك في زوجته (٢) القعيدة المرأة لتعودها في البيت

الذي يمنع الداء حتى يعلم مكانه ولا يترك لها باصراً اي امراً مفزحاً ولا لحقن
حوائك بذوائفك والحوائق ما سئل من البطن ولا طعن في حوصك اي
لا كبدتك واجتهد في هلاكك ولا قيمتك على التثر والتثر الخيط يتدر به البناء
هذه على البناء ولا قيمن اخذ عيك اي لاذهن كبرك ولا قيمن فذلك والفذل
الميل والجور وبروى حدك اي عوجك وبروى صعرك اي ميلك ويقولون
ايضاً لئن التقي روعي ورؤعك لتندمن على مقارنتي لانك تجدني أعدل منك
واقدر على دفع شرّك

ويحكى ان الحجاج بن يوسف الثقفي قال لانس بن مالك لا قلعنك قلع
الصمغة (يعني كما تطلع الصمغة من شجرتها حتى لا تبقى عليها علقه) ولا جزرك
جزر الهرب (الجزر النحر والذبح والهرب ثرب البطن وهو شحم رقيق يغشي
الكرش) ولا عصبك عصب السامة (السامة شجرة اذا ارادوا قطعها عصبوا
اغصانها عصباً اي شداً شديداً حتى يصلوا الى جذعها فية طعوه) فقال انس من
يعني الامير قال اياك اعني اصم الله صدك فكتب انس بذلك الى عبد الملك
ابن مروان فكتب عبد الملك الى الحجاج يا ابن المستقرمة بعجم الزبيب (المستقرمة
هي التي اشتدت شهوتها للاكل والعجم الذوى) لقد هممت ان اركلك ركلة تهوي
منها الى نار جهنم (الركل الضرب برجل واحدة) واضغمت ضغمة كبعض ضغمت
الليوث الثعالب (الضغم العض) واخبطك خبطة تودّ انك زاحمت مخرجك
من بطن امك فانلك الله أخيفش العينين (الخفش ضعف البصر خبطة او هو
فساد في الجنون بلا وجع او ان يبصر في الليل دون النهار ومنه الخفاش طائر
يعي في النهار ويبصر في الليل) اصك الاذنين (الاصك المضطرب ولعله هنا
ضعيف السمع) اسود الجاعرتين (الجاعرة الاسد او حلقة الدبر والجاعرتان
مشئ الجاعرة) اجش الساقين (يعني دقيقتها وفي محيط الخيط المجشاء العظيمة الركب
ويقولون في التهمك ^(١) لا ابق الله عليك ان ابقيت علي وهو يقال للتمود

ومعناه لا بقيت ان ابقيتني يعني لا تأل جبهنا في الأساة الي ان قدرت . ولا
تبقى الأ على نفسك ومعناه أ فعل ما نندر عليه فلست ممن يبالي بوعيدك^(١)
ويقولون ايضاً لا تبرقل علينا وهو مأخوذ من البرق بلا مطر ومعناه الكلام
بلا فعل يقولونه المتصلف^(٢) قال الكهيت

ابرق وارعد يا يزي مدفا وعيدك لي بضائر

وبرق لمن لا يعرفك وتجسبه جاداً وهو مازح يقال لمن يتهدد وليس وراءه
ما يخيفه . وجلاء الجوزاء وذلك ان الجوزاء تطلع غدوة فتأتي بريح شديدة ثم
تسكن واما في الازدراء فيقولون دعهُ يترمع في طمبه اي يتسكع^(٣) في ضلاله او
يتلطح في سلوه^(٤) وما ادري اي من وجن الجلد هو يعني اي الناس هو وما
ادري اي اودك هو ومعناه كالذي

قبلة

—+004—

- (١) الوعد يكون في الخير والوعيد في الشر يقال اوعده اي وعده شراً
(٢) الصلف الاعجاب والتكبر وصلف الرجل يصف صلفاً تمدح بما ليس عنده
اعجاباً وتكبراً (٣) الكسع هو ان يمشي الانسان مشياً متمسكاً لا يدري اين ياخل
(٤) السلق الغائط قيل هو خاص بالطير والبهائم اما استعماله للانسان فهو من
باب التساهل

الجزء الثاني

المقالة السادسة

في اخلاق العرب وشجعانهم وفصيحائهم وفيها ثلاثة فصول

الفصل الاول

في اخلاق العرب وطبايعهم

حب الحرية والاستقلال صفة طبيعية لكل سكان الخيام وهو مفروس في قلوب الامة العربية فلا شيء يعادل عندهم الحرية حتى ان كل شخص منهم يظن بنفسه انه ملك مستقل ولذلك كانوا يصفون كل خالص نقي بالحرية قال الزوزني الحر من كل شيء خالصة وجيدة ومنه قولهم طين حر يعني لم يخالطه رمل ومنه احرار البقول وهي التي تؤكل منها وحر المملوك خالص من الرق وارض حره لاخراج عليها وثوب حر لا عيب فيه . ولكن مع هذا كله كان في اخلاقهم من المساوي والعيوب بقدر ما كان عندهم من الفضائل التي تجذب بحساسنها القلوب

اما مساوئهم فهي كما ان البدو منهم اعتادوا على قطع الطريق والنهب والسلب وغرو بعضهم بعضاً كذلك الحضر منهم قد الفوا الغش والخداع في معاملاتهم وتجاراتهم قال بعض المؤلفين ان قطع الطريق الذي هو صناعة

لبعض قبائل العرب الذين يقال لهم البدو هو مستعوض عند الحضر بالغش والخلاع في التجارة ومع ذلك كان فيهم قديماً شهرة عظيمة في الكرم والأمانة وحفظ الجوار والحفاقة ولهم بعض المعارف وخاصة نظم الشعر كما يتضح ذلك مما يأتي وقد بلغ من درجة مساواة محتاسنهم لمساوئهم ان من عرّاهُ شيخٌ من مشايخ العرب اذا دخل خيمة ذلك الشيخ من غير ان يعرف بأنه هو الذي عرّاهُ فيرق الشيخ لحالهِ ويكسوه غير كسوته التي اخلسها منه ويغضي ان كان عارفاً به انه هو المعرّي له

وقال ابن خلدون ان البدو لم تستحكم فيهم الصبغة الدينية لما ان كثرة فسادهم هو من طبيعة معاشهم وان توبتهم ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الافصار عن الغارة والنهب واكثر ما يعنون باصلاح السابلة ولا يعقلون في توبتهم الى مناجي الديانة

ومن مساوئهم انهم لا يسعفون الغرقى الذين تنكسر بهم السفائن على شطوط بلادهم بل ربما من يأتي على المسافرين يأخذهم ويسلب ما بقي لهم ثم يبيعههم في صورة ارقاء وكذلك يخفون آبار الصحاري عن اعين المسافرين حتى يهلكوا من العطش ثم يسلبون امعتهم

وقد تخذل ذكر البعض من قدمائهم بما انقنوه من فن اللصوصية حتى ضربت بهم الامثال فيه كاسليك بن السلكة وسوف يأتي ذكره وشظاظ رجل آخر من بني ضبة وهو من ولد الجعد بن قيس بن قنان بن هاشة وكان شريفاً وبرجان وتاجرة وابو حردبة وكلهم من حذاق اللصوص في الجاهلية فيقال في المثل أسرق من شظاظ ومن تاجرة وهكذا الى آخره ويسمونهم ذوئبان العرب يعني ذئاب العرب

ومنهم من اشتهر بالظلم ايضاً كرجل يقال له الخيفان كان مفراطاً فيه حتى ضربوا به المثل فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك أظلم من الخيفان وقد ضرب المثل بهذه الالفاظ عنها في العصر الاسلامي بالتحجاج بن يوسف وقد

مر ذكره فيقولون أظلم من الحجاج وأسفك من الحجاج فانه كان سفاكا للدماء
وممنهم من اشتهر بالغتك كالحريث بن ظالم فانه كان فتاكاً جسوراً
والبرأض وهو ابن قيس الكنانى والحجاف وهو ابن حكيم السلي وعمر بن كاثوم
فيوصف بهم من كان من هذا القبيل في الجاهلية والاسلام
وممنهم من اشتهر بالعدو وكان اعظم في الجاهلية بنو سعد بن تميم وكانوا
يسمون العدو فيما بينهم عند ما يريدون استعماله بكثرة وضعوها له وهي كيسان
قال النمر بن تولب

اذا كنت في سعد وامك منهم غريباً فلا يغرك خالك من سعد
اذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم الى العدو ادنى من شهابهم المرء

ولذلك سموهم كناة العدو وضربوا بهم المثل فقالوا اعدو من كناة العدو
كما يقولون اعدو من قيس بن عاصم ومن عتبة بن الحريث ولكل منها حديث
يطول شرحه قال ابو عبيدة ان قيساً بن عاصم كان اعدو العرب (وهو الذي
كان يثد البنات في الجاهلية راجع الفصل السادس من المقالة الرابعة)

وممنهم من لم يكتم بفضيحة العدو فقط بل اضاف الى ذلك رذيلة من
اشنع الرذائل واقبحها وهي ما رواه مسيو دنيغ الفرنسي في كتابه المسمى ديوان
قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر بان اهل البدومتي وصل
الانسان الى اعتابهم وجب عليهم اكرامه واحترامه واطعامه ما تيسر عندهم
وتسليم صاحب البيت فرشته لهذا الضيف اذا اخرج الامر الى ذلك حتى انه لو
استضافهم احد اعلاهم لعاملوه هذه المعاملة عندهم ودام عندهم في امان الى ان
يخرج فتمى خرج قتلوه وهنا يقصر الذهن في التمييز بين رذيلتين لا يمكن ان يحكم
على ايتهما هي اعظم من الاخرى هل العدو الشنيع او تسليم صاحب البيت فرشته
الى ذلك الضيف المنكود الحظ المزعج ان يغدر به (راجع الفصل الثالث من
المقالة الخامسة)

ومنهم من اشتهر بالدهاء والتخيل كلفان بن عاد طبيب العرب وقصير
ابن سعد اللخمي صاحب جذية الابرش وهو الذي جذع انف نفسه احنياً على
الزباء ملكة الجزيرة لتمكين جذية المذكور من قتلها ولذلك قالوا في امثالهم
لامر ما جذع قصير انفة وقال عامر الشعبي الدهاء اربعة معاوية ابن ابي سفيان
وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزباد بن ابية وهؤلاء الاربعة في الاسلام
وكانت الزباء المذكورة تسمى الفارعة وقيل هند (راجع زرقاء في الفصل
الثاني من المقالة الخامسة) وسميت الزباء لطول شعرها . يحكى انها كانت اذا
مشت سميتها وراءها واذا نشرته جلها ولم ير في نساء زمانها اجمل منها ويضرب
بها المثل في العزة فيقولون لمن ارادوا المبالغة في عزه اعز من الزباء
واما جذية الابرش المذكور فنصفه العرب بالكبر وتجعله غاية فيه . ويحكى
عنه انه كان لا ينادم احداً اذكبره ويقول انما ينادمني الفرقدان ولذلك
يقولون في امثالهم كندماني جذية وقيل بل لما فقد ابن اخيه عمرو بن عدي
وجده رجلاً يقال لهما مالك وعقيل من بلقين فلما قدما به عليهما حكما في
المكافاة فاخترنا نادمته ما عاش وعاشا فاصطحبها في مناديه اربعين سنة حتى
فرق الموت بينهما

وكذلك يصفون بالكبر بني منزوم وبني أمية من قريش وبني جعفر بن
كلاب وبني زرارة بن عدي من باقي العرب

ومنهم من اشتهر بالحقق ويضربون المثل فيه برجل يقال له جحا من فزارة
ويكنى ابا الغصن دفن ماله تحت ظل شجاعة ليعرف موضعه ثم اقصت الشجاعة
فلم يهتد اليه فقالوا احقق من جحا ومن هبة وهو رجل نظم ودعا في سلك
وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع فقيل له ذو الودعات واسمه يزيد بن
ثروان احد بني قيس بن ثعلبة ويقولون ايضاً احقق من ابي غبشان وهو الذي
باع مفاتيح الكعبة بزرخ (راجع سدانة الكعبة في آخر الفصل الثاني من
المقالة الرابعة) ومن حذنة يقال انه احقق من كان في العرب على وجه الارض

ومن عجل وهو رجل كان له فرس جواد فقيل له ان لكل فرس جواد اسماً فاسم فرسك ففقاً عينه وقال سميتُه الاعور. ومن حبيبة ومن المهوره من نعم ابيها او من مال ابيها ومن المهوره احدى خدمتيها ومن دُغَة وهي امرأة كانت جاملاً فدخلت الخلاء فولدت وهي لا تعلم ما الولد فخرجت تسأل جاريتها ما هو ذلك وكانت من تميم فبنو تميم يعيرون بذلك ويقال المنسوب منهم يا ابن الجعراء ويقولون ايضاً احق من شربث وهو رجل من بني سدوس ومن يمهس المنقب بنعمامة ومن ربيعة البكاء وهو ابن عامر بن صعصعة ومن الدابغ على الثعلبي ومن راعي ضأن ثمانين ومن لاطم الاشقي بخنفة والاشقي هو المنقب والسراد يجرز به ومن المختط بكوعه ومن الربع ولكل منهم قصة يطول شرحها فاضربنا عنها تخفيفاً لجرم الكتاب ويثقلون ايضاً بمحاقة امرأة من قريش يقال لها ام ربطة بنت كعب بن سعد بن تميم بن مرة وهي التي أنزلت فيها الآية ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها قال المنسرون انما كانت تغزل وتأمّر جوارها ان يغزل ثم تنقض وتامرهن ان ينقضن ما فتلن فقالوا في المثل أخرق من ناقضة وفي اللغة خرق خرق فهو أخرق وهي خرقاء

ويضربون المثل في الغلط برجل يقال له دالقي كان كثير الاغلاط فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك اغلط من دالقي ويضربون المثل في البلادة والعي برجل يقال له باقل من ربيعة وقيل من اياد فيقولون اعياء من باقل

ومنهم من اشتهر بالخنث وهو ان يكون الرجل فيه لين النساء وحركاتهن المهينة وضرب المثل في ذلك برجل من الجاهلية يقال له ابو جهل عمرو بن هشام الخزومي وهو الذي أنزلت فيه آية تبنت بنا اي لبيب وامرأته ام جميل اخت ابي سفيان بن حرب ابي معاوية ويقولون ايضاً اخث من هيت ومن دلال واسمه نافذ وكنيته ابو يزيد ومن طويس وهم من اهل المدينة ودلال وطويس كانا من اشهر المغنين في مبادي الاسلام

اما ام جميل المذكورة فهي التي سببت بحالة الخطب في سورة ثبتت بنا
الي لهب ولذلك قالوا في المثل اخسر من جمالة الخطب كما قالوا اخسر من
الي غبشان وقد مر ذكره ومن مغبون

واشتهر في الحبية رجل يقال له حنين حكى عنه انه كان وليد هاشم بن
عبد مناف في حي من احياء اليمن فسماه جده ابو ام بهذا الاسم ثم لما شب ارسله
الى قريش فلم يقبله رهط هاشم حيث لم تكن معه علامة عليه فرد الغلام الى اهله
فبين رآوه قالوا جاء بجنبي حنين اي جاء خائبا حين جاء في خف نفسه ولو قبل
لايسوه خف ابيه وقيل غير ذلك والحاصل انهم ضربوا فيه المثل فقالوا اخيب
من حنين كما قالوا اخيب من القابض على الماء

وضربوا المثل في الطمع برجل يقال له اشعب كان في الاسلام وكانت
تكفله عائشة بنت عثمان هو وابا الزناد صاحب الحديث وربهما سوية لكنه
كان طامعا مفرطا حكى عن نفسه فقال كنت اسفل وكان ابو الزناد يعلو حتى
بلغت انا وهو هاتين الغابتين وسئل ذات يوم هل رأيت اطعم منك قال نعم
شاة لي صعدت الى السطح فنظرت قوس قزح فظننته جبل التت اي القصة
فاهوت اليه فسقطت من السطح فاندقت عنقها فاخذوا عن هذا الرجل الما جن
هذه الخرافة وقالوا في المثل اطعم من شاة اشعب كما قالوا اطعم من اشعب

واشتهر في البخل جماعة من العرب ايضا لكنه لم يضرب المثل صراحة الا
برجل يقال له غنارق من بني هلال بن عامر بن صعصعة . حكى عنه انه مدر
حوضا بسحو لتعافه اهل غيره فلا تردده ولذلك قالوا في المثل البخل من مادر
كما قالوا البخل من ذي معذرة ومن الضنين بنائل غيره فلا يصرحون باسم
يحكى انه لما قري على ابي عبيدة حديث مادر ضحك فقيل له ما الذي
اضحكك فقال تعجب من تفسير العرب الامثال لو سيروا ما هو اهم منها لكان ابغ
لها فقيل مثل ماذا قال مثل مادر هذا جعلوه علما في البخل بفعلة فحتمل التأويل
وتركوا مثل ابن الزبير مع ما يؤثر في اللفظ وفعلة من دقائق البخل فتركوه

كالغفل من ذلك انه نظر الى رجل من اصحابه وهو يومئذ خائفة يقاتل الحجاج على دولته وقد دق الرجل في صدر اهل الشام ثلاثة ارماج فقال له يا هذا اعتزل عن حربنا فان بيت المال لا يقوى على مثل هذا

وقال بعض المؤلفين ان بخلاء العرب اربعة الحطيفة وحديد الارقط وابو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان . اما الحطيفة فمرء به انسان وهو على باب داره ويده عصا فقال انا ضيف فاشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان اعددتها . واما حديد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة اضيف فاطعمهم قمرًا وهجاءهم وذكر انهم اكلوه بنواه . واما ابو الاسود الدؤلي فسمي الى دول الكنان في اللغة الدول ابن آوى والذئب ودوية شبهة باب عرس يقال انه تصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك في الجنة مثلها وكان يقول لو اطعنا المساكين في اموالنا كنا اسوأ حالا منهم . واما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عياركم تعيركم تطوفوكم تطير لاطيلن حبسك ثم يطارحه في الصندوق ويقل عليه

ومن البخلاء ايضا عمرو بن يزيد الاسدي صاحب شرطة الحجاج امر غلامه ان يجمع الدمن الذي نزل من الحفنة ليسرج به

والخليفة المنصور العباسي الذي انعم على مسلم او هو سلام الحادي وكان يبدوله في ذهابه وايابه الى الحج بغير مؤونة بنصف درهم

وابو العتاهية الشاعر المشهور ومروان بن ابي حفصة والمنيني الشاعر ومحمد بن الجهم وسهل بن هرون واهل مرو وكلهم منهم حديث عجيب في البخل يطول شرحه قال جرير يهجو بني تغلب

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم	واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنج الضيفان كلهم	قالوا لامهم بولي على النار
فتمنع البول شئنا ان تجرد به	وما تبول لهم الا بمسار

ولكنني بهذا المنار ما وسم به البعض من العرب من المساوي والعيوب
ونستطرد من ذلك الى الكلام على هذه النار التي تدل عندهم على الجود والكرم
ونختتم بما وجد في مناقب آخرين منهم من كل نوع مرغوب فنقول
لا يخفى ان العرب تنفخر بكثرة النيران لانها اعظم برهان عندهم على كثرة
الاطعمة التي هي من انحف الاشياء واعزها لديهم لندرتها وتكون دليلاً للضيوف
فيتهاصدونها ولذلك يسمونها نار الفرى يعني نار الضيافة قال بعض الافرنج
السبب الاصلي في افتخار العرب بعلم الولايم واطعام الطعام هو انكي يظهر
بذلك شعبهم

يحكي عن رجل يقال له حاتم الطائي واسمه عبد الله بن سعد بن الحشرج
ابن امره القيس بن عدي بن اخزم بن ربيعة بن نعل بن الغوث بن طي وكان
اسمه جليلة فسني طيماً لانه اول من طوى المناهل ومعنى حاتم قاض والحاتم
ايضاً الغراب وغراب البين وقد مر ذكره في الفصل الرابع من المقالة الرابعة
سني بذلك لانه يحتم عندهم بالفراق وكان حاتم المذكور من شعراء العرب
وخطباءهم المشهورين ويكنى بابنته سفانة وبه يضرب المثل في الكرم فيقال اكرم
من حاتم طي لانه كان جواداً متلاًفاً قال الشاعر

ان الساحة والمروعة والندی في قبعة ضربت على ابن الحشرج

يقال عنه بانه متى اظلم الليل يقيم غلاماً له يوقد النار لتهدي بها الضيفان
ويقول له

اوقد فان الليل ليل قر عسى يرى نارك من بر
ان جلبت ضيفاً فانت حر

وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب
حول الحمي وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبج فتتهدي الضلال وتاتي الاضياف
على نباحها ولذلك يسمون الكلب داعي الضمير والضمير الغريب ومتم النعم

ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنجاحه
والذين انتهى اليهم الجود بين العرب وضربت بهم الامثال في الكرم غير
حاتم المذكور كعب بن مامة الايادي وهرم بن سنان وخالد بن عبد الله الآتي
ذكرها وانما اشهرهم كعب وحاتم المذكورين قال ابو تمام الطائي

كعبٌ وحاتمٌ اللذان نقاسما خطط العلى من طارفي وتليد^(١)
هلا الذي خلف السحاب ومات ذا في الجبد مينة خضرم صنديد^(٢)

يريد بالذي خلف السحاب حاتمًا لجوده كما يجود السحاب بالمطر واما
الذي مات في الجبد مينة الخضرم الصنديد فهو كعب بن مامة فان هلا الرجل
بلغ من كرمه انه مات لكونه سقى نصيبه من الماء يومين لرجل ثمرى وكان في
ركبه وكانوا يتصافنون الماء في شهري ناجر وما كان يعرف ذلك الثمرى وانما
كان الثمرى يتخص اليه فقط عند ما ينتهي الغيب الى كعب المذكور ولذلك
ضرب به المثل في تفضيل الرجل صاحبه على نفسه فيقال اجود من كعب
ابن مامة

واما هرم بن سنان فهو ابن ابي حارثة المزني وقد سار بذكر جوده المثل
فقيل اجود من هرم قال زهير بن ابي سلمى

ان الخيل ملومٌ حيث كان وا كمن الجواد على علائه هرم
هو الجواد الذي يعطيك نائلة عفواً ويظلم احبانا فينظلم

يحكى ان الامام عمر بن الخطاب سأل ابنة هرم ما كان الذي اعطى ابوك

(١) الطارف المال المكتسب والتليد المال الموروث وما يتبع ذلك ايضاً المال اذا
كان مدفوناً فهو ركاز واذا كان لا يرجي فهو ضيهار فاذا كان ذهباً وفضة فهو صامت
واذا كان ضيعةً ومستغلاً فهو عتار

(٢) الخضرم السيد الجواد والصنديد السيد الشجاع والحليم والكرم والشريف
وغير ذلك

زهيراً حتى قابلة من المدح بما قد سار فيه المثل ففالت اعطاه خيلاً تنضى^(١)
وابلاً تنوى^(٢) وثياباً تبلى ومالاً يفتى فقال عمر لכן ما اعطاكم زهير لا يلبس الدهر
ولا يفتيه العصر

واما خالد بن عبد الله فحكى عنه بانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في
الركاب يريد الغزو وانشد

يا واحد العرب الذي ما في الانام له نظير
او كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

فامر له بعشرين الف دينار فاخذها وانصرف

وهنا ينبغي ان نلاحظ الفرق في العرب بين الجاهلية والاسلام والبدو
والحضر فان البدوي نعم انه لم يتكرم في ظاهر الامر الا بشرية من الماء لكنه مات
بسببها واما الحضري فانه نعم بعشرين الف دينار من اجل كلمة اذا صح ما قيل
ولم يثأر لها

والسبب في ذلك ان البدو من العرب كانوا يسكنون في اراض عقيمة
وليس لهم حرفة يتعيشون منها الا النهب والسلب فكان لا يمكن للجراد منهم ان
يتصدق بشيء اجل ما بذل نفسه لاجل الحصول عليه كخصه من طعامه وشرابه
او يخاف بال من كسوته ومتى فعل ذلك حتى له ان يعتبر نفسه بانه عمل عملاً
عظيماً يفوق كل ما يمكن للانسان ان يجوده ولا زالوا يتسابقون في ذلك حتى
انصل بهم الحال في الرغبة والتنافس الى ما فعله كعب المذكور وفاق به بذل
غيره من امثاله لكن بعدما سادوا على احسن البلاد وامتلكوا الاراضي والعقارات
ذا المحاصيل الواسعة ارتقوا الى اقصى درجات السعادة وبلغ غناهم خطئة
الافراط فقد حكى ابن خلدون نقلاً عن المسعودي انه في ايام عثمان بن عفان
اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومئة الف

(٢) تنوى تغول او تبعد

(١) تنضى تبلى او تنفى

دينار والـ ألف درهم وقيمة ضباعه بوادي القرى وحببت وغيرها مئة ألف دينار وخلف ابلأ وخيلاً كثيرة . وبلغ الواحد من متروك الزبير بعد وفاته ستمين ألف دينار وخلف ألف غرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك، وذكر بعضهم أنه كان لعروبن العاص بستان بالطائف على ثلاثة أميال من وج كان يعرّش على ألف ألف خشبة شراء كل خشبة درهم . ومن الأمثال المضروبة عند المولدين قولهم لمن أرادوا المبالغة في وصفه بالغنى أموال من زبدة واسمها أمة العزيز وهي بنت جعفر بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وكنيتها أم جعفر وهي زوج الخليفة هرون الرشيد وابنة عمه كانت مخصصة في كثرة المال مهمة في البر والافضال قيل انها انفقت على الحج وبناء المساجد والصدقات ألف ألف وسبع مئة ألف دينار وأجرت الماء من دجلة الى عرفات ثم الى مكة وأجرت نبع العرار من جبل لبنان الى بيروت حتى وصل الى وادي المكاس فبنوا له طبقات قناطر حتى جرى الماء فوقها الى جانبها الاخر وتطرق الى بيروت لانها كانت مرّت عليها حين قدمت للحج فوجدت الماء فيها قليلاً والى الآن يقال لهذه القناطر قناطر زبدة

واذا اردنا ان نستقصي امثال هذه الحكايات يطول بنا الشرح ولذلك نكتفي بما ذكرناه دليلاً على انه بالنظر الى مثل هذا التمول المفرط المنفرون بما شئت عليه الامة العربية بل فطرت عليه طباعها من التنافس في البذل والمباهاة ليس في مقاديرهم فقط بل في ضرويه وظروفه ايضاً كان لا يستغرب صنع خالد ابن عبيد الله المار ذكره ولا ما يحكى عن الخلفاء اصحاب التصرف المطلق نظير بني أمية والعباسيين ونوابهم الذين اخضعت لهم خيرات هذه المملكة الكبيرة واستلوا بها كوتهم كانوا يهبون الولايات ويتصرفون بالبدر^(١) من الاموال ولا يرون ذلك شيئاً قال ابو الطيب المتنبي

(١) البدر كيس فيه ألف او عشرة آلاف درهم من الفضة او سبعة آلاف دينار

يستصغرُ الخطرَ الكبيرَ لو فده^(١) ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

بل هنا بعض المحفوظات نستنتج من نقل الاخباريين بان تلك المقادير
الفاحشة التي كانت يجود بها الملوك وذوو المناصب للمناح من الشعراء
والمجندين^(٢) من الفقراء وارباب الفاقة لم تكن تُعطى تمامًا لاصحابها وانما تصالحهم
الخزان وامناء الاموال على شيء منها كما يروى عن الفاضل بن الربيع خازن
المأمون العباسي بانه صالح رجلًا كان أمره هذا الخليفة بمئتي الف درهم فاعطاه
نصفها ورجلًا آخر كان أمره باربعة آلاف درهم فلم يعطه الربيع شيئًا فاحتال
الرجل في تبليغ ذلك للمأمون وهو انه مرّ معه على بيت عاتكة فقال يا امير
المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاخوص

يا بيت عاتكة الذي اتغزلُ حذر العدى وبه الفؤاد موكلُ

فطن المأمون لما اراده وهو بيت من جملة ابيات هذه القصيدة يقول فيه

واراك تنعل ما نقول وبعضهم مدق^(٣) الحديث يقول ما لا يفعلُ

فامر له بالف درهم فقال يا امير المؤمنين كانت اربعة آلاف فقال
له الف يحصل خير من اربعة آلاف لا تحصل

وقد كانت اعطية بني أمية في مبادئ الدولة الاسلامية الابل اخنًا بملاهب
العرب وبناتهم فاذا حبوا حياء^(٤) جعلوا في اسمة^(٥) هذه الابل ريش نعام
ليعرف انها حياء الملك وان حكم ملكه ارتفع عنها ثم صارت جوائز بني العباس

(١) الوفد الرسل مفردة وافد يعني رسول وهم قوم يغدون على الملك في امر فخر
او تميمة او غير ذلك

(٢) المجندين جمع مجند وهو السائل العاني يعني طالب الصدقة ومستهد الاحسان

(٣) المدق المزوج ورجل مهادق اي غير مخلص

(٤) الحبو العطية بلا جزاء ولا منة

(٥) السنام حذبة ظهر البعير وتعرف عند العامة بالحردبة

والعبيد بين من بعدهم احوال المال وتخوت الثياب واعناد الخيل بهراكبها وهكذا كان شأن كناتمة مع الاغالبه بافرقية وكذا بني طنج بمصر وشأن لثونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحدين لان الحضارة كانت تنتقل من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبني العباس وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس الى ملوك العرب من الموحدين وزناتة وانتقلت حضارة بني العباس الى الديلم ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المالك بمصر والنار بالعرافين على ما رواه ابن خلدون

ومن قرأ قصص بني المهلب وزراء بني أمية وقصص البرامكة وزراء بني العباس فضلاً عن حكايات ساداتهم وغيرهم من امراء العرب في الاسلام لأطلع من ذلك على ما يفوق التصديق ومنه ما حكاه ابو الحسن المدايني عن يزيد ابن المهلب بن ابي صفرة الازدي قال ان وكيلة باع بطيخاً جاء من مغل بعض املاكه باربعين الف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال لو كيلة تركتنا بقالين اما كان في عجايز الازد من نقمة فيهم قال عمر بن لجا

آل المهلب قوم ان نسبهم	كانوا المكارم آباء واجدادا
كم حاسد لهم يعيا بفضلهم	وما دنا من مساعهم ولا كادا
ان العرائف تلقاها مجسدة	ولا ترى للثام الناس حسادا
لو قيل للمجد حل عنهم وخطهم	بما احسنت من الدنيا لما جادا
ان المكارم ارواح يكون لها	آل المهلب دون الناس اجسادا

يحكى ان يزيد هذا قال له بعض جلسائه لم لا تتخذ لك داراً فقال وما اصنع بها ولي دار محصلة جاهزة على الدوام فقال له واين هي فقال ان كنت متولياً فدار الامارة وان كنت معزولاً فالسجن وانما قال ذلك لما جرت به العادة من معاملة الملوك للعمال في ذلك العصر وكان يزيد هذا عاملاً لبني

أمية ثم قتله مسلّمة وبعث رأسه الى اخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٣
الهجرة (سنة ٧٢٠ م)

وبروى ان احمد بن حرب بن اخي يزيد المذكور اعطى ابا علي اسماعيل
ابن ابراهيم بن حمويه البصري الحمدي الشاعر طيلساناً خليعاً فعل فيه
الحمدي مفاتيح ظريفة عديدة سارت عنه وتناقلها الرواة وهي أكثر من مئتين
منها

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً الخلة الازمان وهو سنيم
فاذا ما رفوته قال سبياً نكّ محبي العظام وهي رميم

وقد ضرب المثل بهذا الطيلسان بين الادباء فاذا كان الشيء رثاً بالياً
شبهوه بطيلسان ابن حرب كما يقولون جلد عمرو المزق بالضرب يريدون
بذلك قول النخاعة ضرب زيد عمراً فانهم انما يستعملون هذا المثل ولا يتناولون
بغيره فكأنهم يمزقون جلده لكثرة الضرب

ومن حكاية هذا الطيلسان وامثالها نعرف ما كان هولاء الامراء من الساحة
والمساحة والمباسطة وكرم الاخلاق فانهم لا يأنفون من هجون الشعراء وتدنكهم
على عطاياهم اذا كانت دون ما يرجونه منهم

وهناك حكاية لمعن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن عمرو
الشيبياني الذي كان متنفلاً في الولايات في ايام بني أمية ومات قتيلاً في سنة ١٥٨
الهجرة (سنة ٧٧٤ م) وهي تدل ليس فقط على شدة كرم هذا الامير الذي استحق
من اجله ان يضرب به المثل فيقال اجود من معن بن زائدة بل تعرب ايضاً
عما انضم الى كرمه من الحلم وطول الاناة المفرط حتى قالوا فيه حدث عن
معن ولا حرج فان فتى من العرب هجاء بايات فضيحة وانشدها بحضرته فكان
يسمعها منه مع البشاشة ويجاوبه على كل بيت منها بقوله له ثم ماذا الى ان انشد
في آخرها بيتاً يطلب فيه هذا الغلام الشاعر جائزة على ما هجاء به فاجازه فتنى

ببيت آخر يطلب فيه الزيادة فزاده فخنم حينئذ قميده بقوله
سألت الله ان يبقيك ذخراً فالك في البرية من نظير
ويحكى عن هذا الامير ان شاعراً اقام بابه يريد الدخول فلم يتمكن له
فكتب هذا البيت على خشبة وهو

ابا جود معني ناج معني بجاحي فليس الى معني سواك سبيل

والتي الخشبة في مسيل الماء لبستان كان معني فيه فلما رأى الخشبة اخذها
وقراها واستدعى الرجل لوقتئذ وامر له بمئة الف درهم ووضع الخشبة تحت بساطه
ولما كان اليوم الثاني اخرجها وقرأها ثم استدعى الرجل وامر له بمئة الف درهم
اخرى وفي اليوم الثالث كذلك ففكر الرجل وخاف ان ينظره بعد ذلك
ويأخذ منه ما اعطاه فخرج من المدينة فلما كان اليوم الرابع طلب الرجل فلم
يجده فقال لند ساء ظنة وقد هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت المال درهم
ولا دينار قال بعض الشعراء

يقولون معني لا زكاة لماله وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره من المال الا ذكره وجهائله
تراه اذا ما سئله متهللاً كأنك تعطيه الذي انت سائله
تعود بسط الكف حتى لو أنه اراد انتباضاً لم تطلع انامله
فلوان ما في كفه عين نفسه لجاد بها فليبق الله سائله

وقال محمد بن مبادر في آل برمك

انا بنو الاملاك من آل برمك فيا طيب اخباري واحسن منظر
لم رحلة في كل عام الى العدى واخرى الى البيت العتيق المنور
اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت بجي وبالفضل بن بجي وجهه
فا خلقت الا لجود اكفهم وافلامهم الا لسعي مظفر

اذا رام يحيى الامر ذلّت صعبه وناهيك من راع له ومدبر

ولاي نواس

ان البرامكة الكرام تعلموا فعل الجبيل وعلوه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا لا يهدمون لما بنوه اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الوري جعلوا لها طيب البقاء لباسا

وكان اول من وزير من البرامكة خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف
البرمكي استوزره عبد الله السفاح الخليفة الاول من بني العباس وكان ابو
برمك المذكور مجوسيا من بلخ اشتهر هو وبنوه بسلطنة النوبهار وهو معبد
للمجوس توقد فيه النيران في تلك المدينة ثم لما تولّى الخلافة هرون الرشيد
خامس الخلفاء المذكورين استوزر جعفر بن يحيى وزوجه باخيه العباس^(١) وبالحجة
فانه رفع هذه العائلة الى اعلى درجات المجد حتى كان من حديث جعفر هذا
انه خلا ذات يوم للشرب في داره وامر حاجبه ان لا يدخل عليه احدا الا
عبد الملك بن بجران قهرمانه فسمع الحاجب عبد الملك دون ابن بجران وعرف
عبد الملك بن صالح الهاشمي مقام جعفر بن يحيى في داره فركب اليه فارسل
الحاجب ان قد حضر عبد الملك فقال ادخله وعنده انه ابن بجران فلما دخل
عبد الملك بن صالح في سواده ورصافيته اربد^(٢) وجهه جعفر وكان ابن صالح
لا يشرب النبيذ وكان الرشيد دعاه اليه فامتنع فلما رأى عبد الملك حالة جعفر
دعا غلامه وناولته سواده وقلنسوته ووافى ارباب المجلس فسلم عليهم وقال
اشركونا في امركم وافعلوا بنا فعلكم في انفسكم فجاهد خادما فاليسة حريرة واستدعى
بطعام فاكل ونبهذ فأتى برطل منه فشربه ثم قال لجعفر والله ما شربته قبل

(١) زواج بنات الملوك في الدول الوراثة الاسلامية يكون بالاسم فقط لا بالفعل
بنفسه ان تحضر الزوجة امام الزوج مكشوفة الوجه فلا يحصل منها على اولاد

(٢) ربد وجهه اي عبس وتغير لونه

اليوم فليخفف عني فامران يجعل بين يديه باطية يشرب منها ما يشاء ثم لما اراد الانصراف قال جعفر اذكر حوائجك فاني ما استطيع مقابلة ما كان منك قال ان في قلب امير المؤمنين موجة نلي فخرجها من قلبه وتعيد الي جليل رأيي في قال قد رضي عنك امير المؤمنين وزال ما عنده منك فقال وعلي اربعة آلاف درهم قال نفى عنك وهي لحاضرة ولكن كونها من امير المؤمنين اشرف بك وادل على حسن ما عنده لك قال وابراهيم ابني احب ان ارفع قدره بصهر من ولد الخلافة قال قد زوجه امير المؤمنين العالمة ابنته قال واوثر التنيه على موضعه برفع لواء على راسه قال قد ولاته امير المؤمنين مصرًا ثم انصرف عبد الملك ولما كان الغد ركب جعفر الى باب الخلافة وعرف الرشيد بما كان من امر عبد الملك من اوله الى آخره وهو يقول احسن احسن ثم قال فا صنعت فعرفة ما كان من قوله له فاستصوبه وامضاه جميعه بدون ان ينقص منه شيء. واخيراً آل امر هذا الخليفة نفسه ان قتل جعفرًا المذكور في سنة ١٨٧ للهجرة (سنة ٨٠٢ م) ولا زال بالبرامكة جميعاً حتى افناهم وقد ذكر المؤرخون لذلك اسباباً كثيرة ولكنهم مردودة. روى ابن خلكان عن ابن بدرون ان علياً بنت المهدي قالت لاختها الرشيد يا سيدي ما رأيت لك يوم سرور منذ قتلت جعفر فلا شيء فتأبته فقال لها يا حياتي لو علمت ان قبضي يعلم السبب لمزقته

ويحكى انه لما زوج الحسن بن سهل ابنته بوران للخليفة المأمون بن الرشيد المشار اليه اخفيل ابوها بامرها وعمل لها من الولائم والافراح ما لم يهد مثله في عصر من الاعصار وانتهى امره الى ان نثر على الهاشمين والقياد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقايع باسماء ضياع واسماء جوار وصناعات دواب وغير ذلك فكانت البندقية متى وقعت في يد الرجل فتحها فقرأ ما في الورقة ينضي الى الوكيل المرصد لذلك ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة او ملكاً آخران فرساً او جارية او مملوكاً. ثم نثر بعد ذلك على الناس الدنانير والدرهم ونوافج

المسك والعنبر وانفق على المأمون وقواده وجميع اصحابه وكل من كان معه من
الاجناد والاتباع تسعة عشر يوماً فكان مبلغ النفقة خمسين ألف ألف درهم اما
المأمون فأنه امر له عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم واقطعه الصلح
فجلس المحسن وفرق المال على قواده واصحابه وحشمه وكان ذلك سنة ٢١٠
الهجرة (سنة ٨٢٥ م) وبوران هذه هي التي يضربون المثل بفرشها فيقولون اثن
من فراش بوران واسمها خديجة واما بوران فهو لقب لها وفيها يقول بعض
الشعراء

بارك الله للمحسن وبوران في المختار
يا امام الهدى ظنرت ولكن بينت من

قال ابو العياد تذاكروا السخاء فانفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية
وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم على ان احمد بن ابي دؤاد استنى منهم جميعاً
وافضل وكان يكنى بابي عبد الله واما ابو فاسمة فرح بن جرير بن مالك بن
عبد الله بن عباد ويتصل نسبة بنزار بن معد بن عدنان اليايادي وكان
معروفاً بالبرومة والعصبية وله مع المعتصم العباسي في ذلك اخبار ماثورة نشأ
في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام ولم ير رئيس قط أفصح ولا انطق منه جملة
المعتصم المشار اليه قاضي الفضاة بعد ان عزل يحيى بن اكثم وذكر ابن خلكان
في ترجمته انه امتحن الامام احمد بن حنبل والزعمه بخلق القرآن لانه كان من
المعتزلة وشاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً توفي سنة ٢٤٠ للهجرة (سنة ٨٥٤ م) واجتمع
يوم وفاته على بابيه كثير من اهل العلم والادب فلما طلع سريره قام اليه ثلاثة
منهم فقال احدهم

اليوم مات نظام الملك واللسن ومات من كان يستعدي على الزمن
واظلمت سبل الآداب اذ حجبتم شمس المكارم في غيم من الكفن
وتقدم الثاني فقال

ترك المنابر والسراير تواضعاً ولله منابر لو يشا وسرير
ولغيره يجي الخراج وانما يجي اليه شامد واجور

وتقدم الثالث فقال

وليس فتيق^(١) المسك ربح حنوطه ولكنه ذاك الثناء الخلف
وليس صرير^(٢) النعش ما تسمعون ولكنه اصلاب قوم نصف

ومن شيم العرب الامانة والوفاء ايضاً ويأنفون من خلف الوعد وقد
ضربوا الامثال برجلين من يهود العرب لكل واحد منهما مزية تتخالف الاخرى
فالواحد يضرب به المثل في الوفاء وهو السموأل بن عريض بن ناديا من
عرب اليمن واحد الشعراء المشهورين فيقال اوفى من السموأل او من
السموأل والسموأل مهور من اسماء الظل اذا ارتفع ورواه الخليل سمول بغير
هـ كان امره القيس استودعه دروعاً عند ذهابه الى قيصر ملك الروم فلما
مات طالبة بها الحارث بن ابي شمر الغساني وجهز عليه جيشاً والنقصة مشهورة
مليصها انه سح بذيخ ابنه ولم يسلم الدروع الا الى ورثاء امره القيس المذكور
وانشد بعد ان ذبح الحارث ابنه

وفيت بادرع الكندي آني اذا ما ذم^(٢) اقوام وفيت
واوصى عادياً يوماً بان لا تهدم يا سموأل ما بنيت

وفي محيط المحيط

وفيت بادرع الكندي آني اذا ما خان اقوام وفيت
بني لي عادياً حصناً حصيناً اذا ما سامني ضيماً ابيت

(٢) الصرير صوت تعويج الخشب

(١) فتيق المسك شدة رائحته

(٢) الدم هنا من الذمة

وله ايضا القصيدة المشهورة التي يقول في مطالعها

تعبينا انا قليلٌ عديدا فنلت لها ان الكرام قليلٌ

واما الثاني فيضرب به المثل في خلف الوعد ويقال له عرقوب وهو من خيبر وقيل من ساكني يثرب وقيل من المالقي كان كذوباً يعد ولا يفي فقالوا في امثالهم اخلف من عرقوب كما قالوا ايضا اخلف من ابي حباب وهو رجل من العرب كان بخيلاً لا توقد له نار بليل مخافة ان يقتبس منها وقيل غير ذلك

ومن يضرب بهم المثل في الوفاء عوف بن مُحَلَم وابنته جاعة والحِث بن ظالم وام جميل من رهط ابي هريرة وابو حنبل الطائي والحِث بن عباد وفكيلة امرأة من بني قيس بن ثعلبة وكلهم حديث بطول شرحه ولما كان من الشرف والرياسة حفظ الجوار وحى الذمار^(١) كانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه فلا شيء يعادل عندهم في القدر والقيمة اغائة الملهوفين وتأمين الخائفين حتى انه كان اذا عقد رجل طرف ثيابه الى جانب طنب بيت وجب على صاحب الطنب ان يبيعه وان يطلب له بظلامته

ومن اشهر بحسن المجاورة وضرب به المثل في ذلك رجل يقال له قعقاع ابن شور وهو احد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة من بني بكر بن وائل وابو دؤاد الابدالي الذي سبق ذكره ويعرف بالحنفاي^(٢) قال طرفة بن العبد البكري

اني كفاني من امرهميتُ به جارُ حجار الحنفاي الذي انصفا

يريد بجار الحنفاي كعب بن مامة فانه كان جارا لابي دؤاد المذكور

(٢) الذمار ما يلزمك حفظه وحمايته من عرض وحرم وناموس

(١) الحنفاي الرجل النصبغ اللسان البين اللهجة

وكانت الحمام بمكة لا تثار ولا تنهاج احتراماً لجواريتها لها ولذلك قالوا في امثالهم آمن من حمام مكة قال النابغة

والموثن العائلات الطير يسبحها ركبان مكة بين الغيل والسند^(١)

ومن امثالهم ايضاً آمن من ظبي الحرم ومن الظبي بالحرم لان الصيد ممنوع في الحرم احتراماً وضربوا المثل ايضاً برجل يقال له مدلج بن سويد الطائي زعموا بانه حتى جراداً وقع بفنائه فلم يبرح راكباً فرسه ورمحه يديه الى ان حميت الشمس وطار الجراد فقالوا احى من مجبر الجراد كما قالوا احى من مجبر الظعن وهو ربيعة بن مكرم الكنانى الذي مانع نبشة بن حبيب السلمي عن ظعن من كنانة بالكدير^(٢) اراد ان يحنو بها الى ان طعنه نبشة ولا زال حتى كشف القوم وحى الظعن وهو واقف على فرسه متكئاً على رمحه الى ان مات

ودامت الحرب بين بكر وتغلب اربعين سنة بسبب عقر ناقة تسمى سراب كانت لرجل يقال له سعد بن شمس وكان جاراً لامرأة يقال لها البسوس نسبت اليها هذه الحرب فقبل لها حرب البسوس لانها هي التي هيبتها ولذلك ضرب بهذه الناقة وبها المثل في الشؤم فيقال اشأم من سراب واشأم من البسوس والبسوس هذه كانت خالة عمرو بن مرة بن ذهل الشيباني او البكري ويلقب بجسّاس وقيل بل هي جارتة وكان كليب بن وائل رجلاً عظيم المهابة يضرب المثل بعزته فيقال أعز من كليب وائل وكان لا توقد نار مع ناره ولا ترد ابل على الماء حتى ترد ابله وكان يحى المراعي فلا يقر بها احد ويحى الصيد فلا يصاد ولذلك يقولون في المثل حتى كليب (راجع نجد في الفصل الاول من المقالة الاولى) وكان لا يتكلم احد في مجلسه ولا يجلس حتى يأمره ويقال بانه هو

(١) الامن ضد الخوف والعباد الانجاء والتمتع تخمين النول للبخادة وايضاً الفطاح والركبان جمع راكب والغيل الشجر الكبير الملتف والاجة والوادي فيو ماء والسند ما علا سفح الجبل
(٢) الكدير اسم موضع

اول من اصطاد بالفهود وكان لا يرى احد في حماه في انف الربيع الا ابل
جساس المذكور فانه كان اخا امرأته واذ نظر كليب هذا يوماً الى نافذة سعد
ترعى مع ابل جساس فانكرها ورمها بها بسهم فاختل ضرعها فوالت حتى بركت
بفناء صاحبها وضرعها تشب لبناً ودماً فلما نظر اليها صاحبها صرخ بالذل
فخرجت جارتة البسوس ونظرت الى نافذة جارها وهي على هذه الحالة فضربت
يدها على رأسها ونادت واذا لآه وانشأت تقول ايها سمتمها العرب بالموتيات
حيث اوغرت صدور القوم منها

لهرك لو اصبحت في دار منفذ^(١) ليما ضيم سعد وهو جار لا ياتي
ولكنني اصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي

فسمع جساس قولها فسكن روعها وقال لها ليتن غداً جهل هو اعظم غترا
من غرة نافذة جارك ثم صار يتربص كليباً الى ان خرج من الحي وتباعد عنه
فخرج اليه وتبعه عمرو بن الحرث فوجده وقد طعن كليباً في صدره فأت ويطن
ان ذلك كان في سنة ٤٩٠ م اي قبل الهجرة بنحو ١٢٢ سنة

ولما كان اخذ الثار ما لا يحصى عنه عند العرب اثار المهلل بن ربيعة
التغلي الحرب التي سبقت الاشارة اليها لياخذ بثار اخيه كليب ولذلك يقولون
في المثل اخذ بالثار من المهلل فكان مدة طلبه ثار اخيه لا يتزع لامة حربه ولا
يشرب الخمر ولا يد من رأسه بالطيب ولا يأوي الى مضاجع النساء مع انه كان
يلقب بزير^(٢) النساء لقبه بذلك اخوه كليب ويقال انه هو اول من قصد
الفصائد وقال الغزل^(٣) واسمه امرء القيس ولقب بالمهلل لرقه شعره من قولم
ثوب مهمل اذا كان رقيق النسيج وهو خال امرء القيس الكندي قتله عبادة

(١) منفذ اسم ابى البسوس المذكورة

(٢) الزير الرجل يحب محادثة النساء ويحلمن وكان المهلل كذلك فلقبه اخوه بـ

(٣) الغزل محادثة النساء ومرادهم ولذلك يقال في المثل اغزل من امرء القيس

وهو في بعض الفلوات^(١) لضجهم منه وكان نائماً في ظل شجرة ويحكى انها لما اخلا
بيديهم اتبه وقال لها ما بالكما قالانذيقك ما اذقت العرب قال ان لم يكن بد
من ذلك فاذا اتيتما ابنتي فخصاهما سني بالسلام وقولا لها هذا البيت

من مبلغ الاقوام ان مهملآ لله دركما ودر ايكما

قالا نعم ثم بعد ان قتلاه ودفناه لحنا باهلها يبكيات ويقولان يا مهملآ
يا سيداه ويا فارس العرب فلما سمعتها ابنته وكان اسمها سلى قالت لها ما وراكما
فقالا مات ابوك المهمل قالت فهل اوصاكما بشيء قال لا غير انا سمعناه يقول
كلنا وانشدها البيت ففكرت سلى ومن حولها فلم يجدوا مخرجاً لذلك واذا ابنته
الصغيرة تبكي ونقول وانكلاه قتيل ورب الكعبة او تقول العبدان فارقتها فتبان
من تغلب فاختلط كلامها فقالت آتدرون ما اراد ابي قالوا لا قالت ما اراد
الا ان يقول

من مبلغ الاقوام ان مهملآ اضحى فتيلآ في الفلاة مجندلاً^(٢)
لله دركما ودر ايكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاثروا بالعبدان فضربت اعناقهما

وكان من عادة العرب اذا قتل لاحدهم شخص نشأت العداوة بين قبيلة
المنقول وقبيلة النائل فلا تترك النار عشيرة المقتول لعشيرة القاتل او لقبيلته ما
لم يقع الصلح على دئته معلومة مع انه لا ذنب لعشيرته ولا لقبيلته وربما يؤخذ نار
الابن بقتل ابيه او بالعكس وتدوم العداوة مدة طويلة بين الدراري ولو نسي
السبب

وكان من عادتهم ايضاً في مثل ذلك ان يرموا بهم نحو السماء يستمونه

(١) الفلوات جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة والمفازة لا ماء فيها

(٢) المجندل المصروع على الجمالة وهي الارض

سهم الاعنثار فان رجع ملطخا بالدم لم يرضوا الا بالنود^(١) وان رجع نقياً مسسولاً
لجانبه من الشما على الدنة مكان مسح اللب عالة الصلح قال ابن الاعرابي لم يرجع
ذلك السهم الا نقياً اه . ويعتبرون عن هذا العمل بالعقبة قال الشاعر

عقوا بسهم ثم قالوا صالحوا يا ليتني في النود اذ مسسول اللب

وقد اوجبت الشريعة الاسلامية الدنة لما ورد في الكتاب وما كان المؤمن
ان يقتل مؤمناً الا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فمحرر رقبة مؤمنة ودنة مسلمة
الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فمحرر رقبة
مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدنة مسلمة الى اهله ومحرر رقبة
مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين (الآية) ثم ان هذه الدنة هي مقررة
ومعلومة في كتب الفقه والمسلمون تكافأ دماؤهم اي تنساوى في الدنة والتصاص
لا فضل لشريف على وضيع وقد يقع ان بعض اهل الكرم يدفع الدنة عن
القاتل المعدم فيكافئ القاتل بشئائه عليه في كل مكان

وكان من سننهم ايضاً اذا قتل واحد العرب عزيز ولم تقع المصالحة بين
قبيلتيه وقبيلة القاتل على ما تقدم وتقرر طلب النار فيجوزون ناصية فرس المنقول
ويقطعون ذنبها وينال ان اول من فعل ذلك هو الحرث بن عباد في حرب
البرسوس الذي مر ذكره لما قتل المهلهل ابنة بجيرا فاستدعى فرسه النعامة وفعل
بها ذلك اشارة الى طلب النار

واذا كان القاتل مجهولاً وانتموها شخصاً بذلك فلا يبرأ المدعى عليه الا اذا
لحق حديدة ممحاة بالنار في سنة محبسة البن فيستغن الفاضي الحديدة وينفخ
عليها ويعطيها المدعى عليه فيضع لسانه عليها فان وجد لسانه غير محروق تبين
حيلة براءته ويلتزم له المدعى بغير ليجبر ما رماه به في ادعائه عليه اما اذا
وجد لسانه محروقاً كان مستحقاً للقتل الا اذا عفت عنه عائلة القتيل على قدر

(١) النود قتل القاتل والتصاص وهو من القيادة تنبض السوق فان النود يكون
من قدام والسوق من خلف يقال قاد الامير القاتل الى موضع القتل حملة اليد

معلوم دقة على ما ذكرنا وزعم بعضهم ان للعرب حيلاً في عدم الاحتراق المدعى
بأنه خصراً إذا كان من احباب النفاذ^(١) والظاهر ان هذه الطريقة كانت
عند العرب لخصوص المتهم بالقتل فلا تكون في سائر الدعاوي بل كان لتلك
طرق مناسبة كما يستبان من قول زهير بن ابي سلمى المزني

فان الحق مقطعة ثلاث يمين او نفار او جلاء

ويروى يمين او شهود او جلاء فاليمين هنا معلوم وهو القسم وان كان ما
بعده نفار فيكون المراد به اما الحرب واما التنافر الى الحكاء والاول ارجح لان
التنافر هو من قبيل التنازع فلا يكون حجة بلان وان كان شهود فالشهود الدينية
واما الجلاء فهو البرهان الذي يستفاد من واقعة الحال

وكانوا يتباهلون ايضاً في بعض منازعاتهم والتباهل التلاعن وتباهلوا
تلاعنوا ومنه ابتدل الى تعالى باخلاص واجتهاد وتضرع وفي سورة آل عمران
قل تعالى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبهل قيل
اي تتباهل بان نلعن الكاذب منا وفي الحديث اللعان حين لاعن هلال بن
أمية امرأته قال ان جاءت به اشي^(٢) جش الساقين فهو لزوجها وان جاءت
به ادرك جعلاً جالياً خدج الساقين سابغ الاليتين فهو للذي رُميت به

(١) راجع الامتحانات الشرعية التي كانت الافرنج تسعملها في القرون الوسطى
ويستعملها قضاء الله

(٢) الاشيخ تصغير الاشيخ وهو الرجل العريض ما يبت الكاهل الى الظهر وجش
الساقين مر تفسيره في آخر الفصل الرابع من المقالة الخامسة واما الادرك فهو المسرع في
مشيه والجمع يراد به اجعد الشعر لان الجمودة غالبية على شعور العرب فلذلك يعنون
باجعد الشعر الرجل الكريم وعكسه اجعد الكف وهو الخجل قال الشاعر

كلما فتقوا عن علي وطرقه بني اللوم حتى يعبد الملك المجد

اي الملك الكريم والجسماني من الرجال الضخم الاعضاء القام الخلق وخذلج الساقين
مما لها وسابغ الاليتين طولها والالية العييزة

وكانوا يتباعون بالخلافة وجود الرأي والفراسة ويضربون المثل في ذلك
بقيس بن زهير العبسي فيقولون لمن ارادوا وصفه بجودة الرأي قيس الرأي او
ادعى من قيس وهو الذي افتقر في آخر ايامه فكبرت نفسه عن الاقامة في قومه
فخرج عنهم ونزل ببني النمر بن قاسط وتزوج بامرأة منهم ثم رحل ونزل بغان
وتنصر بها واقام حتى مات

واما في الاسلام فيضرب المثل بذكاء عبد الله بن عباس فيقولون لمن
يصنونه بالذكاء اذكى من عبد الله بن عباس كما يقولون أفرس من اياس
وازكن من اياس وهو ابو وائلة بن معاوية بن قرّة المزني اللسن البليغ الامعي
المصيب كان قاضياً زكياً تولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز وكان شهيداً
بالاجوبة المسكتة ايضاً ونوادير زكية كثيرة كتب المدايني عليه كتاباً سماه كتاب
زكن اياس. حكى ان رجلين احكما اليه في مال فحجج المطلوب اليه المال فقال
للمطالب اين دفعت اليه المال فقال عند شجرة في مكان كذا قال انطلق الى
ذلك الموضع لعلك تذكر كيف كان امر هذا المال ولعل الله يوضح لك سبباً
فخص الرجل وجلس خصمه فقال اياس بعد ساعة اترى خصمك قد بلغ موضع
الشجرة قال بعد قال ثم يا عدو الله انت خائن واحفظ به حتى اقر ورد المال
اصاحبه توفي سنة ١٢٢ للهجرة (سنة ٧٣٩ م)

ويضرب المثل ببراعة بني الفرات ايضاً فانهم كانوا اصحاب فضل وكرم
وعلم وقلم فيقولون أبرع من بني الفرات وهم اربعة اخوة في الاسلام اكبرهم احمد
ابو العباس وابو الحسن علي وابو عبد الله جعفر وابو عيسى ابراهيم وابوهم محمد
ابن موسى بن الحسن بن الفرات ومنهم من تولى الوزارة للمقتدر بالله العباسي
ومن مزاييا العرب الحميدة البر بالوالدين ويضربون المثل في ذلك
برجلين يقال لاحدهما العمّلس والثاني قلحيس يتأسي بهما البنون في بر الآباء
والامهات. يمكن عن العمّلس انه كان يحبل امه على عاتقه وقلحيس كذلك يحبل
اباه وكان خرفاً كبير السن ويتحجنان بها البيت

في شجعمان العرب

ويضربون المثل في العلم بالشعبي وهو عمرو بن عامر بن شراحيل والشعب
بطن من همدان فيقال اعلم من الشعبي واحفظ من الشعبي لمن يريدون وصفه
مع المبالغة في العلم او بالحفظ كما يقال احفظ من العميان توفي سنة ٥٠٧ للهجرة
(سنة ١١١٣ م)

ويضربون المثل في الحلم بمعاوية بن ابي سفيان فيقولون أحلم من معاوية
كما يقولون أحلم من الاحنف بن قيس واسمه الضمك من بني تميم وكنيته ابو بجر
وقيل اسمه صخر وكان سيدا مطاعا بعنقه وحلمه. ويحكى انه خلا به رجل فسيبه
سبا بليغا فبيحا فقال له الاحنف ان كان بقي من قولك فضلة فقل الآن قبل
ان يأتي احد من قومي فيسمعها فتؤذي. ويحكى ايضا انه سئل ماذا سدت
قومك فقال لو ان الناس كرهوا الماء ما شربته توفي سنة ٧٠ للهجرة (سنة ٦٨٩ م)

الفصل الثاني

في شجعمان العرب

وتوصف العرب بالشجاعة وقد اشتهر بها منهم رجال في الجاهلية والاسلام
تخلد ذكرهم ودام فخرهم ولا زال الناس الى وقتنا هذا يتفكرون بقصصهم ومآثرهم
ومنهم في الجاهلية عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس بني زبير ويكنى ابا ثور
قيل لانه كان يأكل العجل ويشرب عليه زقما من الخمر وكان من الابطال
المدودين أسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وكان من الشعراء المشهورين ايضا

وهو الذي قتل رستم زار الذي قدّمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين وكما انه كان مشهوراً بالشبابة كان مشهوراً بالكذب قيل لخلف الاحمر وكان يتعصب لليمن أكان ابن معدي كرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعل وقالت إحدى نساء العرب

أيا ليت جاري كجار الحصين وبعلي عمرو بن معدي كرب

توفي سنة ٢٢ للهجرة (سنة ٦٤٢ م)

ومهم ربيعة بن المكدم بن عامر بن خويلد بن جذبة بن علفية بن جندل الطعان بن فارس ربيعة المكدّم الفراسي من بني كنانة احد فرسان مضر المشهورين بقتله نبیشة بن حبيب السلي يوم الكديد

ومهم دريد بن الصمة ويكنى ابا دقافة وابا قرّة يتصل نسبه بيكر بن هوازن فارس شجاع فحل ومهم من جعله اول شعراء الفرسان وهو سيد بني جشم غزا نحو مئة غزوة قتله المسلمون يوم حنين وكان جدّه لامو معدي كرب الربيعي فيكون عمرو خاله وكانت له بنت شاعرة يقال لها سلى واخرى يقال لها عمرة لها فيه مراث كثيرة

وذو الحجار مالك بن نويرة يتصل نسبه بمضر بن نزار ويكنى ابا المغوار واخوه متم ويكنى ابا نهشل وكان يقال لمالك فارس ذي الحجار بفارس كان عنه يقال له ذو الحجار وكان شريفاً فارساً شاعراً ويقال له الجنول ايضاً قتله خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر متعللاً عليه بأنه اتبع سجاح وآمن بها (راجع الخلف بذمة العرب في الفصل الثالث من المقالة الرابعة)

وعروة بن الورد بن زيد بن عمرو بن زيد بن عبد الله من ولد مضر ابن نزار شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصلوك^(١) من صعايكها المعدودين المقدمين الاجراد وكان يلقب عروة الصعاليك لجهوه اياهم وقياهو

(١) الصعاليك الفقير

بأمرهم إذا اخفقوا^(١) في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزا وقيل غير ذلك
وعنزة بن عمرو بن شداد العنسي صاحب القصة الشهيرة فارس بني عبس
الذي يضرب المثل بشجاعته فيقولون أشجع من عنزة وهو من أغربة العرب أي
سودانهم ولد لشداد من أمة سوداء يقال لها زبيبة ويقال له هو عنزة الفيلاني
تأنيث الأفع وهو المشقوق الشفة السفلى كما أن الأعلم المشقوق الشفة العليا وكان
بنو عبس استاقوا أمة مع غنائم اخطفوها من بني جذيمة ووقعت في سهم شداد
ابن قراد ولما انتشى عنزة هام في عشق عبلة بنت مالك أخي شداد ثم صار
يركب الخيل ويظهر الشجاعة وكان ظموره في أيام الحراة بين عبس وفزارة التي
أوجها سباق الخيل وصار له اسم يذكر في تلك الوقائع وهاتمة فرسان العرب
وكان بطالا فصيحاً تزوج بحبيبته عبلة وبلغ من فصاحته وشجاعته أنه علّق
قصيدته على البيت الحرام بجملة المملكات التي مرّ ذكرها في الفصل الأول من
المقالة الرابعة . يحكى عنه أنه قيل له أنت أشجع العرب وأشدّهم بطشاً فقال لا
فقبل له كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس قال اني أقدم إذا رأيت الأقدام
عزماً وأحجم إذا رأيت الأحجام حزماً ولا ادخل مدخلا إلا إذا رأيت لي منه
مفرجاً واعتمد الضعيف الساقط فاضربه ضربة بطير منه قلب الشجاع فأنثى
عليه فأخذته والحرب خدعة . قتله رجل يقال له الأسد الرهيص سنة ٦١٥ م
اعني قبل الهجرة بنحو سبعة سنين

ومن يضرب بهم المثل في الشجاعة من فرسان العرب أيضاً عتبة بن
الحريث بن شهاب فارس تميم ويقال له سمّ الفرسان وعامر بن مالك بن جفر بن
كلاب فارس قيس وهو أبو براء ويقال له ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل
ابن أخي عامر المذكور وبسطام بن قيس الشيباني فارس بكر فيقولون لمن
ارادوا وصيته بالشجاعة افرس من سم الفرسان وافر من ملاعب الاسنة وهكذا
الى آخره

(١) الخفقان اضطراب القلب واختنق الرجل خاب سعيه ومطلوبة وغزا ولم يغز

اما اغربة العرب الذين مر ذكرهم واشتهروا بهذا الاسم فهم ثمانية منهم ثلاثة ينسبون الى امهاتهم اقدم عنزة المذكور ينسب الى امه زبيبة وخفاف بن عمرو الشريدي ينسب الى امه ندبة والسليك بن عمير السعدي ينسب الى امه السلكة والخمسة الباقون فهم الشنفرى الازدي وتأبط شراً وهشام بن معيط وهام بن مطرف وعمير بن ابي عمير وكلهم منهم صفة اشتهر بها اه . وفي محيط المحيط الاغربة في الجاهلية عنزة وخفاف بن ندبة وابو عمير بن الحباب وسليك ابن السلكة وهشام بن عقبة بن ابي معيط الا انه مختصرم^(١) وقد وثق الاسلام ومن الاسلاميين عبد الله بن حازم وعمير بن ابي عمير وهام بن مطرف ومثشر بن وهب ومطر بن اوفى وتأبط شراً وهو زيد بن ثابت والشنفرى الازدي وحاجز اما عنزة المذكور فانه اشتهر اخيراً بالفروسية والشجاعة على ما تقدم واما السليك ابن السلكة فانه اشتهر باللصوصية على ما ورد في الفصل الاول من هذه المقالة ولكنه ينسب من محاضير العرب الآتي ذكرهم هو وتأبط شراً والشنفرى الازدي ويراد بمحاضير العرب جماعة اشتهروا بالعدو على ارجلهم وسرعة الركض وهو من الإحضار والإحضار عدو الفرس ويقال بانهم خمسة اقدم السليك المذكور ويقال له السعدي واسمه الحرث بن عمرو بن زيد بن مناة التميمي والسليك مصغر السليك وهو ولد الحجل ثمي بذلك لكون امه تسمى السلكة وهي انثى الحجل ويقال بانه كان اول الناس بالجرى على الارض واعلهم على رجله لا تلقه جياد الحجل وكما ضرب المثل به في التلصص ضرب كذلك به المثل في العدو ايضاً فيقال اعدى من السليك بن السلكة وكان من فصحاء العرب وشعرائهم ويسمونه سليك المقانِب والمقانب الذئاب الضارية قتله انس بن مدرك الخثعمي سنة ٦٠٥ م اعني قبل الهجرة بنحو عشرين سنة

وثانهم الشنفرى وهو رجل من بني الازد سمي بالشنفرى لعظم شنتيه ويضرب به المثل في سرعة الركض كما يضرب بالسليك المذكور فيقال اعدى

(١) المختصرم الرجل كان جاهلياً ثم ادرك الاسلام فقبله واسلم

من الشنفرى وكان شاعراً جاهلياً وهو صاحب لامية العرب المشهورة التي
شُبِّهت لامية العجم للطغرائي بها
والثالث عمرو بن بَرَّاق والرابع اسير بن جابر والخامس نَابِطُ شَرِّا واسمه
ثابت بن جابر بن سفيان الفهري

وهناك رجل يقال له دعيميص الرمل من سودان العرب ايضاً اشتهر في
الدلالة على الطرق ولذلك يقولون لمن ارادوا المبالغة في حسن دلالته أدل
من دعيميص الرمل كما يقولون أدل من حنيف الحناتم وهو رجل من تيم الملث
ابن ثعلبة وسوف يأتي ذكره كان دليلاً ماهراً بالدلالة
ورجل آخر يقال له ربيعة بن الأخطلة قوة على سفر الليل فضرهوا به
المثل في ذلك

واما الذين اشتهروا بالشجاعة في الاسلام فهم على طبقات الاولى منها علي
ابن ابي طالب وخالد بن الوليد والقناد بن ابي الاسود وسعد بن ابي وقاص
الزهري وطلحة الاسدي وابو دجاجة الانصاري وعمار بن بأسر ومالك بن
الحارث النخعي والقعقاع بن عمرو طاعن النبل

ودونهم في الطبقة عبد الله بن الزبير بن العوام وابو هاشم عبد الله بن محمد
ابن علي بن ابي طالب وعبد الله بن حازم السلمي فارس الاسلام ومسلمة بن
عبد الملك بن مروان والمعتصم العباسي وابراهيم بن الاشتر النخعي وعبد الله بن
الحجر الجعفي وحيدر^(١) بن ربيعة العكلي والمهلب بن ابي صفرة واولاده المنيرة
وزيد والمدرك وحبيب والمفضل وقبيصة^(٢) وعبد الملك ومحمد المشهورون
بال ابي صفرة وكان أبوه المهلب احد امراء الحجاج بن يوسف ويضرب
المثل في الكذب فيقال اكذب من المهلب كان اذا حدث قيل راح يكذب
وكان دائماً لمن يكذب وهو الذي اخترع الركب الخيل من الحديد وكانت
قدماً من الخشب فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع فاذا اراد الظعن

(١) الحيدر القصير (٢) القبيصة الزراب المجهوع

والضرب لم يكن له معين ولا معتمد توفي المهلب سنة ٨٢ للهجرة (٧٠٢ م)
 وكان المهلب المذكور يقول اشجع الناس ثلاثة ابن الكلبي واحمر قریش
 وراكب البغلة فاما ابن الكلبي فهو مصعب بن الزبير واحمر قریش عمر بن
 عبد الله بن معمر وراكب البغلة عباد بن الحصين
 ومن يفارهم في الخوارج ابو بلال مرداس وشبيب الخارجي والحجاج في
 الكوفة وقطري بن النجاء
 ودونهم في الطبقة معن بن زائدة الشيباني وعمرو بن حنيفة وابودلف
 القاسم بن عيسى العجلي

الفصل الثالث

في فصحاء العرب وشعرائها

لا شيء عند العرب يساوي الفصاحة اذ انهم قد اشتهروا بها منذ الاجيال
 القديمة جدا وكانوا في اعلى طبقة من نباهة الفكر وسرعة الخاطر في كل انواعها
 وضروبها الآتية وهي اولاً
 الخطابة فانهم كانوا يستعملون الخطب في كل امر مهم واعيانهم هم الذين
 يخطبون في ذلك على ان الخطابة في العالم المتمدن هي احدي العلوم المنطقية
 وموضوعها انما هو الاقوال المنقنة النافعة في استمالة الجمهور الى رأي او صدم

عنه اما العرب فكانوا يخطبون بهذه الاقوال عينا بدون ان يعرفوا ما هو المنطق

ويقال ان اول من خطب على الجماعة في الجاهلية هو عبد شمس الملقب سببا بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد العرب

وكان قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن النمر بن وائلة بن عبد مناة بن اقصى بن دعي بن اباد اسقف نجران التي سبق ذكرها في الفصل الثاني من المقالة الرابعة خطيب العرب وحكيمها وقاضيهما في عصره وهو اول من صعد على شرف وخطب عليه واول من قال في كلامه اما بعد واول من اتكا عند خطبته على سيف او عصا واول من كتب من فلان الى فلان واول من اقر بالبعث عن غير علم^(١) واول من قال البيعة على من ادعى واليمين على من انكر ويقال ان صاحب الشريعة الاسلامية رآه قبل البيعة وسمع خطبته وبه يضربون المثل في البلاغة فيقولون ابلغ من قس وبزعمون انه عاش سبع مئة سنة

وكذلك سببان وائل الباهلي كان من خطباء باهلة وشعرائها وهو الذي يقول

لقد علم الحبي البانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها
يجكي انه خطب في صلح بين حبيب شطر يوم فا اعاد كلمة ولذلك
يقولون في امثالهم اخطب من سببان
وابن خنعة^(٢) ايوب بن زيد بن قيس بن زرارة^(٣) الهلالي وجماعة انه
وكانت تعرف بالفرية^(٤) وهو ينسب اليها لشهرتها وكان معدودا من خطباء

(١) هكذا في الاصل واما هو فكان نصرانيا فلا يكون اقراره بالبعث عن غير علم
(٢) الخنعة العرج
(٣) الزرارة ما رويت به في حائط فلصق
(٤) الفرية الاثان

العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان أمياً لا يعرف القراءة توفي سنة ٨٤
الهجرة (سنة ٧٠٣ م)

وابو نعامه القطري بن الفجاءة وقد مر ذكره والفجاءة اسم امه وهو خطيب
من خطباء العرب كان ذا فطنة وذكاء وصاحب كيد ودهاء

وابو قدامة رجل في الاسلام يضرب به المثل في البلاغة ايضاً وله نصايف
كثيرة وهو ابو الفرج جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي ذكره
الحري في مقدمة مقاماته حيث يقول وان المنصدي بعده (اي بديع الزمان)
لانشاء مقامه ولو اوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضائله ولا يسري ذلك
المسرى الا بدلائله

وابو الحسين محمد بن احمد بن اسماعيل بن عيسى بن اسماعيل الشهير بابن
سمعون فانه اشتهر في العصر الاسلامي بالوعظ وضرب فيه امثال فيقولون ابن
ارادوا المبالغة في وصفه يحسن الوعظ او عظ من ابن سمعون توفي سنة ٣٨٧
للهجرة (سنة ٩٩٧ م)

الامثال . وكان للعرب اليد الطولى في ضرب الامثال فهم يضربون لكل
واقعة مثلاً مبنياً على نادرة من نوادرهم او واقعة من وقائعهم واهتمامهم على جانب
من الفصاحة منها قسم كبير منشور في اغلب اجزاء هذا الكتاب لكونها ذات
دخل عظيم في تحقيق آدابهم والاطلاع على حقيقتهم اخبارهم فيجلب المناخرون بها
خطيبهم ويزينون اشعارهم وانشاءاتهم وقد اعنى بجمعها كثير من مؤلفي
المسلمين واشهر كتاب اُلف فيها جامعاً للامثال المنسوبة في الجاهلية والاسلام
مجمع الامثال للعلامة المبدئي وهو ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم
النيسابوري قال فيه ان اول مثل جرى للعرب هو قولهم المرأة من المرء وكل
آدماء من آدم توفي سنة ٥١٨ للهجرة (سنة ١١٢٤ م)

الشعر . اما نظم الشعر فكان في زمن الجاهلية على ما قاله ابو دوداد ليس
احد من العرب الا وهو يقدر على قول الشعر طبعاً ركب فيهم قل قوله او

كثير وقال آخرون انهم كانوا ينظمونه ارتجالاً ويحصل من ذلك ان العرب
وقتيئذ لم تكن تعلم له عروضاً ولا احتاجوا فيه الى درس علم البيان كما هو
الحاصل الآن فانه انما اخترع ذلك له المتأخرون بعد ظهور الاسلام لما
هدمت منهم قواه الطبيعية واحتاجوا الى احيائها ثالثة فشرعوا حينئذ في معالجتها
بالوسائط الصناعية التي استتبعوها من تتبع اشعار المتقدمين من اهل الوبر
الذين كانوا منطويين عليها وقال ابو عبيدة كان الشعراء في الجاهلية من قيس
وليس في الاسلام مثل خط تميم في الشعراء واشعر تميم جرير والفرزدق
والأخطل وحيث قد تكلمنا بما فيه الكفاية في هذا المعنى عند الكلام على الشعر
في المقالة الثانية من كتابنا زبدة الصحائف في اصول المعارف فلا نكرر ذلك هنا
غير اننا نقول ان شعراء العرب في الجاهلية والاسلام يقسمون بحسب
ادوارهم الى اربع طبقات ثلاثة منها كان نظم الشعر فيها سجية على ما قد تقدم اذ
انما لم تدرك الزمن الذي فيه اخترع له المتأخرون قواعد صار بواسطتها
صناعة وهي اولاً الجاهليون الذين عاشوا في العصر السابق على ظهور الاسلام
ومانوا اما قبل ان يدركوا الاسلام واما ادركوه ولم يسلموا بل اصرؤا على ما
كانوا عليه من العبادات في زمن الجاهلية كاهل القيس وأمية بن ابي الصلت .
ثانياً المخضرمون وهم الشعراء من الجاهلية الذين ادركوا الاسلام وقبلوه بحسبان
ان ثابت وكعب بن زهير وهو ماخوذ من الناقة المخضمة وهي التي قد قُطِع
نصف اذنها فيقال للشاعر منهم مخضرم وسمع فيه مخضرم بالحاء المهملة ثم توسع في
ذلك حتى أطلق على من ادرك دولتين كالدولة الاموية والدولة العباسية . ثالثاً
المولدون كالفرزدق وجرير اللذين مر ذكرهما . رابعاً المحدثون كالمعري وابن
الرومي وهم الذين نبغوا من اول القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وكان
نظم الشعر على مقتضى قواعد الآداب المخترعة له اخيراً منذ الزمن المذكور
فيكون الشعر فيهم صناعة لا طبعاً
ولما كان الشعر مشتقاً من الشعور فقد سُمي الشاعر شاعراً انطبعه ولهذا قد

كانوا من جهة النظر على طبقات متفاوتة فيقال للشاعر الملتقى منهم خنذيد ومن
دعوة شاعرهم يُرثيهم شعورهم به امر مرقدا اشار بعضهم الى هذه الطبقات
بقوله

الشعراء في الزمان أربعة فواحدٌ مجري ولا يُجْرى معه
واحدٌ يجول وسط المعصية وواحدٌ لا تشتهي أن تسمة
واحدٌ لا تستحي أن تصفه

ومن ثم انتخب العلماء من المتأخرين من منظومات الطبقات الثلاثة الاولى اعني الجاهلية والمخضرمين والمولدين عدة قصائد تحصل منها سبعة اسابيع وضعا لكل منها وصفاً تعرف به وهي شهيرة بكونها افضل اشعارهم فقالوا المعلقات والمجمرات والمتنقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والمخات ولذلك نكتفي هنا بذكر الذين وقفنا على ترجماتهم من اصحاب هذه القصائد فقط لانه لو صممنا على ان نورد ترجمات كل الذين جمعنا ترجماتهم من الشعراء في الطبقات الاربعة المذكورة لاحتمان ان نجعل جرم هذا الكتاب مضاعفاً

المعلقات . واصحابها هم امرؤ القيس بن حجر الكندي ويكنى ابا وهب
ويقال له الملك الضليل وذو الفروع وامرأته اخت كليب والمهل اني ربيعة
التغليبيين وكان راغباً في الشعر والشبب منذ صباه فطردته ابوه لان ملوك
العرب كانت تأنف من الشعر ويقال بان له اول شعر شبب فيه بالنساء وله
ديوان شعر وقد مر ذكره في عدة محلات من هذا الكتاب

زهير بن أبي سفيان المزني صاحب الفوائد المسماة بالحوليات لأنه كان ينظم إلى حلة منها في أربعة أشهر ويهذبها بنفسه في أربعة أشهر ويعرضها على اصحابه الشعراء في أربعة أشهر فلا يشهرها حتى يأتي عليه حول فلنقتب بالحوليات وكان أبو زهير ربيعة وخاله بشامة وابناه كعب وبجير وإخناه سفيان والخنساء وابن ابنه المضرب وكلهم شعراء توفي زهير سنة ١٠ للهجرة (سنة ٦٢١م)

والحرث بن حَزْزَةَ اليشكري من شعراء الجاهلية
وابن ربيعة العامري شاعر منضرب كان من اشراف الشعراء الجاهليين
الفرسان القراء^(١) المعربين يقال بانه عاش مئة وخمسة واربعين سنة وفي ذلك
يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبى

وكان يكي ابا عتيل توفي سنة ٤١ للهجرة (سنة ٦٦٠ م)

وعمر بن كثوم التغلبي واسم ابيه مالك وامه ليلي بنت مهمل اخي كليب
المذكورين في ما تقدم ومن عتبه كثوم بن عمرو العتابي الشاعر صاحب الرسائل
وكان عمرو هذا يهجي النعمان بن المنذر هجاء كثيراً ويرعون بانه عاش مئة وخمسين
سنة

وطرفة بن العبد البكري واسم عمرو وطرفة لقب له والطرفة واحدة
الطرفاء وهي اصناف من الشجر منها الاثل وبها لقب اول لقب بقوله

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفا ولا اميريكما بالدار اذ وقنا

وهو شاعر مجيد مقدم من فحول الشعراء في الجاهلية وله اخوت اسمها
خيرنق وهي شاعرة نظيره ايضاً قتله عمرو بن هند بسبب هجائه لا خيه قابوس
وعنترة العبسي وقد سبقت الاشارة اليه في الفصل الثاني من هذه المقالة
غير انهم اخلفوا في معلقة الميمية التي يقول في مطلعها

هل غادر الشعراء من مبدع أم هل عرفت الدار بعد توهم

فقدما بعضهم من المذهبات وجعل مكانها قصيدة النابتة الذبياني التي
يقول في مطلعها

(١) القراء الناسك المتعب

يا دار مية في العليا فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد
 لكن لم يوافق الاكثرون على ذلك وعليه جرى في شرح المعانيات الناصري
 الزوزني والشيخ محمد بن زكريا الانصاري
 المجبهرات. وهي عندهم الطبقة الثانية من هذه الفصائد المنتخبة واصحابها
 النابغة الديباني الذي مر ذكره من بني غطفان واسمه زياد بن معاوية بن
 خباب ويكنى بابي امامة وهو من الطبقة الاولى من المتقدمين على سائر الشعراء
 وكان يضرب له قبة من ادم يسوق عكاظ فناتيه الشعراء لتعرض عليه اشعارها
 وكان كبيراً عند الملك النعمان وخاصة به من ندمائه واهل انسه
 وبوجد غيره من يسمى بالنابغة من الشعراء ايضاً ومنهم النابغة الجعدي واسمه
 حسان بن قيس ويتصل نسبه بغيلان بن مضر وفي ذلك خلاف وكنيته ابو ايلي
 وسمي النابغة لانه اقام مدة لا يقول الشعر ثم نبغ فقالة وهو من الشعراء المخضرمين
 المفلحين طويل البقاء في الجاهلية والاسلام وكان اكبر من النابغة الديباني ومن
 شعره

ومن بك سائلاً عني فاني من النبيان ايام الخنات
 انت مئة لعمام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وجنات
 وقد اقبلت خطوب الدهر مني كما اقبلت من السيف الباني

عاش الى خلافة يزيد بن عبد الملك
 ومنهم النابغة الشيباني عبد الله بن المخارق من ولد ربيعة بن نزار شاعر
 بدوي من شعراء الدولة الاموية. قال الاصمعياني يرى انه كان نصرانياً لانه في
 شعره يحلف بالانجيل وبالربان وبالايمان التي يحلف بها الناصري مدح
 عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده مدائح كثيرة
 ومن اصحاب المجبهرات ايضاً عبيد بن الابرص يتصل نسبه بمضر وهو شاعر
 فحل فصيح من شعراء الجاهلية جلة ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحولهم وقرن

به طرفه بن العبد وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد الآتي ذكره وكان شاعر
 بني اسد غير منافع قتله المنذر بن النعمان في يوم بؤس
 وعدي بن زيد وهو المشهور بابن الرقاع العاملي وزيد اسم ابيه وقد نسبة
 الناس الى الرقاع وهو جد جدته لشهرته وكان عدي المذكور شاعراً مقدماً عند
 بني أمية خاصاً بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلى وهو من
 حاضرة العرب لا من باديتهم وكان منزله بدمشق جعله بعضهم في الطبقة الثالثة
 من شعراء الاسلام

واشهر بن حازم لم نقف على ترجمته
 وأمية بن الصلت عبد الله بن ابي ربيعة من ولد بكر بن هارن مات في
 مبدأ ظهور الاسلام ولم يسلم لعمري بانه هو اولى بالشوق من صاحب الشريعة
 الاسلامية وكان ابو عبد الله بن ابي ربيعة شاعراً قديماً من شعراء الجاهلية ايضاً
 وخلش بن زهير لم نقف على ترجمته
 والثر بن تولب يقال له العكلي ويتصل نسبة بترار شاعر مثل مخضرم
 ادرك الاسلام واسلم وكان احد اجواد العرب المذكورين وقرائهم المشهورين
 وكان ابو عمرو بن العلاء يسمي الكيس لجودة شعره وحسنه
 المنتقيات. وهي الطبقة الثالثة واصحابها المسيب بن علس يحكى عنه انه
 انشد يوماً بين يدي عمرو بن هند

وقد اتلاني الهم عند احضاره بناج عليه الصيعرية ميكدم
 وكان طرفه بن العبد وقتئذ حاضراً وهو غلام فقال استنوق الجمل وذلك
 لان الصيعرية سبة تكون في اعناق النوق دون الغول فذهبت كلمته هذه
 مثلاً يضرب للرجل يكون في حديث ثم يخلط في غيره ويتقل اليه فغضب
 المسيب وقال ليقتلن لسانه فكان كما قال (راجع حديثه في المعلقات)
 والمرقش بن جرير ويوجد غيره من الشعراء يسمون بالمرقش ايضاً. قال

ابو الفرج الاصفهاني المرقش الأكبر هو واحد الشعراء في الجاهلية واحد من
قال شعراً فلقب به فان لقب المرقش غلب عليه لقوله

الدار وحش والرسوم كما رقص في ظهر الادم قلم

وهو عم المرقش الاصغر واما اسمه الاصلي فهو عمرو وقيل عوف بن سعد
ابن مالك ويتصل نسبه بيكر بن وائل

والمرقش الاصغر المذكور هو عمرو بن ربيعة بن حرملة بن سفيان عم
طرفة بن العبد الذي مر ذكره وهو اشعر المرقشين واطولهم عمراً
وعروة بن الورد الذي سبقت ترجمته في الفصل السابق

ودريد بن الصمة " " " " " "

واللهل بن ربيعة " " " " " الاول

والمتخيل بن عويمر بن عثمان بن سويد يتصل نسبه بهذيل وفيه اختلاف
ويكنى ابا اثيلة قال الاصفهاني هو شاعر من فحول شعراء هذيل وفصحاءهم

المذهبات . وهي الطبقة الرابعة واصحابها حسانت بن ثابت ويكنى ابا
الوليد فحل من فحول الشعراء قيل انه اشعر اهل المدرعاش مئة وعشرين سنة
منها ستين في الجاهلية وستين في الاسلام ويفضلونه على الشعراء بثلاث وهي انه
كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر صاحب الشريعة الاسلامية وشاعر
البنين كلها في الاسلام ضربته صفوان بن المعطل لما قاله من الافك المشهور
حديثه وكان قتله في سنة ٦٠ الهجرة (سنة ٦٧٩ م)

وعبد الله بن رواحة شاعر من الانصار

ومالك بن العجلان لم تنف على ترجمته

وقيس بن الخطيم الاوسي يكنى بابي يزيد وابوه عدي بن عمرو بن ظفر
وهو من شعراء الجاهلية

واحجية بن الحلاج يكنى ابا عمرو وابا وحوحة وهو من شعراء الجاهلية ايضاً

وابو قبيس بن الاسلت شاعر جاهلي ولم يعرف اسمه والاسلت لقب ابيه
واسمه عامر وكانت الاوس قد اسندت الى ابي قبيس هذا حربها وجعلته رئيساً
عليها يوم بعث

وعمر بن امرئ القيس ولم نقف على ترجمته
المراثي . وهي الطبقة الخامسة واصحابها ابو ذؤيب الهذلي واسمه خويلد
ابن خالد متصل نسبة بضم من الشعراء الخضرين ادرك الجاهلية والاسلام وكان
شاعراً فحلاً توفي في خلافة عمر بن الخطاب

ومحمد بن كعب الفنوي ولم نقف على ترجمته
والاعشى الباهلي لم نقف على ترجمته لكن الشعراء المعروفون بالاعشى
كثيرون ومنهم الباهلي المذكور

ومنهم ميمون بن جندل الاسدي ويكنى ابا بصير ويقال انه هو اول من
سأل بشعره والتجع به اقصاي البلاد وكان يغني في شعره فسي صناجة العرب
والصنخ بالضم آله من الخناس يضرب بعضها ببعض للطرب وبها سمي ايضا هذا
الكتاب توفي ميمون المذكور سنة ٨ الهجرة (سنة ٦٢٩ م)

ومنهم اعشى هذان واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحرث ويتصل
نسبه بكميلان بن سبا ويكنى ابا المصينغ شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الاموية
وكان زوج اخت الشعبي الفقيه الذي مر ذكره في الفصل الاول من هذه
المقالة والشعبي ايضا زوج اخته وكان احد الفهماء القراء ثم ترك ذلك وقال
الشعر اسره الحجاج في حروبه مع اهل العراق وقتله لانه كان يحرّض قومه على
القتال

والاعشى المازني وهو عبد الله بن الاعور المازني الحرمازي شاعر منضم
ولم نقف له على غير ذلك

والاعشى التغلبي واسمه ربيعة وقيل النعمان بن يحيى بن معاوية شاعر من
شعراء الدولة الاموية ايضا وكان يسكن الشام اذا حضر واما اذا بدا فينزل

في بلاد قوم بني نوح الموصل وديار ربيعة وكان نصرانياً وكان الوليد بن عبد الملك مخلصاً إليه فلما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز لم يعطه شيئاً فقال

لعمري لقد عاش الوليد حياته أمام هدى لا مستزاد ولا ينزُر
كان بني مروان بعد وفاته جلايد لا تندي وإن بلها القطر

واعشى بني ربيعة اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب من ولد بكر بن وائل وكنية أبو عبد الله شاعر أسلامي من ساكني الكوفة وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية ووجد في أيام عبد الملك بن مروان وابنة سليمان وعقبة المطوس لم تنف على ترجمته

وأبو زيد الطائي وهو حرمله بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان ويتصل نسبة يزيد بن كهلان كان نصرانياً إلا أنه أدرك الجاهلية والإسلام فعُدَّ من المخضرمين والحنفة بعضهم في الطبقة الخامسة من الشعراء المسلمين وكان عثمان بن عفان يقرُّ به ويدني مجلسه وصف له يوماً أسداً لقاه وأطسب في وصفه فقال له عثمان اسكت فقد أزعجت قلوب المسلمين

ومالك بن الربيع التميمي يتصل نسبة بتميم كان شاعراً ولصاً فاتكاً مبهشاً في بادية بني تميم بالبصرة وهو من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية وكان مرافقاً لشظاظ الذي مرَّ ذكره في الفصل الأول من هذه المقالة في قطع الطريق وكان أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً وأقلع أخيراً عن خبائثه عن يد سعيد بن عثمان بن عفان وصار عاملاً لمعاوية على البصرة فاستصحبه وأجرى له رزقاً في كل شهر

ومتم بن نوبة التميمي يتصل نسبة بتميم ويكنى أبا نهمشل وهو أخو مالك ذي الخمار الذي قتله خالد بن الوليد على ما تقدم في الفصل الثالث من المقالة الرابعة والثاني من هذه المقالة

المشوبات . وهي الطبقة السادسة وإصحابها كعب بن زهير وكان معادياً

لصاحب الشريعة الإسلامية فاهدر دمه فاسلم وأمنده بقصيدة شهيرة يقول في مطالعها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ مقيمٌ أثرها لم يُفدَ مكبولٌ

وجاء بها إليه فعفى عنه وأحسن إليه ببردتو التي أخذها معاوية بن أبي سفيان من ولده بعد موته باني عشر ألف درهم قال صاحب تذكرة الحكيم إن هذه البردة لازالت موجودة في الخزانة السلطانية وترك المهدي علي الراوي وناطقة جعدة وقد سبقت ترجمته

والقطامي واسم عمير بن شيم وهو نصراني كان في أيام عبد الملك بن مروان كنية بعد من من الشعراء الإسلاميين المتأخرين وهو أول من لُقّب صريع الغواني لقوله

صريع غواني رافق ورقنة

لذن شب حتى شاب سود الذوائب

والخطيئة واسم أوس بن جرويل بن مالك من بني مضر ويكنى أبا مليكة لُقّب بالخطيئة لقصره وقربه من الأرض وكان قبيح المنظر دني النفس بغيلاً هجاء خبيث اللسان قلما يسلم أحد من هجوم هجاء بنيده وأمه وزوجته وفي ذلك يقول

لا أحد الأم من خطيئة هجاء بنيده وهجاء المريعة

من لومه مات على فرية

والفرية هي الأنان وذلك أنه قبل موته أوصى أقرباءه أن يجلوه على أنان ويتركوه راكمها حتى يموت فإن الكريم لا يموت على فراشه والأنان مركب لم يست عليه كريم. ويحكى عنه أيضاً بأنه التمس ذات يوم أنساناً يهجو فلم يجد وضاق عليه ذلك فجعل يقول

أبت شفتاي اليوم ألا تكلمًا بسوء فلم ادري لمن انا قائله

وجعل يردد هذا البيت الى ان مرَّ على حوض ماء فرأى وجهه فيه فقال
 أرى لي وجهًا شوّه الله خلفه فقبح من وجهه وقبح حامله
 والشماخ بن ضاربة واسمه معقل والشماخ لقب له وهو من الشعراء
 المخضرمين هجا عشيرته وهجا اضيافه ومن علمهم بالقرى وكانت امه النجب نساء
 العرب وله اخوان شاعران احدهما يقال له مزرد واسمه يزيد والاخر جزة بن
 ضرار وذكر عنه انه كان اوصف الناس للبهير
 وعمرو بن احمد وقيم بن مقبل ولم نقف لها على تراجم
 الملحقات. وهي الطبقة السابعة واصحابها الفرزدق التميمي وكينبة ابو فراس
 واسمه هام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي والفرزدق في اللغة قطعة من
 العجين تبسط فيخبز منها الرغيف والرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت
 ولقب بذلك لانه كان غليظا ضخيم الوجه وكان مجاهرا بالفيشاء هجاء جرير
 بقصيدة منها قوله

وكنت اذا حلت بدار قوم ظعنت بخزية وتركت عارا

فاتفق ان نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة لمراد تزوجة صاحب
 البيت الذي كان مضافا به فلما خرج راكبًا ناقته تذكر البيت فقال قاتل الله
 ابن المراغة لقد اخبر بجائتي قبل ان يراها وجاءه ذات يوم رجل من تميم قبيلته
 وانشد لنفسه

ومنهم عمر المجهود نائلة كأنما رأسه طين الخنوا تيم

فضحك الفرزدق وقال له اعلم يا اخي ان للشعر شيطانين احدهما يقال له
 الهوثر والثاني الهوجل فمن انفرد به الهوثر جاد شعره ومن انفرد به الهوجل ساء
 شعره وفسد كلامه وقد اجتمع لك في هذا البيت فكان معك الهوثر في اوله
 فاحسنت وخالطك الهوجل في آخره فاسأت

وكان من مزعومات العرب ان لكل شاعر شيطاناً يلقنه الشعر وان شيطان
الفرزدق يقال له عميرة او عمرو قال ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب
النجوي لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب توفي سنة ١١٠ للهجرة (سنة
٧٢٨ م)

وجزير الخطفي الذي مر ذكره وهو ابن عطية النخعي واسم حذيفة والخطفي
لقب له وكنيته ابو حرزة وكان من فحول شعراء العرب في الاسلام يضرب به
المثل فيقال احسن بالتغزل من جرير ويقال ايضا بانه اشعر من الفرزدق المذكور
وكان معادياً له ويشبه من شعراء الجاهلية بالاعشى واجمع العلماء على
مصادقة ما قاله ابو عبيدة بانه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق
والاخطل الآتي ذكره ويروون ان بيوت الشعراء اربعة فخر ومدح وهجاء ونسيب
وفي الاربعة فاق جرير غيره وقال المتنبي وفي الغزل ايضا لا يبعد ان يكون
أبلغ توفي سنة ١١٠ للهجرة (سنة ٧٢٨ م)

والاخطل التغلبي لقب بذلك لانه كان من نصاري التغلبيين واسم غياث
ابن الغوث بن الصلت بن طارقة التغلبي ويكنى باني مالك وقيل له الاخطل
لا سخراء في اذنيه وقيل ان معنى الاخطل السفه وفي مجمع الامثال للبيهقي
الخطا الجاهل واصلة من الخطل وهو الاضطراب في الكلام وغيره وعابه
قول الافعي الجهمي النخري حكم العرب الذي مر ذكره في الكلام على الكهان
مساعدة الخطا تلذ من الباطل وكان الاخطل هذا معاصراً لجرير والفرزدق
ويعد من طبقتها وكان بعضهم يفضلها عليهما سئل عنه حماد الراوية فقال ما
تسألوني عن رجل حبيب الي شعرة النصرانية

وعبد الراعي اسم ابيه حصين بن معاوية ويكنى ابا جندل والراعي لقب
غلب عليه لكثرة وصفه للابل وجودة نعتها اياها وهو شاعر من فحول شعراء
الاسلام وكان مقدماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق اللذين مر
ذكرهما وكان معاصراً لهما

وذو الرمة ابو الحرث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود من ولد معد
ابن عدنان احد عشاق العرب المشهورين صاحب مئة بنت مقاتل بن طلحة
ابن قيس بن عاصم المنقري ومن شعره فيها

وقد علّمتني بفلي علاقةً بطيئاً على مرّ الدهور انحلّها

وقال ابو تمام الطائي

ما ربح مئة معموراً يطيف به غيلان ابى ربّي من ربها الخرب

وكان تشبب بخرقاء ايضاً قال ابو الفرج الاصفهاني الخرقاء التي لا تعل بيدها
شبتاً لكرامتها على قومها وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة رأت المفضل
الضبي مرة فقالت له هل حججت قال غير مرة قالت فما منعك من زيارتي
أما علمت اني منسك من مناسك الحج فقال وكيف ذلك قالت أما سمعت
قول عيك ذي الرمة

تمام الحج ان نفث المطايا على خرقاء واضعة اللثام

ويحكى ان جريراً مرّ بذي الرمة وهو ينشد وقد اجتمع الناس عليه فقال
نقط عروس وابعار ظباء اي ان هذا الشعر مثل بعير الظبي من شمة وجد له
رائحة فاذا فنته وجده بخلاف ذلك فذهبت مثلاً وكان لذي الرمة ثلاثة اخوة
مسعود وجر فاش وهشام وكلهم شعراء ويقال بانه كان طفلياً ولقب بالرمة
وهي بضم الراء المحبل البالي وبكسرهما العظم البالي لكونه اجنار يوماً بجنباء حي
المذكورة وسألها ان تسقيه ماءً وكان على كفه رمة فلما ناولته الماء قالت له اشرب
يا ذا الرمة فصار ذلك لقباً له وسبباً لتعلقه بها قال ابو عبيدة وكان ذو الرمة
يخبر فيحسن الخبر ويرد فيحسن الرد ويعتذر فيحسن التخلص وقال ابو عمرو
ختم الشعر بذي الرمة وختم الرجز بروبة بن العجاج توفي سنة ١١٧ للهجرة
(سنة ٧٣٥ م)

والكهميت بن زيد شاعر إسلامي والشعراء المعروفون بالكهميت ثلاثة أحدهم جاهلي والثاني مخضرم والثالث إسلامي وهو الكهميت بن زيد المذكور وكان أطولهم شعراً قال صاحب

قد طال قربك يا أخي فكأنه شعر الكهميت

قال بعض المؤلفين الكهميت شاعرٌ مقدّم عالمٌ بلغات العرب خبيرٌ بإيامها وهو من شعراء مضر وكان في أيام بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية يقال إن مبلغ شعره حين مات كان خمسة آلاف ومئتين وتسعة وثمانين بيتاً وكان معاصراً للعجاج الشاعر المشهور توفي سنة ١٢٦ الهجرة (سنة ٧٤٢ م)

وأما الكهميت الجاهلي فكان جدُّه الكهميت بن ثعلبة

والكهميت المخضرم فهو الكهميت بن معروف قال الأصمعي هو بدويٌّ وأحد المعرّقين في الشعراء كان أبوه معروف شاعراً وأمه سعدى شاعرة وأخوه خزيمة أعشى بني أسد وابنة معروف بن الكهميت شاعرين أيضاً

والطرماح هو حكيم بن الحكم ويكنى أبا نضر وأبا خنيبة ومعنى الطرماح الطويل القامة شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحاءهم منشأه بالشام ثم انتقل إلى الكوفة مع من ورد لها من جيوش أهل الشام واعتقد مذهب الشراة

الازارقة

المقالة السابعة

في تربية الخيول والابل عند العرب وباقي محصولات بلادها وتجارتها
وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

في خيول بلاد العرب ومشاهيرها

من المعلوم بان العرب في الجاهلية كانت تحسن ركوب الخيل وتربيتها
والخيل في اللغة هي جماعة الافراس قيل انها سميت بذلك لانها تختال في مشيتها
وهي قسمان الكديشية وهي الخيول المعنادة والخيلاية وهي الجيدة الجنس
اما الخيلاية فهي موضوع الاعناء عند العرب وعلمها مدار الكلام هنا
ويقال بان اصلها الاصيل من اصطبلات سليمان بن داود ملك اسرائيل وسلسلتها
محفوطة من غير دخيل في جنسها وهي تصل على التعب وتمك عدة ايام من
غير اكل وتدخل كاسرة على الاعناء في الغارات
وقد اشتهر هذا القسم الخيلاني في المحاسن حتى صارت له رنة وصوله عند
جميع شعوب الارض ومع ان العرب في وقتنا هذا قد عدوا اغلب ما كان لهم

في الزمن القديم من المزايا العظيمة التي كانوا يتصفون بها فهم لا زال الى الآن لم يعدوا شيئاً من الوصف بالفروسية وتربية هذه الخيول التي يرغب في اقتنائها عظماء العالم بل وجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ويضربون بها المثل وقد امتاز البعض منها في الزمن القديم وفاق غيره في المحاسن حتى نتخذ ذكره كما يتخذ ذكر اصحاب الفضل من الناس ومنها

المشهر فرس الملهل بن ربيعة الذي مر ذكره

والنعامة فرس الحرث بن عباد اليشكري

وثادق فرس منقذ بن طريف

وداحس والحنفاء فرسا قيس بن زهير العبسي وكان ابو داحس هذا فرساً يقال له ذو العقال لحوط بن جابر بن حميري بن رياح بن يربوع وامه جلوى فرس قرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن يربوع وبسبه تولدت الحرب بين عبس وفرزة كما يتضح ذلك مما يأتي فضرب به المثل في الشوم فيقال اشأم من داحس كما يقولون اشأم من حُبيرة وهي فرس شيطان بن مدلج الحشني فان آثارها جرت وبالأعلى حي بني جشم بن معاوية بن بني اسد وعلى بني ذبيان والغبراء والخطار فرسا حذيفة بن بدر الفزاري

والخطار والاعوج فرسا ابن الهلالية وقيل له الاعوج لان غارة وقعت على اصحابه وكان مهراً فيملوه على الابل فاعوج ظهره وكان هذا الفرس لبني كندة ثم صار لبني سليم ثم لبني هلال بن عامر واليه تنسب الاعوجيات وبنات اعوج وليس في العرب قبل أشهر ولا أكثر منه نسلاً

ويجعين فرس آخر لم نقف على اسم صاحبه واليه تنسب الخيول الجعينية والمجلف كذلك طائفة من الخيل الاصلية لم نقف على اخبارها

واللاحق فرس معاوية بن ابي سفيان

وسكاب فرس الاجدع بن مالك وقد طلبها منه بعض الملوك فمنعه اياها

وقال

ايبت اللعن ان سكاب علق نفيش لا يعار ولا يباع
مقداة مكرمة لدينا تجاع لها العيال ولا تجاع

والعبيد وبرة فرسا العباس بن مرداس السلي
والعقاب فرس زيد الخيل النبهاني وذكر في شعره ستة غيرها ايضاً وهي
المطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق
والعصا واحا العصبة فرسا جذبة الابرش ويقال في امثالهم ما ضل من
جرت به العصا قال هذا المثل قصير لما ركبها وهرب وجرت به الى غروب
الشمس والنصبة مشهورة وقد مر لها ذكر في ما سلف ايضاً قيل لما ماتت بنى
عليها قصير برجاً يقال له برج العصا وعبارة الميماني يا ضل ما تجري به العصا
قالة عمرو بن عدي لما رأى العصا فرس خاله جذبة وعليها قصير كما ذكرنا
اراد بذلك يا قوم ما ضل اي ما هلك ما تجري به العصا يعني هلاك جذبة

والاجير فرس عنزة العبي

وزح فرس عوف بن الكاهن الاسلمي

والبرام فرس النعمان بن عتبة العنكي

والجئون فرس مروان بن زنباع العبي

والجبناء فرس معوية البكائي

وخزنة فرس الهام العكبي

والضخيا فرس ملاعب الاسنة

وقرذل فرس اخيه طليل الخيل

وزيم فرس جابر بن حسي التغلبي واخرى بهذا الاسم للاحنف بن شهاب

والزفوف فرس النعمان بن المنذر وله فرس آخر يسمى الجهموم يقال انه

كان يردي من ركة

وخصاف بالكسر فرس مالك بن عمرو الغساني كان اذا سبق عليه

لا يُلحق وإذا لحق أدرك فكان يقنم به الأهوال ومنه قولهم في المثل أجراً من فارس خِصاف

وخِصاف مُعَرَّب حصان السبير بن ربيعة الباهلي وفيه يضرب المثل المذكور أيضاً وحصان آخر لجل بن زيد بن بكر بن وائل قيل إنه لما كان عند ابن امرئ القيس طلبه منه ليفتحه فتمعه إياه ففتح عليه الملك فقام إلى الحصان وخصاه بين يديه غير مهيب منه فضرب به المثل يقال هو أجراً من خاصي خِصاف

والمعلّى فرس الأشعر الشاعر
والعناق فرس مسلم بن عمرو الباهلي
والعوجاء فرس جوين الطائي
وقراب فرس عبد الله بن الصمة
والنجام فرس السليك بن السليكة
والهرار فرس معاوية بن عبادة
والكامل فرس عبد الله بن زيادة
وندوة فرس أبي سواج عباد بن خلف الضبي
والقضيبي فرس حرد بن حمزة اليربوعي
والخوصاء فرس توبة بن الحبير
والشاء فرس معاوية بن عمرو أخي الخنساء
وذو النخار فرس مالك بن نويرة
والكتفان أو الكتعان فرس مالك بن بدر
ومودوع فرس هرم بن ضمضم المري
وجردة العيار فرس كان شديد الوثوب كالجرادة فلقب بها
والزائد اسم فرس نجيب جداً
والهجيسي فرس لبني تغلب

وهناج فرس لباهلة

والندمري فرس لبني ثعلبية

وذات الرماح فرس لضبة كانت اذا ذعرت تباشرت بنو ضبة بالغنم
وبليق فرس كان يسبق ومع ذلك يعاب فُضرب به المثل يقال يجري
بليق ويُذمُّ يُضرب في ذم الحسن

وكانت الخيل اعز ما يباع عند العرب فاذا اشترى الرجل فرساً قال
له البائع النقد عند المحافرة اي عند اول كلمة فذهبت مثلاً قال الشاعر

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجبالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس رطلناها فاشركت العيالا
نقانسها المعيشة كل يوم وتكسبنا الاباعر والجبالا

وكانوا اذا ارسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم
الصيد علامة له ويسمون ذلك خضاب النحر

وكان يجري عندهم ايضاً سباق الخيل ومنه تولدت الحرب الشهيرة التي
اقيمت سنة ٥٦٨ م اعني قبل الهجرة باكثر من خمسين سنة بين عيس وبني
فزارة بسبب داحس فرس زهير والبراء فرس حذيفة بن بدر الفزاري وقد
مر ذكرها واشد عنبرة العبيد من قصيدته التي رثى فيها مالك بن زهير
المذكور وقد قتله حذيفة في هذه الحرب بيتاً ذهب شطره الاول مثلاً

فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان يوماً حل فيه رهان

وقد دامت هذه الفتنه توجب نارا وتوقد شراراً الى ان تفانت القبيلتان
ومُحبت الطائفتان

وكانوا يسمون اول الخيل في الحلبة الخيل وهو السابق ثم المصلي ثم المسلي ثم
التالي ثم العاطف ثم المرنج ثم المؤمل ثم الخطي ثم اللطيم ثم السكيت ثم الفسكل

والفاشور وقد نظمها بعضهم بقوله

سبق المجي والمصلي والمسلي نالها مرتاحها والعاطف
وخطيئها ومومل ولطيها سكينتها هوفي الاوخر رادف

وكانوا يصنّون الخيل عند السباق على حبل يسمونه المثوس وينصبون في حلبة السباق قصبه فمن سبق اقتلعها واخذها ليُعلم انه السابق من غير نزاع ومنه قولهم احرز قصب السبق ثم كثر حتى اُطلق على كل مبرز ومشرر ويقال ان عامر بن الطائيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري كان احذق العرب بركوب الخيل وأجولهم على متونها وابصرهم في التصرف عليها وفي هذا اللعب بعد الاسلام عند عرب المغاربة وكل عند اهالي الاندلس فانهم كانوا يشتغلون بتعليم المصارعة على ظهور الخيل ثم سرى ذلك الى الافرنج بتلك البلاد منهم الى ان صاروا يتنافسون في سباق الخيل وينراهون عليه كما كان عند العرب فهو من رياضات امراء اوربا وكابرها في هذا العصر

واللاذيب الفاضل الشيخ ناصيف اليازجي ارجوزة في قيود اسنان الخيل والوانها عند العرب وفي هذه

المهر في حَوَّايِه باسم الجذع	يُدعى وبالثني في التالي دُعِي
ثم الرباعي بعده في الرابع	وقارح في الحجج التوايع
وهو على اختلاف لون جلده	يُدعى بأوصاف جرت في نقله
فأدهم وأبيض وأحمر	وأشقر وأصفر وأخضر
حتى اذا اشتد سواد الأدهم	يقال فيه الغيبي فاعلم
فإن ينقط بيباض أنهنش	قبل ومع ذلك سواء أبرش
فإن تكن نقطه تُسْع	فانه مدبر فابقع
وإن يشب بعض السواد الايضا	فذلك بالاشهب في الوصف قضى

وان اصاب الاحمر السواد فبالكميت وصفه البعثاد
فان عرا الكمة لون اشقر فذلك الورد الذي لا يكر
وان يك الاشترف فيه خلط من السواد قيل هذا اغبس
وان رأيت اصفرًا يمتد فيه السواد فهو السمند
فان عرا الصفرة لون شهبه فالسوسني وصفه بالنسبه
وان يك الاخضر فيه يحوى شيء من السواد فهو الاحوى

واما ركض الخيل فقد روى الاصمعي عن قيس بن زهير بانه قال يجري
الجندعان اربعين غلوة والثنيان ستين والرابع ثمانين والفرج مئة والمئة غلوة
اثنا عشر ميلاً ولا يجري أكثر من ذلك ومن امثالهم جري المذكيات غلاب
والمذكية من الخيل هي التي اتي عليها بعد قروحها سنة او سنتان يضرب لمن
يوصف بالتهدير على اقرانه في حلبه الفضل ومن امثالهم ايضاً أموك الويل
فقد ضل الجمل وهو مأخوذ من قولهم أمهى العرس اذا اجراه واحماه في جريه
والعني أعد فرسك فقد ضل جملك يضرب لمن وقع في امر عظيم يؤمر بهدل
ما يطلب منه لينجو

ويتشاءمون من الخيل بالاشقر قبل ان السبب في ذلك فرس نسي الشقراء
كانت للشيطان بن لاطم قتلت وقتل صاحبها فقيل أشام من الشقراء ومن كلام
لقيط بن زرارة يوم جيلة يخاطب فرسه وكان اشقر يا اشقر ان تقدم تُخَر وان
تأخر تُعقر وذلك ان العرب تقول شقر الخيل سراعها وكثرتها صلاحها فهو يقول
لفرسه يا اشقر ان جريت على طبعك فتقدمت الى العدو فقلوك واذا اسرعت
فتأخرت منهزماً انوك من ورائك فعقروك فتلوت العرب كلامه هذا وجريه
عندهم مجرى المثل فيقولون كالا شقران تقدم نخر وان تأخر عُقر

وترى العرب ان قصر الشعر في الخيل من علامات العنق والكرم فيقولون
في مدح الفرس فرسٌ جرداء وكذلك سبوغ الذنب واستواء عصبه ها من
هذا القليل ايضاً

اما سبوغ الذنب فهو شدة طوله وانسداله الى الارض والعسيب الفرس العظيم الذنب . والمجنب الفرس الذي في يده انحناء وهو مدوح اذا لم يفرط والمجنب الجنوبي من الخيل وهو ان يجنب الفارس فرساً الى فرسه في السباق فاذا قتر المركوب تحوّل الى الجنوبي ولادن الفرس القصير اليدين وهو من العيوب والصافن الفرس اذا اقام على ثلاث قوائم وثني سنبكه الرابع والسنيك طرف حافر الفرس والعكوة اصل ذنبه والمبرقة غرة الفرس الآخذة جميع وجهه غيرائه ينظر في سواده اي ما حول عينيه اسود . والارخم ما كان راسه ابيض وسائر اسود واللقعة دائرة تكون بعرض زور الفرس او بحيث تصيب رجل الفارس يتشام بها او لمعة بياض في جنبه الايسر . والمجمل ما كان في قوائمه بياض جاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين فان كان البياض في قوائمه الاربع فهو مجمل اربع . وان كان في الرجلين جميعاً فهو مجمل الرجلين وان كان في احدى رجله وجاوز الارساغ فهو مجمل الرجل اليمنى او اليسرى وان كان البياض في ثلاث قوائم دون رجل او دون يده فهو مجمل ثلاث مطلق يده او رجل . فان كان مجمل يده ورجله من شق واحد فهو ممسك الايامن مطلق الايسر او ممسك الايسر مطلق الايامن وان كان من خلاف قل او اكثر فهو مشكول . وان كان فحيلة مستديراً فوق اشاعره او جاوز البياض ارساغه او بعضها فهي أخدم والاثنى خدما . والمجنب الذي ارتفع البياض منه الى الجنب وهو ركة اليد والارساغ المواضع المستدقة بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل مفردة رسخ والوظيف مستدق الذراع والساق من الخيل والابل او ما فوق الرسخ الى الساق او مقدم الساق جمعة أو ظفة ووظف . والشيطم الطويل من الخيل والعيوب الفرس السريع الطويل او الجواد السهل في عدوه او البعيد القدر في المجري والاخلج الجواد السريع والفرط الفرس المتقدم السريع الخفيف والسرايف كذلك الخيل السريع واحدهما سرعوفة وفرس بيع ويوع بعيد الخطو والاثنى بيعة والبلدم ما اضطرب من حلقوم الفرس وبركع الفرس اذا

اقام على اربع وسقط على ركبتيه والطولات الخيل والصيام ما كان منها ملجأ
 مسرجاً وغير صيام ما كان على غير ذلك والآحق الفرس يضع حافر رجله
 موضع يده وهو عيب والفرس الذبي لا يعرق والخروج فرس يطول عنقه
 فيقتل كل عنان جعل في لجأه والصهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس
 والرصفة عقدة العنان على قنار الفرس والقنار من الفرس مقعد الفرار
 خلف الناصية جمعة قنار وأقذلة والعرف شعر عنق الفرس والسبب شعر
 ذنب وبهذا القدر كفاية والآفات الاستفراء في هذا الموضوع او غيره من
 مواضع هذا الكتاب يحتاج الى المجلدات الكبيرة والمئات الطويلة فإذا ما قل
 ودل خير مما أكثر قل

—•—

الفصل الثاني

في تربية الابل وفوائدها

والعرب اليد الطولى في تربية الابل والقيام على تناسلها وطلب الانتاج لها
 لارتداد مراعيها ومفاحص توليدها لشدة الاحتياج اليها في بلادهم فهي مراكبهم
 التي يجالون عليها احامهم ويتقلون اثقالهم وياكلون لحومها ويتنانون من البانها
 ويكتسبون من اوبارها ويقايضون عليها في المبيعات ويفتدنون اسرامها عند
 نزول النكبات ويعطون منها في سائر الغرامات والديات والمراهنات ومهر
 الزوجات وبالحيلة والتفصيل هي مصدر غناهم وقد جاء في الحديث لا تسبوا

الابل فان فيها رغو الدم اي انها تعطى في الديات فتحقن الدماء بها
ومن اشتهر عندهم في رعايتها وحسن القيام عليها وجل يقال له حنيف
الحناتم وآخر يقال له مالك بن زيد مناة وبها يضربون المثل في ذلك
وكانوا يعلفونها حب الخنم وهو نبت معروف وينصبون في مباركها عوداً
لثعلك به الجرباء منها ويسمونه الخكك وفي مجمع الامثال الميمني الجذل وهو
اسم لاصل الشجرة وتصغيره جُذَلٌ وبه يضربون المثل في الخشونة فيقولون
اخشن من جُذَلٍ ويقولون ايضاً جُذَلٌ حكاك يضرب للرجل يستشفى برأيه
وعقله يُنصب في المعاطن لثعلك به الجرباء واما الثلة والطلاء والربذة فهي
اسماء خرقية تطلق بها الابل الجرباء وبها يضربون المثل في الخسة والاحتقار
فيقولون لمن ارادوا الاحتقار به اهون من ثلة ومن طلياء ومن ربذة
وكانوا اذا ارسلوا الجبال الى المراعي اتوا جديلاً على الغارب ولا يُترك
ساقطاً فيمنعها عن الرعي ولذلك يقولون في امثالهم التي حبله على غاريه يضربونه
لمن تكره معاشرته والمعنى دعه يذهب حيث يشاء
واذا كانت سنة مجدية يخاف منها على الابل ذبحوا اولادها لتسلم الامهات
ولذلك قالوا في امثالهم شر دواء الابل التذيع ولم فيها معاملات اخرى
ولما كانت العرب اشد الناس قحلاً للشاق والبرد والحر والجوع والعري
نظراً لمقام اراضيهم وقلة المياه فيها كان اذا اراد الرجل سفراً عوداً ابلة ان تشرب
خمساً اي كل خمسة ايام مرة ثم عودها على السدس حتى اذا اخذت في المسير
تصبر عن الماء وقال الميمني الظاهرة اقصر الاظاء وهي ان ترد الابل كل يوم
مرة ثم الغب وهي ان ترد الماء يوماً وتغب يوماً والربع وهي ان ترد يوماً وبومين
لا ترد وترد في اليوم الرابع وعلى هذا القياس الى العشر وفي الصحاح ليس في
الورد ثلاث لان اقصر الورد اربعة وهي ان تشرب الابل كل يوم ثم الغب وهي
ان ترد يوماً ثم تدع يوماً فاذا ارتفع عن الغب فالظم ثم الربع ثم الخمس وهكذا
الى العشر قاله الاصمعي

وكان ركنهم يتصافن الماء أيضاً ولا سيما في شهرَي ناجر وتصافن الماء هو
ان يطرح في القعب حصاة او نواة من نوى المقل ولذلك يقال لها المقلّة ثم
ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغير الحصة فيشربون بقدر واحد

واكبر الابل العربية لا يمشي في الساعة اكثر من الف وخمس مئة وخمسين
خطوة واما الصغير منها فيمشي ألفاً فقط وخطواتها بقدر خطوات الانسان مرتين
والركض عليها متعب جداً بخلاف الحمير الآتي ذكرها ويعبرون عن الناقة التي
لا تستقيم في سيرها لفراط نشاطها بالعوجاء واما الثعربوت فهي الخييار الفارسة من
النوق والمراقال مبالغه مرقل من الارقال وهو بين السير والعدو والامون
الناقة التي يؤمن عشارها والرسالة هي التي تكون سهلة السير تمشي هونا والخنجد
التي قبل في احد الشقيين لنشاطها في السير والذفاق المتدفقة في سيرها اي
المسرعة غاية الاسراع والرزية التي ترزي في السفر اي تخلص لفراط هزالها

والعرب لمن يسوقونها به ويسمونه الحلاء والحادي السائق الذي يسوق
الحمال بصوته الرخيم وقد اشتهر بينهم في ذلك بعد الاسلام رجل يقال له سلام
الحادي الذي مر ذكره في الفصل الاول من المقالة السادسة لانه كان حسن
الصوت في الغاية حتى كانوا يضربون به المثل قيل انهم كانوا يعطشون الابل
ثم يوردونها الماء ويقف سلام من ورائها ويمجدوها فتصرف عن الماء اليه وكان
من خواص مروان بن محمد بن مروان الاموي

ومن امثال العرب شق العصاء يضرب للمتفارقين واصلة ان يكون
الحاديان في رفقة فاذا لزم افتراقهما شقت العصاء التي معها فاخذ هلا نصيبها
وذا نصفها ثم كثر حتى جعل شق العصاء مثلاً في كل فرقة

وذكر بعضهم ان العرب اذا كان لهم ناقة كريمة منعوا عنها كل فعل غير
كريم وقرعوا على انفه بالعصاء اذا دنا منها ولذلك يقولون في امثالهم لا تفرع
له العصاء يضرب لمن لا ينبغي ان يرد خائباً وقيل بل يضرب للمعنى المحرب
وكان للنعمان بن المنذر الخمي فحلان كريمان يضرب بهما المثل وهما جدبل وشدقم

ويحكى عن فحل لبنى عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم يسمى قاشر
وكانت له ومة ابل تذكر اي تنتج الذكور فاستطرقوه رجاء ان تؤنت ابلهم
فانت الامهات والنسل فضرِب به المثل في الشوم فيقال اشأم من قاشر وقيل
في هذا المثل غير ذلك

وضل لرجل بعير فاقسم لئن وجدته لبيعه بدرهم فاصابه فقرن به سنورا
وقال ابيع هذا الجمل بدرهم وابع السنور بالف درهم ولا ابيعها الا معا فليل له
ما ارخص الجمل لولا الهرة فحرت مثالا يضرب في النفيس والخسيس يقتربان
واللاديب الفاضل الشيخ ناصيف البازجي ارجوزة في قيود اسنان الابل
والوانها وهي

أول نفع الناقة الحوَارُ	يُدعى كما جاءت به الآثارُ
وهو لعامٍ واحدٍ فصيلُ	وأن مخاضٍ بعده نقولُ
وأن لبونٍ ثم حقٌّ جدعُ	ثم الثني فالرباعي يبيعُ
ثم السديس بعده والبازلُ	والعود في العشر رواه الناقلُ
فان صفت حمرة فاحمرُ	قيل له وهو لديهم يؤثرُ
فان تشبها ذهبة فارمكُ	والجئون ما فيه السواد أحلكُ
وذو البياض آدمًا يلقبُ	فان علته حبرة فأصهبُ
فان يكن بياضه يلبسُ	بشقره فهو البعير الأعبسُ
والأخضر المصفر في سوادٍ	يُدعى بأحوى اللون في البوادي

وما يلحق بذلك ايضا السنب وهو ولد الناقة او ساعة بولد وقيل ولد
البعير الذكر والفرع اول ولد تنتج الناقة والرابع الفصيل ينتج في الرابع وهو
اول التاج ويجمع على رباع وارباع والانثى ربعة ويجمع على ربعات ورباع
فاذا نتج في آخر التاج فهو هبع والانثى هبعة اما الملبط فهو السقط من اولاد
الابل قبل ان يشعر تملطه الناقة اي تسقطه والحجج الذي ولد لغير تمام

والهيجي تموت أمه فيريو صاحبة بلبن غيرها ولا قيل الفصيل والجادل من ولد
 الناقة فوق الراشح وهو الذي قوي ومشى مع أمه
 أما الشارف فهي المسنة من النوق وبها يضرب المثل في الرأفة فيقولون
 أحسن من شارف لأنها تكون أشد حناناً على ولدها من غيرها
 والبروق الناقة التي تشول بذنبها فيظن بها لخب وليس بها
 والجالية التي تشبه الجمل في وثاقة الخلق
 والجسرة الناقة الموثقة الخلق أيضاً وبرد بالموثقة هنا المحكمة
 والبرعيس الناقة الغزيرة الجبهة التامة الخلق الكريمة
 والكهاة والجلالة الناقة الضخمة السمينة
 والحائل الانثى والفصوص الانثى من الابل الشابة
 والضروس الناقة السبعة الخلق عند التماج
 والاحوص الناقة الحائلة السمينة
 والطلياء الناقة المجرباء المطاية بالهنا وهو القطران
 والهاجن البكرة التي تتج قبل ان يطلع لها سن ومنه المثل جلّ الرغد عن
 الهاجن والرغد العطاء والصلة يضرب للرجل القليل الخير
 والبكر الناقة التي ولدت بطناً واحداً والفتى من الابل
 والضيور الناقة الكثيرة الرغاء
 والنقارة الناقة تزيد عن العدو وتشد ولا تشني في مرها
 والمنهة الذلول من النوق
 والبيلة الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت راجع الرينة في الفصل
 الرابع من المقالة الرابعة

والعطل الطويل العنى من النوق
 والدعبل الناقة التي معها ولدها وقيل البعير المسن
 أما عصافير المنذر فهي ابل كانت للملوك فنجائب

الحلب

البسوس الناقة التي تدرّ على الابساس لان الحالب لا بدّ له ان يوتس
الناقة اولاً ثم يحلبها والابساس هو ان يقول لها يس يس لتسكن وتدرّ ولذلك
يقولون في المثل الا يناس قبل الابساس
ومصرّ الناقة اذا حلبها باطراف الاصابع
والضبط هو الحلب بالاربع اصابع
والفطر الحلب بالسبابة والوسطى
والباين الحالب الايمن
والمستعلي الحالب الايسر
والغرار منع الناقة درتها ومنه الغرارة قلّة اللبن كما ان الدرة كثرة
والصبي الناقة اذا حلب لبنها
والطالق الناقة التي يتركها الراعي لنفسه فلا يحلبها على الماء
والضارب الناقة التي تضرب حالها
والقبل الناقة التي تحلب عند القائلة يعني نصف النهار
والرايم الناقة التي تعطف على ولدها وتدرّ عليه فان لم تدرّ سلخو حواراً
وحشوا جلده تبنّاً ولطخوه بشيء من سلاها^(١)
والعلوق الناقة التي ترأّم الولد بانفها وتمنعه درها
والمحاريد الابل التي قلّت البانها
والعصوب الناقة يشد فخذهما حتى تدرّ
والسائلة الناقة التي خفت ضرعها وقلّ لبنها
والمتراح الناقة التي يسرع انقطاع لبنها

الفحول

والقزم من الابل النحل

(١) السلى المجلدة التي يكون فيها الولد من الناس والمواشي

والعركك البعير الغليظ القوي
والترامر الجبل قد تمت قوته او الذي اذا اعتلف رأيت هامة ترجف
وصول البعير اذا صار يقتل الناس وفي المثل أصول من جمل يعني
أعص
والحفص البعير الذي يحمل عليه الخباء بأسره مع ما فيه من كساء وعمود
والظعن البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة
والصليخ الشدي من الابل
والنبيق النمل
والقاع والقاع الذي قد اشتد عطشه حتى فتر لذلك فتورا شدينا
ويقال القاع الذي يرد الحوض ولا يشرب
والهيم الابل العطاش من الهيام وهو اشد العطش قال الشاعر
وباكل اكل النبل من بعد شبعه ويشرب شرب الهيم بعد ان يروي
والحرائر من الابل التي لا تباع لنفسها مفردا حريرة
والمرجج الابل المروحة الى اعطائها والعطن وطن الابل ومبركها
والغريب ما ترك في مراعيه
والعود الابل قد تبت واحدها عائد فاذا تبعها ولدها قيل مظل
والضمور المسكة عن ان تجر فاذا استعملت قيل راسنة
والليساء التي لا تبرح من المبرك
والعشر الابل التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر من ملحقها
والمنالي التي تنج بعضها والباقي يتلوها في التاج
والغبط الابل التي لا وجع لها
والعيس اسم للناقة
والركاب الابل ولا واحد لهم من لفظها وقال الفراء واحدها ركوب

والجمال اسم صيغ للجمع وهي ذكور الابل واناثها والجمال ذكورها والدوق
اناثها

والثربوت الجمل والنافقة الذلول
والزود اسم مؤنث لا يوحّد ويجمع على ازواد يقع على قليل الابل ما بين
الثلاث الى العشر الى العشرين الى الثلاثين ولا يتجاوز ذلك ومنه المثل الزود
الى الزود ابل يضرب في اجتماع القليل الى القليل حتى يؤدي الى الكثير
والصير جمع صريرة وهي القطعة من الابل
والعرج القطيع من الابل نحو الثمانين ومنها الى تسعين او مئة وخمسين
وفوقها او من خمس مئة الى الف
والجول جماعة الابل
والجهمه ثمانون بعيراً
والعجمة المئة من الابل او مئتان او ما بين الخمسين الى المئتين
والفكر ما فوق الخمس مئة من الابل او الستون منها او ما بين الخمسين
الى المئة

والفضاء ما بين الثلاثين الى الاربعين
والكور الجماعة الكثيرة من الابل او مئة وخمسون او مئتان وأكثر
والهجمة من الابل اوها اربعون الى ما زادت او ما بين السبعين الى المئة
او الى دوينها فان بلغت المئة فهي هنيذة
والامامة ثلاث مئة من الابل
ويعبرون عن الابل بالجليلة واجودها عندهم الاشهب البازل يعني اليبض
القوي ويقولون نافقة هجان وجمال هجان والهجان حسن البياض واعنقة وقيل
بل ان انفسها عندهم السوداء قال عنزة
ففيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كحافية الغراب الاسهم

الخافية ضد العلانية ولكن هنا يراد بها ما ظهر وتبين من الغراب وفي
القاموس خفاء خفيًا وخفيًا وإخفاء أظهره واستخرجته وخفا الشيب ظهر وخفا
البرق لمع والاسم الاسود

الفصل الثالث

في باقي الحيوانات المعروفة عند العرب

اما حيوانات بلاد العرب غير الخيل المشهورة في الجودة والجمال التي
يعتمدون عليها لشدة احتياجهم اليها كما تقدم في ما مرّ يوجد ايضاً الحمير الجيدة
التي تباع باغلى قيمة وهي تقرب من صفة البغال وعليها تذهب الحاج من اليمن
الى مكة وتصل على تعب الطريق وتشتي في الساعة ثلاثة آلاف وخمس مئة
خطوة وخطواتها بقدر خطوات الابل والركض عليها لا تعب فيه

وتوجد ايضاً المعزى والغنم والمعزى البرية ويعتنون بتربية الغنم كثيراً
وكما يعبرون عن الابل بالجليلة يعبرون كذلك عن الغنم بالدقيقة ولم
اصطلاحات في تعدادها ومن ذلك النبعة الاربعون من الغنم او ادنى ما تحب
فيه الصدقة من الحيوان . والتممة والشمة الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ
الفريضة الاخرى والتي تحلبها في المنزل وليست بسائمة والثلة جماعة الغنم او
الكثيرة منها او من الضأن خاصة والحيلة للمعزى كالثلة للضأن فاذا اجتمعت
الضأن والمعزى فكثرتا قيل لها ثلة ومن امثالهم لا يفرق بين الثلة والثلة اي

بين جماعة الغنم وجماعة الناس لان الثلثة الجماعة من الناس والجزعة والجزيمة القطعة من الغنم جمعة جزائع والجزيمة المئة فصاعداً من الماشية او من العشرة الى الاربعين او هي الضرمة من الابل والفرقة من الضأن

وتوجد ايضاً الجواميس وبقر الوحش وحمير الوحش وهي الفراء الذي يضربون به المثل فيقولون كل الصيد في جوف الفراء غير هزاي كل الصيد دونة يضرب للرجل يكون له حاجات كثيرة منها واحدة عظيمة فتتفضى له فلم يبال بفوات البواقي

وتوجد ايضاً الخنازير والارانب والغزلان والظباء ويقال لها العنبر واحدها آعنر وتكثر في براريهم الأسد ويقال لها العنابس واحدها عنيسة واسامة علم لها والضبع والثمر ويقال له ذو اللونين ويسمونه السبتي ايضاً والذئب والوعل والثعلب وابن آوى والذئبوع وفي جهة الجنوب النسناس وهو كثير الجناية دلى الاثمار والفواكه

ويوجد ايضاً من الطيور النعام ويقال لذكورها الظلمات واحدها ظليم والقطا والتمجل والصقر والكدرى والكروان والغراب والبعج والرخم والمهدهد والسممر وغير ذلك وعلى البحر الاحمر انواع كثيرة من طيور الماء كما ان مياه البحر المحيطة كثيرة الاسماك والسلاحف

ويوجد في بلاد العرب من الاحتناش حيآت مؤذية وغفارب وضباب وانواع من النمل والزبلاء وكثيراً ما يسطو على هذه البلاد الجراد ويقال له الجندب فيتلف اغراسها واكثر ما يستوطن في براري نجد

وقال الميلاني عن حمزة ان العرب تسمي ضروباً من البهائم بضروب من المراعي تنسبها اليها فيقولون ارنس الخلة وضب السما وظبي الحلب وتيس الريلة وقنفذ برق وشيطان الحماطة وأخبث الذئب الفضي وأخبث الافاعي افعى الجذب واسرع الظباء ظباء الحلب

فالشيطان المذكور هنا يريدون به الحبة والحماطة ببس الافاعي وهي من

احرار البقول واحديها افانية ويضرب بشيطان الحماطة المثل للرجل اذا كان
ذا منظر قبيح والحلب شجرة حارة يكون طبائوها أسرع الظباء واما طباء المحض
فتكون ابطأ الظباء لان المحض مالح وذلك كله على قدر طباع الامكنة
والاغذية العاملة في طباع الحيوان

ويسمّون بعض الابل حوكشية نسبة الى حوكش ولعلها هي الابل التي يسمونها
الحوشية اي وحشية ينسبونها الى الحوش وهي على زعمهم بلاد الجنّ يعنون ان
فحولها من الجنّ ضربت في نغم مهرة بن حيمان فنُسبت اليها اذ يقال لها ايضاً
ابل مهرة او من الحوش اي من نسل فحول الحوش واما خفان وهي ارض يتراب
الكوفة وعنبر بن وخنية وترج وحلية هي من المواضع الموصوفة بكثرة الاسود
ولذلك يقولون في امثالهم للجريّ أجراً من الماشي يترج وان قهر رجلاً عظيماً
فتلت أسد خفان وتمثلت ليلي الاخيلية من ابيات تراثي توبة بن الحمير

فتي كان احبي من فتاة حثية واشجع من ليث بخنان خادر^(١)

وانما اختلفوا في تفسير المثل المضروب وهو قولهم اشجع من ليث عنبر بن
فمنهم من جملة دويبة ومنهم من قال ضرب من العناكب
وحية عييلان هي حية يزعمون انها قد منعت وادياً يسمونها بهذا الاسم اي
عييلان فلا يرعى ولا يوثى

ولم يكن ما ذكرناه في هذا الفصل من اسماء الحيوانات وغيرها مقتصرًا على
هذه الاسماء فقط بل يوجد لكل نوع من انواعها اسماء متعددة لذكورها
واناثها واصغارها وكبارها هذا فضلاً عن ترادف اسماء كثيرة على معنى واحد
فان الاسد مثلاً يقال بان له نحو الف اسم ولذلك لم نتعرض للغوص بهذا
الجور العريض بل نكتفي هنا بذكر اسماء اولادها وما اصططلحوا عليه من القابها
هي نفسها

(١) الخادر معناه المنعم في خدره اي ملازم اجتهه اذا كان من الاسود

اسماء اولاد الحيوانات . قد وضعت العرب لكل نوع من ولد الحيوان اسماً مخصوصاً وهو ان ولد كل سبع جرو (ويطلق على الصغير من كل شيء) وولد كل وحشية طلاء وولد كل طائر فرخ اما الشبل والحفص والفهد فهي اسماء ولد الاسد وهرمس ولد النمر ودغفل ولد الفيل والمقبولا اولاده جملة والبُرغل والبهذل ولد الضبع والمخضيص ولد البهر والجبس او الجببس ولد الدب والقشبة ولد القرد والفصل ولد الذئب وولد العنبر والعُرس ولد الثعلب والحفوص ولد الخنزير والفهود ولد الوعل والمهر ولد النرس والمخبرقص ولد الحرقوص والجمل الصغير والحجش والعنقا ولد الحمار اما ولد الناقة فقد سبقت الاشارة اليه في الفصل السابق والجمل والجزج والحسيلة والذهب والفراة والبرع ولد البقرة وكذلك البرغزة والبرغز والبرغوز والبرغاز ولد البقرة اذا مشى مع امه والتبع ولدها في السنة الاولى والعصب ولدها اذا طلع قرنه والماري ولدها الاملس الابيض والانثى مارية والفرقد والزرع واليعفور والجودر والفز ولد البقرة الوحشية والحمل ولد الشاة وهي انثى الضأن والجدي ولد العنبر والخشف والحُر والشاذن والغريز ولد الظبي والبائع ولد الظبي ايضاً اذا باع في مشيه والحزق ولد الظبية الضعيف القوائم والطلو ولد الظبية ساعة يولد ويجمع على طلاء والجرو وقد مر ذكره ولد الكلب والديرس ولد الفارة والحسل ولد الضب ويقال هو اولاً حسل ثم مطبخ ثم خيسر ثم ضب والخزرق والخونع والنهسر ولد الارنب والفروج ولد الدجاجة والجعمول والراأل والحوتكي ولد النعام والزغالول ولد الحمام والحُر وقد مر ذكره فرخ الحمامة وولد الحجة ويقال له المارن ايضاً والكبرتل ولد الجعل او هو الجعل نفسه وقيل ان النهسر الذي مر ذكره وكذلك السبع ها ولما الذئب من الضبع ويزعمون ان السبع لا يعرف العلل ولا الاسقام فهو كالحمية يموت جنف انفه ويضربون به المثل في شدة السبع فيقولون لمن ارادوا المبالغة في شدة سبعه اسمع من سبع قال الشاعر

تراه حديد الطرف البلج واضحاً اغرّ طويل البال اسمع من سمع

والعسبار ولد الضبع من الذئب او ولد الذئب والعسبور والعسبورة
ولد الكلب من الذئبة وفي بعض المؤلفات الاسبور ولد الذئبة من الضبع
والدروان ولد الضبعان من الذئبة والازل ذئب ارسع^(١) يتولد بين الضبع
والذئب ايضاً والخيمفعاء بالمد والنصر ولد الكلب من الذئبة والديسم ولد
الذئب من الكلبة وقيل ولد الثعلب منها او ولد الدب والبُرغل وقد مرّ
ذكره يقال ايضاً انه ولد الوبر من ابن آوى والقرنب ولد الفارة من اليربوع
كنى الحيوانات. وكما تكي العرب النوع الانساني كذلك تكي الاطعمة
والبعض من النباتات والحيوانات وقد تقدّم في الفصل الثالث من المقالة
الخامسة كنى الاطعمة اما كنى الحيوانات فيها ابو الحريث وابو الابطال وابوشيل
وابو العباس كنية الاسد

وابو جهم وابو دلف وابو دخل وابو جُعدل وابو دغفل وابو الحجاج كنية
الفيل وامّ سبل الانثى منه

وابو الابرّد وابو الاسود وابو جُعدة وابو جهل وابو خطاف وابو الصعب
وابو رقاش وابو عمرو وابو المرسال وابو فارس للتمر وامّ الابرّد وامّ رقاش
الانثى منه

وامّ تُرْمَل وامّ جَعَار وامّ حِذْرَف وامّ رمال وامّ عَنَاب وامّ عَنَاب وامّ
عمرو وامّ عامر وامّ خنّور وامّ طَيْرِيق وامّ القيدور وامّ نوفل انثى الضبع وابو
عامر وابو كلانة وابو الهنبر ذكر الضبع

وار جعدة وابو جاعد وابو جُمادة وابو ثمامة وابو مِذْفَة وابو عسلة وابو
رعاة الذئب

وابو حميد وابو جُهيّنة وابو جهل الدب

(١) الارسخ الرجل فلّ لم يحزمه وفخذه لحنه وركبه

وابو معاوية وابو النجم وابو الحصن وابو الحصين وابو الخنيس الثعلب
 وابو قيس وابو زهرة ابن أوى
 وابو ايوب وابو صابر الجمل
 وابو خالد الكلب
 وابو زرعة وابو عقبة الخنزير
 وابو زنة الفرد
 وابو منقذ وابو منجي الفرس
 وابو الخنثال وابو قوص وابو خرون البغل
 وابو زيا وابو محمود وابو جحش وابو العنا الحمار وأم الهبيرة الاثنان وفي
 انثاه
 وابو برائل وابو سليمان وابو اليفظان وابو حسان وابو حماد الديك وأم
 حفصة وأم ناصر الدين وأم الوليد وأم احدى وعشرين الدجاجة
 وأم البيض وأم ثلاثين النعامة وبنات الهبق جاعتهما وابو حاتم ذكرها
 وابو القعناع الغراب
 وابو المليح الصقر
 وابو الاشعث وابو لاحق البازي
 وابو الهيثم وابو وثاب وابو الحجاج وابو حسان وابو الدهر وابو الاشيم
 ذكر العقاب وأم الحواير وأم الشعر وأم طلية وأم لوح وأم الهيثم الاثنى عشر
 وابو مالك وابو المنهال وابو يحيى وابو الابر ووابو الاصبع النسر وأم
 قشعم انثاه
 وابو الاخبار وابو ثمامة وابو الربيع وابو روح وابو سنجار وابو عباد الهدهد
 وأم الخراب وأم الصبيان البومة
 وابو عكرمة الحمام
 وأم جعران وأم عجينة الرخمة

وابو حُدَيْج اللُّلُفِي
 وابو بَرَقِش المُنَسَّ قِيلَ هُوَ طَائِرٌ صَغِيرٌ بَرِّيٌّ كَالْقَنْفَذِ أَعْلَى رِيشُهُ أَغْرَ
 وَأَوْسَطُهُ أَحْمَرٌ وَأَسْفَلُهُ أَسْوَدٌ فَإِذَا هَمَّجَ انْتَفَشَ فَنَغِيرُ لَوْنُهُ الْوَانَا شَتَّى حَتَّى قِيلَ
 بِكُلِّ مِثْلُونٍ ذِي وَجْهَيْنِ أَحْوَلُ مِنْ أَبِي بَرَقِشٍ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ
 كَأَنِّي بَرَقِشٌ كُلُّ بُو م لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ
 وابو نَجْمَا أَوْ ابُو نَجْدَادِي ضَرْبٌ مِنَ الْجُنَادِ وَمِنْ الْجَرَادِ وَضَرْبٌ ضَخْمٌ مِنَ
 الْخُنَافِسِ وَأَمَّ عَوْفُ الْجَرَادَةِ
 وابو أَلَمْسِن طَائِرٌ صَغِيرٌ ذُو صَوْتٍ حَسَنٍ وَيَسْتَقِي الْحَسُونُ
 وابو كَثِيرُ الصَّرْدِ وَهُوَ الْأَخْبِيلُ
 وابو سَلَمَى الْوَزْعِ
 وابو جَعْفَرُ الذِّبَابِ
 وَأَمَّ وَرْدَانُ الصَّرْصُورِ
 وابو حَسِيلٌ وابو حَسِيلُ النَّصْبِ
 وابو جَعْرَانُ الْجُعَلِ
 وابو سَفْيَانُ الْقَنْفَذِ
 وَأَمَّ عَرِيْقُ وَأَمَّ سَاهِرَةُ الْعَقْرَبِ
 وَأَمَّ حَبَابُ دَوِيْبَةِ ذَاتِ الْوَانِ كَالْجُنْدِ وَهُوَ ذَكَرُ الْجَرَادِ أَوْ الْقَبُوطِ
 وَأَمَّ الْأَمْوَالُ الْغَنَمِ
 وابو حَبِيبُ الْجَدْيِ
 وابو غَزْوَانٌ وابو خَشَّاشٌ وابو الْهَيْثَمِ وابو شِمَاخُ السَّنُورِ وَأَمَّ شِمَاخُ انْتَاهُ
 وابو حَنْزَلُ الْحَرَبَاءِ وَأَمَّ قَرَّةٌ وَأَمَّ حَبِيبُ الْإِنْتَى مِنْهُ وَأَمَّ الْحَيِّفُ مَصْفُورَةٌ
 الْحَرَبَاءُ أَيْضًا
 وَأَمَّ مَحْبُوبٌ وابو عَثْمَانُ الْحَيَّةِ

وابو طامر وابو عدي وابو وثاب البرغوث
 وابو مشغول النمل وامّ نوبة وامّ مازن النملة
 وابو راشد الفار وامّ خراب الفارة
 وابو الميج وابو هيرة وابو معبد ذكر الضفدع وامّ هيرة انتاه
 وامّ اربع واربعين دويبة مسمّية معروفة
 لاحقة . لا يخفى بانه عند العرب كل شيء انضمت اليه اشياء فهو امّ لها
 والامهات للناس والامات للبهائم وامّ كل شيء اصله وعماده والقوم رئيسهم ومن
 القرآن الفاتحة او كل آية محكمة من آيات الشرائع والفرائض وللنجوم الحجر
 وللرأس الدماغ او الجلبة الرقيقة التي عليها والدمع اللوا واللتائف اشدّ المفاوز
 واشتها وللبيض النعامة على ما تقدم والامّة الجماعة
 وامّ القرى مكة
 وامّ الدنيا مصر لكثرة اهلها
 وامّ القرى النار
 وامّ الكتاب اصله او اللوح المحفوظ او الفاتحة او القرآن جميعه
 وامّ دفر وامّ حجاب الدنيا
 وامّ مثواك صاحبة منزلك
 وامّ الصبيان الصرع
 وامّ ملدم المحي
 وامّ الجراف الدلو والعرس
 وامّ حبوكر وامّ حبوكرات وامّ حبوكرى وامّ خشاف وامّ جندب
 اللاهية العظيمة والاساءة والقدر والظلم واما قول امرء القيس في مطلع بعض
 قصائده

خليلي مرّا بي على امّ جندب لنقضي لبانات القواد المعذب

فمؤ يريد بذلك امرأة من بني طي كان تزوج بها حين هرب الى قومها
من وجه المذنب بن ماء السماء ملك العراق.

الاصوات. ولما وضعت العرب اسما لانواع الاصوات منها الصرير
للباب والآنم والسرير والصرير للاستان. والطنطنة للاوتار. والرزين للثوب
والقصيف للرداء والبحر. والرفير لصوت النار. والخنخشة للفرطاس والثوب
الجديد. والصلصلة للحديد والسيوف والدرهم. والزمزة حكاية صوت الجوس.
والنخش لصوت غليان القدر ونحوها. وغرق غرق حكاية صوت الغليان.
والبنقة صوت غليان الماء في الكوز ونحوه. والدققة صوت الفرع. والهدبة
صوت وقع الحافر على الارض وكل صوت كوقع الحافر على الارض الصلبة.
والطنطنة صوت الاحجار ومنه طقّ لصوت وقع الحجارة. وطاق للضرب.
والخبر للماء والرج والعقاب اذا حنّت وغطيط النائم. والخشارم للغليظ من
الاصوات. والخنش والخنشة للصوت والحركة والصوت الخفي او صوت ديب
الحبائت وصوت الضبع. واللفظ اصوات مهمة لا تفهم. والتغغم صوت بكلام
لا يتبين. وجلنبق حكاية صوت باب ضخم ذي مصراعين في فتحه. والصوة
لصوت الصدى. وطبخ لصوت الضاحك وباء باء اصوت يدعى به الناس
للاجتماع وامثال ذلك وضعوا ايضا لكل صوت من اصوات الحيوانات اسما
ومنها الزبر للاسد. والعواء للدئب. والنباح للكلب والهريرة اذا انكر شيئا
او كرهه. والضباغ للعلب. والمواء للهرة. والقباع للخنزير. والخوار للبقرة.
والرغاء للشاة. والذبيب للظبي. والصهيل للفرس. والنبق للجمار. والهدير
للحمار. وطق والنقيق للضفدع. والنميج للجمجمة. والخنخشة صوت اكل الجراد
والخروار صوت السنور. والصقاع للدب. والنميق والنعيب والنعاب للغراب
والبوم. وغاق لصوت الغراب. وغرق غرق حكاية صوت الغراب اذا اغلظ
صوته وصوت الماء اذا صار من سعة الى ضيق والخفيف للشجر والجناح الطائر
وماء البغام صوت الظبية. والظاب صياح التيس. والفبق والفرق لصوت

الدجاج . وقطا قطا حكاية صوت القطا ومثله وقط وقط اسم صوت لدعاء
القطاة . والوع حكاية صوت ابن آوى والطفل اذا بكى . والزفرقة للعصفور .
والنخريد للطائر والمغني والحادي . وككة ككة حكاية صوت الاسد والبعير
زجر الحيوانات . وكما وضعوا هذه الاسماء لاصوات الحيوانات على ما تقدم
وضعوا كذلك الاسماء لاصوات التي يزجرونها بها ومنها اجد واجط وايا يا
ويا يا وبيا به وبس بس وجو جو وجوت وجوت وحاي حاي وحان حان
وحا حل حل وهأ ها وهرو هج واي وبها اصوات تزجر بها الابل
وتنه نه وحاق وجاه جاه وجوه جن وحاب وحوب وهت هت اصوات
يزجر بها البعير

وجي جي وشيب اصوات تدعى بها الابل للشرب
وهي هي صوت تدعى به الابل للعلف
وددي دي من حياء العرب تدعى به الابل للمشي
وده وده داه داه اصوات تدعى به الناقة الى ولدها
وهده هده صوت يسكن به صغار الابل عن نفارها
واخ صوت اناخة الجمل
ودوق دوق صوت لدعاء الربيع
وحنط وده وهلا وهجر وهجرم وهال وهاب وهب وهي لزجر الخيل
واؤه صوت دعاء للفرس
وجاه جاه زجر للسبع واللبغل
وحدس او حدس زجر للبالغ خاصة
وجي وحي صوت يدعى به الحمار
وعوه عوه صوت يدعى به الحفش
وحيز وحيه وساء وشاء وشوشو وهيس اصوات تزجر بها الحمير
واحي احي ورحاله رحاله وسدف سدف وقصب قصب وهذف هذف

اصوات لدعاء النجاة

وَأَسْ أَسْ وَأَجْدَمْ أَوْ هَجْدَمْ وَحَبَلْ حَبَلْ لَزَجْرِ الشَّاةِ
وَأَزْ أَرْ وَدُعْ دُعْ لدعاء الغنم
وَأَوْسْ أَوْسْ وَحِطْ وَحِبْ وَشَاءْ وَعَلْ عَلْ وَعَايْ وَهَجْ وَهَسْ اصوات
لَزَجْرِهَا

وَنَأْ نَأْ دعاء للنيس لينزو
وَحَا حَا دعاء له ليشرب
وَجَنَاجْ جَنَاجْ تُدْعَى بِهِ الْعَتَرُ لِلجَّابِ
وَحَبَلْ حَبَلْ لَزَجْرِهَا
وَأَوْسْ أَوْسْ وَوَحْ لَزَجْرِ الْبَقَرِ
وَأَسْ أَسْ كَلِمَةٌ تُقَالُ لِلشَّيْءِ لِيَتَخَضَعَ
وَنَهْ نَهْ وَفَوْسْ وَفَرْقَوْسْ دعاء للكلب
وَدَجْ دَجْ صوت صياح الدجاجة
وَحَفْ حَفْ زَجْرُهَا
وَعَسْ لَزَجْرِ السُّنُورِ

الامثال . وتضرب العرب امثالها بكثير من صفات بعض الحيوانات
والنباتات او خواصها الطبيعية لكن اذا اردنا ان نذكر السبب لكل من هذه
الامثال يطول بنا الشرح ولذلك نقصر على المثل فقط كقولهم
للاحق احمق من رجلة وهو نبت يعرف بالبقلة ايضاً واهق من الضبع
لزعيم ان الصائد يخدعها بكلامه بقوله لها حين يحفر عليها وهو ابشري ام عامر
فتبرز اليه وتسلم نفسها له واهق من الربع ومن نجمة على حوض ومن نامة
ومن رخمة ومن عتقى ومن ام الهدير والهدبر الاناث وفي لغة فزارة هي الضبع
ايضاً واخرق من حمامة واهق من جهينة وهي انثى الدب
ويقولون في الحذر احذر من غراب ومن ذئب ومن ظالم

ويقولون في الحيرة احير من ضب ومن ورل
 ويقولون في الحزم أحزم من فرخ العقاب ومن حرباء
 ويقولون في المحاولة احول من ابي براقش ومن ابي قلمون ومن الذئب
 ويقولون في الحسن أحسن من شنف الانضر يعنون قرط الذهب ومن
 الدر ومن الطاوس ومن الديك ومن العسل ومن بيضة في روضة لانهم
 يستحسنون روية نفاء البيضة في نضارة خضرة الروضة ومن الدم الموقفة وهي
 الخيل التي في قوائها يياض
 ويقولون في الحرص أحرص من كلب على جيفة ومن كلب على عرق
 والعرق العظم عليه اللحم ومن كلب على عقى والعقى اول حدث الصبي ومن فلة
 ويقولون في الحراسة أحرس من كلب
 ويقولون في النخل انجل من كلب
 ويقولون في المجوع اجوع من كلبة حومل فان حومل هذه امراة من
 العرب لها كلبة تقيدها بجانب البيت لتخربها ولا تطعمها فكانت تأكل ذنبها من
 شدة الجوع فضر بها المثل
 ويقولون في المحاكاة أحكى من فرد لانه يحكي الانسان في افعاله سوى
 النطق

ويقولون في العيوب مثل حمار طباب وبقلة ابي دلالة
 ويقولون في الكفر هو اكفر من حمار لكنهم لا يعنون بذلك الحيوان
 المعروف بهذا الاسم وانما يريدون رجلاً يقال له حمار بن مالك او موباع كان
 مسلماً اربعين سنة فخرج بنوه وكانوا عشرة للصيد فاصابهم صاعقة فهلكوا فكفر
 وقال لا اعبد من فعل بني هذا فضر به المثل بكفره
 ويقولون في الاخيال اخيل من غراب لانه يخال في مشيته واخيل من
 ثعلب في استيه عهنة والعهنة قطعة قضيب مكسور
 ويقولون في الخنة أخف من فراشة واخف رأساً من الذئب واخف رأساً

من الطائر واخف حلقاً من عصفور يضرب في احلام السخفاء ومثله اخف حلقاً
من بعير واخف من براءة والبراعة يقال بانها ذباب فهو مثل قولهم اخف من
فراشة وقيل هو الفصبة

ويقولون في الخبيث اخبث من ذئب الخمر والخمر هو ما وارى يعني
سائر من شجر او حجر او جرف وادم واخبث من ذئب الغنى

ويقولون في الخيانة اخون من ذئب

ويقولون في الخلد اخدع من ضب

ويقولون في الخطأ خطأ من ذباب ومن فراشة

ويقولون في العريسة اخبط من عشواء وهي الناقة لا تبصر في الليل فهي
تطأ كل شيء

ويقولون في الحلم أحلم من فرخ العقاب

ويقولون في الخلاوة احلى من التوحيد قيل هو نوع من التمر بالعراق والرو
ينسب ابو حيان التوحيدي صاحب كتاب المناظرات والمناظرات قال المتنبي

بنرشفن من في رشفات هن فيه احلى من التوحيد

ويقولون في الحدة احد من لينة وهي قشر الفص

ويقولون في الخلف اخلف من شرب الكون لان الكون يسقى السقي ولا
يسقى والسقي بالكسر الزرع الذي يسقى واخلف من ولد الحمار يعنون البغل
لانه لا يشبه اباه ولا امه واخلف من نار الحياح قيل ان الحياح طائر
يظهر في الظلام كقندر الذباب يتراعى جناحه كشعلة نار وقيل غير ذلك
واخلف من صقر وهو من خلوف الغم اي تغير رأيه واخلف من بول الجمل
لان الجمل يبول الى خلف

ويقولون في الصبابة احى من انف الاسد واحى من است الثور

ويقولون في السرقة اسرق من زبابة وهي فارة برية صماء مثل الخلد

ويقولون في الشَّمَّ اشم من نعامة^(١) واما تمثيلهم الطويل بظل النعامة اذ يقولون اطول من ظل النعامة فليس هو من قبيل مشابهته بظل الطائر المعروف بهذا الاسم بل يريدون بذلك الراية وكل بناء مرتفع او على جبل وكذلك قولهم في المثل شالت نعامة فهم يعنون بذلك موتة لانهم يريدون بالنعامة هنا النفس كما في الفاموس وفي مجمع الامثال المبداني شالت نعامة اذا انتقلوا بكيتهم كما يقولون زف رأهم اذا انتقلوا عن الموضع ولم يبق لهم فيه شيء والزف في اللغة الاسراع والرأل ولد النعام

الصيد . وكانت العرب في المجاهلية ترشب في صيد الحيوانات فبها ما اصطادوه بالنبل والسهم ومنها ما نصبوا له الحبال والشراك ويقولون ان اول من اصطاد منهم بالنهود كان كليب بن وائل وكان يسمى ما جاء منها عن شمال الصائد وولاه ميامنه بالسائح وما جاء عن يمينه وولاه شماله بالبارح وما تلقاه بالنائح وما استديره بالقعيد ويسمون ناموس الصائد الفترة والحفرة التي تحفر الاسد اذا ارادوا صيده زبية ومنه المثل بلغ السيل الزبي ويعتدون عن اللصوق بالارض لتحلل الصيد التلبد ورجوع الصائد بلا صيد بالاختناق وكانوا لا يعافون لحم شيء ما يصطادونه اصلاً

ثم لما جاء الاسلام أحل لهم ايضاً صيد البحر وطعامه وصيد البر الا ما داموا حرماً غير انه قد حرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمتخنة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكروا وما ذبح على النصب ولم يستثن من الميتة الا السمك والجراد ومن الدم الا الكبد والطحال ولذلك يبذل المسلمون جهدهم في اصطیاد الطيور والحيوانات بطريقة يظهر معها اثر خروج الدم ما يصطادونه منها واما الاسماك وسائر الحيتان والزهومات البحرية فلا قيد فيها

وقوله ما داموا حرماً يعني في مكة وهي حرم لاحتوائها على البيت الحرام

(١) يقال إنه ليس للنعامة حاسة السمع ولذلك كان له شم بائع

ويقال له الحرم المكي أيضاً اما الحرم المدني فهو مسجد المدينة وفيه ضريح صاحب الشريعة الاسلامية ويطلق عليهما كليهما اسم الحرمين الشريفين وقوله في ما حرم عليهم أكله الميتة فيراد به الفاسقة والدم اي المسفوح وما أهل لغير الله به معناه بان ذبح على اسم غيره والمختنقة اي الميتة خنقاً والموقوذة المنتولة ضرباً والمتردية اي الساقطة من علٍ الى اسفل فانتت النطيحة المنتولة بتطخ اخرى لها واما قوله الا ما ذكيتم باللال المعجمة اي ادركتم فيه الروح من هذه الاشياء فذبحتموه

الفصل الرابع

في باقي محصولات بلاد العرب النباتية والمعدنية والصناعية وتجارتها

ينبت في بلاد العرب الاصلية المر والبليلسان وكثير من الاشجار والنباتات العطرية ويخرج كذلك في ما كان صالحاً للنبات والشجر من الجبال والودية الطرفاء والدوم والصفصاف والحناء والزنجبيل والياسمين والفيل والتمر هندي والنخل والقصب والحنطة والشعير والقوة والبن والتبغ والعفص والبنج والفلفل والبادنجان والصبر والرمان واللوز والفسنق والمشمش والتفاح والسنجل والليمون والين والورد والشفائق والخنزام والبنفسج والدرجس والنيلة والخروع وانواع الثناء والبطيخ والموز والطلح الذي منه الصمغ العربي والنارجيل المعروف بالمحوز الهندي (ومنه أخذ اسم الناركيلة وهي آلة للتدخين) وشجر اللبان في شير وشجر البسر الذي تعمل منه المساج

وفي نواح جبل سيناء توجد دودة مثل دودة القرمز تنقب قشر شجر الطرفاء فيخرج من الثقوب في شهري حزيران وتموز رشح كالصمغ حلو المذاق طيب الرائحة تلتقطه رهبان دير القديسة كاترينا الكائن في تلك النواحي ويهادون به أو يبيعونه ويسمونه منّا تشبيهاً له بالمان الذي أعطي لبني اسرائيل عند ما كانوا تائبين في تلك البراري

ومن اعشاب تلك البراري ايضاً ما يسمى بالغيلة وهو شجر الاراك اذا كانت رطبة والاراك نبات يستاك^(١) به والمهيشر وهو كثير الشوك تاكله الابل ويقال بان للerman عند العرب مزية على غيره من انواع الفواكه لان في كل رمانة من رمان الارض حبة من رمان الجنة فيجب ان يحرص من يأكل رمانة ان يسقط منها حبة لئلا تكون هي تلك الحبة

وبعض القدماء مدح بلاد العرب بسبب وجود المجوهر بها والزمرد والمحجر الاسود والزمرد ويقول الجغرافيون ان معادن بلاد العرب قد قلت في هذه الايام مع انها كانت كثيرة في الزمن القديم فكان يوجد في بلاد اليمن كثير من معادن الذهب والفضة والى الآن يوجد في بعض الاماكن معادن حديد ونحاس ورصاص وحجر الجزع والعقيق اليمني في اليمن واللؤلؤ في خليج فارس ببلاد عمان والبحرين ولا شك انه يوجد فيها ايضاً معادن كثيرة الى الآن لم تُكشف

وكانت العرب تنقل على ابلها مدن مصر^(٢) والشام التجارية اللبان والمر والعطريات المنجورية كالراتنج وغيره من سائر البهارات التي بعضها كانوا يجلبونه من بلاد الهند لسكان الساحل الجنوبي وبعضها كان يخرج من بلادهم لان العرب الذين لم يألفوا الحرب كان اكثرهم يصرف زمنه في التجارة حتى قيل ان

(١) السواك الدلك ويسمى اي ذلك هو الاسنان للظافة وفي الحديث خير

خلال الصائم السواك اي استعمال السواك (٢) انظر لك ص ٢٥٣٧

بلاد العرب كانت في الزمن القديم مستودع التجارة التي تربط الامم بعضها ببعض ولذلك كان الاسكندر الاكبر اراد ان يجعل قاعدة ملكه بلاد العرب ثم لما جاء الاسلام اباح هذه الحرفة ايضاً اذ قد ورد في الحديث تسعة أعشراء^(١) الرزق في التجارة

وقال ابن خلدون القرش في اللغة الكسب والجمع وبه سميت قرش ايضاً لانها كانت تعاني التجارة وقيل تصغير قرش وهو الحوت الكبير المنتمس دواب البحر وقال آخر كانت قرش في متاجرها تأتي الشام في فصل الصيف لاجل طيبة بلادها في هذا الفصل وتأتي اليمن في فصل الشتاء لانها بلاد حارة لا يستطيع الدخول اليها في فصل الصيف وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام ان اول من سن الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف هو هاشم جد صاحب الشريعة الإسلامية وأنه توفي بمدينة غزة ولذلك يقال لها غزة هاشم اهـ لكن ابن خلدون يقول ان الرحلتين هما من عوائد العرب في كل جبل لمراعي ابلهم ومصالحها فيفرون بها من اذى البرد عند التوليد الى القفار ودفتها وطلب التلول في المصيف للحبوب وبرد الهواء

وقال بعض المؤلفين الظاهر ان هذه الخجرات التي كانت تقبر بها العرب في ذلك الزمان كانت اليونانيون يبنون بها هياكلهم ومعابدهم والرومانيون كذلك يبنون بها قبور بعض كهنتهم وفي زمن ملوك مصر البطلموسية والروم كانت مصر تلتقي هذه البضائع من يد تجار العرب بواسطة البحر الاحمر وكانت العرب تأخذ من الروم والعجم في مقابلة هذه الخجرات المعادن النفيسة والجواهر التي كانوا يزينون بها مدنهم وهياكلهم وقصورهم (راجع الفصل الاول من المقالة الخامسة) ولم تنقطع اسباب التجارة عن بلاد العرب الا منذ انكشف الطريق بين العرب والهند على راس الرجاء الصالح سنة ٨٩٢ للهجرة (سنة ١٤٨٦ م) وكان للعرب في زمان جاهليتهم اسواق في شمالات معلومة من بلادهم

(١) اعشراء جمع عشيرة وهو جزء من عشرة كالعشر

يجمعون فيها في اوقات معينة من السنة للبيع والشراء وكانوا يتفاخرون ايضاً في اثناء تلك الاجتماعات ويتناشدون الاشعار ومن هذه الاسواق سوق كان يقوم في عكاظ (راجع الفصل الاول من المقالة الاولى) كل يوم احد ثم في كل سنة ايضاً كانت تجتمع قبائل العرب في اول شهر ذي القعدة ويلبثون هناك شهراً او عشرين يوماً فلما جاء الاسلام هدم السوق لكن قام مقامه مزبد البصرة وهو ساحة تحبس فيها الفوافل كانت العرب تجتمع اليها من الاقطار ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشتررون وكان يؤخذ من بائي السلع في مثل هذه الاسواق دراهم في زمن الجاهلية يعبرون عنها بالمكس

وكان من عادتهم ايضاً ان يضرب المشتري على يد البائع ان رضي البيع ولذلك سمي عقد المبيع صفقة ويقال رجحت صفقتك للشراء صفقة رابحة وصفقة خاسرة وتصافق القوم عند البيعة

وكان يقع عندهم البيع بالملامسة وهو ان يقول اذا لمست ثوبك او لمست ثوبي فقد وجب البيع بكلا وهو ان يلمس المتاع من وراء الثوب ولا ينظر اليه ثم بوقع البيع او يقال ابيعك هذا المتاع بكلا فاذا لمستك وجب البيع او يقول المشتري كذلك

وبيع المناذرة ايضاً والنياذ هو ان تقول انبذ اليّ الثوب او انبذه اليك وقد وجب البيع بكلا وكذا وان ترمي اليه بالثوب ويرمي اليك بهكلا وان تقول اذا نبذت الحصاة وجب البيع او ان يحضر الرجل القطيع من الغنم فينبذ الحصاة فيقول لصاحبها ان ما اصاب الحجر فهو لي بكلا

والخافلة وهو بيع الزرع قبل ظهور صلاحه او باعه اياه في سبيله بالخنطة او زارعه بالثك او الربيع او اكثر او اكثرى الارض منه بالخنطة

وبيع حبك الحبل اي ما في بطن الناقة او حمل الكرمة قبل ان يبلغ او ولد الولد الذي في البطن او تناج التناج وولد الجنين على ان من امثالم اذا اشتريت فاذا ذكر البيع لتجنب العيوب

لكن لما جاء الاسلام نهى عن مثل هذا البيع الفاسد بل وحقق للشارعي الخيار في ما اشتراه لعدة اسباب منها ان يختر رد المبيع الى بائيه لعيب وجد فيه ويسمونه خيار العيب اما خيار التعيين فهو اذا اشترى احد الثوبين بعشرة مثلاً فله الخيار في تعيين ايها شاء وخيار الرؤية وهو اذا اشترى ما لم يره فله الخيار في ردّه وخيار الشرط وهو ان يشترط احد المتعاقدين امراً كقد التثمين او غيره الى ثلاثة ايام او اقل منها فان اخلّ صحّ الخيار في النسخ وكان من عادتهم في الرهن ايضاً ان يقول الراهن لمن يسك رهنه ان لم آتاك الى كذا فالرهن لك فان ائاه بالدّين بعد الامد قال له غلّى الرهن فجرى ذلك بينهم مجرى المثل قال المبدئي غلّى الرهن بما فيه يضرب لمن وقع في امر لا يرجو اتياً منه قال الشاعر

وفارقك برهن لا فكك له يوم الوداع فامسى الرهن قد غلّنا

فلما جاء الاسلام ابطال كذلك هذه العادة حيث ورد في الحديث لا يغلق الرهن يعني لا يستحقه مرهنة اذا لم يرد الراهن ما رهنه فيه وكانت بلاد اليمن تجر في البن تجارة عظيمة واغلب ايراد الدولة كان من المكس الذي يؤخذ على ما يخرج منه وكانوا منعوا خروج زريعته من بلادهم وجعلوا جزاء من يخرجها عناباً شديداً ومع كل ذلك قد وجد الفرنسيون والملك والانتكاز طريقاً لنقل هذه الشجرة الى قبائلهم ونزلاتهم المستوطنة في البلاد البرانية وبذلك اضرروا في تجارة هذه البلاد بهما الصنف ولئن كان شتان بين بن الافرنج وبين اليمن وتدعي العرب بانهم نقلوا هذه الشجرة في الاصل من بلاد الحبشة ولعل ان الحبشة هم اول من عرف نفع البن وزراعته وحكى بعض الذين تكلموا على بلاد اليمن ان اهالي هذه البلاد مع كونهم يتجرون في البن الذي هو من نواتج بلادهم فلا يستعملون شرب القهوة الا نادراً ويدعون انها حارة فيستعملون بدلها شراب قشر البن الذي يصنعونه كالشاي

وممن من يتعاطى نوعاً من النباتات مخدراً كالحشيشة ولا زال لليمن تجارة واسعة مع بلاد الحبشة المذكورة في العطريات والعاج والتمر وبأشياءها من أوربا أيضاً أنواع المعادن والأسلحة والزجاج وعندهم عدة انوال للشاش وفي مدينة المخا معمل للزجاج ولكن صنائعهم خشنة وإنما يجيدون صياغة الذهب والفضة التي تصطنعها غالباً اليهود حتى أن السكة في مدينة صنعاء يضر بها اليهود ويشغلون بعض زبيلكات وهي المسماة مكاحل ولكنهم غير جيدة بل متوسطة الصناعة وأكثر بيوت الجبل منقوبة في الصخور الحادة ولا يعرفون من آلات الموسيقى إلا الطنبور والمزامير وسفنهم خشنة وشرائعها نوع من الحصر

وأما البلاد التي افتتحها العرب بعد الإسلام فقد اجادوا فيها أنواع الزراعة بعد أن دخلت بينهم العلوم والمعارف القديمة واخذوا هذا الفن عن ديوسقوريدس الفيلسوف اليوناني كما سوف يرد ذلك في محله بمجمله باقي العلوم التي تعاطوها وبرعوا فيها كما برعوا في التجارة وسائر العلوم التي ترجمت كتبها من اليونانية إلى العربية وحسبنا أن نذكر مثلاً لذلك هنا ما ذكره صاحب الملتطاف في بعض نشراته حيث يقول

قال بعض المؤلفين يظهر من تاريخ العرب عموماً والاندلسيين خصوصاً أن متاجرهم بلغت الآفاق براً وبحراً في زمان الخلفاء وأنهم فاقوا غيرهم في الزراعة والتجارة وبرعوا في استخراج المعادن وسبكها وفي البناء والحياكة والصباغة والصباغة واللباغ والنقش والدهن والاندلس والزرخرفة على أنواعها وكانت مالقة (بلد بالاندلس) من أشهر الأمصار بصنع الفخار المذهب العجيب ترسله إلى أقاصي البلاد وكانت خيراتها كثيرة عنب وتين ولوز ورمان ومرسي ياقوتي لا نظير له واشتهرت أشبونة بعنبرها ومسكها وإشبيلية بمناجرها العظيمة وزيتونها وتينها حتى أن الماشي كان يمشي في ظل زيتونها وتينها أربعمائة ميلاً طولاً وإثني عشر ميلاً عرضاً واشتهر أهلها بحب الغناء والحلاعة وفن

التطريب واشتمرت كورة باجة بعدن الفضة الذي فيها وبدباغة الاديم
وصناعة الكتان. وفافت المرية سائر المدن بصنعة ديباجها ودار صناعتها حتى
قال بعضهم كان فيها لتسج طرز الحرير ثمان مئة نول والحلل النفيسة والديباج
الفخرف نول والثلثاب البجرجانية كذلك والاصفهانبة مثل ذلك وللعناني
والمعاجر المدهشة والستور المكلفة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد
والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكة المرية بقصر عنها الوصف حسناً
وإديها طولة أربعين ميلاً في مثلها كلها بسانين بهجة وجنات نضرة وإثمار مطردة
وطيور مغردة وقبل لم يكن في بلاد الاندلس أكثر مالا من أهلها ولا اعظم
منهم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف والجودة
ارضها قيل كانما غربلت من تراب. واشهرة شترة بجودة ارضها وحسن غرسها
قال ابن السمع ان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار وأكثر وقال نفلاً
عن ابي عبد الله الباكوري وكان ثقة ان رجلاً من اهل شترة اهدى الى المعتد
ابن عباد اربعة من التفاح ما يفل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة
خمس اشبار. وذكر هذا الرجل بحضرة ابن عباد ان المعتد عندهم اقل من هذا
فاذا ارادوا ان يجيء بهما العظم وهذا القدر قطعوا اصلها وايقول منه عشر او
اقل وجعلوا تحتها دعائم من الخشب. وكان بجوار المرية ثوب كثير وبها
حرير وقرمز وكانت مرسية تسمى البستان لكثرة جناتها. والورق يعمل بشاطبة
من اعمال بلنسية وبالايجال كان اهل الاندلس خيرين باستعمال الاطياب
والعقاقير والافاويه واستخراج الحجارة الكريمة والمعادن فكانوا يستخرجون
العنبر وعود اللنجوج العطر الرائحة والخلب والفسط والسبل والبخطيانة والمر
والكبرياء والقرمز وحجر اللازورد وحجر النجاديب والبلور والياقوت الاحمر الا
انهم لصغر لم يستعملوه والمغنطيس وحجر الشاذنة يستعملونه في النذهب والذهب
والفضة والقصدير والزئبق تجهز به منها الى الآفاق والتوتيا والنحاس والحديد
والشرب والكل وقيل كانوا يصبغون يصبغون النحاس بالتوتيا وكانوا يتجرون

بالزعفران والزنجبيل ويلتقطون المرجان عن سواحلهم فاذا تأمل القارئ في كثرة
هذه المواد وما ينهال منها على البلاد من سيول الثروة وضم إليها نخوة العرب
وعظم اقتدامهم على الاعمال يتبين ان الاندلس صارت تحت يدهم جنة العالم
وتحقق صدق واصفيها والقائل فيها

وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها	وكل روض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها	والخز روضتها والدر جهبها
وللماء بها لطف يرقى به	من لا يرق وتبدو منه الهوى
ليس النسيم الذي يهوى بها سحرًا	ولا انتشار لآلي الطل انداء
وانما أرج الند استنثار بها	في ماء وردي فطابت منه ارجاء

اما اتقن شيء من مصنوعات الاندلسيين فهو مبالغتهم فاعل الصناعة
والذوق لا يزالون يقرّون لم يحسن المباني ايام كان سواهم من اهل اوربا
يسكنون البيوت الخفية واشهر من شاد المباني الباذخة الخليفة الناصر (على ما
تقدمت تفاصيله في الفصل الاول من المقالة الخامسة)

واما محصولات اراضي سلطنة مراکش فهي كما في الديار المصرية ويشتمل
فيها الحرير والصوف والبسط والأدم من جلود العزى واكثر تجارتها
لا زالت حتى الآن مع اهالي البلاد والقبائل التي في الجهات
الجنوبية

المقالة الثامنة

في جيوش العرب واسلحتهم ووقائعهم وفتوحاتهم البرية والبحرية
وفيها ثلاثة فصول

الفصل الاول

في جيوش العرب وكيفية حروبها

يقال بأنه كان النعمان بن المنذر ملك العرب خمس كنانب احلاها تسمى
دوسر وهي اشدّها بطشاً حتى ضرب بها المثل فيقال أبطش من دوسر وكانت
من كل قبائل العرب واكثرها من ربيعة سميت بذلك لاشتقاقها من الدسر
وهو الطعن والدفع. والثانية الرهائن وكانت خمس مئة رجل رهائن لقبائل
العرب تقيم بباب الملك سنة ثم ياتي بدلها خمس مئة اخرى فتصرف الاولى
وكان الملك يغزوها ويوجهها في امورهم وكان ملك العرب في رأس كل سنة
وذلك في ايام الربيع يأتيه وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلاً
عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً وياخذون اكلهم ويدلون
رهائنهم ثم ينصرفون الى احيائهم. والثالثة الصنائع وهي بنوقيس وبنونيم اللات

ابني ثعلبة وكان هولاء خواص الملك لا يبرحون من باب. والرعاة الوضائع
وكانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة فنجدة لملك العرب
وكانوا يقيمون سنة كالرهائن ثم يأتي بدلم الف رجل فينصرف اولئك والخامسة
الاشاهب وهم اخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم وقيل لهم
الاشاهب لانهم كانوا يبيض الوجوه

ويستون رئيس القوم بالعريف لانه عرف بذلك. اما النقيب فهو دون
الرئيس وقيل العريف يكون على نغير والمنكب يكون على خمسة عرفاء ونحوها
ثم الامير فوق هولاء والدخية رئيس الجند ويجمع على دجاء
والجند هو جمع معد العرب والعسكر والاعوان والنيئة والانصار وصنف
من الخاق على حدة يقال هذا جند قد اقبل

اما الحصيص وهو العدد يقال حصيصهم كذا اي عددهم كذا فهو اولاً
الصنوت وهو الفرد الواحد والزوج للثنين ويجمع على ازواج. واما الزوج
والزوجة فليس من هذا النيب بل يقال لها زوجان والنيف هو من الواحد
الى الثلاثة ولا يقال نيف الا بعد عقد العشرة من الرجال. والبضع اكثر ما
يستعمل بين الثلاث الى التسع او الى الخمس او ما بين الواحد الى الاربع او
من اربع الى تسع او هو سبع وقيل البضع ما بين العقد من الواحد الى العشرة
ومن احدى عشر الى عشرين ومع الذكر بها ومعها اي مع الموائمة بغيرها يقال
بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة ولا يعكس. وقيل البضع غير
معدود لانه بمعنى القطعة. والمخرنجم العدد الكثير والنفر لما دون الناس كلهم
من ثلاثة الى عشرة وقيل الى سبعة ولا يقال نفر في ما زاد عن العشرة. اما
الوتيرة فهي اسم لعند العشرة اي اذا بلغ العدد عشرة يسمى وتيرة واذا بلغ
اربعين يسمى عصابة. ثم الهجمة وهي من التسعين الى المئة فاذا بلغت المئة فهي
هنيذة. والجماعة من المئة الى الالف فاذا بلغت الالف قيل جمرة وقيل ان
كل قبيلة فيها ثلاث مئة فارس تسمى ايضاً بهذا الاسم وقيل ان كل من كان

يداً واحدة من القبائل كبنى ضبة والحارث وعيس فانه يقال لم جمرات العرب
والخضيرة جماعة النوم او الاربعة او الخمسة او الثانية او السعة او العشرة او
النفر يغزى بهم ومقدمة الجيش

والثبة الجماعة والعصبة من الفرسان والاثنية الجماعة الكثيرة ج أناني
والجاهشة الجماعة من الناس والسرية بالياء المثناة هي الجماعة من خمسة
انفس الى ثلاث مئة او اربع مئة قبل لما ذلك لانها تسري في خفية او لانها
جماعة مستراة اي مخنارة من الجيش وقيل التسعة فما فوقها سرية وقيل السرية
القطعة من الجيش يقال خير السرايا اربع مئة

واما السرية بالياء الموحدة فهي الجماعة وجماعة الخيل ما بين العشرين الى
الثلاثين

والطليعة تكون ثلاثة او اربعة ونحو ذلك
والعدة ما بين العشرة الى الخمسين من الرجال
والفئاب ما بين الثلاثين الى الاربعين من الخيل او زهاء^(١) ثلاث مئة
والقتيل الطائفة من الناس ومن الخيل ما بين الخمسين فصاعداً وقيل
ما بين الثلاثين الى الاربعين

والمنسر واليسر من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين او من الاربعين
الى الخمسين او من الستين الى المئة الى المئتين وقطعة من الجيش تمر قدام
الجيش الكبير

والوضعة صرم^(٢) من الناس فيهم مئتا انسان او ثلاث مئة
والجند من الناس الجماعة ومن الخيل مئة واكثر
والبرازيق الجماعات من الناس والفرسان او جماعات خيل دون الموكب

(١) الزهاء انقذار والحزر يقال عندي زهاء مئة اي مقدار مئة وحزرها

(٢) الصرم الضرب والصف والجماعة ج اصرام واصارم واصارم وصرمان وبراود
الصرم الجماعة من البيوت ايضاً

والبرم الجيش ولفيف القوم قبل سبي بذلك لان فيه اخلاطاً من الناس
والبغايا الطلائع تكون قبل ورود الجيش
وانتجربة جماعة من الجند متطوعة

اما الكتيبة فهي الجيش والعظيم منه فيلق وعمرم ولهام وقيل الفيلق ما كان
منه خمسة آلاف والبند ما كان عشرة آلاف والمجنفل الجيش الكبير وجيش
جرار يجر غبار الحرب وكتيبة جرارة ثقيلة السير لكثرتها والطحون الكتيبة
العظيمة تطحن ما لقيت واما الجمعية فهي الجيش الصغير والجول الكتيبة الضخمة
وجاعة الخيل او ثلاثون منها او اربعون وقيل الجيش اربع مئة وقيل اربعة
آلاف والنفي ما يتطرق من معظم الجيش والشمكة مركز الاجناد وجمعهم وان
لم يكن هناك لواء ولا علم

اما حومة الحرب فهي معظمها يعني حيث تخوم الحرب اي تدور غمرات
الحرب والوقعة والوقعة هي صدمة الحرب والقتال والعظيم من الحروب ملحمة
واشدّها الحرب العوان والجبار من الحروب ما لا قود فيها (اي ما لا قصاص
للقاتل فيها) وعليه قولهم جبار اي لا يطالب به ومن امثالهم ايضاً الحرب
سبيل يعني نارة لقوم واخرى عليهم اما الوغى والوعى فهو صوت الجيش في
الحرب ثم استعير للحرب واللجب صوت العسكر والوغر صوت الجيش وجلبته
والجمعة اخلاط الاصوات وشدة زجلها واجلب القوم بمعنى جلبوا وتجمعوا من
كل وجه للحرب والجلب اخلاط الاصوات . والجلاد والجالدة تضارب
التمحاربين بعضهم بعضاً بالسيوف والحبوكرى المعركة بعد انقضاء الحرب
والنوغن الاقلام في الحرب والذم الحض على القتال . واخرني الرجل احزباً
از باراً وتبها للفضب والشر كاحزباً بالهز . وحزفر القوم تهبأ . والحجة الكرة في
الحرب

وكانت العرب تكفي عن الحرب بثلاثة اشياء احدها ثوب محارب وهي
رجل من قيس غيلان يتخذ الدروع والدروع ثوب الحرب والثاني برد فاخر

وفاخر هذا رجل من تميم كان اول من لبس البرد الموشى فهمم وهو ايضا كناية
عن الدرع . والثالث عطر منشم يقولون في امثالهم دقوا بينهم عطر منشم او
يقولون اشأم من منشم زعم بعضهم ان منشم اسم امرأة كانت عطارة تباع الطيب
فكانت اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بان يستمنوا في
تلك الحرب ولا يولوا او يقتلوا فصار جميع ذلك كناية عن الحرب

والسبب في غمس ايديهم بطيب هذه المرأة هو ان من عادة العرب اذا
ارادوا الحرب غمسوا ايديهم في خلوق ليكون ذلك علامة لهم على التحالف عليه
ومن ذلك سمي المطيبون والرباب على ما سبقت الاشارة اليه في الفصل الرابع
من المقالة الخامسة ومنه ايضا حلف الفضول ذكره الاصمغاني فقال ان انسانا
من قريش اجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان وصنع لهم يومئذ طعاما وكان
معه صاحب الشريعة الاسلامية قبل البعثة وهو ابن خمس وعشرين سنة
فاجتمع بنو هاشم واسد وزهرة ونيم وكان الذي تعاقدا عليه هو ان لا يظلم
بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد الا كانوا معه حتي يأخذوا له بمجنه
ويؤدوا اليه مظالمه من انفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا الى ماء من ماء زمزم فحملوه
في جنيحة ثم بعثوه الى البيت فغسلت اركانه ثم اتوا به فشربه وقال الواقدي
ان سبب تسمية تحالفهم هذا بحلف الفضول هو ان قوما من جرهم يقال لهم فضل
وفضال ومنضل تحالفوا على مثل هذا في ايامهم وسمي تحالفهم حلف الفضول فلما
تحالفت قريش هذا التحالف سموه بذلك ايضا اه . وهكذا احايش قريش ايضا
هم قوم من قريش وكانه وخزيمة وخزاعة اجتمعوا في الحبش وهو جبل باسفل
مكة وتحالفوا انهم يد واحد ما سجا^(١) ليل ووضعهم سار وما رسا الحبش اي
الجبل المذكور فقبل لهم ذلك

وكانت اسفارهم لغزو ايتهم وحروبهم بظعنهم وسائر حللهم واحيايتهم من

(١) السجوة السكون والدوام وفي سورة الضحى والليل اذا سجا اي سكن اهله او

ركد ظلامه

في جيوش العرب وكيفية حروبها

٢٠٩

الاهل والولد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحبل بعيدة ما بين المنازل . تنفر في الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى قال الزوزني كانت العرب تشهد نساؤها الحروب وتقيمها خلف الرجال ليقاتل الرجال ذباً عن حرمهم فلا تنشل مخافة العار بسبي الحرم

وكان الشعر في حروب الجاهلية يقوم بهزبة الآلات الموسيقية او الفرع في الطبول او النخ بالآلات والقرون عند العجم فكانوا في خروجهم للغزوات يتغنون بالشعر في مواكبتهم فيطربون وتجيئهم الابطال عليه ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرينه ولازال الامر دلي هذا في بعض قبائل العرب بعد الاسلام فان زناتة من امم المغرب كان يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف فيحرك بغنائهم الجبال الرواسب ويبعث الى الاستانة واما قرع الطبول والنخ في الاوراق فلم يتخذ الاسلام الا بعد ان تولى الخلافة العباسيون في المشرق والعبيديون في المغرب

وكانوا ينصبون الرايات على ابواب بيوتهم لتعرف بها وكانوا ينتفخون بالراية الصفراء لانيها راية لملوك اليمن واما الرايات الحمراء فهي لاهل الحجاز لكن في الاسلام كانت الرايات السود لبني العباس حزناً على شهدائهم ونعياً على بني أمية في قتلهم ولذلك سمي بالمشودة وكانوا ينصبون هذه الرايات السود على المنابر ايضاً فلما نزع المأمون العباسي عن لبس السود وشعاره في دولته دلى ما تقدم في الفصل الثاني من المقالة الخامسة عدل الى لون الخضرة فجعل راياته خضراء واما الرايات البيض فكانت للطالبين من الهاشميين لما خرجوا على العباسيين وذهبوا الى مخالفتهم ولذلك سمي بالمبيضة ومنهم العبيديون والقرامطة وغيرهم

وكان من عادة العرب في الجاهلية قتل اسرى الحروب فان من امثالهم المضروبة ليس بعد السلب الا الاسار وليس بعد الاسار الا القتل لكن كان اذا اكل الاسير وشرب من مال من اسره آمن من القتل فاذا متوا عليه

واطلقوه جزوا ناصيته^(١) وكان الشريف اذا أُسِرَ فُديَ بمِئين من الابل وسِيّ
هلا الفداء عندهم عقال^(٢) المِئين ثم لما جاء الاسلام ابطل الاسر من العرب حيث
ورَدَ في الحديث لاسباً على عربي ولا سباً في الاسلام ولا رقّ على عربي في
الاسلام ولذلك كانت الطيبة في الرقيق هو ما سي من قوم يحل استرقاقهم
والخبيثة ما كان بعكس ذلك

وكانوا يقاتلون بالكرّ والفر^(٣) ولا يعتبرون قتال الزحف صفوفاً المعتمد
عند سواهم من الاعاجم وكانوا يصقون ابلهم والظفر الذي يحل ظعنهم وراء
عسكرهم فيكون فئة لهم ويسمونها الجبوزة لان ضرب المصاف وراء العساكر من
الجمادات والحديدات العجم لتكون ملجأ للخيلة في كرمهم وفرهم يطالبون به ثبات
المتانلة هو من مذهب اهل الكرّ والفرّ ويفعله اهل الزحف ايضاً

ثم في مبادئ الاسلام جعل العرب حروبهم زحفاً وابطلوا الكرّ والفرّ
لسببين الاول ليقابلوا اعداءهم بهذا مقابلتهم والثاني لانهم كانوا مستميتين في
حروبهم والزحف اقرب الى الاستماتة وفي الآية ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفاً كانوا بنيان مرصوص

ولما تولى الخلافة مروان بن الحكم ابطل الصف في الحروب وصار الى
تعبية الكراديس والكراديس هي ان يجعل بين يدي الملك عسكر منفرد
يصنفوه متبذين بقائده ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة ثم عسكر آخر من ناحية
اليمن عن موقف الملك وعلى سمتهم ويسمونه المينة ثم عسكر آخر من ناحية
الشمال ويسمونه الميسرة ويقال لها المجنبتان ثم عسكر آخر من وراء العسكر
الساقة وينف الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسمونه موقفة القلب

(١) الناصية الشعر الذي يقع على الوجه من مقدم الراس

(٢) العقال تأدية الجناية يقال عقل النبت ادى جنايته والعقل دية النبت وعاقلة
الرجل عصيته (٣) الكرّ العطف وكرّ الفارس فرّ الجولان ثم عاد للقتل فهو كرار
وفرّ الفارس اوسع الجولان للانعطاف

وهنا نضرب صفحا عن تعداد المؤلفات واسماء المؤلفين من العرب الذين
الغوا في احوال الحروب وتعيينها وادواتها وسائر متعلقاتها كفضل الفارس على
الرجل والرجل على الفارس وزى المتقاتلين ولباس الرجال والفرسان وانواعها
وما يلزم ان يكون مع المتقاتلين وما يتعلق بانواع الاسلحة التي جدت بعد الاسلام
كالمنجنيق والدبوس والمنجزة والقلاع والفوس والنشاب والمكان والمبارزة
والاسرى وفضل الجهاد والسير والمغازي وفتح الثغور وبناء المعادل واصول
الفرسية والمهندسة والمصايرة على الحصار والقلاع والريضة الميمنية والحيل
الحربية وسائر فنون العلاج والسلاح وعمل ادوات الحرب والكنفاج لانهم
هيأت ان تحصر او يسعها هذا المختصر

واول من اتخذ طائفة الافرنج في جندهم هم ملوك المغرب ليقاثلوا بهم
العرب الخارجين عليهم من اهل وطنهم لثبات الافرنج في الحروب واعتيادهم
على حرب الزحف واما في الجهاد اي في حروبهم مع النصارى فلا يستعينون
بهم خوفا من مالاتهم على المسلمين

—x—

الفصل الثاني

في اسلحة العرب الاصلية

وكما كانت العرب تغلب فيهم الشجاعة ويعدون ويحرون كذلك كانوا
يحبسون حل السلاح كما يحبسون ركوب الخيل التي سبق الكلام عليها فيلبسون
الدروع السلوقية (نسبة الى سلوق بلدة في اليمن ينسب اليها الدروع والكلاب)

ويعتقلون الرماح الخطية ويتنكبون القسي ويضربون بالسيف المشرفة
اما الرماح الخطية فهي منسوبة الى الخط جزيرة بالبحرين ترفأ اليها السفن
ويقولون ايضاً رماح سميرية ورمماح رديية فالسميرية تنسب الى سمير رجل كان
في جزيرة خط المذكورة مثقفاً ماهراً وقنأه يعنى رماحه صلبة وكانت زوجته
رديية وهي مثل زوجها في تقويم الرماح واليها تنسب الرماح الرديية وهناك
رجل آخر مشهور بعلم الاسنة يقال له قُصْب

وقد اشتهر بملاعبة هذه الاسنة عامر بن مالك الذي يقال لاه ام البنين
الاربعة وهي انجب امرأة في جاهلية العرب لانها ولدت عامر المذكور والطفيل
وابا تمام وريجة وبذلك افتخر اجد هم ربيعة المذكور بقوله "نحن بنو ام البنين
الاربعة" وضرب المثل بعامر في ملاعبة الرماح فيقولون ان يريدون المبالغة
في وصفه بذلك العيب بالاسنة من عامر بن مالك كما ضرب المثل ايضاً بابن
نُفْن (١) فيقال اري من ابن نُنن وقيل اري من نُفْن وهو رجل من عاد كان
اري من تماطي الري في زمانه ويقولون ايضاً اري سهاماً من بني لُعل وهم قبيلة
من العرب بوصفون بمجودة الري فيها واشهرهم في ذلك رجل يقال له عمرو بن
المشع

وكان الرجل من العرب اذا غضب يخط الارض بسهامه فيكسر اوعاظها
والاوعاظ جمع رُعْظ وهو مدخل النصل في السهم ولذلك يقولون في المثل انه
ليكسر علي اوعاظه غضباً يضرب للغضبان

ويسمون آخر سهم يبقى في الكنانة رديماً كان اوجيماً الامزع وهو انه اما
افضل سهامها فأذخر لشديدة واما اردأها فتترك قال النمر بن تولب

فارسل سهاماً له اهزعا فشك نواهة (٢) والفا

(١) النفن الرجل الخاذق

(٢) النواهي غارح النهان وهو ما يكتنف الخياشيم من الدابة

اما الحرمة فهي سهام الهدف. والخصب ويضم صوت القوس. والمشتص
نصل عريض او سهم فيه ذلك يرمى به الوحش. والناقر السهم اذا اصاب
الهدف. واما اذا لم يصب فليس بناقر. والزنج رفع اليد في الرمي الى اقصى ما
يقدر عليه. والسهم الزايج الذي اذا رمى به الراعي قصر عن الهدف واصاب
الصخرة اصابة صلبة ثم ارتفع الى القرتاس فلما لا يعد قرطسا والقرطاس
الغرض لرشق السهام والمقرطاس الذي اصاب القرتاس. وحض السهم اذا
وقع بين يدي الراعي. وتخط السهم اذا نفذ من الرمية والشلاد السهم الذي
لا فصل له ولا ريش. والمقر والسهم المريش. والناصل السهم سقط نصلة.
والافوق الذي انكسر فوقه. وافقت السهم اذا وضعت فوقه الوتر. والسهم
الشبيع القاتل. واصبى الراعي اذا اصاب. وانى اذا شوى اي اصاب الشوى ولم
يصب المقتل والشوى اطراف البدن وصرد السهم اذا نفذ في الرمية والصرد
النفوذ. وخرق السهم وخشق بمعنى صرد ايضا. واحبض السهم ضد اصرد
والمعراض السهم الذي لا ريش عليه. والندح السهم قبل ان يراش ويركب
نصلة. والمحراث سهم لم يتم بريته. والحاب السهم وقع حول القرتاس. وزج
الرمح الحديد المركب في اسفله واذا قيل زجاج الرمح عني به ذلك الحديد
وكان من عادة العرب اذا التقت فئتان منهم شد كل واحد منها زجاج
الرمح نحو صاحبتها وسعى الساعون في الصلح فان ابنا الا التادي في القتال
قلب كل منهما الرماح واقتلتا بالاسنة ولذلك يقولون في المثل من عصى اطراف
الزجاج اطاع عوالي الرماح وعالية الرمح ضد سافلتهم والجمع العوالي والسنان
واللهزم الرمح الطويل والخباع من السهام الذي لا فصل له
واما الجعوب والجن فيها الترس. والجروخ ادوات ترمى عنها السهام
والحجارة. والتجفاف آلة للحرب تلبسها الفرس والانسان لينقي بها كائما درع.
والجلبار قراب السيف او حدة. والمحراب مسبار الدرع او راسه في حلقة الدرع.
والخطيمات دروع تنسب الى حطة بن محارب كان يمل الدروع او هي

الدروع التي تكسر السيوف أو الثقيلة العريضة
 وأما السيوف المشرفة فهي منسوبة إلى المشارف . قال الشيخ ناصيف
 اليارجي في كتابه مجمع البحرين هي قرية في اليمن وقال الميداني في مجمع الأمثال
 المشرفة تنسب إلى مشارف الشام وهي قراها فيسمون السيوف المشرفة وفي
 القاموس مشارف الأرض أعاليها والسيوف المشرفة الثمينة الرفيعة وأما
 البصرية فمنسوبة إلى بصرى موضع بالشام أيضاً والبيلمانية نسبة إلى بيلمان
 موضع باليمن أو السند أو الهند والخنيفة نسبة إلى الاحنف بن قيس
 ويصفون السيوف بالآبهر والبانر والبتار والحذم والخاروقة والحسام
 والهند والحدوم والحذم والخاشف والخضم والصروم والصلت والاصع
 والقباب والقرضاب والقرضوب والفضاب والنهيك . والعصب والباحك
 والبضوك للسيوف الماضي القاطع أما الأفرع فهو السيوف الجيد الحديد والمهند
 القاطع المحدد أو المطبوع بالهند والصمصام السيوف لايشي ويقال الصمصامة
 بزيادة التاء للبالغة كالخاروقة والثامل من السيوف القديم العهد بالعقال
 والأبريق السيوف البراق والبارقة السيوف . والأبيض والصفحة السيوف أيضاً .
 والضامي السيوف الظالم . والبانك السيوف الصارم والبرند من السيوف ما كان
 عليه أثر قدم أو هو الفرند . والخفيض من السيوف ما كان من حديد أبيض
 وحديد ذكر . والرقارق السيوف الكثير الماء . والصموت السيوف الرسوب .
 والمعصوب السيوف اللطيف والمها سيف رقيق . والكشوج سيف من السيوف
 السبعة التي أهدتها بلقيس لسليمان . والاختم السيوف العريض والخشيب سيف
 ضد الصقيل والمعصد أوداً السيوف لأنه يقطع به الشجر
 وما اشتهر من سيوف العرب المعلوب^(١) وذو الحيات سيفا الحرث بن
 ظالم المرزي

(١) المعلوب السيوف تلام حدة أو حزم مقبضة بعلباء البعير

والباتك^(١) والمجاد^(٢) لما لك بن كعب الهذاني
ولسان الكلب لتبع بن حسان المجبري من ملوك اليمن
وذو الفار^(٣) سيف العاص بن منبه فلما قتل اخذه صاحب الشريعة
الاسلامية ثم صار للامام علي بن ابي طالب وكثيراً ما تذكره الشعراء الاسلاميون
في غزواتهم يصفون به الاحظ والخط باطن العين والخط مؤخرها كما انهم
يصفون القدود بالرماح
ومنها قلزم والضمصة لعمر بن معدى كرب الزبيدي وكان اشهر سيوف
العرب قال الشاعر

انج ماجد ما خاني يوم مشهده كما سيف عيرو لم تخنه مضاربه
حكى الاصمغاني ان عمراً المذكور انشد في يوم مقتل رستم
انا ابو ثور وسيفي ذو النون^(٤) اضربهم ضرب غلام شبنون^(٥)
يا لزبيد انهم يموتون

ودلد^(٦) وذو الكف الذي جدن احد ملوك اليمن
وذو النون سيف مالك بن زهير العبسي
وولول^(٧) سيف عبد الرحمن بن عتاب بن اسير بن ابي العاص
والجج^(٨) سيف زهير بن جناب الكلبي
والخندم^(٩) سيف الحرث بن ابي ثمر الغساني

- | | |
|--|--|
| (١) الباتك الفاطم | (٢) المجاد من السيوف الصارم |
| (٣) الفار الدواهي | (٤) النون شفرة السيف |
| (٥) الخجون من غيطة المنية يعني مات | (٦) الدلدل الامر العظيم |
| (٧) ولول اعول قال واويلاه | (٨) انج الشق والطعن والغلب والمباجة |
| (٩) المبارزة يقال باجينة فيجينة اي غلبته | (٩) الخندم والخطم افاطع بسرعة قال عنزة |
- فطعته بالرمح ثم علوته يهتدي صافي الحديده بخندم

والأضرس^(١) سيف الحرث بن هشام
والزائد سيف خبيب بن أساف
والمصدع^(٢) سيف زهير بن جذيمة العبسي
والصار^(٣) سيف عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح
والمصبت^(٤) والوشاح^(٥) لشيبان الهندي
والعطشان سيف ابن عبد المطلب بن هاشم
والغمام سيف جعفر الطيار
والفرد سيف عبد الله بن راحة الأنصاري
وذو الفوق سيف مفروق أبي عبد المسيح الزياتي
والفخرات سيوف المنذر بن ماء السماء
وذو القرط سيف خالد بن الوليد المخزومي
وذو النونين سيف معقل بن خويلد
والمصم وذو الوشاح لعمر بن الخطاب



- (١) الأضرس المجرب في الحروب والمحكم وضارس النوم مضاربة تحاربوا وتعادوا
(٢) المصدع من الصدع وهو الشق في شيء صلب
(٣) الصارد النافذ
(٤) المصبت المسكت
(٥) الوشاح السيف وتوشح الرجل السيف تقلد به

الفصل الثالث

في وقائع العرب وفتوحاتها

لا يخفى بان للعرب في زمن جاهليتها وقائع كثيرة لا يمكن حصرها ولا معرفتها بالتام واغلبها لم يكن الا من نوع العدوان اذ لم يكن هناك اسباب توجبها الا في كونهم جعلوا ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم في ما بأيدي غيرهم فكانت مقاصدهم بها غلب الناس على ما في ايديهم فقط وقد ألف ابو النرج الاصبهاني كتاباً في ايام العرب يحنوي على الف وسبع مئة يوم وهي ايام الوقائع والحروب التي جرت بينهم اشهرها هو ما ذكره الاديب الفاضل الشيخ ناصيف اليازجي اللباني في ارجوزة ضمها نحو المئة يوم وهي

قد ذكر القوم لايام العرب	مواقعاً تدعى بين كالكب
من ذلك الكديد والبيداء	بُعَاثُ وَالْفَتْرَةُ وَالْهَيْبَاءُ
كَلَا كَلَابٌ مَتَعِجُ الْجِفَارُ	وَالْحَجْرُ وَالزَنْجُ وَالسَّيَارُ
شِبْطَةُ وَالزُّورُ غَيْطُ الْمُدْرَةِ	كَلَا الْغَيْطَانُ الْلاَوِي وَبَثْرَةُ
جَوْ نَطَاعٍ ذُو طُلُوحٍ وَالْعَنْبُ	دُرْنِي الْكَيْلُ وَالْغَدِيرُ ذُو نَجَبِ
نَخْلَةُ قَيْفُ الرِّيحِ قَرْنُ فَلَجٍ	طُوالَةُ وَقَبِ زَرُودُ الرِّجِ
عَوْرَضُ الْحِلَائِقُ النِّسَارُ	قُشَاوَةٌ كُفَاةٌ سَجَارُ
ذَرْخَرَحٌ خَوْ خَوْيٌ ذَابُ	عَيْنُ أَبَاغٍ قَادِمٌ إِرَابُ
عُرَاعِرُ النَّهْيِ الرِّيحُ مَلْهُمُ	نَجْرَانُ وَالْعَيْنَانُ غَوْلُ رَقْمُ
ذَوَالْأَنْثَلِ ذَاتُ الرَّمَمِ النَّشَاشُ	عَيْنَةُ عَقَبَةُ أَعْشَاشُ

وَوَارِدَاتُ الْجَنُورِ رَحْرَحَاتُ
شِعْبُ خَزَازِي وَالْعُظَالِي حَاطِبُ
جِبَلَةُ الْقُرْعَاءِ وَالصَلِيبُ
أُورَةُ لِهَابَةِ ذُو قَارِ
شَعْوَاءُ وَالْهَبَاءُ الْمُرْتَقِبُ
بُسَيَّانُ وَالْمُرَيْرُ ذُو أَحْبَالِ
وَالدَّرَكُ السُّوْبَانُ وَالسَّلَانُ
قُرَافِرُ الدُّثِينَةُ الذَّنَائِبُ
ظَهَرُ وَذَاتُ الْحَرْمِلِ الْكَثِيبُ
أَقْرَنُ وَجَّ حَيْرَةُ سَفَارِ
قَطَنُ ذُو حِجَى الْقُرُوقُ يُحْسِبُ
وَمَا عَسَى نَحْصِي مِنَ الرَّمَالِ

وأما الحروب المفيدة الناجمة التي شيدت الأمة العربية ورفعت شأنها وقوت شوكتها ومدت سلطانها في كل نادر ونصبت لها اعلام السلطنة على اعظم الممالك واجمل البلاد فهي الحروب التي اجرتها بعد ظهور الاسلام واقتتاج هذه المغازي هي الحروب التي اجراها صاحب الشريعة الاسلامية لمقاومة اعدائه والتغلب على بلاد العرب وهي . اولاً غزوة بدر التي غزا فيها بثلاث مئة رجل من اصحابه قافلة لقريش كانت فيها نحو الف رجل وكان رئيسها ابو سفيان فانتصر عليها ثانياً وقعة اُحد كانت بعد هذه بسنة واحدة جند فيها ابو سفيان المذكور ثلاثة آلاف رجل فكسر المسلمين وشنع بهم ثالثاً غزوة الطائف التي قتل فيها نحو عشرة آلاف من اليهود وكانت في سنة ٥ للهجرة (سنة ٦٢٦ م)

رابعاً غزوة خيبر موقعها على الشمال الشرقي من يثرب واهلها يهود ويقال بانهم باقون على ذلك الى الآن غير انه لا قرابة بينهم وبين اليهود الساكنين باطراف بلاد العرب واعلم من فرقة منهم يقال لها النرائين وهي مبغوضة بغضاً شديداً من باقي اليهود وهم مستقلون بحكمهم مشايخ كثيرهم من العرب واعلاء للقوافل ولها تمييز بهم اليهود فيقال لليهودي اذا اريد وصفه بالردائل خيبري وكانت خيبر هذه مدينة احصن قري العرب فغزاها صاحب الشريعة الاسلامية

المشار اليه سنة ٦ للهجرة (سنة ٦٣٧ م)

خامساً وقعة موتة وهي في اراضي الشام غلب فيها ثلاثة آلاف من المسلمين
ثلاثين ألفاً من الروم سنة ٨ للهجرة (٦٣٩ م) غير ان هذه الواقعة لا يجزم بها
الأفرنج

سادساً غزوة حنين وهي آخر غزواته تم له فيها الاستيلاء على بلاد العرب
باجمها . واما عام الوفود المشهور في الكتب العربية فهو العام الذي انقاد فيه
الامراء سنة ٩ للهجرة (سنة ٦٣٠ م) واعظم من اسلم منهم باذان وابنة صحار
خاتمة ملوك اليمن

وكان يعامل غير المسلمين بالحلم واللطف ويؤمنهم بالعهود والمواثيق التي
يمنحها لهم في البلاد التي يفتحها كالصحيفة التي كتبها بين المسلمين وبين اليهود
واعطاها الى اليهود بعد ان قتل كعب بن الاشرف والكتاب الذي كتبه الى
النمر بن توبل ليعقب في يد اهله ولكن لم تقف على صورة ما كتب لهم في تلك
الصحف وإنما وقفنا على صورة العهدة التي منحها الى رهبان دير القديسة كاترينا
الكاين في جبل سيناء مترجمة باللغة التركية لان الاصل محفوظ الى الآن في الخزانة
السلطانية ولا يوجد انطوش من الديورة المتعلقة بهذا الدير في المدن الاسلامية
الا ويوجد فيه صورة باللغة التركية مطبقة من الحاكم الشرعية وعليها اوامر من
الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من الملوك والسلاطين للعمل بموجبها وهذه
ترجمتها

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وامين الخلق اجمعين لودعة
الله في خلقه كي لا تكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكماً كتبه لمن
هم على دينه عهداً لاولئك القوم جميعاً الذين هم على دين النصرانية من مشارق
الارض الى مغاربها بعيدهم وقربهم عربهم وعجمهم معلومهم ومجهولهم هذا كتاب
ما عهده اليهم وكل من خالف ما فيه من العهد يكون مخالفاً له وبغيره ويتعدى
على ما أمر به وقد افسد عهد الله ولم يصدق ميثاقه ولم يخضع له ويكون

قد استهزأ بدينه ومستحقاً لللعنة ان يكن سلطاناً او كان غيره من المسلمين المؤمنين. فبقي كان راهباً او سائحاً مجتمعاً في جبل او واد او مغارة او معجور او سهل او كنيسة او معبد ففحن من وراءهم واني لا ذنب عنهم بنفسي واعواني وانصاري وشعبي هم واموالهم واثوانهم اذ انهم من رعيتي واهل ذمتي وادفع عنهم كل ما يكدرهم من تلك الانتقال التي تعطيلها اهل العهد فلا يعطون الا ما طابت له نفوسهم من الاشياء خراجاً ولا يكدرون ولا يكون عليهم جبر ولا اكراه ولا يتغير من كان عليهم قضاة منهم عن وظيفتهم ولا رهبانهم عن رهبانيتهم ولا اصحاب الخلاوات عن الإقامة في صوامعهم ولا يسلب احد سياحتهم ولا يهدم بيتاً من بيوت كنائسهم ولا يتلف ولا يدخل شيء منها الى بيوت المسلمين وكل من اخذ شيئاً من ذلك فيكون قد افسد عهد الله وخالف رسولة حقيقته ولا يطرح خراج على قضائهم ورهبانهم ولا من كان مشغولاً في العبادة منهم ولا شيء آخر غرامة كان او خراجاً او مظلمة اخرى فاني انا احفظ ذمتهم في البحر والبر والمشرق والمغرب والشمال والجنوب اينما كانوا وهم في ذمتي وميثاق امانني من جميع الاشياء التي يكرهونها فلا يؤخذ خراج ولا اعشار ممن يتعبد في خلوة في الجبال ولا من يزرع في تلك الاراضي المباركة ولا احد يشاركهم في طريقهم ولا يشترك معهم بدعواه ان ذلك لغيرهم ويعطى لهم في اوقات المواسم من كل اردب قدحاً لاجل ماكولهم فلا يقال لهم ان هذا كثير ولا يطالبون بخراج ولا يؤخذ من ذوي الخراجات ايضاً ولا من الاغنياء وارباب التجارة زيادة عن اثني عشر درهماً في السنة عن كل راس ولا يكلف المسنون منهم زيادة عن الحد المعين ولا يكلفهم احد الى سفر او يلزمهم الى حرب او نقل سلاح انما المسلمون يجاربون عنهم . ويجادونهم على احسن وجه اتباعاً للآية ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فيعيبون مرحومين ويبيع عنهم ما يكدرهم او يضيق عليهم من كل داع اينما كانوا او في اي محل نزلوا واذا تزوجت امرأة نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك الا برضا تلك المرأة ولا تمنع من الذهاب الى كنيسة لها لاجل الصلاة وتحترم

كأنهم فلا يمنعون من تعبيرها ولا من مرمة ديورهم ولا يلتزمون بشغل سلاح
أو حمل حجارة وإنما المسلمون يذبحون عنهم ولا أحد من الأمة يخالف هذا الهدم إلى
يوم القيامة وإنقضاء الدنيا هذا الهدم الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى جميع ملّة
النصارى اشترط جميع ذلك لبني بؤ ومعه أيضاً الذين اتبعوا أسماءهم وشهادتهم
وقد أشهد الصحابة العظام عليه في آخرهم وهم

علي بن أبي طالب. وأبو بكر بن قنافة. وعمر بن الخطاب. وعثمان بن
عفان. وأبو الدرداء. وأبو هريرة. وعبد الله بن مسعود. وعباس بن
عبد المطلب. والفضل بن عباس. وأبي ربيعة بن العوام. وطه بن عبد الله.
وسعيد بن معاذ. وسعيد بن عباد. وثابت بن نافع. وزيد بن ثابت. وابن
حنيفة بن عتبة. وهاشم بن عبيد. ومعظم بن قريش. والحارث بن ثابت.
وعبد العظيم بن حسن. وعبد الله بن عمرو بن العاص. وعامر بن ياسر

وقد كتب هذا الهدم بخطه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي
طالب في اليوم الثالث من المحرم والسنة الثانية من الهجرة

وكان بعد أن توفي صاحب الشريعة الإسلامية المشار إليه حدثت أمور
كثيرة كادت توقع فشلاً كبيراً في الإسلام لو لم يندركها بحكمة بالغة وشجاعة فائقة
الأمام عبد الله بن أبي قحافة الشيرباني بكر الصديق الذي اختاره أكثر
الفرشيين وقبلة مسند الخلافة ومن تلك الأمور المهمة ما كان واقعاً بين
الفرشيين المذكورين من تفرق الآراء على مسند الخلافة فان بعضهم كان يبيد
أن الحق فيه للامام علي بن أبي طالب. أما الذين اختاروا أبا بكر المشار إليه
فكانوا يمنعون علياً منه خوفاً من أن تهم الشوكة لبني هاشم الذين كان هذا
الامام سيدهم وهذا التفرق هو الذي نشأ عنه أخيراً ظهور بدع وتشيعات في
الإسلام لم يعد ممكناً لأهل السنة استنصافها فكان أول ما شرع به أبو بكر المشار
إليه هو أن دعى إليه أبا عبيدة بن الجراح وعنده الإمام عمر بن الخطاب وقال له
يا أبا عبيدة ما بين ناصيتك وبين الخيرين عارضيك ولقد كنت من

رسول الله (صلعم) بالمكان المحوط والحلب المغيوط ولقد قال فيك في يوم مشهور ابو عبيدة امين هذه الامة وطالما اعز الله بك الاسلام واصبح فساد على يدك ولم ترزل للدين ملجأ والمؤمنين روحاً ولاهلك ركناً ولاخوانك رداً وقد اردت لك الامر ما بعده خطر مخوف وصلاحه معروف وان لم يندمل جرحه بسبرك ولم تستجب حجة ارقبتك ففقد وقع اليأس واعضل اليأس واحسج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعاق واعثر منه واعلق والله اسأل اتمامه بك وانظامه على يدك فتأمله يا ابا عبيدة وتلطف فوه وانصح لله تعالى وارسوله (صلعم) ولهذه العصابة غير آل جهنم ولا قال جداً والله كالك وناصرك ومبصرك وبو الحول والتوفيق امض الى علي واخض جناحك له واغضض من صوتك واعلم انه سلاله ابي طالب ومكانه من فقدناه بالامس (صلعم) وقل له البحر مغرقة والبر مفارقة والجو اكلف^(١) والليل اغلف^(٢) والسما جلوله^(٣) والارض ضلعم^(٤) والصعود متعسر والهبوط متيسر والحق رؤوف عطوف والباطل عنيف^(٥) مشنوف^(٦) والصغن^(٧) رائد^(٨) البوار والتعريض^(٩) شجار^(١٠) الفتنة والعقة^(١١) ثوب العداوة هذا والشیطان متكى على شمالك متجمل بيمينه ناخض حضنك لاهلك ينتظر هم الشنات والفرقة ويدب بين الامة بالشيناء والعداوة عناداً لله عز وجل ورسوله (صلعم) ولدينه فهو ثالث يوسف بالبحر ويدلى^(١٢) بالغرور ويئى اهل الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل دأباً له مذ كان على عهد ابينا آدم وعادة منه منذ اهان الله عز وجل في سالف الدهر لا ينحى^(١٣) منه الا الناجد^(١٤) على الحق وغاض الطرف عن الباطل وواطى

- (١) متغير اللون معبس (٢) الغلاف النشاد (٣) مصيبة
(٤) لانيات فيها (٥) غير مرفق (٦) مزوم من الزم (٧) الحقد
(٨) طالب (٩) ضد التصريح (١٠) نزاع (١١) اسم لعبة للصبيان
(١٢) ثوب العداوة (١٣) يتعد بعنزل
(١٤) المعين من الاعانة

في وقائع العرب وفتوحاتها

٢٢٢

هامة عدو الله وعدو الدين بالاشد فلاشد والاجد^(١) فلاجد وسالم اليقين لله عز وجل في ما يوجب رضاه ويجنب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبة^(٢) ولقد ارشدك من قاد ضالك وصادقك من احيى مودته لك بعنايك واراد الخير بك من اثر البقاء معك ما هلك الذي سولت لك نفسك ويدوي به قلبك ويلتوي به عليك رأبك ونهاوص^(٣) دونه طرفك وتسري به ظعنك ويتراء معك نفسك وتكثر معه صعدانك ولا يفيض به لسانك اعجبه بعد افساح آتليس بعد افساح آدين غير دين الله عز وجل آخلق غير خافي القرآن آهدي غير هدي النبي (صلم) آملي بمشي آبي الضراء ويدب آلي الحمراء^(٤) ام مثلك ينفبض عليه الفضاء ويكشف به عينه الضراء^(٥) فا هذه الفعقة بالسنان وما هذه الرعرة باللسان انك جد^(٦) عارف باستجابتنا لله وارسله وخرجنا عن اوطاننا واموالنا واحببنا هجرة الى الله تعالى ذكره ونصرة لآبيه (صلم) في زمان انت فيه في كين^(٧) الصبا وخدر العذراء غافل عما يشيب ويريب لا آني ما يراد ويشاد ولا تحصل ما يساق ويقاد سوى ما انت جاري عليه الى غايتك التي اليها وصلت وعندها حط رحلك اذ ذاك غير مجهول القدر ولا مجهود^(٨) الفضل ونحن في اثناء ذلك نعماني احوالاً تزيل الرواسي ونفاسي احوالاً تشيب البواصي خائضين غمارها راكبين تيارها تفرج صابها^(٩) ونسرج عباها^(١٠) ونكرع عباها ونحكم اساسها ونهزم اراسها^(١١) والعيون تطرف بالحسد والانوف تعطس بالكيد والصدر تستعر بالغيط والاعناق تتناول بالثغر والشفاه تشجر^(١٢) بالآكر والارض تميد^(١٣)

- (١) الجمد والاجتاد (٢) عاقبة (٣) الخوص ضيق في آخر العين
(٤) شر الناس (٥) والعجم والروم والترك والفرس والملود
(٦) الحق البائع في الغميق (٧) السمر (٨) مذكور
(٩) عصارة شجر مر او هو عصارة الصبر (١٠) الخيول السريعة المجري
(١١) المرس من الرجال الشديد العلاج (١٢) تتنازع (١٣) تتحرك

بالخوف ولا ننظر عند المساء صباحاً ولا عند الصباح مساءً ولا ندفع في بحر
امرٍ إلا بعد ان نحسو^(١) الموت دونه ولا تسلخ الى شيء إلا بعد رجوع القديس
معه ولا يقوم مساء إلا بعد اليأس من الحياة عنده وقد فادينا في كل ذلك
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالاب والام والخال والعلم والنسب^(٢) واللب^(٣) والهمة^(٤)
والية^(٥) والسب^(٦) بطلب نفس وقرور عين ورحب اعطان^(٧) وثبات عزائم وحمه
عقول وطلاقة اوجه وذلاقة لسان امداء الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار
كنت عنها غافلاً ولولا حلافة سنك لم تكن عن شيء منها ناكلاً كيف وفؤادك
مشهور^(٨) وعودك مجرور^(٩) وغيبك ميمور^(١٠) والقول فيك مشهور والآف قد
بلغ الله بك وجمل مرادك بين يديك وعن علم اقول ما تسمح فارقب زمانك
وعقلك بين غيبك وقلم^(١١) اليه ارادتك ودع التجسس والتعسس لمن لا
يبلغ^(١٢) لك اذا اختطى ولا يتزحزح عنك اذا تعطى^(١٣) فالامر غرض^(١٤)
والنفوس فيها مضى^(١٥) وانك ادم^(١٦) هذه الامة فلا تعلم لاجاً^(١٧) وسيفها العضب
فلا تتيب اعوجاجاً وماؤما العذب فلا تحيل اجاجاً^(١٨) والله لقد سألت رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه لامن يرغب
فيه ويحاش^(١٩) عليه ولمن ينضال^(٢٠) له لامن يتضخ^(٢١) اليه يقال هو لك لامن

- (١) نقرع او نشرب شيئاً بعد شيء
(٢) الفار والمال الاصل من الذائق والصامت (٣) الكثر
(٤) القطعة من الثوب (٥) طرامة انشاب (٦) الغابل
(٧) المبرك والمرضى وهو هنا كناية عن الوطن (٨) من الشهامة
(٩) من قولهم عجمت عدد فلان اي بلوت امره وخبرت حاله
(١٠) من المحير وهو المحسن والسرور (١١) وجه او امض
(١٢) لا يميز (١٣) سأل العطا (١٤) طري (١٥) لا تختمل
ما يسووها (١٦) اصل هذه الامة (١٧) المتعادي في الخصومة
(١٨) الخ المز (١٩) يزاحم (٢٠) يهرع اليه او يهتلق له
(٢١) يترشش له

في وفائع العرب وفتوحها

٢٣٥

يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في آل صهر فذكر فتياناً من قريش فقلت له اين انت من علي فقال اني لاكره لفاطمة ميرة^(١) شباب وحنانة سنو فنيات له متى كفته يدك ورعته عينك حفت بهما البركة واسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عليك ورينته فيك وما كنت عرفت ملك في ذلك حوجاه^(٢) ولا اوجاه^(٣) فقلت ما قلت وانا ارى مكان غيرك واجد رائحة مارك وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لي وان كان عرض بك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كفى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكنت عن سواك وان ينجح في نفسك شيء فلم فالحكم مرضي والصواب مسوع والحق مطاع ولقد نزل رسول الله الى ما عند الله تعالى وهو عن هذه العصابة راض وعليها حبيب^(٤) يسره ما يسرها ويكيد ما يكيدها ويرضو ما يرضها ويستظله ما يستظله ما تعلم انه لم يدع احداً من اصحابه وخطائهم واقاربهم وشجرائهم^(٥) الا انا به بنضلة وخصه بكرمه وافرد بهجلاًه لوصفت^(٦) الامة عليه لكان عنده اباها^(٧) وكفالة^(٨) وكرامتها^(٩) وغرائزها^(١٠) انظن انه (صلى الله عليه وسلم) ترك الامة بشراً^(١١) سداً^(١٢) برداً^(١٣) عدى^(١٤) عيامل^(١٥) طلاحي^(١٦) مناهل^(١٧) مفنونة بالباطل مغنونة^(١٨) عن الحق لا رائد^(١٩) ولا حائط ولا ساقى ولا وافي ولا هادي ولا حادي^(٢٠) كلاً والله ما اشناق الى ربي ولا آله المصير الى رضوانه حتى ضرب الصوى^(٢١) ووضح الهدى وآمن الممالك والمناوح^(٢٢) وسبل المارك^(٢٣)

- | | | | |
|---------------------------|--|--------------------|-------------------------------|
| (١) اول الشباب | (٢) قبيحاً | (٣) حديثاً | (٤) عطوف |
| (٥) منزعوه وحواشي | (٦) ارتدت او اطمئت او اجتمعت على البيعة له | (٧) سياستها | (٨) اعالته باعاً او ضائته لها |
| (٩) تزيينها | (١٠) تشورة | (١١) (١٢) | (١٣) فائز او جارية نافرة |
| (١٤) متعادية | (١٥) مهمة | (١٦) جائنة او عينة | (١٧) عطشة |
| (١٨) فلبلة النقطه والذكاة | (١٩) مرشد او دليل | (٢٠) سائق | (٢١) جمرة السباح |
| (٢٢) المناذف | (٢٣) موضع المارك والمجلوس | | |

والماتح^(١) وبعد ان شرح يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى وجدد انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه وتغل في وجه الشيطان وصدع بل فيه ويد امر الله عز وجل وبعد فهو لاء الانصار والمهاجرون عندك ومعك في دار واحدة وبقعة جامعة ان استقاموا بي لك وإشاروا عندي بك فاننا واضع يدي في يدك وصائر الى رايهم فيك وان تكن الاخرى فادخل في ما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والنائح لملأهم والمرشد لصلحهم والرادع لغاوتهم^(٢) فقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى الى الناصر على الحق ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصديق بريئة من الغل ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن وبعد فالناس عامة فارفق بهم واحسن عليهم وان لم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم^(٣) الحقد حصينا وطائر الشر واقعا وباب الفتنة مغلقا فلا قال ولا قيل ولا لوم يقع والله عز وجل على ما نقول شهيد وبما نحن عليه بصير

قال ابو عبيدة فلما تمهأت للنهوض قال سيدي عمر كن لدى الباب هنيئة في معك ذوق من الثول فوقفت ولا ادري ما كان بعدي الا انه لحفي ووجهه بيدي بهللا وقال قل اعلي

الوقار محلة والبهاج ملحمة والهوى مفعمة وما منا الا وله مقام معلوم وحق شائع او مقسوم وبناء ظاهر او مكتوم وان اكيس الكيس من منح الشارد تألفه وقارب البعيد تطفه ووزن كل امر يميزه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا حيرة في معرفة مشوبة بنكره فلا خير في علم معقل^(٤) في جهل اولسنا كلمة عن البعير بين الجمات والذنب وكل صال^(٥) فيساره وكل مسبل في قراره وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعي ولا شيء وكلامها اليوم لفتق اورتق فقد جدع الله بجمعه (صلعم) انف كل ذي

(١) الماتح (٢) الضال عن الرش (٣) ثابت من الثبات
(٤) متيق (٥) من الاصطلاح وهو الاستعداد بالذمار

كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب فاذا بعد الحق الأ
الضلال فما هذه الخنزرة (١) التي في فراس رأسك وما هذا المشجي المعترض في
مدارج انفسك وما هذه الوحرة (٢) التي أكلت شراسيفك (٣) والقذاة التي اغشت
ناظريك وما هذه الدمس (٤) والرفس (٥) اللذان يدلان على ضيق الباع وخور
الصباغ (٦) وما هذا الذي لبست بسبه جلدة النمر واشتملت عليه بالشحناء والنكر
اشد ما استسريت اليها وسرت سيري ابن انشد (٧) اليها ان العواف لا تعلم
الخبرة (٨) وان الحصان لا تكلم خبرة وما احوج الصلحاء (٩) الى حال (١٠) وما اوفر
الفرعاه (١١) الى قال لقد خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والامر مفيد محبس ليس
لاحد فيه ملس ولا مانس لم يسر فيك قولا ولم يستغل فيك قرآناً ولم يجرم
في شأنك حكماً واسنا في كسروية كسرى ولا فيصرية قصير واسنا كاخلان (١٢)
فارس وابناء الاصفر قوم جعلهم الله خرزاً لسيوفنا وحرزاً لرمحنا ورمى
لطاننا وتبعنا اسلطاننا بل نحن في نور نبوة وضياء رسالة وثرة حكمه واثرة (١٣)
رحمة وعنوان نعمه وظل عصمة بين امته مهدي بالحق والصدق مأمونة على
الفتن والرتق لها من الله عز وجل قلب آلي وساعد قوي ويد ناصرة وعين
باصرة أنظن ان ابا بكر الصديق وثب على هذا الامر مقتناً على هذه الامة
خادعاً ما متسلطاً عليها تراه امتلح (١٤) احلامها وازاغ ابصارها وحل عقدها
واحال عنقها واستل من صدورها حبيتها وانتزع من اكبادها عصبها وانتكث
رشاها (١٥) وانتصب ماها واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها

- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) الكبرياء او هي ذبابة تطير على انف البعير فيشخها | (٢) غضاريفك |
| (٣) وزعة كسام ابرص لا تطأ شيئاً الا سبته | (٤) كتم الخبر او جعله في ظلمة |
| (٥) الدفع بالرجل | (٦) ضعف حل النعم بعضهم على بعض |
| (٧) القنلة او الشحناء | (٨) مثل عرب |
| (٩) المنحسر شعر مقدم راسها | (١٠) ما يزيها من |
| (١١) تامة الشعر | (١٢) اصحاب |
| (١٣) رواية | (١٤) انتزع او انتضى |
| (١٥) انتقض حبل دلوها | |

ايلاً ووزنها كيلاً وبنظنها رقاداً سلاحها فساداً وان كان هكلاً فان سمعه لمين
وان كبره لمين كلاً والله بأي خيل ورجل وبأي سنان ونصل وبأي قوة منه
وبأي ذخيرة وبأي ايدي وشدة وبأي عشرة واصرة^(١) وبأي تدرع وبسطة
وان قد اصبح عندك بما وسنته منبع العفة^(٢) رفيع العتبة لا والله لكن سلاهمها
فولت^(٣) به ونطأ من لما فاصفت به ومال عنها فالت اليه واشتمل دونها
فانتمت عليه حبوة حياء الله بها وعافية بلذته الله اياها ونعمة سر به الله جالها
ويد وجب عليه شكرها وانه نظر الله به لما واطالما حأت^(٤) فوقه في ايام رسول
الله (صام) وهو لا يلتفت اليها ولا يرتقب وقتها والله اعلم بخلتها وأراف بعباده
يخار ما كان لهم الخيرة واذك بحيث لا يحيل موضعك من بيت النبوة ومعدن
الرسالة وكذب الحكمة ولا يحدد حنك في ما اناك ربك ولكن . . . لك من
بزاحك بمنكب اضعم من منكك وقرب اسنى من قربك وسن اعلى من سنك
وشية اروع^(٥) من شبتك وسادة لما عرف في الجاهلية وفرع في الاسلام
والشرية وواقف ليس لك فيها من حبل ولا نافة ولا تذكر فيها في مندة
ولا سافة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا تخرج منها ياذل^(٦) ولا هبع^(٧)
فان عذرت نفسك في ما تهدر به شفتك^(٨) من صاغيةك^(٩) فاعذرنا في ما
تسمع منا في ابن وسكون ما لا تبعده منه ولا تناضله عليه ولئن خذيت بهما نفسك
ليتنسن^(١٠) عليك ما ينسبك الاولى واهلك عن الاخرى ولو علم من ظن به ما
في انفسنا له وعليه لما سكن ولا اتخذت وليه^(١١) الى بعض الارب . . . فاما

- | | | |
|--|--|---------|
| (١) عشرة | (٢) ارقى الصعب | (٣) شفت |
| (٤) من قهره خلق الطائر اذا ارتفع في طيراه | (٥) افزع او اعجب بالحمى | |
| (٦) عاطي مبد منكرم | (٧) المستعين به قو | |
| (٨) شيء كالرثة يخرج من البعير من فم اذا هاج | | |
| (٩) الذين يملون اليك واثاثك من ذوي الثروة والاصحاب | | |
| (١٠) يفتكر | (١١) بطانة وخاصة من الرجال ومن يعتمد عليه من | |
- غير اهل

ابو بكر الصديق فلم يزل حبة في سويداء قلب رسول الله (صلم) وعلاقة هو وعيبة سره ومثوى حزنه ومنزع رأيه ومشورته وراحة كنفه ومرعى طرفه وذلك كله بحضور للصادر والوارد من المهاجرين والانصار وشهرته مغنية عن الدلالة عليه وامر به انك اقرب الى رسول الله (صلم) قرابة^(١) ولكه اقرب قرابة والقرابة لحم ودم والقرابة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وذلك صاروا اجمعين ومما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لابل الطاعة فادخل في ما هو خبرك اليوم وانفع لك غنا والنظ من فيك ما تعلق بلم انك^(٢) وانفت سنيمة^(٣) صدرك عن ثنائك فان يكن في ابل طول وفي الاجل فسمة فسماكله مريثا^(٤) او غير مري وسنشره هنية او غير هني حين لا راد لوك الا من كان منك ولا نابع لك الا من كان طامعا فيك يضي اهابك^(٥) ويفري على قادمك^(٦) ويدري على هديك هناك نزع السن من ندم وتجرع الماء ممزوجا بدم وحينئذ تأسي^(٧) على ما مضى من عمرك ودارج^(٨) قومك فتود لو ان سقيت الكاس التي ايتها ورددت للخال التي استبريتها^(٩) والله فبنا وفيك امر هو بالغة وغيب هو مشاهدة وشافية هو المرجو لضرائها وسراهما وهو الولي المحيد الغفور الودود

قال ابو عبيدة فشيت مزمل^(١٠) اوجا^(١١) كانا اخطو على ام راسي فرقا من الفرقة وشنقا على الامة حتى وصلت الى علي في خلاه فابنته^(١٢) كلة وبرئت اليه منه ورفقت له فلما سمعها ووعاها وسرت في اوصالها حباها قال

- (١) ما يقرب الى الله تعالى من اعمال البر والصلة
(٢) الطنطة (٣) الحمد (٤) هنية (٥) المجد
(٦) مستهلك الآتي عليك (٧) مخزن (٨) المائت او المافرض
(٩) وجدتها لذاتك (١٠) ملنا بنوي
(١١) خدر ياخذ الابل في اياديها وارجلها ياخذ الانسان من المشي
(١٢) كشف السر واظهاره

حَلَّتْ مَعْلُوطَةٌ ^(١) وَوَلَّتْ مَخْلُوطَةٌ ^(٢). حَلَّ . لاحتبت النفس ادنى لها من قول لعا ^(٣)

احدى ليايالك فهيس هيس ^(٤) لا تنعمي الليلة بالنعريس ^(٥)

نعم يا ابا عبيدة آكل هذا في انفس القوم يحشون عليه ويطعمون به . قال ابو عبيدة لا جواب لك عندي انما انا قاض حق الدين ورائق ففق الاسلام للمسلمين وساد ثلثة الامة ويعلم الله ذلك من خيلجان قلبي ومرارة نفسي قال علي (رضه) والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلافه ولا انكاراً للمعروف ولا رزية على مسلم بل لما وقدني به رسول الله (صلم) بفراقه واودعني من الحزن بنفده وذلك اني لم اشهد بعده مشهداً الا جدد لي حزناً وذكرني شجواً وان الشوق الى الحاق به كاف عن الطمع في غيره فند عكفت على عهد الله انظر فيه واجمع ما تفرج ^(٦) منه رجاء ثواب معد لمن اخلص عمله وسلم لعلم ومشيئة ربه على اني ما علمت التظاهر علي واقنع ولا عن الحق الذي سيق الي رافع واذا قد انعم الوادي ^(٧) بي وحشد النادي من اجلي فلا مرجحاً بما ساء احداً من المسلمين وفي النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي بخصري وبصري ^(٨) وخضت لجثة باخصي ومنرفي لكي لملم الى ان اتقى ربي عز وجل وعنده احنسب ما نزل بي وانا عادل الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما سألني وسرتم ليقضي الله امراً كان مفعولاً وكان الله على كل شيء شهيداً

قال ابو عبيدة فعدت الى ابي بكر (رضي الله عنهما) وقصصت له القول

(١) موسومة بالعلاطة وهو جبل يجعل في عنق البعير

(٢) ميزوجة من اجزاء مختلفة (٣) دعاء يقال للعائر

(٤) كلمة تقال عند امكان الامر والاعتراف به (٥) مصدر عرس يريد

بذلك وصالحا (٦) تين او انكشف (٧) مثل عرب

(٨) الاصبع بين الوسطى والخنصر

في وقائع العرب وفتوحاتها

٢٣١

على عره^(١) ولم استنزل شيئا من حلوه ومرتة وذكرته غدوة الى المسجد فلما كان الصباح يومئذ وافى علي فخرق الصنوف الى ابي بكر فبايعه وقال خيرا ووصف جميلا وجلس زمينا واستأذن للقيام ونهض فشيعة عمر تكرمة له واستنثارا^(٢) لما عنده فقال له علي ما قعدت عن صاحبكم كارها له ولا ائنه فرقا منه وما افول ما افول تعلقة^(٣) واني لاعرف مسمى طرفي ومخطا فلي ومتنع قوسي وموقع سهمي ولكي قد آريت^(٤) على فاسي^(٥) ثقة بالله في الالبالة في الدنيا والآخرة

فقال له عمر كنهف عزبك^(٦) واستوقف سربك^(٧) ودع العصا بلعائها^(٨) والدلاء برشائها^(٩) فاننا من خلفها وورائها ان قدحنا أورينا وان منحننا اروينا وان جرحنا ادمينا وان نصحننا ابرينا^(١٠) وانقد سمعت امانيلك التي نعوت بها عن صدر اكل بالجوى^(١١) ولو شئت قلت على مقاتلك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته زعمت انك قعدت في كسر بيتك لما وقدك بـرسول الله (صلعم) بفراق رسول الله وقدك وحدك ولم يقد سواك بل مصابة اعظم واعز من ذلك ومن حق مصابو ان لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا يدرسي على اخبارها بما لا يؤمن من كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا في صبح يوم لم نلتقي في ممسى وزعمت ان الشوق الى الحماق به كاف عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة اولياء الله تعالى ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرافة على خلائه وبذل ما يصلحون به ويرشدون اليه وزعمت انك لم تعلم ان النظاهر عليك واقع ولا عن الحق الذي

- | | | |
|----------------------------|--------------------|---|
| (١) عبوة من العر وهو الجرب | (٢) ابتغاء | (٣) اي لاشغال |
| النفس واطماعها | (٤) نشطت | (٥) آلة حديد للقطع |
| (٦) بعدك او غيابك وانفرادك | (٧) طريقة او ماشيك | (٨) قشرها |
| (٩) حلها | (١٠) احكمنا | (١١) الحزن والحرقنة وشدة الوجد من الحزن |

سبق اليك دافع فاي تظاهر وقع عليك وامي حق لك ليهنك دونك قد علمت
ما قال الانصار لك بالامس سرّاً وجهراً وما نفلت عليه بطناً وظهراً فهل
ذكرتك واشارت بك او وجدنا رضاها عليك هولاء المهاجرون من الذي
قال بلسانه تصلح لهذا الامر او امي بهينو او همهم في نفساً تظن ان الناس قد
ضلوا من اجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عزّ وجلّ ورسوله
(صلم) تحاملاً عليك لا والله لا يقال اليك اعتزلت تنتظر الوحي وتوكل^(١)
مناجاة الملك لك فذلك امر طواه الله عزّ وجلّ بعد عهود (صلم) كان
الامر معقوداً بانشوطه^(٢) او مشدوداً باطراف ليطه^(٣) كلاً والله ار الغاية^(٤)
للمنة وان الشجرة لورقة ولا عجماء بعد حمد الله الا وقد فصحت ولا عجماء^(٥) الا وقد
سميت ولا لهما الا وقد فتلت ولا شوكة الا وقد نعمت^(٦) ومن اعجب قولك
انك اولاً سباق قول وساف عهد لشفت غيظي وهل ترك الدين لاجل من
اهل ان يشفي غيظه بلسانه ويده تلك جاهلية قد استأصل الله شافيتها ودفع عن
الناس آفتها وقلع جرثومتها ومور^(٧) ليلها وغور سيلها وابدلنا منها الروح
والريحان والهدى والبرهان وزعمت انك ملجم فلعمري ان من اتى الله تنزّ
وجلّ وائر رضاه وطلب ما تنده امسك لسانه واطبق فاه وجعل سعيه لما
واراه^(٨)

قال علي (رضه) والله ما بدلت عزمي وانا اريد فائنه ولا اقررت وانا
اريد سولاً عنه وان اخسر الناس صفقة عند الله من آثر البفاق واحتضن
الشفاق والله سلوة من كل كارث^(٩) وتليو الوكل سفي كل الحوادث ارجع يا
ابا حنص نافع^(١٠) القلب فسبح البال مبرود الغايل فصيح اللسان فليس وراء

(١) تدمر ص او تنتظر . (٢) عقلة يسهل انحلاها (٣) قشرة انفس
(٤) انثائي وترك العجلة (٥) ضعيفة او مزولة (٦) قشرت واخلص
جيدها من رديتها (٧) كسر ظلامه او خيب (٨) اخفاء
(٩) استعداد الغم والوعاء المشقة منه (١٠) ثابت

ما سمعته وقائمة الآ ما يشد الأزر^(١) ويحط الوزر^(٢) ويضع الأعر^(٣) ويجمع الألفة ويرفع الكلفة فيوقع الزلفة^(٤) بمعونة الله عز وجل وحسن توفيقه قال ابو عبيدة وأنصرف عمر وهذا اصعب ما مر بنا صبري بعد فراق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وفي رواية ابي منصور ثم حضر علي (رضه) وقال يا ابا بكر ان عصاة انت فيها لمعصومة وان امة انت فيها لمرحومة واقد اصبحت عزيزا علينا كريما لدينا نخاف الله اذا سقطت ونرجوه اذا رضيت ولولا اني شريعت^(٥) لما اجيب اليك وان حط الله عن ظهري ما اثقل بك كاهلك وما اسعد من نظر الله اليك بالكفاة واننا اليك لمناجون وبفضلك عالمون والى الله عز وجل في جميع الامور راغبون

ثم بعد ان استكن هذا الحال وتمهد لابي بكر المثار اليه الامر على هذا المنوال استقر على عرش الخلافة رخي العيش هي البال في سنة ١٢ الهجرة (سنة ٦٣٢ م)

وما كان حاصلاً وقتئذ من تلك الامور المهمة التي سبقت الاشارة اليها هو ان جلوس هذا الامام في مسند الخلافة كان في وقت فشا فيه الارتداد بين العرب ولذلك كان اول ما شرع به هذا الخليفة منذ تولى الخلافة في السنة التي مر ذكرها هو ملافاة هذا الامر فافتتح اولاً الحروب مع المرتدين وبعد ان ظفر بمسيلة الكلاب الذي مر ذكره في الفصل الرابع من المقالة الرابعة واجتمع كثير من العرب المرتدة على الاسلام وجه عزائمهم الى ارض فلسطين وبر الشام فمؤل بذلك مقاصدهم الحاسية ورغبتهم في التملك الذي القوه في زمن الجاهلية الى غزو من جاوهم في البلاد ونشر الدين الاسلامي في كل ناد لكن لما لم يساعده الاجل على بلوغ الامل توفي بعد ان حكم سنتين وثلاثة شهور تاركا مشروعاته

(١) الظفر (٢) الاثم والتمثل (٣) الانعطاف

(٤) التندم والتعجب (٥) دعشت وتجرعت

الحربية من بخلافه بعد ان كانت فتحت الحيرة في ايام بالامان
غير ان ارساليته هذه ذاقتم اثار هذه الغزوة في ايام خليفته عمر بن
الخطاب حيث فتحت لها ابواب اورشليم المسماة في الكتب العربية بيت المقدس
بالامان ونسائط على اراضي فلسطين ثم فتحت كذلك اقليم مصر بتمامها باربعة
آلاف فارس من العرب تحت راية عمرو بن العاص فمال الامام القرظي ان
فتوح مصر كان على يد قافلة من قوافل العرب على انه كان يوجد فيها قريب
من مئة الف من عسكر الروم ما خلا القبط

وذكر مؤرخو الاسلام انه لما افتتح عمر بن الخطاب المشار اليه مدينة القدس
كتب الى صفرونيوس بطريركها العهد الشهيرة بالشروط العصرية بها رخص
للمنصرى التمسك بديانتهم واشترط عليهم ان لا يحدثوا كنيسة ولا دبرا ولا قلاية
ولا صومعة راهب ولا يحدوا ما خرب منها ولا اكان غنطاً منها في خطط
المسلمين وان يوسعوا ابوابها للمارين وابن السبيل وان ينزلوا من مرهم ومن
المسلمين ثلاث ليال يطعموهم وان لا يأووا في كنائسهم ولا في منازلهم جاسوساً
ولا يكتفوه عن المسلمين ولا يعلموا اولادهم القرآن ولا يظهروا شرعهم ولا يدعوا
اليه احداً ولا ينعوا احداً من ذوي قراباتهم عن الدخول في دين الاسلام ان
اراده وان يوقروا المسلمين ويقوموا لهم من مجالسهم اذا ارادوا الجلوس وان
لا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعالين ولا يتكلموا
بكلامهم ولا يكتسبوا بكنائسهم ولا يركبوا في السروج ولا يتقلدوا بالسيف ولا يتخذوا
شيئاً من السلاح ولا يحملوه معهم ولا ينقشوا على خواتمهم بالعربية ولا يبيعوا الخمر
وان يجزوا مقدم رؤوسهم وان يلبسوا زياتهم حيثما كانوا وان يشدوا الزنار^(١) الى

(١) الزنار خيط غليظ بقدر الاصبع من الابريسم يشد في الوسط وهو غير الكستينج
قال بعضهم ان جميع الذين في بلاد المسلمين كانوا يلبسون خيط دقيق وعاليه قول
المسلمين ان الذي اذا عطس ينقطع زناره اي ان الذي السالك بحسب مقتضى الدمة
يكرن زناره خيطاً دقيقاً اذا عطس ينقطع من ضغط احشائه

اوساطهم ولا يظهروا صلبانهم او كتبهم في شيء من اسواق المسلمين وطرقهم ولا
يضرروا بالنفاقيس في كنائسهم الا ضرباً خفيفاً ولا يرفعوا اصولهم مع موتهم
ولا يظهروا النيران في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا يجاوروهم بوثانهم
ولا يتخذوا من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا يتطلعوا على منازلهم وان
خالفوا في شيء فلا ذمة لهم

ثم زاد على هذه الشروط ايضاً بان لا يشترى شيئاً من سبائب المسلمين ومن
ضرب مسلماً عمداً فقد خلع عهده

وبروى ان الامام علياً بن ابي طالب زاد على ذلك استناداً على حديث
نقله عن صاحب الشريعة الاسلامية فقال لا تساوهم في المجالس ولا تعودوا
مرضاهم ولا تشبعوا جناتهم واضطروهم الى اضيق الطرق وان سبواكم فاضربوهم
وان ضربوكم فاقتلوهم

ثم زاد على هذه الشروط عمر بن عبد العزيز بان يركبوا على الاكف عرضاً
من شق واحد وكتب الى عامله ان لا يواو على الاعمال الا اهل القرآن

وزاد على هذا ايضاً اصحاب الشافعي بان تلبس النصارى قلائس ويمزونها
عن قلائس المسلمين بالحبرة ويكون في رقابهم خاتم من نحاس او رصاص او
جرس يدخلون به الحمام وان لا يلبسوا العمام ولا الطيلسانات واما المرأة فانما
تشد الزنار تحت الازار وقيل فوقه (برى الاشبهى بان الاولى يكون فوقه)
ويكون في عنقه خاتم تدخل به الحمام ويكون احد خفيها اسود والاخر ابيض
ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤون بالسلام ويجأون الى اضيق الطرق ويمنعون
ان يتناولوا على المسلمين في البناء وتحوز المساواة وقيل لا تحوز وان تملكوا داراً
عالية افروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر
بالثورة والانجيل ويمنعون من المنام في ارض الحجاز وهي مكة والمدينة واليامة
وان امتنعوا عن اداء الجزية انتفض عهدهم وكذلك ان زني احد مسلمة او
اصابها بتركاج او اوى عيناً للكفار او دل على عورة المسلمين او فتن مسلماً عن

دينه او قتله او قطع عليه الطريق تنقض ذمته
 لكن لما كتب المندي كتابه في الرد على النصارى حرر صورة كتاب
 الامان من عمر النصارى الشام على الوجه الآتي وهو
 بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عبد الله بن عمر امير المؤمنين ائبل
 ايليا (ائني اورشليم وهي القدس) من الامان امانا لانفسهم وكنائسهم وصلبانهم
 سقيمها وبرها وسائر ملتها ان لا تسكن كنائسهم ولا تنهدم ولا ينفض منهم - اولا من
 صلبانهم ولا شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن
 ايليا احد من اليهود وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما اعطوا اهل المدن
 وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله
 حتى يبلغوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من
 الجزية ومن احب من ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بينهم وصلبانهم
 فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعتهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان
 فيها من اهل الارض فمن شاء فعد عليه مثل ما على ائبل ايليا من الجزية ومن
 شاء رجع الى ارضه وان لا يؤخذ منهم شيء حتى يصعدوا حصادهم وعلى ما في
 هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة
 المؤمنين اذا اعطوا الذية عليهم من الجزية شهد على ذلك من الصحابة رضي
 الله عنهم خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية
 ابن ابي سفيان

وانرجع الى ما كذا بصدده من التروحات فنقول ثم في زمن خلافة عثمان
 ابن عفان فتحت بلاد فارس واستولى هذا الخليفة على تاج كسرى الاكبر ويبرق
 السلطنة

وفي ايام خلافة عبد الملك بن مروان فتحت افريقية واستولى هذا الخليفة
 على قرطاجنة وغيرها من مدن البحر واسبانيا وفتح طارق بن زيد الجبل المسى
 الآن باسمه وهو جبل طارق

قال بعض المؤرخين انه في مرة اثني عشرة سنة بعد وفاة صاحب الشريعة الاسلامية تمك العرب ستة وثلاثين الف مدينة وقلمة وخربوا اربعة آلاف كنيسة نصرانية غير الهياكل والمدن وذكر في توارخ القرون الوسطى ان العرب في ظرف ثمانين سنة افتتحوها من الاقاليم اكثر مما افتتحه الرومانيون بظرف ثمانية قرون هذا ما كان من امر فتوحات العرب البرية

واما ما كان من امر سطوتهم البحرية فهو كما لا يخفى بان العرب كانوا في اقدم الاعصر الخالية يسافرون في البحر الى بلاد الهند ولا يعرفون البحر المتوسط وكانت سفنهم التي يسافرون بها قوارب مغطاة بالجند لم يدخل في مادتها شيء من المسامير وربما بلغت مدة السفر ذهابا وايابا نحو خمس سنوات ولم يعرفوا السفر في وسط البحر بواسطة الرياح الدورية الا في القرن الاول من التاريخ المسيحي

وحكم ابن خلدون انه بعد ان افتح المسلمون بلاد مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ان صفت لي البحر فكتب اليه ان البحر خافي عظيم يركبه حاتم ضعيف ودود على عود فاوعز حينئذ مع المسلمين من ركوبه فلم يركبه احد الا من افتات على عمر في ركوبه وبال من شقاو كما قيل بهرقة بن هرثة الايدي لما غزا عمان في البحر وعنته

ثم لما كان العهد لمعاوية بن ابي سفيان اذن للمسلمين في ركوب البحر والجناد على اعواده فاستخدموا حينئذ من النوبة في حاجاتهم البحرية اسما تكررت مارسهم للبحر وثقاته وشرعوا الى الجهاد فيه وانتشأ السفن والشواني^(١) الى ان بلغت في ايام الفاطميين مشرقة بالرجال والسلاح واخصوا بذلك من مالكم وغورهم ما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك بن مروان بانخاذ دار الصناعة

(١) الشواني جمع شونة وهي مركب الحرب وقالوا العظيم منها يسمى بارجة ايضا اما البجاية فهي الغنمة العارضة

بتونس لانشاء الآلات البحرية وكانوا يسمون صاحب قيادة الاساطيل^(١) وهو عبارة عن قبودان باشي في الدولة العلية العثمانية باسم الممند بتلخيم اللام مثولاً من لغة الافرنج

وما زال امر العرب يتقوى في البحر الى ان سادوا عليه فلم تعد تسبح للنصرانية فيه الواح^٢ وابتلكوا جزائرهم وافتتحو كثيراً من سواحل القارة واتسعت تجارتهم انساباً عظيماً ومكثت دول العرب الغربية بشمال افريقية مدة طويلة نسلب في بحر الروم مراكب الافرنج وتسي جميع النصارى الذين فيها وتضرب عليهم الرق لنبيهم فكانت بلاد تونس والجزائر مشحونة من هولاء الارقاء الذين كانوا يتبدلون عما تعودوا عليه من العز في بلادهم بالذل الذي يهلكهم في هذه البلاد

ودام الحال على هذا المنوال الى ان ادرك الدولة الاموية والعبيدية الوهن والفسل ومدا النصارى اياهم الى جزائر البحر الشرقية وامتلكوها وملكوها السواحل الشامية اثناء الحروب الصليبية وتراجعت قوتهم الى ما كانت عليه من قبل فاخذت حينئذ قوة العرب البحرية في الرجوع القهري منذ القرن السادس للهجرة (الثالث عشر الميلاد). ثم آل الامر اخيراً الى انقراض ما بقي من آثارها لما افتتح الفرنسيون بلاد الجزائر سنة ١٢٤٦ للهجرة (سنة ١٨٣٠ م) حيث كان من شروط هذه الدولة التي عندها سنة ١١٥٣ للهجرة (سنة ١٧٤٠ م) مع الدولة العلية ما معناه لدولة فرنسا ان تقابل اهل ولايات المغرب باسائهم من غير ان يعد ذلك من باب الاساءة في حق حضرة السلطان وكان دأب اهل الجزائر قطع الطريق البحرية وبذلك انقضت شوكة العرب من البحر بالكاية

—x—

(١) الاساطيل جمع اسطول وهي ما يسوون الآن بالعمارة البحرية

المقالة التاسعة

في دول العرب القديمة والحديثة وخططها وامارة المؤمنين
وخصوصياتها وترتيب الدواوين وبعض الامور المالية
وفيها ثلاثة فصول

الفصل الاول

في دول العرب وخططها

لا ينبغي بانه كان للعرب في الزمن المنوغل في القديمة دول وملوك ذهبت
اخبارهم واندرست آثارهم ولم يبق للمتأخرين الا معرفة كونهم كانوا موجودين
قبل زمن خروج بني اسرائيل من مصر ودخولهم الى ارض كنعان وانما يحصل
من بعض المؤلفات العربية اخبار غير كافية عن بعض الدول العربية كانت
موجودة الى زمن ظهور الاسلام ومن ذلك

ان صنعاء اليمن كانت في الزمن القديم تسمى ابال فلما ملكها الحبشة
عام الفيل بنوها واحكموها فقالت الاحباش صنعتها ومن ثم سُميت صنعاء
وكانت هي وحصن تعز المجنوبي من زبيد مقر ملوك اليمن في الجاهلية وهم التبابعة

ومنهم الاذوية الذين مر ذكرهم في الفصل الرابع من المقالة الخامسة وهذه المملكة هي اعظم اقاليم العرب الاصليّة وكانت لهذه قريبت متبعية باستقلالها القديم فانها وان تكن فتحت بالاسلام في زمن الخلفاء ودخلت بهد ذلك في قبضة الاكراد الابوية ملوك مصر لكنها خرجت اخيراً عن طاعة المالك في سنة ٩٣٢ هجرية (سنة ١٧١٥ م) ثم في سنة ١٠٤٠ للهجرة (سنة ١٦٣٠ م) افر السلاطون مراد الرابع العثماني السيد حسنا بن محمد على هذه المملكة واعترف له بانه ملكها لكن تحت سيادة الدولة العثمانية فتوارثها خلفاؤه من بعده واستقلوا باحكامهم فيها لكن من ذلك الوقت ذهب عنها عدة اقاليم في الجبل والسهل جهة الشمال والشرق وخرجوا عن طاعة ملك البن واستقلوا لذواتهم وفي الحال تلى هذا المتوال الى ان جرت اسباب اوجبت سلب هذا الاستقلال منها وادخلها في حرزة احكام السلطنة العثمانية منذ بضع سنين

واما الحيرة فكانت مقر ملوك العراق النخبيين الذين كان منهم جذية البرش واسمهم المالك بن فهم والاصل في لقبه البرص لبرص كان فيه وانما قيل له البرش نادياً ومنهم من يلقبه بالوضاح من الوضع وهو البرص واصاله من الازد وكان اول من ملك قضاة بالحيرة واول من حلا النعمان وادخل (١) من الملوك وصنع له الشيع. اما اول من اتخذ الحيرة داراً لملكه فهو ابن اخيه عمرو بن عدي وقد مر ذكره في عدة مواضع من هذا الكتاب واول من نصر من ملوكها هو امرء اقيس بن عمرو المذكور وكان منزل المارك بالانبار (راجع الفصل الثالث من المائة الاولى)

واما الشام فكانت مقر ملوك غسان الذين كانوا عمالاً للقبصرة نلباسا ومنهم الحارث الملك الذي كان يريد ان يقيض على بولس الرسول (٢) كني (٢٣: ٢٢: ٢٣)

والعرب في الجماعية ملوك آخرون كملوك جرهم النابية وملوك كندة وملوك

النجار وغيرهم وليس في الكلام عليهم شيء من موضوع كتابنا هذا
 وأما دول العرب بعد الاسلام فهي كثيرة متباعدة في بلاد المشرق . أولاً
 الخلفاء الأربعة ويليهم بنو أمية ثم بنو العباس وكانت حكومتهم ممتدة في ابتداء
 الامر على بلاد المغرب ايضاً فلما خرجت تلك البلاد عن طاعتهم ترتب على
 ذلك وجود دول اخرى فيها على ما سبقت الاشارة اليه في الفصل الاول من
 المقالة الخامسة ومن ذلك الدولة الاموية ببلاد الاندلس ودولة الشيعة وهم
 العبيدونيون بالفرقة والقيرانيون ودولة الموحدين باسبانيا ودولة العبيديين
 المذكورين بمصر ودولة بني حفص بتونس ودولة زناتة بالمغرب كما ان ضعف
 شوكة الخلفاء بالمشرق ترتب عليه وجود دول متعددة لغير العرب لا حاجة
 لنا في الكلام عليها

والظاهر ان البيعة للملوك وهي العهد على الطاعة كان معروفاً عند
 الجاهلية وشريع في الاسلام ايضاً فكان المبتاع يعاهد اميره على ان يسلم له
 النظر في امر نفسه وامر غيره ولا ينازعه في شيء وبطبيعته في كل امر
 ثم جرت العادة في صدر الاسلام عند ما يبايعون الامير ويعقدون عهده
 بيمين ايديهم في يده تأكيداً للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي
 ببيعة مصدر باع وصارت البيعة مصالحة بالايادي واول ما وقع ذلك في بيعة
 صاحب الشريعة الاسلامية ليلة العقبة وعند الشجرة وكانت الخلفاء من بعده
 يستخلفون على العهد ويستوعون الايمان كلها لذلك وكذلك ولاية العهد التي
 من شأنها حفظ التراث على الابناء فكان الخليفة يكتب صكاً بها لمن يوليه عهده
 ويشهد عليه بذلك

وكان الردف في الجاهلية خليفة للنبل والقبيل والحرمز والاصيد والصدق
 والصيدين هو الملك دون الماهل الذي هو الملك الاعظم والقطيب الاماء
 والحشم والفتو واقتما حسن خدمة الملوك والمتمنون الخدام احدثهم منقوى ومنقوى
 ومنقوين اما الحباه فهو جليس الملك وخاصته ج احباه

والردف في الجاهلية كالوزارة في الاسلام وهي نوعان احدها ان يردفه الملك على فرسه والثاني ان يجلسه الملك عن يمينه وكان اذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزى الملك جلس الردف مكانه وكان خليفة على الناس حتى يرجع فاذا عادت كتيبة الملك اخذ الردف منها المربع وهو ريع المغنم

واما الوزارة في الاسلام فهي ام الخطط السلطانية والرتب الملكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فهو مأخوذ اما من المداورة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل وكانوا عند ما يقدسون الوزير يخلعون عليه خلعها وهي الجبة والعمامة والوزارة انواع وهي اما ان تكون في امور حيازة الملكة واسبابها من النظر الى الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحيازة والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في دول الاسلام القديمة بالمشرق والمغرب واليه يدفع ختم السلطان ليختم به السجلات. واما ان تكون في المخاطبات لمن بعد في الزمان والمكان وتنفيذ الاوامر في من هو محبوب عنه وهذا هو الكاتب. واما ان تكون في حيازة المال وانفاقه وضبطه وهذا هو صاحب المال والجباية. واما ان تكون في مدافعة الناس وذوي الحاجات عن الملوك لئلا يزدحموا عليهم فيشغلوهم عن فهمهم وهذا هو الحاجب وكان اول من وضعه على باب معاوية بن ابي سفيان قال امر هذه الوظيفة اخيرا الى المنجر على الملوك عند هرم دولتهم وضعف شوكتهم

واما قيادة الثغور وولاية الجبايات المخصوصة والنظر في حاسبة الطعام والسكة فان اصحابها تبعاً لاصحاب النظر العام المار ذكرهم وكانت العرب تسمي ابا بكر وزير صاحب الشريعة الاسلامية قياساً على ما عرفوه في دول قيصر وكسرى والنجاشي لان هذه الرتبة لم تكن موجودة عند الخلفاء في صدر الاسلام وانما حدثت على التدرج وعندهم ان رتبة السيف تستغني عن معاناة العلم واما المال والكتابة

فيضطران الى ذلك للبلاغة في الكتابة والحسبان في المال فيخنارون لها من هذه الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه

وكانت ديوان الرسائل غير ضرورية في كثير من الدول لاستغنائهم عنها رأساً كما في الدول العربية في البلاغة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة اليها في الدول الاسلامية وكان كاتب الامير لابد ان يكون من اهل نسب ومن عظماء قبيلته كما كان الخلفاء وامراء الصيابة بالشام والعراق اعظم امانتهم وخلوص اسرارهم

ومن نصائح امير المسلمين الملك موسى بن يوسف ابي حمزة بن زياد العبد الوادي لولي عهده في كتابه الذي سماه واسطة السلوك في سياسة الملوك ما نصه . واما كتابك فتختار منهم لسرك كاتباً من وجوه بلدك موفياً لغرضك ومقصدك فصيح اللسان جري الجنان بليغ البيان عارفاً بالآداب سالكاً طريق الصواب بارع المخطط حسن الضبط عالماً بالحل والربط كاتباً للاسرار متعلماً بجلى الوفاق ذا عقل وافر وفهم حاضر وذهن ثاقب وفكر صائب حلو الشائل موصوفاً بالفصائل جميل الهيئة واللباس والمؤالة للناس لان الكاتب عنوان الملكة وهو تبيين الامور المشبكية ومن كتابك يُستدل على عقلك ويُعرفت معرفتك وفضلتك . فهذا اقل ما يُشترط للكاتب ويكون في حوزة وحقق من الواجب فانه اذا كانت الكتاب بهذه المثابة صلح ان يكون اهلاً للكتابة وان اخل بهذه الشروط كان جديراً بالتأخر والسقوط لاخلاله بكتابته وعدم اصابته وكان ذلك وصفاً في حق من قدموه ودليلاً على جهله في نقده

ثم لما فسد اللسان العربي وصار صناعة اخيصة بن يحسنه فكاتب عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب مولى ابي العلاء بن وهب المامري الذي يُضرب به المثل في الكتابة والبلاغة اذ انه اول من نهج الكتابة وبسط باع البلاغة وشف الرسائل وقرطها ولخص فصولها وخصصها واستحق لفظ الكاتب عليه لفصل رسالة الى الكتاب استوعب فيها الشروط المعتمدة لاصحاب رتبة

انظروا وهي طوبى لآلئها مفيدة فلا بأس من ايرادها هنا وهي بعد السلسلة^(١)
 اما بعد حفظكم الله يا اهل صماء الكتابة وحاطكم ووفتكم وارشدكم فان
 الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم
 اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافاً وان كانوا في الحقيقة سواء وصرهم في
 صنوف الصناعات وضرب الميولات الى اسباب معاشهم وابواب رزقهم فجعلكم
 معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءات واللم والرزانة بكم
 ينظم الخرافة محاسنها وتستقيم امورها وينصائحكم يصلح الله للثاني اطلانهم وتعد
 بدارهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فوقعكم من الملوك موقع
 اسماعيل التي بها يسمعون واصارهم التي بها يبصرون والسننم التي بها ينظرون
 وابدهم التي بها يبطشون فانتقم الله بها خيبتكم من فضل صناعتكم ولا تنزع
 عنكم ما اضماء من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كرها اخرج
 الى اجتماع خلال الخبير المحبودة وخصال الفضل المذكورة الممدودة منكم ايها
 الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صنعتكم فان الكتاب يحتاج
 من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يعني به في مهات اموره ان يكون حادياً في
 موضع العلم بهما في موضع الحكم قديماً في موضع الاقدام شجاعاً في موضع الاحجام
 مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كنوماً للاسرار وفياً عند الشكائد عالماً بما
 يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل
 فن من فنون العلم فاحتكم وان لم يحكمه اخذ منه بما يمكنه به يعرف بغربة
 عقده وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه

(١) السلسلة من بسم الله الرحمن الرحيم والمهابة من لا اله الا الله والحمد لله
 من الحمد لله رب العالمين والحرقة من لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والجملة من
 قول المؤذن وهو الداعي للصلاة حتى تلى اللاح وصالح من صلى الله عليه وسلم ورضه
 من رضي الله عنه وعم من علمه السلام والحق من الى آخره والراوي والش من
 الله روح وقس عليه

في دول العرب وخطها

٢٤٥

قبل صدوره فيعد لكل امر عتبه وعتاده ويهي لكل وجهه وعتاده وعادته
فتنافسوا با معشر الكتاب في صنوف الآداب وتنفوا في الدين وايدأوا بكتاب
الله عز وجل والعرائض . ثم العربية فانما ثقاف المستكم ثم اجدوا الخط فانه
حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وابام العرب والهمج
واحادثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسوا اليه همكم ولا تفضوا
الظفر في الحساب فانه تمام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المنافع سنيها
ودنيها وسنساب الامور ومخاقرها فانها مذلة لرقاب منسدة للكتاب وتزهوا
صناعكم عن الذممة وارسلوا بانفسكم عن السعاية والتمهية وما فيه اهل
الجهالات واياكم والكبر والسفوف والعظمة فانها علامة بمجانبه من غير احية
ونماها في الله عز وجل في صناعكم وتواصوا عابا بالذي هو البقي لادل
الصل والعدل والنبل من سلفكم وان نيا الزمان بهرجل منكم فاعطوا دليو
واسوء حتى يرجع الى حاله ويشوب الى امره وان ائمد احدا منكم الكبر عن
مكسبه وانفاه اخوانه فزوريه وعظوه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقدم
معرفة واكن الرجل منكم على من اصطلمه واستظهر به يوم حاجته اليه احوط
منه على وليه واخيه فان عرضت في الشغل مومة فلا يصرفها الا الى صاحبه
وان عرضت مذمة فليعلمها هو من دونه وليحذر السفهة والمذلة والميل عند تغيير
الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب ائرع منه الى الفراء وهو لكم افسد منه
لما فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يئذل له من نفسه ما يجب له دليو
من حقه فواجب دليو ان يعتد له من وفائه وشكره واستماله وخبره واتبعه
وكنهات سره وتدبر امره وما هو جزاء الخيو ويصدق ذلك نيماء له عند
الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك وفنكم الله من انفسكم في
حالة الرخاء والشدّة والحرمات والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت
الشينة هذه من وسم بها من امل هذه الصناعة الشريفة واذا وئي الرجل منكم
او سير اليه من امر خلق الله ونماها امر فليراغب الله عز وجل ويؤثر طاعته

وليكن على الضعيف رفيقاً والمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه
 ارفعهم بعاليه ثم ليكن بالعدل حاكماً وللارشاف مكرماً وللغنى موقراً وللبلاد
 عامراً والرعية متألفاً وعن اذام متجنباً وليكن في مجلسه متواضعاً وفي سجلات
 خراجهِ واستفتاء حقوقه رفيقاً واذا صحب احدهم رجلاً فلينظر خلقة فاذا
 عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحثال على صرفه عما يهواه
 من النج بالطف حيلة واجل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهية اذا كان بصيراً
 بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً لم يهيجها اذا ركبا وان كانت
 شوباً انقاهما من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وان
 كانت حروناً قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطشها يسيراً فيساس له
 قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وسترهم
 وداخلهم والكتاب لفضل ادبه وشريف صنعته واهليف حيلته ومعاينته لمن يحاوله
 من الناس وينظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ولما رآه
 ونفوس اوده من سائس البهية التي لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطايا
 الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر
 واعمال ما امكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صعبوه النبوة
 والاستئصال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى الموافاة والشفقة
 ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه
 ونباله وخدمه وغير ذلك من فنون اسره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به
 من شرف صنعتهكم خدمة ولا تتحلون في خدمتهكم على التقصير وحظلة لا تحمل
 منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته
 لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانها يعنiban
 الفقر وبذلان الرقاب ويفضيان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب
 والامور اشباه بعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف اعمالكم بما سبقت
 اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محبة واحدها حجة واحدها

عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة مهلكة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ
 علمه ورويته فليقتصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وابوجز في
 ابتدائه وجوابه ولبأخذ بجماع حججه فان ذلك مصلحة له فلهذا ومدفعة المشاغل عن
 اكثاره ولا يضرع الى الله في صلة توفيقه وامداد به بتسديده مخافة وقوعه في الغلط
 المضرب بيدته وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي برز
 من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فند تعرض
 بحسن ظنه او ممة اليه الى ان يكلمه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير
 كاف وذلك على من تأملها غير خائف ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور
 واجل لعب التدبير من مرافقه في صناعاته ومصاحبه في خدمته فان اعتل
 الرجلان عند ذوي الالباب من رمى بالعيب وراء ظهره ورأى ان اصحابه أعقل
 منه واجل في طريقه وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل
 ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تركية لنفسه ولا يكثر على اخيه او نظيره
 وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل
 لعزته والتحدث بتمتته (وانا اقول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه
 النسيجة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلاله بعد الذي فيه من
 ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته اخره وتمتته به نولانا الله واباكم يا معشر
 الطلبة والكتبة بما يتولى به من سقى علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه ويديه
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى . راجع الى ما كا فيه فنقول
 وكانت رتبة الكتاب رفعة عند بني العباس فان جعفر بن يحيى البرمكي
 مع كونه وزير الدولة هو الذي كان يوقع في الفحص بين يدي الخليفة هرون
 الرشيد ويرمي بالقبصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلاغة في تحصيلها
 للوقوف على ما فيها من اساليب البلاغة وفنونها . قبل انما كانت تباع كل
 قصة منها بدينار . وكان الكاتب هو الذي يصدر السجلات مطلقة ويكتب في
 آخرها اسمه ويحتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش على اسم السلطان او

اشارته يُغمَس في طين احمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرف
السيف عند طوله والسانو ثم صارت السبلات بعدهم تصدر بامر السلطان ويضع
الكتاب فيها علامته أولاً أو آخراً على حسب الاختيار وصارت رتبة الكتاب
ترتفع نارة وتخط اخرى بارتفاع مكانة غير صاحبها عند السلطان من اهل
المراتب في الدول الاسلامية الكائنة في بلاد المشرق والمغرب ثم استعملت
العلامة فيما بعد عند اصحاب المراتب في هذه الدول ترفعاً وتنظيماً عن ان
يكتب الاسم

وكانت عادة الملوك والوزراء والامراء من العرب اتخاذ الندماء
والمصاحبين السامرة كما في سائر الدول ويكونون من الشعراء واهل الادب
فينادون سادتهم ويشرحون صدورهم فاذا اراد الامير انفضاض المجلس جعل
لذلك اشارة يعرفها جاساؤه كما او طلب منديلاً وانتماً على وسادة او غير ذلك
من الاشارات فينصرفون

وكان اذا قال الامير لاحد عزمت عليك ان تقول كذا وكذا او تحدثنا
بما نعلم من الشيء القلاني ازم ذلك الرجل ان يقول او يحكي ما امره به لانهم
يرون لعزمة الامير حقاً ويراد بعزمت عليك اقسمت عليك وعزم على الامر اراد
فعلمه او جداً على فعله



الفصل الثاني

في امارة المؤمنين وخصوصياتها

ذكرنا في الفصل الرابع من المقالة الخامسة ان العرب في الجاهلية كانت تسمي صاحب الشريعة الاسلامية امير مكة وامير الحجاز ثم بعد ان توفي وتولى الخلافة بعده ابو بكر الصديق تلقب بالخليفة لكن لما تولى الخلافة بعده عمر تلقب بامير المؤمنين وكان السبب في ذلك هو انهم لما كانوا يلقبون ابا بكر بالخليفة كان هو اول خليفة لصاحب الشريعة المشار اليه ورأوا انه يلزمهم ان يسموا عمر خليفة الخليفة وهكذا كل من جاء بعده يقال خليفة خليفة الخليفة الخ فذكره عمر ذلك فقال له المغيرة بن النعمان و انت اميرنا ف انت امير المؤمنين ومن ثم صار ذلك لقباً لكل من تولى الخلافة بعده واتخذ مع عمادى الزمان معنى ملك الملوك لانه في زمن الخلفاء العباسيين صارت ولاية الاطراف وعامالها يسمون ملوكاً وسلاطين^(١) ايضاً

وكان من خصوصيات الخلفاء انهم من وظيفتهم حفظ الدين وسباسة الدنيا وظيفه القضاء فان من خطط الخلافة الدينية الامامة في الصلاة والفتيا والنضاء والجهاد واعطاء الامارة والوزارة والحرب وجباية الخراج وملاحظة امور المساجد العظيمة العامة وضرب النكحة للظفر في القود والتعامل بها بين

(١) قال الروزي السلطان مأخوذ من السيط وهو الزيت ودهن السمسم سمي بذلك لخصائه بالسراج ولذلك سمي السلاطين سلاطيناً لرضوح امره وفي الكليات كل سلطان في القرآن فهو حجة (اي معنى الحجة)

الناس وحفظها مما يداخلها من الغش والنقص فبذع عليها السلطان علامته للاستهادة والخلوص والحسبة وهي البحث عن المنكرات وتغزير وتأديب من يرتكبها والمنع من المضايقة في الطرقات ومنع الكمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلغ في ضررهم للصبيان المتعلمين وامضاء الحكم في الدعاوي التي تتعلق بالغش والتدليس في المعاش وفي الكاكيل والموازن وثقابة الاسلاف المعروفة بثقابة الاشراف التي يتوصل بها الى الخلافة والحق في بيت المال (راجع الفصل الرابع من المائنة الثانية) لكن قد استناب الخلفاء اخيراً الوزراء في هذه الخطط المتعلقة بوظائفهم وكان الخليفة عمر بن الخطاب اول من استناب في القضاء بعد ان كان الخليفة يباشره بنفسه وكتب لمن فوضه فيه الكتاب المشهور الذي عليه تدور احكام القضاء ومن جملة ما فيه البيعة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً اذلّ حراماً او حرّم حلالاً وان يراجع نفسه في ما يقضي ويرجع الى الحق وان المسلمين عدول بعضهم على بعض الا من كان مجلّداً في حدّ او مجرباً عليه شهادة زور او ظليماً في نسب او ولاء

وكان منصب القضاء وقتئذ منصباً بالفصل بين الخصوم فقط ثم دُفع بعد ذلك للقضاة امور اخرى على التدرج وهي استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجوز عليهم من المجانين والبنائي والفايسين واهل السفه وفي وصايا المسلمين ووقوفهم وترويج الايامى عند فقد الاولياء والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفح الشهود والامناء والنواب وغير ذلك وربما كان الخلفاء يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عسكر الطوائف وكان من وظيفة القاضي ان يفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم وقيم الحدود^(١)

(١) الحدود جمع حدّ وهو عقوبة مقدرة تجب حقاً لله تعالى سميت بذلك لانها تمنع من المعاودة الى الذنب

الثانية في محالها وبحكم في العقود والنقصان وقيم التعزير^(٢) والتأديب في حق من لم يتو عن الجريمة وكان ذلك كله من خصوصيات الخلفاء على ما ذكرنا

وكانت الاحكام في صدر الاسلام تجري على مقتضى ما في معرفة الحكم بالكتاب والسنة ورواية الحديث فكانت القضية اذا نزلت باي بكر اول الخلفاء قضى فيها بما عنده من ذلك او سأل من يحضرون من الصحابة الذين كانوا يفتون في زمن صاحب الشريعة الاسلامية والا اجتمع في الحكم والذين كانوا يفتون في زمن صاحب الشريعة المشار اليهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود واثي بن كعب ومعاذ ابن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابو الدرداء وابو موسى الاشعري وسلمان الفارسي

وكان بعد ان توفي ابو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب زاد تفرق الصحابة في ما افتتحو من البلاد فكانت الحكومة تنزل بالمدينة او غيرها من الامصار فان كان عند احد الصحابة الحاضر في ذلك اثر حكمه والا اجتمع امير تلك البلدة فيها مع انه يكون في تلك القضية حكم موجود عند صاحب آخر لم يكن حاضرا وفتنوا اخذوا عن صاحب الشريعة في وقت لم يكن حاضرا فيه غيره من الصحابة ومن ثم انتدب اقوام لجمع الحديث ونفيده فكان اول من دوله محمد بن شهاب الزهري وكان اول من صنف فيه وبوب سعيد بن عروبة والريبع بن صبيح بالبصرة ومعمربن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحامد بن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجابر

(٢) التعزير تأديب دون الحد والفرق بينه وبين الحد ان الحد ان الحد مفتر والتعزير مفتوح الى رأي الامام وان الحد يدرأ بالشبهات والتعزير يجب مع الشبهات وان الحد لا يجب على الصبي والتعزير بشرع عليه وان الحد يطلق على الذي اذا كان مفترأ والتعزير لا يطلق عليه وإنما يسمى عقوبة

ابن عبد الحميد بالريّ وعبد الله بن المبارك بمر وخراسان وهشيم بن بشير بواسط ونفرد بالكوفة ابو بكر بن ابي شيبة بتكثير الابواب وجردة التصنيف وحسن التأليف فوصلت الاحاديث من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شي منهما

وكان ابو جعفر المنصور اول الخلفاء العباسيين اول من تعلم اللغة وغيرها من العلم فاشار على الامام مالك بن ابي عاصم بن عامر بن الحرث الاصمعي بتأليف كتاب في اللغة وقال له يا ابا عبد الله لم يبق على وجه الارض اُتلمخي ومنك واني قد اشتغيتي الخلافة فضع انت للناس كتاباً ينتفعون فيه فيجيب فيه رخص ابن عباس وشذات ابي عمرو ووطئ الناس توطئة . قال مالك لاند علمي التصنيف يومئذ واذك سى كتابه الموطأ وبعد ان اشهر مذهبه توفي في ايام خلافة هرون الرشيد سنة ١٧٩ للهجرة (سنة ٧٠٩ م)

ثم في ايام هذا الخليفة نفسه ظهر الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان الفارسي فوضع مذهباً في اللغة بقي متديماً على غيره من المذاهب قال الامام الشافعي الآتي ذكره الناس عيال على هؤلاء الخمسة . من اراد ان يتبحر في اللغة فهو عيال على ابي حنيفة ومن اراد ان يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن ابي سلمة ومن اراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق ومن اراد ان يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ومن اراد ان يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان انتهى كلامه . ويحكى عن الامام ابي حنيفة المشار اليه انه توفي في حبس هذا الخليفة لكونه لم يقبل منصب القضاء الذي كان يدعى اليه وكان يجلده كل يوم عشر جلدات وقبل انه توفي مشهوراً في سنة ١٥٠ للهجرة (سنة ٧٦٧ م)

ثم ظهر بعده مذهب الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المعروف بالشافعي المتوفي في خلافة المأمون العباسي سنة ٢٠٤ للهجرة (سنة ٨١٩ م)

في امارة المؤمنين وخصوصياتها

٢٥٢

واخيراً وضع الامام احمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني مذهبه المشهور بالحنبلي توفي في عصر خلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٤١ للهجرة (سنة ٨٥٥ م)

فهذه هي المذاهب الاربعة المعتبرة في الفقه وكل منها جماعة تنقاد اليه في البلاد الاسلامية السنية وعملت لاجلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر البلاد وعوادي من تذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبات شهادة احدى ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس احدى ما لم يكن مقلداً لاحدى هذه المذاهب التي قد افترغ آيينها ومقلدوهم من العلماء كناية الجهد في علم الفقه على ثلاثة اطراف . اولها العبادات وهي ما حُقَّ لله على الناس . والثاني البيوع وهي ما حُقَّ للناس على الناس في المعاملات . والثالث الفرائض وهي ما حُقَّ للاحياء من الاموات

ولما تولى منصب القضاء في ايام الخليفة هرون الرشيد ابو يوسف يعقوب ابن ابراهيم بن حبيب الانصاري صاحب الامام ابي حنيفة وكان فقيها عالمًا دعي قاضي القضاة فكان هو اول من سمي بذلك وهو الذي غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التي هم عليها الآن وكان ملبوس الناس قبله شيئاً واحداً لا يتميز احد عن احد بلباسه توفي سنة ١٨٢ للهجرة (٧٩٨ م)

الفصل الثالث

في تدوين الدواوين وبعض الترتيبات المالية

حكى ابن خلدون المغربي عن عظم مقدار الغنائم التي كانت تفتن بها فرسان العرب في فتوحاتها بعد ظهور الاسلام فقال كان الفارس الواحد يُقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفاً من الذهب او نحوها وكان من عادتهم ان يرسلوا الى الخلفاء الخمس من الغنائم ليصرفوه في مصالحهم العامة . وكان ما يرد الى الخلفاء من هذه الغنائم وغيرها توزعه الخلفاء المشار اليهم في مبادئ الاسلام على اهل البيت والصحابه والمهاجرين والانصار وكل من اشترك معهم في الغزو والجهاد ولا يخصصون لانفسهم منه الا ما قلّ وربما كان دون غيرهم لانهم ذكروا ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يرقع ثوبه بالجلد ثم لما قدم ابن هريرة على هذ الخليفة قال من البحرين سألته عمر ماذا جئت به فقال خمس مئة الف درهم فاستكثرت عمر وقال آتدري ما تقول قال نعم مئة الف خمس مرات فصعد عمر المنبر وقال ايها الناس قد جاءنا مال كثير ان شئتم كلنا لكم كيالاً وان شئتم عددنا لكم عتلاً . ثم لما تعب في قسمته استخضر الهرمزان الفارسي ليسأله عن طريقة يستوضحون بها زمن كئناياتهم وما يضبطون به حساباتهم واوقاتهم فقال له الهرمزان ان لنا حساباً نسميه ماه روز معناه حساب الشهور والايام فعملوا هذه وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسماً للتاريخ واستعملوه وطلبوا وقتاً يجعلونه اولاً لتاريخ دولتهم فوقع اتفاقهم على السنة التي هجر بها صاحب الشريعة الاسلامية مكة وسكن المدينة

ثم بعد ذلك اتخذ الخليفة المشار اليه باشارة الهرمزان المذكور بيت المال

فكان بذلك هو أول من دون الدواوين ورتب ديوان الجبش عملاً بما كان في بلاد فارس وعين له كتاباً من الفريشيين

والديوان لفظاً فارسيّاً مأخوذاً من قولهم ديوانه أي مجنون وسبب تسميته على ما ذكرنا ان أحد ملوك فارس نظر يوماً الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم كأنهم مجادئون فقال ديوانه أي مجنون فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء تخفيفاً فقبل ديوان وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية فان الواحد منهم يسمونه ديو وزيادة الالف والنون للجمع سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور وجمعهم لما شذ وتفرق

وأول من اتخذ ديوان الختم وحزم الكتب معاوية بن ابي سفيان ولم تكن تحزم وسبب ذلك انه كان أمر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمئة الف ففتح الكتاب وصير المئة مئتين فلما دفع زياد حسابه انكرها معاوية وطلب بها عمر وحبسه واتخذ عند ذلك ديواناً يحزم الكتب وختمها

ثم وضع هذا الخليفة ايضاً البريد في البلاد الاسلامية وكان ذلك في سنة ٤٣ للهجرة (سنة ٦٢٢ م) وخالف المقرئ في هذا فقال ان الذي وضع البريد هو محمد المهدي العباسي وانه جعله بين مكة والمدينة واليمن

واما كتابة ديوان التصريف يعني الخراج في دمشق فكانت باللغة الرومية ودامت على ذلك في عهد الخلفاء الامويين الى ان استولى عبد الملك بن مروان فقلها الى العربية ابو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل وعزل عنها كتاب الروم وكان الذي يكتب على هذا الديوان في ايام معاوية المشار اليه رجلاً يقال له سرجون بن منصور النصراني ثم كتب بعده ابنه منصور

وكانت كتابة ديوان العراق بالفارسية وكان الحاجج بن يوسف الثقفى عاملاً لمعاوية المشار اليه على العراق المذكور فرغم كتاب الفرس على نقلها الى العربية

ثم لما تولى الخلافة عبد الله المأمون العباسي احدث دواوين الانشاء

والاعمال في بغداد فبنى حجرة واسعة في داره وجعل فيها مجلساً للنسخ ومجلساً
للمعاملة ومجلساً للحسابات ومجلساً للانشاء ومجلساً للخزان وعين لكل مجلس من هذه
المجالس كاتبين مشتركين وكان كثيراً ما يخرج الى هذه المجالس على حين غفلة
فيتأمل ما يشكره او يذكره فكانت الحال دائماً على حذر

وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام ان يجعل ما يكتب فيه صحفاً
مدرجة فلما انقضت ايام بني أمية وقام بالامر عبد الله السفاح العباسي استوزر
خالداً بن برمك بعد ابي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل هذا الوزير
الدفاتر في الدواوين من الرقوق المتخذة من الجلود وكتب فيها وترك الدروج
الى ان تصرف بالوزارة حفيده جعفر بن يحيى البرمكي في ايام الرشيد فاتخذ
الكاغذ وتلاوة الناس من بعده وقال ابن خلدون المغربي ان الذي اشار
بصناعة الكاغذ هو الفضل بن يحيى اخو جعفر المار ذكره

ويروى ان العرب في الزمن المتوغل في القدم كانوا يستعملون في الخط
حروف الهجاء القديمة الشبيهة بالمسامير في الشكل المسماة عند علماء الفتيش في
آثار القدماء حروفاً پرسپوليسية اية فارسية قديمة ثم تغيرت هذه الحروف
بالحروف الحميرية وهي الخط المسند الذي كان الحبير يكتبون كل حروفه
منفصلة عن بعضها (راجع خطه العرب الاصلية واقسامها في الفصل الاول من
المقالة الاولى) ومن حمير انتقل الى الانبار ومن الانبار الى الحيرة ومن الحيرة
لُقْنَةُ اهل الطائف وقريش ولتوغلهم في البلاوة دامت خطوطهم غير مستحكمة
الاجادة لأول الاسلام

ويروى كثيرون من مؤرخي العرب بعد الاسلام ان اول من كتب باللغة
العربية كان اسماعيل بن ابراهيم الخليل وقال البعض منهم ان العرب كانوا
يعرفون الكتابة في زمن ايوب الصديق وقد يوافقون بذلك راي بعض
الاfrنج والكتبة المتأخرين قال بعضهم قد يترجح الظن بانه لا ينكر على العرب
في الاجيال الصاعدة جداً نحو القدمة تقدمهم في العلوم والمعارف الطبيعية

والفلكية ونظم الشعر بالاستدلال على ذلك من بعض الامور منها مخاطبات
ايوب المقدم ذكره واصحابه التي يظن بانها كانت نحو سنة ١٥٧٧ قبل الميلاد
وقال غيره قد اجمع فضلاء الافرنج الذين استمازوا البلاغة بالحق على ان
ايوب المشار اليه هو افضل شعراً من اوميروس الشاعر اليوناني وشكسبير
الشاعر الانكليزي اللذين يعتقدونها أشعر الخلق وان له عليهما فضيلة السبق
لان صيغة اقدم الصحف الاولى على الاجماع وقد خيل للبعض منهم ان اصلها كان
باللغة العربية ثم نقله موسى النبي الى اللغة العبرانية وان الاصل العربي هو مفتود
الآن فلا يعلم هل كان بلغة حمير او بلغة مضر ثم بانضمام ذلك الى آداب اللغة
العربية الموجودة سليقة في جاهلية العرب ترجح عند كثيرين من ذكرها بان
العرب القدماء كانوا يعرفون صناعة الكتابة لكن لم يبق شيء من كتبهم القديمة
اصلاً كما استدلوا على قدمية آداب اللغة اليونانية من اشعار اوميروس المذكور
فقالوا انها كانت موجودة قبل ظهور هذا الشاعر ناشئة من كتب مؤلفة في
علوم الادب لكنه لما اندرست تلك الاجيال اندرست كذلك اخبار اهلها (وهكلا
العرب ايضاً)

وقال ابن خلدون نقلاً عن الطبري ان ولد ضخم بن ارام كانوا يسكنون
الطائف هلكوا في من هلك من ذلك الجيل وقال غيره انهم هم اول من
كتب بالخط العربي الا ان مثل هذه الاقوال هو مردود عند ارباب التحقيق
منهم ويرون الصحيح هو ان رجلاً يقال له مرامر بن مرة ويقال مرة من بني
طي وقيل من بني مرة من اهل الانبار هو الذي ادخل اولاً الكتابة في الانبار
وان هذه الصناعة انتشرت بين العرب هناك وان المثل المضروب عندهم انما
خدش الخدوش أنوش والخدوش الاثر وأنوش هو ابن شيت بن آدم اي انه
اول من كتب واثر بالخط في المكتوب هم يضربونه في ما تقادم عهده فلا
يراد به الخط العربي وانما كان انتشار هذه الصناعة بينهم قبل ظهور الاسلام
بقليل لانه لما جاء هذا الدين لم يكن مجيبين اليمن من يقرأ ويكتب وقد انفق على

ذلك جمهور المحققين من المسلمين وإنما كان الحبير فقط الخط المعروف بالمسند فكانوا يكتبون كل حروفه منفصلة عن بعضها ويمنعون العامة من تعلمه فلا يتعلمه أحد إلا بأذنهم وكان بالغاً مبلغاً من الأحكام والافتان والجودة في دولة التابعة لما بلغت من الحضارة والترف وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباً التابعة في العصبية والجديدات الملك العرب بارض العراق لكنه لم يكن في الجودة عندهم كما كان عند التابعة ثم من الحيرة لقبة اهل الطائفة وقريش بالسلسل عن مرمر بن مرة على ما تقدم

وفي حديث زيد بن ثابت حين امره ابو بكر ان يجمع القرآن ما يدل دلالة واضحة بأنه لم يكن عندهم ادوات تصلح للكتابة ايضاً حيث يقول فجهلت اتبعت على العسب والخفاف وصدور الرجال والعسب في سعوف النخل والخفاف حجارة يرض رفاق واحدها لحنة . وقال الزوزني انهم كانوا يأخذون الحرقه ويطلوها بشيء ثم يصفلون بها ويكتبون عليها ويسمون بها المرق ويجمعونها على مہارق وهو معرب مہرة كرده لفظ فارسي ولم تعرف العرب قراطيس الكتابة الا منذ استعمالها للحاج فهو اول من كتب بها

ثم بعد ان فتحت العرب الامصار وملكوا الممالك واحتاجوا إلى الكتابة استعمال الخط وطلبوا صناعته وأبدل الخط الحبيرى بالخط الكوفي وأخترعت الحركات ووضعتم النقط لتمييز الحروف المشابهة كما سبقتم الإشارة إلى ذلك في كتابنا المسبب زبدة الصحائف في اصول المعارف صفحة ٧٠ فبلغ هذا الخط رتبة من الافتان الا انهما كانت دون الغاية

وكذلك بعد ان انتشرت العرب في المغرب وافتتحو افریقیة ولاندلس واخط ابو جعفر المنصور العباسي مدينة بغداد وصارت دار الاسلام ومركزاً للعلوم العربية على ما تقدم في الفصل الاول من المقالة الخامسة ظهر الخط البغدادي وقد ذكرنا ان رجلاً يقال له الشيخ علي بن هلال السمساني وصل احرف الهاء العربية بعضها ببعض على هيئة استعمالها الآن في الكتابة بعد ان

كانت حروفاً مقطعة . وقال آخرون ان اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وبرزها في هذه الصورة المستعملة الآن هو تلميذه ابو علي محمد بن علي ابن الحسين الشهير بابن مقله وزير الخليفة المتنصر بالله العباسي وبه يفسرون المثل بحسن الخط فيقولون لمن ارادوا المبالغة في حسن خطه اجود من خط ابن مقله توفي سنة ٢٢٨ للهجرة (سنة ٩٣٦ م) ومن اراد التوسع في هذا الموضوع اكثر من ذلك فليراجع الكلام على الكتابة في كتابنا المار ذكره صفحة ١١٢ - ١٢٥ هـ ما كان من امر تدوين الدواوين في ايام الخلافة العربية

واما ما كان من امر الترتيبات المالية التي جرت في تلك الاوقات ايضاً فهو انه كما كان بدء تدوين الدواوين في ايام خلافة عمر بن الخطاب كذلك كان اول من شرع بتنسيق جباية الاموال الاميرية هـذا الخليفة نفسه . قال بعض المؤلفين من العرب انه ابطال الزدة التي كانت مرتبة على الرؤوس ورتب المكس في التجارة فكان يؤخذ من تجار المسلمين والنصارى والبحريين وانما بدرجات مختلفة حتى انه كان يؤخذ من تجار الحرب العشر عن بضائعهم وكذلك رتب المكس على العبيد والدواب

وعين مقدار الجزية التي تؤخذ من الذميين ومخلص ما ذكره المؤرخون في ذلك هو ان الخليفة المشار اليه كتب الى عامله على البصرة عثمان بن حنيف بتعيين مقدار الجزية فوضع على الفتي ثمانية واربعين درهماً وعلى من دونه اربعة وعشرين درهماً وعلى من دونه اثني عشر درهماً وكان الصرف اثني عشر دينار وهذا مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل واحمد بن حنبل والشافعي ثم قالوا انه يجوز للامام ان يزيد على ما قدر عمر ولا يجوز ان ينقص عنه ولا جزية على النساء والمالك والصبيان والمجانين

ووضع ايضاً على سواد العراق خراجاً لكل جريب صاعاً من بر أو شعير ودرهماً

ووضع ايضاً قانوناً بان من كان له ارض ثم تركها ثلاث سنوات لا يعمرها

فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها
 ووصل النيل بمجون العرب بواسطة خليج القلزم كما كان صنع البطليموسية
 والفراعنة وطرايانوس وخصّص ثلث ابراد مصر بعزل الجسور والزرع لارواء
 الاراضي
 ولما تولى الخلافة بعده عثمان بن عفان شرع في اقطاع القطائع وبيع
 الاراضي (وفي ذلك خلاف)
 وفي خلافة عبد الملك بن مروان أمر هذا الخليفة المحجاج وكان عاملة على
 البصرة فضرب الدراهم والدنانير فكان استعمالها والتناول بها بين الاسلام سنة
 ٧٦ الهجرة (سنة ٦٩٥ م) وكانوا قبل ذلك يتعاملون بالفضة والذهب وزنا
 وفي ايام خلافة ابي عبد الله محمد المهدي العباسي وضع الخراج على الخوانيت
 فكان هو اول من احدث ذلك في الاسلام

المقالة العاشرة

في وضع آداب اللغة العربية وطلب العرب العلوم الفلسفية القديمة
بعد ظهور الاسلام وفيها ستة فصول

الفصل الاول

وضع آداب اللغة العربية واسباب ذلك

لا يخفى ان العرب في زمن جاهليتهم كانوا في اعلى طبقة من نباهة الفكر
وفصاحة اللسان وسرعة الخاطر وكانت فصاحتهم طبيعية حتى انهم كانوا
ينظرون الشعر ارجحاً كما سبقت الاشارة الى ذلك جميعاً في محلات متعددة
من هذا الكتاب ولما لم يكن لهم اعمال يشتغلون بها فكانوا يصرفون همهم الى
تهذيب لغتهم والتفتت فيها حتى ذهبوا في ذلك كل مذهب وساعدتهم على
التصرف فيها ما عندهم من الخدافة فكانوا يعملون لكل حكم من احكامها وجهاً
سديلاً يحكم العقل بصحة فكانت باعتبار الناظر منقولة وباعتبار احكامها
معقولة

وكانت القبائل التي يوثق بعريتها بين العرب سبعة وهي قريش ودخيل

وهوازن وكفانة وبنو نعيم وقيس وغيلان واليمن وهذه القبائل هي اوساط العرب ولا تعتبر لغات القبائل الاخر لاختلاطها بالاعاجم وقيل بل ان القبائل الموثوق بعربيتها هي بنو قيس وبنو اسد وبعض الطائيين وبالاعتصار ان لغة العرب قبل الاسلام كانت متشعبة الى لغتين اصليتين وهما لغة قريش ولغة حمير وكانت الاولى مستعملة في مكة وما حولها والثانية ببلاد اليمن فلما نزل القرآن بلغة قريش غلبت على لغة حمير وبقيت متداولة في المكاتبات والتأليف والاشعار وقولهم بقيت متداولة في المكاتبات والتأليف والاشعار يراد به عصر بقاء اللغة معسب قواعدها واسوؤها في العلم فقط وسلب ذلك عنها في الخطابات الشفاهية المعتمدة لانه بعد ان ظهر الاسلام اختلطت لغات القبائل كلها بما فيها القبائل الموثوق بعربيتها مع لغات الاعاجم من الشعوب الكثيرة التي دخلت فيه فانتشر الفساد في اللغة العربية ولذلك اضطرب الحال فيها بعد الى وضع مؤلفات لحفظها وصيانة قواعدها من التلف والضباغ

وكان القرآن الذي هو اساس الدين الاسلامي الوحيد لازال الى زمن خلافة ابي بكر غير مجموع في صحف بل باقيا في مستودع اذهان الحنفظة الذين سمعوه من فم صاحب الشريعة الاسلامية فاعتنى هذا الخليفة في كتبه في صحف وكان ذلك باشارة عمر بن الخطاب خوفا من ان يذهب كثير منه بهوت الذين يحفظونه من القراء الذين كانوا يقتلون في الجهاد فامر زيدا بن ثابت فجمع كما سبقت الاشارة الى ذلك ولا زال يبحث عن آخر سورة التوبة حتى وجدها مع ابي خزيمة الانصاري ولم يجدها مع احد آخر غيره فلولا سرعة اهتمام هذا الخليفة بجمعها لكان في ذلك مصيبة على الاسلام بفقد كثير منه

ثم في ايام خلافة عثمان بن عفان وقع اختلاف في القراءة بين الحنفظة فجاء حذيفة بن اليمان فاخبره بذلك فامر زيدا بن ثابت المذكور وعبد الله بن الزبير وسعد بن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام بان ينسخوا الصحف المذكورة في المصاحف وقال عثمان للوسط القريشيين الثلاث اذا اختلفتم اتم

وزيد بن ثابت في شيء فاكثروه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا قال
القاسم بن معن لم تختلف لغة قريش والانصار في شيء من القرآن الا في الثابت
فلغة قريش بالهاء والانصار بالهاء. حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد
عثمان تلك الصحف الى حفظة حيث كانت محفوظة اولاً وارسل الى كل اقل
بصحف ما نسخوا وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف بحرق
وكانت فقدت آية من الاحزاب فالتمسوها ووجدوها مع خزينة بن ثابت
الانصاري فالحقوها في سورتها

وقال ابن خلدون ان الخط العربي لاول الاسلام كان غير بالغ الى
الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لما كان العرب من البداوة
والنوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف
حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من
رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند اهلها

وذكر بن خلكان في ترجمة ابي عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري ما
نصه قال حدثنا قتادة السدوسي قال لما كتب المصحف عرض على عثمان بن
عثمان فقال ان فيه لحناً ولقيمة العرب بالسنتها وقال ايضاً نلاً عن كتاب
التصنيف لابي الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ما نصه وعبر الناس
بقراون في مصحف عثمان بن عثمان نيفاً واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن
مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففرع الحجاج بن يوسف الى كتابه
وكان يومئذ عاملاً على البصرة وسأله ان يضعوا الى هذه الحروف المشبهة
علامات فقام بذلك النضر بن عاصم ووضع النقط افراداً وازواجاً وخالف
بين اماكنها فعبّر الناس بذلك لا يكتبون الا منقوطة فكان مع استعمال النقط
يقع التصحيف ايضاً فاحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط والاعجام واذا اغفل
الاستقصاء عن الكلمة فلم تعرف حنوقها اعترى التصحيف فلم يتدروا فيها الا
على الاخذ من افواه الرجال بالملفين

النحو. وكان ابو الاسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفين
ابن حلس بن نثانة بن عدي بن الدول بن بكر بن كنانة المتوفي سنة ٦٩ للهجرة
(سنة ٦٨٨ م) يعلم اولاد زياد بن ابي وهو يومئذ والي العراقيين وكان
لا يخرج شيئا اخذه عن علي بن ابي طالب فبعث اليه زياد المذكور ان اعل
شيئا يكون للناس اماما ويعرف به كتاب الله عز وجل فاستعناه من ذلك الى
ان جرت اسباب كثيرة لوضعه علم النحو لا نذكر منها هنا الا ما يوافق المقام فقط
ما اردناه في كتابنا زبدة الصحائف في اصول المعارف

حكى انه سمع ذات يوم قارئاً يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله
بالكسر فقال ما ظننت ان امر الناس آل الى هذا فرجع الى زياد وقال
افعل ما امر به الامير فليبغني كاتباً لبقاً يفعل ما اقول فاني بكتاب من عبد
الليس فلم ير ضة فاني بأخر فقال له ابو الاسود اذا رايتني فتحت في فانتط بين
يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت فتعمل ذلك وقال الماري
في حاشيته على شرح الاجرومي ان علياً دفع الذي جمعه الى ابي الاسود وقال له
اشح هذا النحو اي اقصد هذا القصد فسي حينئذ هذا الفن شحاً انتهى كلامه .
وهو علم يعرف به تركيب الالفاظ الدالة على اصل المعنى المراد بواسطة تغيير
اواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً او قدراً

المناظرات . ويقال بان في ايام الخليفة ابي جعفر المنصور العباسي وضع
عبد الله بن المقفع الآتي ذكره في محله كتاب كليله ودمنة وقيل انه لم يضعه وانما
كان باللغة الفارسية فعرّبه ونقله الى العربية وان الكلام الذي في اول هذا
الكتاب هو من كلامه . وقال ابن خلدون ان كتاب كليله ودمنة ترجم الى
الفارسية في ايام كسرى انوشروان الذي كان محباً للعلم مكرماً للعلماء ترجمه من
لسان اليهود وكان ذلك في الزمن الذي ولد فيه صاحب الشريعة الاسلامية
وقال صاحب تذكرة الحكم ان المقفع كان كاتباً لابي جعفر المنصور وهو الذي
ترجم له الثلاثة الكتب في المنطق وترجم ايضاً كتاب فرغوريوس الصوري

المعروف بإيساغوجي بعبارة سهلة قريبة المأخذ وترجم كذلك كتاب كليلية ودمنة من الهندية إلى اللغة الفارسية وإن من تأليف رسالة في الأدب والسياسة ورسالة في الطاعة للسلطان انتهى كلامه . وحكى ابن خلكان أن المقتفع كان زنديقاً^(١) والزندقة في اللغة تطلق على من يبطن الكفر ويظهر الإيمان فارسية معربة ومن تأليف الدرة القيمة التي لم يُصنّف مثلها في فنّها قتلة سنين متولي البصرة بامرأى جعفر المنصور وهو يومئذ في خدمة عمه سنة ١٥٤ الهجرة (سنة ٧٦٢ م) وقيل له المقتفع لأنه كان يعمل النفع ويبعها وهي شيء يعمل من الخوص شبه الزنايل لكنه بغير عروق وخلاصة الكلام أن المقتفع المذكور أما بترجمته كتاب كليلية ودمنة أو بتأليفه إياه وضع أساساً لعلم المحاضرات الذي ألف فيه أخيراً كثيرون من علماء العرب في الإسلام وهو من فنون الأدب الاثني عشر التي هي علم متن اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبدع والعروض والقوافي والمخطوط وقرض الشعر وإنشاء الرسائل والمحطوب والتواريخ وهي من مشتملات علم المحاضرة والمحاضرة في اللغة هي ما بين القوم أن يجيب الواحد صاحبه بما يحضره من الجواب

الإنشاء . وكانت سياسة الخليفة أبي جعفر المشار إليه اقتضت أن يقتل بجملة من قتل من خواص مروان بن محمد بن مروان آخر الخلفاء الأمويين عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب المشهور الذي يؤثر المثل فيقولون لمن أرادوا المبالغة في مدح من الكتاب أبلغ كتابة من عبد الحميد لأنه كان هو أول من نفع الكتابة وبسط باع البلاغة والإنشاء والإنشاء صناعة يعلم بها كيفية استنباط المعاني وتأليفها مع التعبير عنها بكلام يطابق الحال وتدوينها باللغة . وكان للخليفة هرون الرشيد العباسي معلماً يقال له أبو عبيدة وهو أحد الرواة المشهورين الآتي ذكرهم وصفه له اسحق بن ابراهيم الموصلي النديم

(٢) الزندقة نسبة إلى زند وهو اسم لغة قدماء فارس المكتوب بها كتب ديانتهم المجوسية المسماة زند أوستاه

فاستدناه الخليفة من البصرة بعد ان استنط مرتبة الاصمعي بوشاية اسحق المذكور
ايضاً لما فسد ما بينها وكان اسحق قبل ذلك يسمعه ويكثر الرواية عنه وكان
ابو عبيدة اول من دون اللغة العربية لانه كان اعلم الناس بلغة العرب
واخبارهم وايامهم

متن اللغة . ثم ظهر في ايام الخليفة المشار اليه ابو علي محمد بن المستنير بن
احمد النحوي اللغوي المعروف بقطرب تلميذ سيبويه امام البصريين في علم النحو
والقطرب ذهاب يطير في الليل ولا ينام وقيل دويبة يضرب بها المثل في
السير فيقال سير القطرب وأجول من قطرب واسهر من قطرب ساء بذلك
سيبويه المذكور لانه كان يسكر على باب قطرب وقيل القطرب هو ذكر السعالى صنف
كثراً كثيرة وهو اول من وضع المثلث في اللغة وبه اقتدى غيره من العلماء
ويراد بالمثلث متن اللغة وهو علم تُعرَف به مباني الالفاظ العربية اي اوضاع
المردات التي تنكلم عنها كتب اللغة المسماة بالقاموس

الصرف . وفي ايام الخليفة المشار اليه ظهر ايضاً معاذ بن مسلم الهراء شيخ
الكسائي امام الكوفيين في النحو فوضع علم الصرف وقيل بل ان من دون هذا
العلم هو ابو عثمان بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب المازني البصري المتوفي سنة
٢٤٨ للهجرة (سنة ٨٦٢ م) وهو علم تُعرَف به احكام ابناء الالفاظ المتناولة في
المعاني المختلفة

العروض . وفي ايام الخليفة المشار اليه ظهر ايضاً الخليل بن احمد بن
عمرو بن تميم الفرهمدي ويقال الفرهودي الازدي الجهمدي وكتبه ابو
عبد الرحمن وهو صاحب كتاب العين المشهور في اللغة وكان له معرفة في الايقاع
والنغم فحدث له تلك المعرفة علم العروض فانها متنازبان في المأخذ فوضع
هذا العلم الذي به يُعرَف صحيح اوزان الشعر وفاسدها وساء بالعروض لان
العروض اسم لما يُعرَض عليه الشيء فنقل الى هذا الفن لانه يعرض عليه الشعر
فاقننه فصحيح وما خالفه ففاسد وقال بعضهم انه انما سمي بالعروض لان الخليل

الْفَه في العروض وهي مكة فسماء بها تهرگا وبه يُضرب المثل في هذا الفن فيقال
أوضح للعروض من الخليل

القوافي . والخليل المذكور هو الذي وضع علم القوافي ايضاً وهو علم يبحث
عن تناسب وعيوب الاعجاز في الشعر

البديع . وفي زمن خلافة المتمد بالله العباسي كان ابن اخيه ابو العباس
عبد الله بن المعتز قد اخذ الادب عن جماعة من أكابر اهلوه الى ان صار اديباً
بليغاً شاعراً مطبوعاً متقدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد الترجمة
حسن الابداع المعاني وله ديوان شعر ومن مؤلفاته كتاب مكاتبات الاخوان
بالشعر وكتاب الزهر والرياح وكتاب الجوارح والصيد وكتاب السرقات
وكتاب اشعار الملوك وكتاب الآداب وكتاب حلى الاخبار وكتاب طبقات
الشعر وكتاب الجامع في الغناء وفيه ارجوزة في ذم الصبوح فوضع هذا الامير
كتاباً ايضاً في علم البديع وهو علم تُعرف به وجوه تحسين الكلام

المعاني والبيان . ولما ظهر الشيخ عبد القادر الجرجاني نسبة الى جرجان
مدينة بفارس صاحب كتاب دلائل الاعجاز المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة (سنة
١٠٧٨ م) في ايام خلافة المتمد بالله العباسي وكان رجلاً فاضلاً في المعارف
والآداب فوضع علمي المعاني والبيان . اما المعاني فهو علم تعرف به احوال
اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال . واما البيان فهو علم يعرف
به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضع الدلالة عليه فأكمل بها علم البلاغة
بأقي الفنون . وهكذا مع نمادي المدة سواء كان في خلال ما ذكر او بعده

عُرف ما يتصل بذلك من الفنون العديدة كعلم الاشتقاق واصول النحو
وقرض الشعر وانشاء النثر والنصاحة والمحاضرة والخط وفساطع الحروف
والاحكام المتعلقة بها وقد تعرضنا لشيء ما ذكر في كتابنا زبدة الصحائف في
اصول المعارف فاننا هناك بسطنا تفاصيل مستوفية بقدر الامكان عن كامل
ما اوردناه في هذا الفصل فليراجعه من اراد

علم الكلام . لا يخفى بانه لم يكن عند احد من المسلمين في صدر الاسلام ما يستدل به على اثبات التوحيد او النبوة فضلاً عن امور اخرى غيرها سوى القرآن ولا بحث احد منهم عن شيء من الطرق الكلامية او المسائل الفلسفية كما حدث اخيراً بعد ان شغف الخليفة المأمون العباسي بالعلوم القديمة وعرب كتب الفلاسفة الذين منذ اشتهرت كتبهم هذه بين الناس وانتشرت بعامة الامصار اقبلت اصحاب البدع من المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها والتصريح لها فانجروا من ذلك ما لا يوصف من البلاء والحنة حيث بالغ القدر في القدر فجعل العبد خالقاً لافعاله . وبالغ المجبري في مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار . وبالغ المعتزل في التنزيه فسلب عن الله سبحانه صفات الجلال . وبالغ المشبه في مقابلته حتى جعله كواحد من البشر . وبالغ المرجي في سلب العقاب . وقال المعتزلي بالتخايد في العذاب . وبالغ الناصبي في دفع علي عن الامامة . وبالغ فيه الغلاة حتى جعلوه ائمة . وبالغ السني في تقديم ابي بكر وبالغ الرافضي في تأخيرهم حتى نسبته الى الكفر فعارضت الظنون وكثرت الاوهام وبلغ كل فريق في العناد ما ساقهم الى التباغض والتفلاعن واستحلال الاموال واستباحة الدماء وانتصروا بالدول واستعانوا بالملوك وحينئذ قام ابو منصور محمد بن محمود الماتريدي امام الحنابلة في سمرقند وابو حسن علي الاشعري^(١) امام الشافعية بالبصرة وترأسا على اهل السنة والجماعة

وكان ابو الحسن الاشعري المذكور من ائمة فرقة من جملة الفرق التي ذكرناها يقال لها المعتزلة وهم الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وان المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده واكثرهم على ان الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة قد ذكرت بتفاصيلها في كتابنا

(١) اشعر قبيلة في اليمن وكان جدّه عبد الله بن قيس الشهير بابي موسى الاشعري من الصحابة

المسمى سوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان والواضع الاول لهذه الفرقة رجل يقال له واصل بن عطا كان اول من اعتزل مجلس الحسن البصري واول من تسمت جماعة المعتزلة لهذا السبب يقال بانه اخذ العلم عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وخالفه في الامامة واعتزله يدور على اربع قواعد هي اولاً نفي الصفات على ما تقدم ثانياً القول بالقدر ثالثاً القول بمنزلة بين المنزلتين رابعاً اوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة وكان لكثرة صوته يظن به الخرس توفي سنة ١٢١ للهجرة (سنة ٧٤٨ م)

ووجدت فرقة اخرى من الفرق المذكورة تضاد المعتزلة المذكورين يقال لها المشبهة او المجسمة تنقسم الى سبع فرق ايضاً ولكم كلهم بغلون في اثبات صفات التجسيم لله تعالى

فلما رجع ابو الحسن الاشعري المذكور عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة ألف كتاباً في اعتقاد اهل السنة والجماعة قال المقرئ اني ألف خمسة وخمسين كتاباً منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على اصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على اهل الافك والتضليل وكتاب الاية وكتاب تفسير القرآن قيل انه في سبعين مجلداً ثم توفي ببغداد سنة ٢٣٧ للهجرة (سنة ٩٤٨ م)

وحقيقة مذهبه انه سلك مذهباً متوسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب اهل التجسيم فانتشر مذهبه نحو سنة ٢٨٠ للهجرة (سنة ٨٩٠ م) وجملة عقيدته مذكورة بتمامها في كتابنا سوسنة سليمان المار ذكره صفحة ٢٠٩ وكان ذلك بداءة الاثبات الى علم الكلام ويسمى علم اصول الدين ايضاً ثم بعد ذلك اخذ العلماء البارعون في التأليف المعتمدة في هذا الفن وهو علم من العلوم الشرعية المدونة للبحث عن ذات الله تعالى وصفاته واحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الاسلام

قال بعض المؤلفين انهم اقتصروا بهذا العلم اثر ارسطو طاليس الفيلسوف اليوناني

الذي اخذوا عنه علم المنطق وزادوا عليه ايضاً اموراً آخر من اجتماعهم وعلى هذه الصفة اخذ الافرنج ايضاً عنهم قواعدهم واصولهم الفلسفية التي نقرأ في المدارس ببلاد اوربا ويسمونها علم الكلام السكولاستيكي (اي اللاهوت المدرسي) التاريخ . لا يخفى ان التاريخ بمعناه الحقيقي له ثلاث درجات . فالدرجة الاولى هي مجرد علم الازمنة الماضية وتاريخها فقط من غير التفات الى حوادثها وهذه الدرجة تكون اساساً الى الدرجة الثانية التي هي علم سلسلة الزمان وتاريخ اهلها وتربيتهم ونسبة زمان كل قوم ومقابلة احكامهم بوجه مجمل وهذه الدرجة تكون اساساً للدرجة الثالثة التي هي علم السير والخبار وهذه الدرجات الثلاثة يقال لكل منها تاريخ وكلها لا وجود لها في العصر الجاهلي اصلاً وانما حدثت بعد ظهور الاسلام كما يوضح ذلك من الابحاث الآتية

ان ما يروى من اخبار العرب في الجاهلية لم يُعرف زمن وقوعه بالتحقيق المدقّق الا اذا كان بعضه يُلاحظ له زمن بالتقريب من وجود قرائن له حاله كما لو كان له علاقة مع بعض الاشخاص المشهورين من شعوب اخرى غير العرب او كان مرتبطاً كذلك بحادثة من الحوادث المعروفة العهد لسائر الامم وما ذاك الا لكون العرب المذكورين لم يعرفوا ان يتخذوا لوقائعهم زمناً لحادثة من الحوادث يجعلونه اساساً لمعرفة ما يجيء بعده من وقائعهم الاخرى بالنسبة اليه حكما حصل اخيراً بعد ظهور الاسلام وانما كانوا يوقتون اوقائعهم بطلوع النجوم واوقات سنهم يمينظونها بالانواء حتى انهم كانوا يسمون الوقت الذي يجل فيه الاداء نجماً فجوازاً لان الاداء لا يُعرف وقتاً عندهم الا بواسطة ظهور النجم المعين له وكانوا يذكرون ما لهم من الوقائع بدون معرفة مقدار ما مرّ عليها من السنين كما هو الحال في كثير من الاميين في وقتنا هذا الذين يذكرون وقائع شهيرة جرت في الاعصار الخالية ولا يعرفون زمن وقوعها فيقولون مثلاً الحروب الصليبية وفتوح القسطنطينية بدون ان يعرفوا آية واقعة كانت قبل الاخرى ولا كم من السنين مرّ بعد وقوعها وهكذا كانت العرب ايضاً تشكك

بذكر بعض الحروب التي جرت بين قبائلها من غير معرفة ازمته وقوعها ولا
ايتها وقعت قبل الاخرى وانما يمزونها باضافتها اما الى اساء بعض الامكنة التي
جرت فيها كيوم الكديد مثلاً بين بني سليم وبني كنانة ويوم البلاء بين حبيير
وبني كلب واما الى اشياء آخرتناز بها كقولهم عام الفيل وبنيان الكعبة ولذلك
كان جل ما عُرِف لهم من الحوادث لا يتجاوز بدء التاريخ المسيحي لانه على ما
قبل ان كنانة احدى قبائل العرب حسبت من موت كعب المذكور والفيل خمس مئة وعشرين
عام الفيل وهو العام الذي ملك فيه النجاشي اليمن سنة ٥٢٩ م وجعل الملك
عليه ارباط ابا ابرهة الاشمر صاحب الفيل المذكور فاضافوا الواقعة الى فيلو
وقالوا عام الفيل كما ذكرنا وكان بين موت كعب المذكور والفيل خمس مئة وعشرين
سنة وكان بين الفيل والنجار^(١) اربعون سنة ثم عدوا من النجار الى وفاة هشام
ابن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام الى بنيان الكعبة فكان
تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين الهجرة خمس عشرة سنة
ومعنى الهجرة هو هجر صاحب الشريعة الاسلامية مكة وتوطئه في المدينة
وكان ذلك على ما حفته العلامة الفاضل رفاعه بك الطهطاوي يوم الجمعة
الواقع في سادس عشر قوز سنة ٦٢٢ م وقد اخنارها المسلمون بدء التاريخ كما
سبقت الاشارة الى ذلك في اول الفصل الثالث من المقالة التاسعة
وقال ابن خلدون المغربي ان تاريخ بدء الخلافة وان يكن قد عرفه

(١) النجار يوم من ايام العرب وهي اربعة فجيرة احدها كانت بين كنانة وعجر في
موضع بين مكة والطائف لانه مخطلة . والثاني بين قريش وكنانة في مكان يقال له
شبهة . والثالث بين كنانة ومضر بن معاوية في العباء . والرابع بين قريش وهوازن
في عكاظ وكان السبب في ذلك ان رجلاً يقال له البراق بن قيس الكناني قتل رجلاً
يقال له عروة الرجال فهاجمت الحرب بينهم وانما سميت قريش هذه الحرب نجار لانها كانت
في الاشهر الحرام فلما قاتلوا قاتلوا اعداء فجزنا حضرها صاحب الشريعة الاسلامية وهو ابن
عشرين سنة وفي الحديث كنت انبل على عمومي يوم النجار ورميت فيه باسم وما أحب
الي لم اكن فعلت

المسلمون اخيراً الا ان ضعف الاخبار بين منهم يعتبرونه تاريخاً لوجود آدم
الاب الاول للجنس البشري الموجود الآن على سطح الكرة وليس هو لمطلق
المخلوقات التي اسكنها الباري تعالى جلّت عظمتة فيها فهم يتبعون في ذلك آراء
بعض الحكماء القائلين بقدمية العالم والادوار ووجود عوالم آخر قبل آدم
كالخن^(١) والطم وغيرها

فاذاً بعد ان عرفنا هذا جميعه عن الدرجة الاولى التي هي اول اساس
للتاريخ وانما كانت مجهولة الاسم والرسم عند الجاهلية وانما حدثت عند العرب
بعد الاسلام فلا يلزمنا ان نبحث عن الدرجة الثانية فضلاً عن الثالثة الا في
العصر الاسلامي حيثما عرف العرب ضرورة التاريخ وفضل بهيملة ما عرفوه من
العلوم والفنون التي مارسوها من بعد ان تولّى العباسيون تحت الخلافة على ما
نقدم قال صاحب تذكرة المحكم ان التاريخ مع كونه معدوداً من العلوم العربية
لم تولّف فيه العرب الا في الازمنة الاخيرة

اما ما وصل الى المتأخرين من اخبار الجاهلية المذكورين غير ما جاءت به
الكتب الدينية فانما وصل اليهم برواية الرواة الآتي ذكرهم قال ابن خلدون
انه لم يكن للعرب كتاب لبدائعها وانما بقي من اشعارها ما ذكره رواة الاسلام
وقيدوه من محفوظ الرجال

ثم ان هؤلاء الرواة الذين كانوا يطوفون احياء العرب ويقيدون بعد
البحث لغاتهم ويطلقون عنهم الاحاديث الشائعة بينهم بالنقل الشفاهي عن البعض
من امراءهم وشجعانهم ووفائهم وعوائلهم وآدابهم وملابسهم وماكلهم وخبوهم
ومواشيهم ومعارفهم وانسابهم الى غير ذلك ما يجشوا عنه لم يمكنهم ان ينسقوا ما

(١) الخن راجع اسماء اهل العالم الروحاني في الفصل الخامس من المقالة الرابعة
وعند الدوروز هو ثاني العوالم الثلاثة التي يعتقدون بوجودها وهي عالم الجن وعالم الخن
وعالم البن وهذا الاخير هو الذي نحن منه ومن المعلوم انهم يتبعون في ذلك آراء بعض
الفلاسفة كما فيم كذبر من معتقداتهم

دونوه في طواميرهم على اسلوب التواريخ المعتادة بل وضعوا مؤلفاتهم على سبيل
مجاميع حكايات ونوادير متفرقة بل ان البعض منهم لم يكتفوا بتدوين بعض
قصص المشاهير من الشجعان بحسب ما كانت تترنم به ربما مع المبالغة تلك
القبائل التي ينسبون اليها بل زخرفوها بكل ما وصلت اليه مبالغاتهم من
التثنيات بنوع يفوق ما جرت به عادة امثالهم من اوائل المؤرخين الذين كانوا
البداية في جمع اخبار اصولهم القديمة ولذلك يقل الاعتماد عليها غالباً لكون
كثير منها يحفل على المخرافات التي معظمها خيال عن الفائدة نظير قصة عنزة
وامثالها والظاهر ان الذي حملهم على ذلك هو ما غرس في خلتهم طبعاً من
الكرم والعشق والميل الى الاستقلال والتفاخر بحيث لم تعد تفنعم في ذلك
جميع النوادير المحتلة الوقوع ومن مطالعة ترجماتهم الآتية تعلم كمية مؤلفاتهم
والطريقة التي اختاروها في تأليفها

فن الرواة المذكورين حماد الراوية وهو ابو القسم بن ميسرة بن المبارك بن
عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل وكان يضرب به المثل في الحفظ
فيقال أحفظ من حماد وكان اعلم الناس بايام العرب واخبارها واشعارها ولغاتها
وهو الذي جمع السبع الطول اي المعلقة الشعرية التي مر ذكرها في الفصل
الثالث من المقالة السادسة ويقال ان ملوك بني أمية كانت تقدمه وتورثه
وتستزيره وكان يناديهم ويجزلون صلته الا انه كان غير ثقة في نقله فكان يريد
في الاشعار ما ليس منها ويقال انه كان بالكوفة ثلاثة ائصار لم الحمادون
وهم حماد هذا وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب ويتناشدون
الاشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكانوا يرمون بالزندقة جميعاً توفي حماد
الراوية سنة ١٥٥ للهجرة (سنة ٧٧١ م)

ومنهم ابو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الطائي الثعالبي المجتري الكوفي كان
راوية اخبارياً ويرى رأي الخوارج ومن مؤلفاته كتاب المثالب وكتاب العرين
وكتاب بيوتات العرب وكتاب بيوتات قريش وكتاب هبوط آدم وافتراق

العرب ونزولها ومنازلها وكتاب نزول العرب بخرسان والسواد وكتاب نسب
 طي وكتاب مديح اهل الشام وتاريخ العجم ونبى أمية وكتاب من تزوج من
 الموالي من العرب وكتاب الوفود وكتاب خطط الكوفة وكتاب تاريخ الاشراف
 الكبير وكتاب تاريخ الاشراف الصغير وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب
 كنى الاشراف وكتاب خواتم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب
 المواسم وكتاب الخوارج وكتاب النوادر وكتاب التاريخ على السنين وكتاب
 اخبار الحسن بن علي بن ابي طالب وكتاب اخبار الفرس وكتاب عمال
 الشرط^(١) لامراء العراق وغير ذلك توفي سنة ٢٠٧ للهجرة (سنة ٨٢٢ م)
 ومنهم الاصمعي وهو ابو سعيد عبد الملك بن قريش بن عاصم بن عبد الملك
 ابن اصمعي بن مظهر بن رياح بن عمر بن عبد الله الباهلي نسبة الى باهلة قبيلة من
 قبائل العرب توصف بالخصاسة ولذلك يقول بعض الشعراء

او قبل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لوم ذاك النسب

كان في عصر الخليفة هرون الرشيد وولده المأمون وكان قبيح المنظر
 للغاية ألّف على ما قبل نحو مئتي مجلد جمع فيها روايات العرب واحاديثها
 فضرب به المثل في سعة الرواية وكثرة الحكايات والنوادر فيقال اروي من
 الاصمعي ومن مؤلفاته كتاب خلق الانسان وكتاب الاجناس وكتاب الانواء
 وكتاب الهبزة وكتاب المنصور والمدود وكتاب الفرق وكتاب الصفات
 وكتاب الاثواب وكتاب الميسر والقيد وكتاب خلق الفرس وكتاب الخيل
 وكتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب الاخوية وكتاب الوحوش وكتاب فعل
 وافعل وكتاب الامثال وكتاب الاضداد وكتاب الالفاظ وكتاب السلاح
 وكتاب اللغات وكتاب مياه العرب وكتاب النوادر وكتاب اصول الكلام

(١) الشرط هم اعيان الوالي واحد شرطي ويقال له في ايامنا هذه ضابطي نسبة
 الى الضابطة اي الحكومة

وكتاب القلب والابدال وكتاب جزيرة العرب وكتاب الاشتقاق وكتاب معاني الشعر وكتاب المصادر وكتاب الارجيز وكتاب النخلة وكتاب النبات وكتاب ما انفق لفظه واختلف معناه وكتاب غريب الحديث وكتاب نوارد الاعراب وغير ذلك توفي سنة ٢١٧ للهجرة (سنة ٨٣٢ م)

ومنهم ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري النحوي وهو اول من فسر الغريب (اي البعيد عن الفهم من اللغة والمعاني) قال الجاحظ لم يكن في خارجي ولا جاعي اعلم بجميع العلوم منه وكان من الشعوية يرى رأي الخوارج وتغنى آلف مدخول النسب مدخول الدين وكان لا يقبل شهادته احد من الحكماء وكان طويل الاظفار والشعر ابداً وينضب من لقب اي عبيدة لانه من اسماء اليهود ولقب به تعريضاً بان جدّه يهودي وكان يفيض العرب آلف في مثالبها وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني ان طلبه العلم كانوا اذا اتوا مجلس الاصعي اشتروا الدرّ في سوق البعر لانه كان يحسن عند القبح وان الفائدة مع ذلك قليلة وان ابا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمّة وهو اول من دون العربية على ما سبقت الاشارة اليه في الكلام على اللغة وتصانيفه تقرب المثبتين منها كتاب مجاز القرآن وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وكتاب خرسات وكتاب خوارج الجرب واليامة وكتاب الموالى وكتاب البله وكتاب الضمفان وكتاب مرج راهط وكتاب المناقرات وكتاب القبائل وكتاب خبر البراض (١) وكتاب الفرائن وكتاب البازي وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب النوايح وكتاب النواشر وكتاب حضر الخيل وكتاب الاعيان وكتاب بيان باهلة وكتاب ايادي الازد وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الانسان وكتاب الزرع وكتاب الرجل وكتاب الدلو وكتاب البكرة وكتاب السرج

(١) البراض من يلف ماله كله آكله ج براض

وكتاب اللجام وكتاب الفرس وكتاب السيف وكتاب الشوارد وكتاب
 الاحتمال وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب مقاتل الاشراف وكتاب الشعر
 والشعراء وكتاب فعل وافعل وكتاب المثالب وكتاب خلق الانسان وكتاب
 الفرق وكتاب الخف وكتاب مكة والحرم وكتاب الجمل وصفين وكتاب
 بيوتات العرب وكتاب اللغات وكتاب الغارات وكتاب المعانيات وكتاب
 الملاومات وكتاب الاصداد وكتاب مآثر العرب وكتاب مآثر غطفان وكتاب
 ادعية العرب وكتاب مقبل عثمان وكتاب اسماء الخيل وكتاب الفقه وكتاب
 قضاة البصرة وكتاب فتوح الاموار وكتاب فتوح ارمينية وكتاب لصوص
 العرب وكتاب اخبار الحجاج وكتاب قصة الكعبة وكتاب الخمس من فريش
 وكتاب فضائل الفرس وكتاب ما ظن في العامة وكتاب السواد وفتح وكتاب
 من شكر من العمال وحيبر وكتاب الجمع والثنية وكتاب الؤس والخروج
 وكتاب محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن وكتاب الايام الصغير وكتاب
 الايام الكبير وكتاب ايام بني مازن واخبارهم وغير ذلك مات بالبصرة سنة
 ٢١٨ للهجرة (سنة ٨٢٣ م)

ومنهم ابو الفرج الاصبهاني علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن محمد بن
 احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وجده
 مروان المذكور آخر خلفاء بني أمية وهو اصبهاني الاصل بغلادي المنشأ كان
 شديد العناية باخبار العرب وهو صاحب كتاب الاغانى الذي وقع الاتفاق
 بانه لم يكتب مثله في بابو كان في ايام سيف الدولة ابن حيمان وكان يحفظ من
 الشعر والاغانى والاخبار والاثر والاحاديث المسندة والنسب واللغة والنحو
 والخرافات والسير والمغازي ومن آله المنادمة مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف
 من النجوم والطب والاشربة وله شعر يجمع اثنان العلماء واحسان الظراف
 والشعراء من تصانيفه ايضا كتاب القيان وكتاب الامام الشعراء وكتاب
 المرات وكتاب دعو التجار وكتاب مجرد الاغانى وكتاب جملة البرمكي

ومقاتل الطالبين وكتاب الحانات وآداب الغرباء وكتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الذي سبق ذكره في الفصل الثالث من المقالة الثامنة وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب وامثالها وكتاب جهرة النسب وكتاب نسب بني شيبان (احدى امهات القبائل الاربع وهم عرب العراق) وكتاب نسب المالبة الذين كانوا وزراء بني أمية وقد مر ذكرهم في الفصل الاول من المقالة السادسة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغير ذلك توفي سنة ٢٥٦ للهجرة (سنة ٩٦٦ م)

الفصل الثاني

في فن التطريب المعروف بالموسيقى

قال ابن خلدون المغربي ان الغناء لا يحدث الا في العمران متى تقرر وجاوز الحد الضروري الى الحاجي ثم الى الكالي وصناعته لا يستدعيها الا من فرغ من حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم ولذلك لم يكن للعرب اولا الا فن الشعر يولفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا يعطف على الآخر ويسمونه البيت فنلهم الطبع بالتجزئة اولا ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهجوا به فامتاز

من بين كلامهم مجتزأ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لاختبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكماتهم لقرائهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمرؤا على ذلك مع ان هذا التناسب الذي هو من اجل الاجزاء والمتحرك والسكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات الموسيقية كما يعرف ذلك من كتب الموسيقى الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم لم يتخلوا علما ولا عرفوا صناعة ثم تغنى الحداة منهم في حناء ابهم والتبيان في فضاء خلقتهم فرجعوا الاصوات وترغوا اه. وقال آخرون بان للعرب في الجاهلية لحن آخر ارق من الحناء يفتنون به يعرف عند اهل الموسيقى بالسلمك ويسمى تصب العرب

وكانوا يسمون الترم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالنهليل وانواع القراءة تغييرا بالذين المعجمة والباء الموحدة وعلما ابو اسحق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهو الباقي اي باحوال الآخرة وزمما ناسبا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق في آخر كتاب العدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويشي في الدف والمزمار فيطرب ويستغف الحلقوم وكانوا يسمون هذا المزمار وهذا البسيط كلمة من التلاحين الذي هو من اولئها ولا يبعد ان تنطق له الطبايع من غير تعليم وكانت آلات طربهم الطبول والمزامير ولا زال ذلك مستعملا عند عرب المغاربة وتغنى عندهم البنات على صوت

وكانوا يضربون المثل بحسن الصوت في رجل يقال له بديع كان حسن الصوت في الجاهلية ورجل آخر يقال له جديمة بن سعد الخزاعي واطلقوا عليه اسم المصطلق لحسن صوته وشدة

ويقال ان اول من غنى في العرب فينتان النعمان يقال لها الجراداتان على ما رواه الشيخ ناصيف اليازجي في كتابه مجمع البحرين ولكن الميداني يقول في مجمع الامثال ان العرب تقول في امثالها نحن من جرادتين وهما فينتان

لماوية بن بكر العلافني سيد العالفة الذين كانوا نازليين بمكة في قديم الزمان واسمها يُعاد ويُعاد وفي حاشية الشهاب على القاضي البيضاوي في سورة الاعراب كان اسم احدهما وردة والاخرى جرادة فقل لهما جرادتان على التغليب وفي كتاب الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ان الجرادتين كانتا لعبد الله بن جدهان تغنيان في الجاهلية سماهما بجرادتي عاد ووهبها لامية بن ابي الصلت الثقفي

ثم لما جاء الاسلام واستولت العرب على الممالك وصاروا الى نصارة العيش ورقة الحاشية وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب غنوا جميعاً بالعبدان والطناير والمعارف والمزامير ومع العرب تلحينهم للاصوات فحَبَّبوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حاجر مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب وتحنوه واجادوا فيه ثم اخذ عنهم معبد المغني وطبقته وابن سريج ونظائره وما زالت صناعة الغناء تدرج الى ان تكملت في ايام بني العباس عند ابراهيم المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه المحدث بعده وبنو بجالة لهذا العهد عنهم اتصلت ببلاد المغرب

وانتخذت آلات الرقص في الملبس والفضبان والاشعار التي بها يترنم عابو وجعل صنداً وحلة وانتخذت آلات اخرى للرقص تسمى الكرج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها اهتطاء الخيل فيكرونها ويغنون ويثاقفون وامثال ذلك من اللعب المحدث للولائم

الفصل الثالث

في انتباه العرب لطلب العلوم الفلسفية بعد الاسلام

قبل ان نتكلم على انتباه العرب للعلوم والفنون وغير ذلك من المعارف وخاصة الفلسفة وما زينوا به اخيراً تلك الانتصارات الفاخرة لاسيا في زمن الخلفاء العباسيين بالمشرق والامويين بالمغرب ينبغي ان نذكر ما وقع من هولاء الفاتحين الباسلين من الاضرار التي اصابته معارف تلك البلاد وعلومها والآثار القديمة التي كانت تعلّى بها في عصر اسلافهم نظراً لجهلهم بها وعدم معرفتهم منفعتها وفوائدها

قال بعض المؤلفين انه متى صرفنا النظر عن فوائد التجارة التي اكتسبتها هذه البلاد بعد الفتح والتفتنا الى ما علاها من الامور التي جرت في اقسام الارض التي داسها العرب من اسيا وافريقية واوربا وما فعلوه من الفظائع نجد انه لا شيء يقدر ان يعزّي تلك البلاد عما خسرت من النصف الجبيلة والدخائر النفيسة التي نلفت بحريق المدن مع المكاتب العظيمة وهدم الابنية والآثار القديمة وكسر التماثيل البديعة التي كانت زينة للبلاد وغير ذلك من الامور التي يتأسف منها كثيراً المولعون في النفائس والغرائب ولا يمكن تعويضها بشيء من الاشياء هذا علا عن القتل والنهب والسبي والسلب وقد اقام هولاء الفاتحون نحو قرن ونصف من الزمان في حروب خارجية وداخية غير ملتفتين لشيء من المعارف والفنون بل ابادوها بالكلمة حتى انهم عند ما انتبهوا اليها اخيراً وارادوا ممارستها لم يجدوا لها اثرًا في ما حكمهم التي كانت في ما سلف مصدرًا لها فاحتاجوا ان يطلبوها من بلاد اليونان وغيرها

وكانت النكبة الاولى التي حلت بالمكتاب في حريق مكتبة الاسكندرية التي حرقها عمرو بن العاص بأمر الامام عمر بن الخطاب على ما رواه مترجم^(١) تاريخ القرون الوسطى نقلاً عن ابي الفداء (مجلد ١ صفحة ١٥١) وقد تأسف ابن خلدون المغربي ايضاً على علوم النرس التي امر بهجومها عثمان بن عفان اما المكتاب التي كانت باقية في انطاكية وبيروت وقبصرية فانها اندرست بهجرد رؤيتها الى اعلام المسلمين ومكتاب دمشق خربها يزيد بن عبد الملك الاموي سنة ١٠١ للهجرة (سنة ٧١٩ م)

وكذلك تأسف ابن خلدون المذكور على ما كان عزم عليه هرون الرشيد العباسي من خراب ايوان كسرى الذي كان بناه على ما حکاه مؤرخو العرب ساهور ذو الاكتاف وقال انه لما شرع الرشيد المشار اليه في ذلك ادركه العجز وكان استشار عنه يحيى بن خالد البرمكي وهو في محبس فنهاه عنه وقال لا تفعل يا امير المؤمنين واتركه مائلاً يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك من اهل ذلك الهيكل. فاتهمه الرشيد وظن بان اخذته النعرة العجم وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له النفوس وحجاء بالنار وصب عليه الخلل حتى ادركه العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشير ثانياً في التجافي عن الهدم فقال لا تفعل يا امير المؤمنين واستمر على ذلك لئلا يقال بانك عجزت عن هدم مصنع من مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن هدمه وليس ذلك بالعجب من كون المأمون العباسي ابن الرشيد المشار اليه الذي كان مولعاً بالفلسفة وعلوم الامثال اراد هدم الاهرام الشهيرة بمصر وجمع النعلة لهدمها فلم يجل بطائل قال ابن خلدون وشرعوا في تقيف فانتهوا الى جوف بين الحائط الظاهر وما بعده من المحيطان وهو الى اليوم في ما يقال منفذ ظاهر

(١) مترجم هذا الكتاب المطبوع في مصر هو رفاعة بك الطمطاوي الشهير والفصل المدرجة به هذه الجملة هو المترجم المسمى اليه ووضعه في هذا الكتاب عوضاً عن فصل المؤلف الاصل انكره عليه فالغاه ووضع هذا الفصل من كلامه هو نفسه بدلاً عنه

وقال المقريري أيضاً لو أمكن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي الذي استغل ملك مصر بعد أبيه أن يزيل هذه الأهرام ويحوي أثرها لما تأخر عن ذلك فإنه ابتداءً يهدم الصغير منها ولا زال إلى أن نفذت النفقات وتضاعف النصب ووهت عزائم العملة وكفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم وبنوا عن عجز وفشل

وكانت العامة أيضاً تتلف الآثار والأبنية إما طمعا في وجود الدفائن والخبيا كما فعل الوليد الأموي في منارة فاروس بالاسكندرية أو لازالة ما ينكرون عليه كالهياكل والصور والأوثان نظير ما فعل رجل يقال له الشيخ محمد صائم الدهر الذي كان موجوداً في آخر القرن الثامن للهجرة والرابع عشر الميلاد فإنه شوه وجه الصنم الكائن بالقرب الأهرام المذكورة ويسمونه أبا الهول أو لاستعمال موادها في شيء آخر نظير ما فعل الأمير بلاط مصر سنة ٧١١ للهجرة (١٢١١ م) بكسر الصنم المعروف بالسرية وقطعه اعتاباً وقواعد للعد الصوان التي يجامع الجديد المعروف بالناصري

وإس انهم كانوا يفعلون ذلك في الآثار القديمة المختلفة عن غير العرب فقط بل في كل التعلبات التي وقعت في دولهم الجديدة كانوا يهدمون ويحرقون ويحسون آثار بعضهم بعضاً قال المقريري وهما شأن الملوك ما زالوا يطمسون آثار من قبلهم ويقيمون ذكر أعلامهم فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون وكذلك كانوا في أيام العجم وفي جاهلية العرب وهم على ذلك إلى أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان الذي مر ذكره في الفصل الأول من المقالة الخامسة وهدم الآطام التي كانت بالمدينة وهدم زياد بن أبي كل قصر ومصنع كان لابن عامر في مصر وهدم بنو العباس مدن الشام لبني مروان

وقال ابن خلدون المغربي ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب لانهم امة وحشية باستحكام عوائد الوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقاً اوجبة وكان عندهم ملذوذاً لما فيه من الخروج عن رتبة الحكم فغاية الاحوال

العادية عندهم الرحلة والتغلب واما الحجر فانما حاجتهم اليه لنصب آثافي للقدر
 فينقلونه من المباني ويحربونها عليه والخشب ليعمروا به بيوتهم فيخربون السقف
 عليه فلذلك صارت طبيعة وجودهم منافية للنساء وإذا تم اقتلارهم على ذلك
 بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخراب العمران فلا
 يرون لأعمال اهل الصنائع والحرف قبة ولا قسماً من الاجر والثمن فهم
 متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه
 او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى الكره فيتعدد المحكام منهم والامراء وتختلف
 الايادي على البلاد فيفسد العمران وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان
 من لدن الخليفة كيف نفوس عمرانه وافتر ساكنة فالين قرارهم في خراب الا
 قليلاً من الامصار وعراق العرب الذي كانت للفرس اجمع قد خرب عمرانه
 والشام لهذا العهد وكذلك افريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم
 منذ اول المئة الخامسة (القرن الثاني عشر الميلاد) قد لحقت بها وعادت
 بساطة خراباً كلها بعد ان كان كله عمراناً

فبناء على ما ذكر جميعه يلزمنا ان نبحث هنا عن السبب الذي يقبله
 العقل في طلب قوم كالعرب المذكورين الذين هذه الصفات صفاتهم للعلوم
 والفنون والرغبة الزائدة في الفلسفة القديمة كما ينضج ذلك من الفصل الآتي
 والذي يظهر لنا بانه لا سبب لذلك يمكن ان نعتبره وجيباً الا رغبتهم الزائدة
 في معرفة مستقبل احوالهم التي منذ زمن بجاهليتهم يظنون كل الظن بانها تحصل
 لهم جيداً من اتقان علم الفلك لانهم كانوا يعتقدون في انواء المنازل اعتقاد
 المتجهين في السيارات على ما سبقت الاشارة اليه في الكلام على الصناعة من
 الفصل الرابع من المقالة الرابعة في المداك الغيبية واخيراً أيد لهم ذلك كل التأيد
 الاطباء الذين استقدموهم منذ ظهور الاسلام من الروم والفرس وغيرهم كما
 ينضج ذلك مما يأتي وبهذه الوسطة اساقوا الى طلب كل العلوم والمعارف
 الفلسفية لانهم اقنعوهم بما كانوا يعتقدونه وهو الممول عليه عندهم بانه لا يتناقض

لإنسان ان يكون طبيباً ما لم يكن مجتهداً ولا مجتهداً حاذقاً إلا اذا كان فيلسوفاً
ويبرهن لنا صحة ما قلناه ان الخلفاء العباسيين لم يطلبوا شيئاً من العلوم ولا
ترجموا كتاباً من كتب الاعاجم قبل ان ترجموا كتاب سند هند الكبير للخليفة
ابي جعفر المنصور العباسي كما سوف يأتي الكلام على ذلك في محله وهكذا الخليفة
المأمون الذي هو اول من ادخل العلوم المذكورة بين الاسلام لم يتقن علماً من
هذه العلوم الا علم الفلك

ومن ثم عرفت العرب قدر الكتب القديمة وغداوا عما كانوا اعتادوه من
حرق المكتبات في البلاد التي كانوا يفتحونها وابدلوا الازدراء بها بالالتفات
اليها والحفاظ عليها الى ان صارت عندهم من اعظم الغنائم التي يفتنون بها
ملوكهم فينقلونها الى عواصم بلادهم

وكانت بداية هذا الفعل الحميد في زمن الخليفة هرون الرشيد خامس
الخلفاء العباسيين المشار اليهم فان هذا الخليفة ابدى في العلم رغبة فائقة قال
بعض المؤلفين انه كان لا يخرج الا في مئة من العلماء ورفع منار المعارف في
بلادهم وقرب اليه اهلها ووضع لهم احكاماً حسنة كوجوب اقامة مكتب يجيب
كل جامع فسرى العلم في ملكته وبدل روح اهلها واستمالهم الى الحضارة

الفصل الرابع

في جمع الكتب القديمة وترجمتها

وكان لما افتتح الخليفة هرون الرشيد المقدم ذكره مدينة انقرة وجد بها جنداً كثيراً من الكتب التي كانت محفوظة في خزائنها فاحضروها الى بغداد ومن ثم امر هذا الخليفة يوحنا بن ماسويه طبيباً وسوف يأتي ذكره في الكلام على الطب ان يترجمها الى اللسان العربي فترجم أكثرها وكان جعفر البرمكي وزير هذا الخليفة وجاعة من اهل بيتو يعنون ايضاً بترجمتها اعتناء زائداً فقال فيهم بعض الشعراء

اولاد يحيى اربع كاربع الطبائع
فهم اذا اخبرتهم طبائع الصنائع

ومع ذلك لم يبلغ هذا الخليفة ولا غيره ممن اتى بعده درجة ابنه الخليفة عبد الله المأمون الذي مر ذكره لانه هذا الامير الذي اشتهر بكثير من المعارف والعلوم كان أكثر رغبة ممن تقدمه في طلب الفلسفة وكان يكرم العلماء واصحاب المعارف ويجمعهم من كل جهة ليزيت بهم دار سلطنته ويعتني بكل جهده في ترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية قال بعض المؤلفين ان في ايام خلافة هذا الخليفة زهت العلوم واينعت حقائق المعارف فبعث العلماء الى الاقطار وجمع من كتب اليونان كل ما طالت يده اليه ثم استخلص نقاوتها وامر بترجمتها وتوزيعها على اهل بلاده وشغف بالعلم كل ايامه ولم يكن يجالس

الآ العلماء ولم يأل جهداً عن جمعهم اليه وقال آخرون انه بذل الى ثاوفيلس
قيصر القسطنطينية مئة وزنة من الذهب على ان يبعث اليه بلالون الرياضي
الشهير فاني واغظله في الجواب بما معناه لا يلبق بنا ان نبذل اهل العلم الى
قوم متبررين لكن صاحب تذكرة الحكم يقول غير ذلك وترجمة ما قاله هو ان
المأمون ارسل رسولا الى ملك الروم بهلانيا ونحف جزيلة وطلب منه ان يبعث
له بكتب الفلاسفة التي كانت موجودة وقتئذ بمكتبة ائينا قسبة اليونان فبعث
بها اليه فاهتم بترجمتها الى العربية . واقتنى اثره في هذه الهبة بعض الخلفاء من
بعده وزادت رغبة الناس في هذه الكتب وجئت في مطالعتها وتعلمها فكثرت
العلوم الفلسفية واشتهرت اشتهاً عظيماً

قال ابن خلدون المغربي لم يصل الى العرب من علوم الفرس والكلدانيين
واهل بابل والقطب شيئا وانما وصل اليهم علوم امية واحدة وهي اليونان خاصة
لكلف المأمون باخراجها من لغتهم واقتنائه على ذلك بكثرة المترجمين وبذل
الاموال فيها

وذكر ابو معشر البلخي في بعض مؤلفاته ان عدة المترجمين في التراجم اربعة
اشخاص احدهم حنين بن اسحق العبادي وكان طبيب الخليفة المأمون المشار اليه
وسمائي ذكره مع الاطباء وكان عارفاً باللغة اليونانية وماهراً في العربية ايضاً اخذ
العربية عن الخليل بن احمد فلما قدم الى بغداد في ايام المأمون امره فترجم له
عدة من الكتب منها كتاب افليدس الذي نفخه وهذبه ثابت بن قرة الحراني
الآتي ذكره وكتاب المجسطي واكثر كتب الحكماء والاطباء وكان اشد الجاعة
اعناء بتعريب هذه الكتب

والثاني يعقوب بن اسحق الكندي احد المتبحرين وهو فيلسوف من فلاسفة
المسلمين تحلت دولة المعتصم به ومؤلفاته وسوف يأتي ذكره

والثالث ابو الحسن ثابت بن قرة بن هرون ويقال زهرون بن ثابت بن
كرايا بن مارينوس بن مالاجريوس الحاسب الحكيم الحراني نسبة الى حران

مدينة في بلاد الجزيرة وكان الغالب عليه الفلسفة وله تأليف كثيرة في فنون من العلم مقلد عشرين تأليفاً واخذ كتاب اقليدس الذي عربيته حين فقهه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجلاً على ما تقدم وكان صائياً المذهب قبل انه كتب رسالة في الصابئين فطُرد من بلادهم فلجأه محمد بن موسى بن شاكر الآتي ذكره وهو راجعاً في ما جمعه من الكتب من بلاد الروم فجاءه إلى بغداد فادخله الخليفة في جملة المحبين وسوف يأتي ذكره في الكلام على علم الهيئة توفي سنة ٢٨٨ الهجرة (سنة ١٩٠٠ م)

والرابع علم بن فرجان الطبري لكن ترجمة حين المار ذكره دونهم جميعاً هي أوضح وعباراتها احسن واصح وقد اهتم حين المذكور بترجمة وتلخيص وتبويب كتب ابقراط وجالينوس وتهذيبها

وكان حين هذا ابن يقال له اسحق يلحق بابيه في الفيل وفي معرفته باللغات وفصاحتها فيها وكان يعرب كتب الحكمة كما كان يفعل ابوه الا ان الذي وجد في كتب الحكمة من كلام ارسططاليس وغيره اكثر مما يوجد في تعريبه لكتبه اطلب توفي سنة ٢٩٩ للهجرة (سنة ٩١١ م) في ايام خلافة المتتدر بالله

ويعلم من روايات بعض المؤلفين اسما بعض الكتب التي ترجمها المترجمون المذكورون من كتب فلاسفة اليونانيين وعلمائهم في ذلك الزمان وقبلها العرب وهي

مؤلفات فيثاغورس في الارثيماطي وعلم الموسيقى وغير ذلك من العلوم الرياضية

ومؤلفات افلاطون وممن كتب في النفس وكتاب السياسة المدنية وطيموس البرهان في ترتيب العوالم الثلاث العقلية وهي عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وطيموس الطبيعي في تركيب العالم الطبيعي وهذان الكتابان كان علمهما هذا الفيلسوف الى تلميذه له اسمه طيموس فسماها باسمه ومؤلفات ارسططاليس في المنطق والاشكال الذين جعلهم آلة للعلوم

النظرية وكتاب المخطوط وكتاب الخيل وكتاب الكون والفساد وكتاب
العالم والسماء وكتاب سمع الكيان وكتاب الآثار العلوية وكتاب الحيوان
وكتاب النبات وكتاب المحس وكتاب النفس وكتاب الصحة والسقم وكتاب
الشباب والهرم وكتاب في السياسة من جملة ما قاله فيه هذه الدائرة المشهورة
وهي العالم بستان سياجه الدولة . الدولة سلطان تحي به السنة . السنة سياسة
يسوسها الملك . الملك نظام يعضده المجند . المجند اعوان يكفلهم المال . المال
رزق تجمعها الرعية . الرعية عبيد يكتنفهم العدل . العدل مألوف وبه قوام
العالم ثم ترجع الى الاول فتقول العالم بستان سياجه الدولة
ومؤلفات ابقراط ومنها كتاب الفصول ومقدمة المعرفة وكتاب اقيديما
وكتاب ماء الشعر وكتاب الجنين وغير ذلك
ومؤلفات جالينوس قالوا انها تتجاوز المئة
ومؤلف ديسقوريدس في الادوية
ومؤلفات افلاطون صاحب الهندسة ومنها كتاب المدخل وكتاب
الازكان وكتاب المسبع وكتاب مساحة الدائرة وكتاب الاكرة والاسطوانة
والمحروط وغير ذلك
وكتب بطليموس الذي كان فيلسوفا واستادا في مدرسة الاسكندرية ونبغ
في القرن الثاني بعد الميلاد في زمن اندريانوس احد قياصرة الروم وكان
بارعا في معرفة النجوم والعلوم الفلكية وله تصانيف كثيرة منها كتاب المناط
وكتاب المقالات الاربعة في احكام النجوم وكتاب الموسيقى وكتاب الانواء وكتاب
القانون والجسطي المشهور وهو كتاب مطول في الهيئة ومعنى الجسطي الاعظم
وكان شرحه الفضل بن حاتم التبريزي ثم اخصره محمد بن جابر الشيباني
ذكروا انه ثلاث مجلدات احدثهم في علم الهيئة وحركات النجوم والثاني
لارسططاليس في صناعة المطق والثالث كتاب سيبويه البصري وهو جامع
لجميع قواعد النحو

وبينا كان العرب مشغولون في الشرق بترجمة هذه الكتب لم ينتهوا القرن الثالث من الهجرة أوائل القرن العاشر من الميلاد حتى سرّت هذه الرغبة الى العرب في بلاد المغرب ايضاً واخذ عبد الرحمن الآخر الملقب بالناصر بعد ان تولى مملكة الاندلس يبذل جهدهُ بجعل مدينة قرطبة عاصمة بلاده شبيهة بمدينة بغداد مركزاً للخلافة وداراً للعلوم وطلب من رومانس قيصر القسطنطيني رجالاً يعلم له عبيداً ليكونوا مترجمين عندهُ فارسل له راهباً يسّمي نقولا ثم بعث الى افريقية وبلاد فارس ومصر وبلاد العرب بمن يشتري له الكتب او يستنسخها اذا لم ينهها له ابتياعها وكتب بنفسه الى مؤلفي زمانه يطلب منهم كتبهم واجازهم عليها خيرا الجزاء حتى جمع على ما يقال اربع مئة الف مجلد اوست مئة الف على قول البعض وكان شديد العناية باجازة العلماء ومكتبته ولا زال يبحث عن العلوم والفنون وتقدمها ووسائل انتشارها في بلاده الى ان حصل على ما اراده من ذلك مدة خلافته التي استغرقت نحو خمسين سنة

قال بعض المؤلّفين لما فتح العرب الاندلس تولوا عشرون والياً كان يقيم خلفاء دمشق او عمّالهم بافريقية من غير موارثة ولم يتجاوزوا في السمة لئلا يامروا وقصوا في الحرب جلّ زمانهم وان يكن بعضهم عنوا بترقية اسباب الرفاهة كالسمع بن مالك الخولاني فانه كان عالماً بطريق الفلاحة والسقي على اصطلاح اهل مصر واشور وغيرها من بلاد المشرق وكتب للخليفة كتاباً يديعاً مستوفياً وصف الاندلس وذكر فيه تدير تربية غلاتها وتعيم فوائدها استعمالها لكن لم تصف محاسن راحة البلاد ولم تبلغ الاندلس زهوتها الا في زمان دولة بني أمية الذين اول من تسمّى منهم خليفة وتلقب بامير المؤمنين على ما سبق ايضا في الفصل الاول من المقالة الخامسة وادخل الى بلاد علوم الاقدمين التي نحن بصدها هو الامير عبد الرحمن الناصر المذكور

والظاهر ان العرب عندما شرعوا في ترجمة هذه الكتب اليونانية ومؤلّفات العلوم الفلسفية وجدوا العلوم الادبية القديمة غير حساسة فلم تعجبهم شعرا مدينة

اثنينا ولا رومية وكذلك لما كان من طبيعتهم ان لا تتمهم الامور المتعلقة بغيرهم فلم
يلتفتوا الى مورخوها بل اعترفوا بخباية فلاسفتها فقط ولذلك اهلوا ما آلفه
هوميروس وفيرجيل من الاشعار والآداب ولم يترجوا الى لغتهم سوى تأليف
اشهر الفلاسفة اليونانيين على ما تقدم

وكانت اصحاب البدع المتحددة من فرق الشيع الاسلامية المتعددة آخذة
وقنفذ في تشنيت عصابة بعضهم بعضاً وتفریق قوة الأمة فمن ثم بردت هممتها
وهجعت شدتها عن ان تفي بما كان قائماً في ذهنها من ان تقنق عن وجه الارض
كل من خالف ديانتها بل انكبوا جميعاً على مطالعة هذه الكتب والنظر بما فيها
في كل من خلافتي بغداد والاندلس ليتبينوا بواسطة العلوم الموجودة فيها من
مقاومة بعضهم بعضاً قال ابن خلدون ان البلاد التي ذخرت فيها بحجار العلم هي
بغداد وقرطبة والقروان والبصرة والكوفة

فلما طام بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية وعم ذلك كل اقطارها
وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم انتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجلدها وملئت
بها القصور والخزائن الملكية بما لا كفاة له وتنافس اهل الاقطار في ذلك
وتناغوا فيه

وكانوا يطوفون المدن والبلاد الاجبية للبحث عن الكتب اليونانية وجمعها
كما فعل الافرنج اخيراً في الكتب العربية وغيرها فقد حكى ابن خلكان ان
ابا عبد الله محمد واخويه احمد والحسن اولاد موسى بن شاذلي (هم ثلاثة اخوة
ينسب اليهم جبل موسى اظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم
الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل ولهم في الحيل كتاب
عجيب نادر يشتمل على كل غريبة وهو مجلد واحد) كانت لهم همة عالية في
تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل واتبعوا انفسهم في شأنها فانفذوا الى بلاد
الروم من اخرجها لهم واحضروا النقلة من الاصفاع الشاسعة والاماكن البعيدة
بالذل السني توفي محمد المذكور سنة ٣٥٩ للهجرة (سنة ٨٧٢ م)

واحد بن يوسف السليكي انمازي وزير لابي نصير احمد بن مروان الكردي صاحب تاريخ ميفارقين وديار بكر ترسل الى القسطنطينية مراراً وجمع كتباً كثيرة اوقفها على جامع ميفارقين وجامع امد توفى سنة ٤٣٧ للهجرة (سنة ١٠٤٥ م)

وبالغت كثرة الكتب عند الاهل من العرب فضلاً عن الخزائن الملكية والمدارس الشهيرة هذا المقدار حتى انه اعجزهم حمله في رحلاتهم ولئن كان في ما ذكروه رائحة المبالغة فقد حكى ابو الفرج الاصفهاني ان الاصمعي سأل ابن ابراهيم الموصللي وكان خرج مع الرشيد الى الرقة هل حملت معك شيئاً من كتبك قال نعم حملت منها ما خفت حمله فقال كم . قال ثمانية عشر صندوقاً فقال هلما وقد خففت فلو ثقأت كم كنت تحمل فقال اضعافها

ويحكى ايضاً عن صاحب ابي القسم اسماعيل بن ابي الحسن بن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني بانه اعتذر الى نوح بن منصور احد ملوك بني سامان وكان استدعاه ليفوض اليه وزارته بانه يحتاج الى اربع مئة رجل لاجل نقل كتبه خاصة توفي سنة ٣٨٥ للهجرة (سنة ٩٩٥ م)

فاذن اذا كانت هذه حالة القوم من طلبه العلم وراغبوه فلا غرابة في ما قيل عن الاندلس بانها اصبحت في ختام القرن الحادي عشر (مبادئ القرن الخامس للهجرة) ذات سبعين مكتبة مشحونة بكتب اهلها

قال صاحب المنتطف لم يكن العلم محصوراً في الخاصة من العرب بل كانت عامتهم على جانب عظيم من محبة المعارف ولو لم يحصلوها قال ابن سعيد في بعض كلامه عن قرطبة انها كانت اكثر بلاد الاندلس كتباً واشد الناس اعناء بخزائن الكتب حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحصل في ان تكون عنده خزانة كتب في بيته ويتخفب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس عند احده غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفريه . وحكي غيره بانه جرت مناظرة بين

ابن رشد وابن زهر (وكلاهما من فلاسفة العرب الآتي ذكرهم) فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما نقول غير انه اذا مات عالم باشيوية فأريد بيع كتبه حُمِلت الى قرطبة حتى تباع فيها

—*—

الفصل الخامس

في العلوم التي مارستها العرب عن اليونان

وكان العرب في طلبهم للعلوم القديمة اتبعوا آراء الفلاسفة الذين سبقت الإشارة اليهم فتفرغوا بالكلية للعلوم المنطقية والهندسية والفلكية والطبية والكيمياء والنباتات وما وراء الطبيعيات وتدارسوا هذه العلوم وتقدموا فيها واعانهم ذلك على الترقى الى درجات الكمال كما يتضح ذلك من التفاصيل الآتية

الكلام على المنطق وفلاسفة العرب

اما المنطق فاخذع عن منطق ارسطاطاليس بحسبما شرحه ابن سينا وابن رشد الآتي ذكرها والظاهر انهم لم يزيدوا عليه شيئا يذكر وأول من ترجمه الى العربية عبد الله بن المفقع الخطيب الفارسي الذي اسلم في ايام ابي جعفر المنصور العباسي وكان كاتباً لعيسى بن علي عم الخليفة المشار اليه وكان مشهوراً بالبلاغة وله رسائل بديعة فاستكتبه ابو جعفر المشار اليه فترجم له الثلاثة كتب الذين

لارسطا ليس في المنطق وهو علم من العلوم المدونة ويسمى بالميزان ايضاً ويعرف
بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطاء في الفكر ونسبته الى القلب
كسبة الخوا الى اللسان والعروض للنظم ونحو ذلك

قال احد المؤلفين ان هذا العلم اشرق متلاًئلاً بعد ان ترجمت الفلسفة عند
المسلمين الا انهم اختصروا اخيراً على مبادئه حيث ضرب المثل عندهم "من
تمنطق فقد تزندق" وقد لخص ابو نصر الفارابي الآتي ذكره كتاب ارسطو في
كتاب المسمى بالثانية وعلق عليه شروحاً ولخصها ايضاً ابن رشد تلخيصاً حسناً
ولحنين بن اسحق المسيبي الذي مر ذكره بجملة المترجمين في الفصل السابق كتاب
المسائل في المنطق ولايه اسحق كتاب اختصار افلاطون وكتاب المقولات وكتاب
ايساغوجي واما مؤلفات يعقوب بن اسحق الكندي الآتي ذكره فسوف تذكر
اسماؤها في ترجمته والمقدمين من بعده ايضاً كتب كثيرة فيه زاد عليها
المتأخرون فمن الكتب المختصرة كتاب عين القواعد للمكائني وكتاب المنهاج
للواحدي وكتاب القسطاس للسمرقندي وكتاب التجويد لنصير الدين الطوسي
ومن المتوسطة كشف الاسرار لنصير الدين المذكور وعليه حواشي مهمة لابن
البديع البندي وكتاب جامع الدقائق للمكائني وكتاب فحمة الفكر لابن واصل
ومن الكتب المبسطة المنطق الكبير للامام فخر الدين الرازي الآتي ذكره
وكتاب شرح القسطاس لمصنف السمرقندي وكتاب شرح كشف الاسرار
المكائني والبحر المضم منطلق الشفاء الشيخ الرئيس ابن سينا بل ان معظم كتب
المنطق مجموعة مع كتب الطبيعيات والاهليات من ذلك ما هو مختصر لكتاب
كشف الحقائق لاثير الدين الابهري وكتاب تذييل الافكار له ايضاً ومن
المتوسطة كتاب التلويحات للسهروردي الآتي ذكره وكتاب التلخيص للامام فخر
الدين المازي ذكره وعليه حواشي مفيدة للابهري وكتاب مطالع الانوار للارموي
وكتاب الحكمة الجديدة لابن كونه وكتاب المعتبر لابي البركات ومن المبسطة
الشفاء وشرح التلويحات لابن كونه ايضاً وكتاب شرح المختص للمكائني وكتاب

شرح الاشارات والتنبهات لنصير الدين الطوسي وبذلك كفاية
غير ان المنتهدين عليهم من الاجانب يقولون ان منطقتهم افضى بهم الى
مراعاة اللئذ اكثر من مراعاة المعنى فلتفهم بعضهم بحكماء الالفاظ وبعضهم
بالهاذين وفي ما ذكرناه في كتابنا زبدة الصحائف في اصول المعارف وحواله ٩٥
ما اقاموا به الحججة على خلال قواعد هذا العلم عند العرب ما يعني عن اعادة ههنا
ومن ثم قام بين العرب عددٌ غفير من الفلاسفة الذين اتبعوا في الفلسفة
فلسفة ارسطو في ما لايس منها اصول معتد بهم اشهرهم يعقوب بن اسحق الكندي
الذي مر ذكره بجملة مترجمي الكتب واشتهر بفيلسوف العرب وكان من ابناء
ملوكها قال صاحب تذكرة الحكم انه لم يشتهر احدٌ غيره بالفلسفة في الاسلام وله
تصانيف في اكثر العلوم تبلغ خمسين كتاباً منها كتاب في المنطق وكتاب
التوحيد المعروف بنعم المذهب وكتاب في الرد على الذين يذهبون مذهب
الارالية القديمة وكتاب الموسيقى وكتاب في اثبات النبوة وكتاب في الادب
ورسالة تسلية الاحزان وقال ابن خلكان كان يعقوب بن اسحق الكندي المسمى
فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس من الكوفة وانتقل الى بغداد
واشغل في علم الفلسفة والادب وحل مشكلات كتب الاوائل وحل حذو
ارسططاليس وصنف الكتب الجليلة الجمّة واجودها كتاب اقسام العقل الانسي
وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى وقال بعض مؤلفي الافرنج ان
يعقوب الكندي كان من جملة المشهورين في استخراج الكتب وله مؤلفات منها
كتاب الفلسفة الاولى في ما دون الطبيعيات والتوحيد وكتاب الفلسفة الداخلة
والمسائل المنطقية وما فوق الطبيعيات ورسالة في ان الفلسفة لاتنال الا بعد
الرياضيات وكتاب البحث على تعليم الفلاسفة ورسالة في كمية كتب ارسطو
وكتاب في قصد ارسطو من المقولات ورسالته الكبرى في مقياسه العلمي وكتاب
في اقسام العقل الانسي وكتاب في ماهية العلم واقسامه وكتاب في ان افعال
الباري تعالى كلها عدل لا جور فيها وكتاب في ماهية الشيء الذي لا نهاية له

وكتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات الاول وكتاب في عبارات الجوامع الفكرية وكتاب ايساغوجي لفرغوريوس وكتاب في المدخل المنطقي مبسوط وآخر مختصر ومسائل كثيرة في المنطق وغيره ورسالات كثيرة في كل العلوم وهي مئتان وخمسون رسالة مفيدة بكل علم افتضت وكلمها مذكورة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة

ومنهم ابو النصر محمد بن طرخان بن اوزلغ المشهور بالفارابي وهو معدود من اكابر فلاسفة المسلمين. قال صاحب تذكرة الحكم بانه لم يكن فيهم من بلغ رتبة وهو تركي الاصل من مدينة فاراب كان يقول بعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات وخصوصاً في النوع الانساني ووافقه على ذلك حكاه الاندلس واقاموا عليه الادلة التي رد عليها ابن سينا الآتي ذكره وكان علي علي تلامذته كتب ارستطاليس في المنطق ويشرحها لم لانه كان ارتحل الى حران وفيها يوحنا بن خيلاق الحكيم النصراني فاخذ عنه طرفاً من هذا العلم ثم قرأ في بغداد علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارستطاليس وشرحها في اخرج معانيها وله كتاب جليل في احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه وألف كتاباً في السياسة المدنية وقد ذكره بعض مؤلفي الافرنج بجملة مستخرجي الكتب وقال انه لخص كتاب ارسطو في كتابه المسمى بالثانية في علم المنطق وعلق عليه شروحاً على ما سبقت الاشارة اليه في الكلام على المنطق وذكر بعض مؤرخي العرب بانه هو الذي انشأ القانون (آلة من آلات الطرب) واهداه الى سيف الدولة بن حمدان العدوي فاجازته جائزة عظيمة توفي بدمشق سنة ٣٣٩ للهجرة (سنة ٩٥٠ م)

وابن سينا الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري المشهور الذي مر ذكره كان عارفاً بحساب الهندسة والجبر والمقابلة وقرأ على الحكيم عبد الله النائي وفي بعض المؤلفات ابي سهل المسيحي الجرجاني ايساغوجي واحكم عليه المنطق وافيلس والجسطي وفاقه اضعافاً كثيرة حتى اوضح له منها

رموزاً لم يكن النابلي يدريها ثم اشتغل بتحصيل العلوم كالطبيعي والالهي وغير ذلك ثم رغب في الطب وألف كتابه الاوسط في جرجان ثم ألف كتاب القانون وكتاب الشفاء والنجاة والاشارات ويقال ان له نحو مئة مصنف وله القصيدة المشهورة في النفس التي مطلعها

هبطت اليك من المحلّ الارفع ورقاء ذات تعزير وتنعج

وقد أتهم بحرق مكتبة الامير نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان ليفرد به معرفة ما حمله منها وينسب لنفسه (كما نسب الى هيقراط حرق مكتبة كوس لهذه الغاية) وزعموا انه حرقها لما كان يعالج هذا الامير في مرضه وكانت عديمة المثلل ويقال انه كان يستفيد من مؤلفات الفارابي المار ذكره في الفلسفة وخالفه في قوله بعدم انقراض الانواع ورد على ذلك برسالة سماها رسالة حي بن يقظان اقام فيها ادلة لم يعتبرها ابن خلدون المغربي مع انه موافقاً لرايه وذكره ايضاً بعض مؤلفي الافرنج بحجة الذين استخرجوا الكتب واتهمه بانه كان يعكس في استخراجها لانه كان يحذف اشياء كثيرة ويضع عوضها من اختراعه ونحيلاتو توفي سنة ٤٢٨ للهجرة (سنة ١٠٢٦ م)

وابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي حجة الاسلام ومناقض فلسفة اليونان ومن مصنفاتو الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه وكتاب احياء علوم الدين وهو انفس الكتب واجملها وله في اصول الفقه المستصفي وله المنحول والمتنخل في علم الجدل وبهافت الفلاسفة وعكك النظر والمفاصد والمضنون به على غير اهلو والمفصد الاسفي في شرح اسماء الله الحسنى ومشكاة الانوار والمنفذ من الضلال وحقيقة القولين وغير ذلك من الكتب النافعة توفي سنة ٥٠٥ للهجرة (سنة ١١١١ م)

وابن طفيل ولم افف على ترجمته وانما قيل عنه بانه هو اول من علم العرب بان الانسان ترقى في الاصل من الحيوانات الدنيا على ما يعلم

درون الانكليزي في ايامنا هذه

وابن رشد ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد المالكي القرطبي اشهر فلاسفة العرب في الاندلس اخذ عن اشهر الفلاسفة في عصره وتخرج في الطب والفقه والفلسفة وكان بينه وبين ابن عربي الفيلسوف والعالمين الشهيرين ابن طفيل وابن زهر علائق وطيدة نفاه المنصور بالله من اشبيلية لكونه وثي اليه وبانه يمجّد القرآن ويخالفه فدعي الى مراكش لان سلطاتها رغب في مطالعة اقوال الفلاسفة والتخرج فيها وكان ابن رشد يذهب الى ان ارسطو اعظم الفلاسفة فترجم مؤلفاته وشرحها بضبط وتروى على ان في تأليفه ما يوضح جلياً متابعتها للفلسفة الافلاطونية الجديدة (ومن اراد الوقوف على مبادئ هذه الفلسفة فليراجع كتابنا زبدة الصحائف في سياحة المعارف صفحة ١٥٩ وشرح ارجوزة في الطب لابن سينا . وصنف تماهياً من طرف الحكاه رداً على تماهات الغزالي الذي مر ذكره ذكر فيه ان ما ذكره الغزالي بعزل عن مرتبة اليقين والبرهان وقال في آخره لاشك ان هذا الرجل اخطأ على الشريعة كما اخطأ على المحكمة وله رحلة تُنسب اليه وكتاب فصل المقال في ما بين الشريعة والطبيعة من الاتصال وهو كتاب يبحث فيه عن العلم الالهي وتلخيص كتاب الكون والفساد وهو مؤلفان لارسطو وله الكليات المعروفة بكليات ابن رشد واصل مؤلفاته في العربية نادر الوجود الآن الا ان اكثرها مترجم الى اللغة اللاتينية ومن ذلك شرح اقوال ارسطو مع الرد على الغزالي، وقد رُتب احدي عشر مجلداً وطبع في البندقية سنة ١٥٦٠ م (سنة ٩٦٨ للهجرة) وترجم كثير من المؤلفات المذكورة الى اللغة العبرانية واخذ عنه كثيرون من الافرنج ايضاً عند ما كانت تُدرس كتيبة في مدارس اسبانيا وكردوفا من بلاد المغرب وكان الذين ينظرون الى الاستقبال من الحركات الفلكية يُسبون اليه وقد كتب اشياء تتعلق بالفلك اهمها ما قرره عن كلف الشمس ومن الذين كتبوا عن فلسفته في زماننا هذا رينان الفرنسي فانه ألف كتاباً سماه ابن رشد قرره في سيرته ومؤلفاته . وقال

كان اعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لارسطو وطُبع هذا الكتاب في باريس سنة ١٨٥٢ م توفي ابن رشد سنة ٥٩٥ للهجرة (سنة ١١٩٨ م) وابن زهر ابو بكر محمد بن ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء زهر بن ابي مروان عبد الملك بن ابي محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي الاشبيلي كان متمكناً من اللغة وحافظاً لشعر ذي الرمة بارعاً في الاقوال الطبية قال في حق جده ابي العلاء زهر انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمة وفيلسوف ذلك العصر وحكيمة توفي مستمتعاً بعلة بين كتفيه سنة ٥٣٥ للهجرة (سنة ١١٢٠ م) ثم قال في حق جده ابي عبد الملك انه رحل الى المشرق وطبب زماناً طويلاً وتولى رئاسة الطب ببغداد ثم مصر ثم بالقيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى افطار الاندلس والمغرب واشتهر بالقدم في علم الطب حتى فاق اهل زمانه ومات هناك . ثم قال في حق جده محمد بن مروان انه كان عالماً بالرأي حافظاً للادب حاذقاً بالفتوى مقدماً بالشورى متفناً الفنون رسماً فاضلاً جمع الرواية والدراية وتوفي بطلبيرة سنة ٤٢٢ للهجرة (سنة ١٠٣٠ م) وتوفي ابو بكر في سنة ٥٨٥ للهجرة (سنة ١١٩٨ م)

وابو بكر بن باجة وهو محمد بن باجة النجدي السرقسطي المعروف ايضا بابن الصائغ كان آخر فلاسفة المسلمين بالاندلس عارفاً بالعلوم والفنون مشغولاً بالسياسة وهو ينسب الى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة والتحلال العنيدة انكر واجب الوجود واعتقد ان الزمان دور وان الانسان كالنبات وغيره وله تصانيف في الرياضيات والمنطق قُتل بالسُم في مدينة فاس بين سنة ٥٢٣ وسنة ٥٢٤ للهجرة (سنة ١١٢٨ م)

ويحيى بن حبش بن اميرك الملقب بشهاب الدين السهروردي معدود من جملة فلاسفة المسلمين وحكائهم . قيل انه كان بارعاً في فن الشعبة ايضاً ويعجب منه اهل عصره كما يعجب اهل اوربا في عصرنا هذا من خزعبلات بوسكى الشهير في بلادهم وغيره . يحكى عنه انه كان مرافقاً لرجل في طريق الشام

فاشتهريا من راع تركاني خروفاً بعشرة دراهم ثم بعد ان اخذاه وانفصلا عن الراعي قليلاً وإذا تركاني آخر جاء يتبعها وطلب منها ان بردا له الخروف او يعطياه عشرة دراهم أخر لان الخروف قيمته عشرون درهماً فوقف له الشهاب وبدى يحاوره الى ان استشاط التركاني غيظاً وامسك بيده ليجذبها اليه وإذا بيده قد قُلمت بيد التركاني ودمه يجري فخاف التركاني والقاهما على الارض وهرب فبدى الشهاب ورفعهما وإذا بها مندبل كان في يده اوهم التركاني به هذا الوهم وينقلون عنه اموراً كثيرة غريبة مثل هذه ومن مؤلفات كتاب التنقيحات في اصول الفقه وكتاب التلويحات وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراف وله ايضاً رسالة معروفة بالقرية الغربية على مثال رسالة الطير ورسالة حي بن يقظان لابن سينا وفيها بلاغة تامة اشار بها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء وكان يُتهم بالزندقة ويعتقد ازالة العالم حبسه الملك صلاح الدين الابوي في حلب وقتله خفية سنة ٥٨٧ للهجرة (سنة ١١٩١ م)

الكلام على علم الفلك والطبيعات

لما لم يكن للعرب في زمن جاهليتهم من العلوم والفنون ما ينبه افكارهم الى البحث عن العلل الاصلية التي تنسب عنها الحوادث الطبيعية والنفليات الجوية والتغيرات الفلكية وما يتعلق بالعناصر وغيرها من المكونات العلوية والارضية وإنما كانوا ينظرون اليها نظراً بسيطاً ونظراً لما هو مغروس فيهم من الفصاحة الغريزية كانوا يضعون لكل نوع من النجوم او من العناصر التي تتركب منها الكرة الارضية اسماً تختلف بحسب اختلاف نقلياتها الطبيعية كما ينضج ذلك من التفاصيل الآتية بهذا الباب على قدر الامكان وبناء على ذلك تقسم الكلام هنا الى نوعين الاول في معارف العرب القديمة الفلكية والطبيعية والثاني في العلوم التي مارسوها في العصر الاسلامي بعد ترجمة الكتب على ما تقدم

في معارف العرب الفلكية والطبيعية

لا يخفى بأن العرب في الجاهلية كانت تعتقد في أنواع المنازل اعتماد المجسمين في السيارات على ما سبقت الإشارة إليه في الفصل الرابع من المقالة الرابعة وكان ذلك موضوع معارفهم الفلكية ولا زالوا عليه الى ان ابطأ الاسلام والانواع هي سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبته من المشرق وكانوا يسمون أول نَوّ السنة البدريّ ويكون من تاسع ايلول الى ثامن عشر تشرين الأول ونوّ سقوط الفرعين وبطن الحوت والوسميّ من هناك الى تاسع كانون الأول ونوّ سقوط الشرطين والبطين والثريا والدبران والولي من هناك الى ثامن عشر نيسان ونوّ سقوط الهقعة والهقعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصدفة والعواء والسواك والغبير من هناك الى تاسع حزيران ونوّ سقوط الفغسر والزباني والأكليل والقلب والبسرى من هناك الى خامس تموز ونوّ سقوط الشولة والنعايم وبارح النبط من هناك الى ثالث عشر آب ونوّ سقوط البليدة وسعد ذابح وسد بلع واحراق الهواء من هناك الى ثامن ايلول ونوّ سقوط سعد السعود وسعد الاخبية وهو البدريّ أول انواع السنة ذكر اولاً

وكانوا يعرفون النجوم السيارات السبعة على رأي القدماء وهي الشمس والقمر والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وزُحل ويعرفون ايضاً ابراج الشمس ومنازل القمر

وكانوا يقسمون السنة كما هو الآن اي بعد الاسلام الى اثني عشر شهراً قمرياً وقبل ظهور الاسلام بنحو مئتي سنة تعلموا كس الشهور فكانوا يكسبون كل ثلاثة اعوام شهراً واحداً لاجل مطابقة السنة القمرية على دورة الشمس السنوية فيقع الحجّ في زمن واحد لا يتغير مناسب الى اشغالهم وكان يقول ذلك النسا

نسبة الى النسيء يعني منسي الشهور وهي الايام التي يضمها المصريون الان على شهورهم فلما جاء الاسلام ابطال الكبيس وابقى الشهور القمرية على ما كانت عليه حسبما سبق في الاشارة اليه في الفصل الثالث من المقالة الرابعة

وجميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة تعتبر في احكامها الشرعية رؤية الهلال وابتداء سنتهم المحرم وجعلوا شهور السنة شهراً كاملاً ثلاثين يوماً وشهراً ناقصاً تسعة وعشرين يوماً لتتم بذلك السنة القمرية التي هي ثلاث مئة واربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس . قال الامام المقرئ زبادي من اجل هذا الكسر يوماً واحداً في ذي الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون ذي الحجة في تلك السنة ثلاثين يوماً ويسمونها تلك السنة كبسة ويصير عددها ثلاث مئة وخمسة وخمسين يوماً فيجتمع بذلك في كل ثلاثين سنة من الكبيس احد عشر يوماً

وقوله في كل ثلاثين سنة يريد بذلك في كل ثلاثين سنة قمرية وتسمى دوراً فيكون منها تسعة عشر بسيطة واحدى عشر كبسة وهذه الاخيرة هي الثانية والخامسة والسابعة والعاشر والثالثة عشر والسادسة عشر والثامنة عشر والحادية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون والتاسعة والعشرون

واول الشهور عند العرب كما هو عند غيرهم موافق الى الثامن والخامس عشر والثاني والعشرين والتاسع والعشرين منه فاذا كان اول المحرم يوم الاحد مثلاً فيكون اول صفر يوم الثلاثاء واول ربيع الاول يوم الاربعاء واول ربيع الآخر يوم الجمعة واول جادى الاول يوم السبت واول جادى الآخر يوم الاثنين واول رجب يوم الثلاثاء واول شعبان يوم الخميس واول رمضان يوم الجمعة واول شوال يوم الاحد واول ذي القعدة يوم الاثنين واول ذي الحجة يوم الاربعاء . واذا كان اول محرم يوم الاثنين فانه يكون اول صفر يوم الاربعاء واول ربيع الاول يوم الخميس واذا كان اول محرم

يوم السبت فانه يكون اول صفر يوم الاثنين واول ربيع الاول يوم الثلاثاء
وقس على ذلك

وكانت العرب العرباء تسمي الشهور القمرية نائق ونفيل وطلوق واسخ وانخ
وحلك وكسح وزاهر ونوط وحرف وبفش . فنائق هو المحرم ونفيل صفر وهكذا
ما بعده على سرد الشهور اما ثمود فكانت تسميها موجب ومؤجر ومورد وملزم
ومصدر وهوبر وهوبل وموها ودهر ودابر وصفيل ومسبل . فموجب هو المحرم
ومؤجر صفر الا انهم كانوا يبدون بالشهر من دهر وهو شهر رمضان فيكون
اول شهور السنة عندهم وكذلك باقي العرب كانت تسميها باسماء اخر وهب .
مومر وناجر وخوان وضوان وضرم وزبا والاصم وعادل وبايق ووعل وهواع
وبرك ومعنى المؤمراة بانمر بكل شيء مما تأتي به السنة من اقصيتها وناجر من
النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وضوان بكسر الصاد وضما فعال
من الصيانة والزباء اللاهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه

ومنهم من يقول بعد صوان الزباء وبعد الزباء بائدة وبعد بائدة الاصم
ثم واغل وباطل وعاطل ورنه وبرك فالبائدة من القتال اذا كان يبيد فيه كثير
من الناس وجرى المثل بذلك فانهم يقولون "العجب كل العجب بين جمادى
ورجب" وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه
حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت
سلاح. والواغل الداخل على شرب ولم بدعوه وذلك لانه يهجم على شهر رمضان
وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان الذي يتلوه هو شهر الحج وباطل
هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب واما العادل فانه من العدل
لانه من اشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل واما الزباء فلان الانعام
كانت تذب فيه قرب النحر واما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت النحر
وقد روي ايضا انهم كانوا يستون المحرم مؤمر وصفر ناجر وربيع الاول
نصار وربيع الآخر خوان وجمادى الاول حمتن وجمادى الاخر الرنة ورجب

الاصم وهو شهر مُضَر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وتبهر أهلها ويأمن بعضهم بعضاً فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان نانق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال له ايضاً ابروك ويسمونه الميمون

ثم سُمّت العرب شهرها بالاسماء المعروفة الآن من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالحرّم كانوا يحرّمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهر ربيع كانا زمن الربيع وشهر جادى كان يجهد الماء فيها لشدة البرد قال الشاعر

في ليلة من جادى ذات اندية لا يصير الكلب من ظلمائها الطنبا

ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرضاء لانه كان يأتي فيه القبط وشوال تشيل الابل فيه اذ نابها وذو القعدة لفعودهم في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج

قال بعض المؤلفين ولا يجوز عند بعض العلماء ان يقال جاء رمضان بل جاء شهر رمضان بناء على الحديث لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا جاء شهر رمضان

ويستبين مما ذكر ان الاتفاقيات التي وقعت عند تسمية الشهور بهذه الاسماء كانت عند ما استعملت العرب الكبس لاجل مطابقة السنة القمرية على ما تقدم اذ جعلت الشهور وقتئذ على حالة واحدة لا تتغير

واما السبب في كون شهري جادى اللذين يجهد الماء فيهما وضعاً بعد شهري الربيع فهولان البعض من العرب يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثار وهو الخريف فيكون الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الفصل الذي تدعو العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي يعتدل وتدرك فيه الثار وهو الخريف

الربيع الأول وتُسمى الفصل الذي يتلوهُ الشتاء وما يأتي فيه الكيام والنور الربيع الثاني والحاصل بان غالبهم متفقون على ان الربيع هو الخريف ويقال ان القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر في الزمن الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع في الايام واول من استعملها هم اهالي بر الشام وما حواله من اجل ما اخبر به موسى النبي في التوراة وهو ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام واستراح في اليوم السابع ثم انتشر ذلك في سائر الامم واستعمله العرب العاربة بحسب تجاور ديارهم وبلاد الشام

وكانوا يسمون اليوم الاول من الاسبوع وهو الاحد أوهد والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دُبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شيار وزعموا ان اول من سَمَّى يوم الجمعة عروبة هو كعب بن لوي وقيل ان عروبة اسم يوم الجمعة باللغة السريانية ثم تعرّب قال الشاعر

علمت بان اموت وان موتي بأوهد او بأهون او جبار
او التالي دُبار او بواني بمؤنس او عروبة او شيار

ولما كانت شهور العرب مبنية على مسير القمر واولها مقيدة بروية الهلال والهلال يُرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار فيجعلون اليوم من غروب الشمس الى غروبها

ويسمون اول ساعة من الليل ناشئة الليل والشفق ثم العشوة ثم الغسق ثم هلاة ثم شرع ثم جنح ثم زلفة ثم هزيع ثم عبس ثم سحر ثم الفجر ثم الصبح واول ساعة من النهار البكور والثانية البروغ والثالثة الراد والرابعة الضحى والخامسة المنوع والسادسة الظهيرة والسابعة الزوال ويقال لما الهاجرة ايضاً والثامنة الاصيل والتاسعة العصر والعاشر الطفل والحادية عشرة الحورور والثانية عشرة الغروب . اما البردات فهما طرفا النهار اي الغداة والعشي والاحصّ اليوم الذي تطلع شمسهُ وتصفو سماءهُ

ويسمون أيضاً كل ثلاث ليالٍ من القمر باسماء أولها الغرر وهي الثلاث
الليالي الأول من الشهر ثم النفل ثم تسع ثم عشر ثم البيض ثم الدرع ثم الظلم ثم
الحنادس ثم الدراري ثم الحاق

وكذلك يسمون الليلة الأولى من القمر الغرة وأول الليالي البيض وهي
الليلة الثالثة عشرة العفراء وبعدها البهاء وهي ليلة البدر وأول ليالي الحاق
وهي الثامنة والعشرون الدجاء والتي بعدها الدهاء والآخرية الدماء وقيل السواء
ليلة أربع عشرة من الشهر والسرار آخر ليلة منه وقيل الداء داء آخر الشهر

والبراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره قبل لها ذلك لتهرب
الشمس من الشمس وابن البراء آخر ليلة من الشهر أو آخره وليلة الهام أطول
ليالي الشتاء وهي ثلاث لا يستبان نقصها أو هي إذا بلغت اثني عشر ساعة فصاعداً
والنهار طائفة من الليل يقال مضى نهار من الليل أي طائفة منه والجوش
القطعة العظيمة من الليل أو من آخره والجوشن صدر الليل أو وسطه والحراج
من الليالي الشديدة البرد والخبيمات الليالي التي يطلع القمر في جميعها أي من
أول الليل إلى آخره وقد يكون ذلك من دون شميم فتظن أنك قد أصبحت.

والخمر من الليل المظلم

ويسمون ظل القمر السمر واحاديث الليل السمر ومن ذلك المسامرة وهي
الحادثة والمتحدثون السمار كما يعبرون عن الاحاديث المستطرفة بالخزعبل وعن
الباطلة بالخزعبل وعن الاضحوكة بالخزعيلة وعن المزاح والنلعب بالخزعالة.
أما قولهم حديث خرافة فالخرافة اسم مشتق من اختراف السمر أي استطرافة
ومن امثالهم أحمل من حديث خرافة ويقال هو اسم رجل من عنزة استهوت
الجن مدة ثم لما رجع أخبر قومه بما رأى فكذبوه حتى قالوا لما لا يمكن حديث
خرافة وفي الحديث خرافة حق يعني ما تحدث به عن الجن حتى ذكره الميلاني
في تفسير المثل

ومن امثالهم "لا آتيك السمر والقمر" قال الميلاني عن الاصمعي السمر عندهم

الظلمة والأصل فيه أنهم كانوا يجتمعون فيسمون في الظلمة ثم كثرت الاستعمال حتى سموا الظلمة سمياً واشتد في أن السمر الظلمة

لا تسفي أن لم أزر سمياً غطفان موكب جمل ضمهم
تدعى هوأزن في طوائفه يتوقدون توقد النجم

ويسمون الليل القمر ابن سمر وفي محيط المحيط ابن غير بالباء أيضاً والليل المظلم ابن جبير وقالوا السمر والجبير الدهر وبناء جبير الليل والنهار سمياً بذلك للاجتماع فانه يقال أجزر القوم على الشيء أي اجتمعوا وسمياً أيضاً ابني سمر لانه يسمر فيها ويسمون الليل الكافر أيضاً لكثرة الاشياء أي ستره والليلة الطلاق والطفلة الساكنة التي لا حر فيها ولا قر

وفي درة الغواص وغيرها من كتب اللغة السمر حديث الليل خاصة والطروق الاثبات ليلاً والتفليس سمر القوم مع الصبح والإدلاج بكسر الهمزة سيرهم من اول الليل والأدلاج بفتحها سيرهم من آخر الليل والتأويب سيرهم ثمراً ونزولهم ليلاً والسرى سير الليل خاصة والاساء سيرهم ليلاً ونهاراً والمقبل الاستراحة وقت الهاجرة والغوير اذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار والتعريس اذا نزلوا في نصف الليل والأغناذ الاسراع فيه وتجهد المصلي اذا تنفل في ظل الليل والاستظلال يكون من الحر والاستنداء يكون من البرد والاستكتمان من المطر

ويعبرون عن الشمس في وقت ارتفاعها بالغزالة وعند غروبها بالجونة وعن أشد الاوقات حرّاً بالهاجرة والحارّي والحجارة والحبر وهو من حرّ الفيض أشدّه وكذلك الحنسة الحرّ الشديد مأخوذ من حنأ وهو من اسماء الشمس ويقال شهري ناجر في الصيف شهراً قاج في الشتاء وهما أشدّه برداً ويقال لها شيبان وملحان أيضاً وكذلك كلبة الشتاء يراد بها شدة بردهم والباحور القهر وشدة الحرّ في تموز

ويسمّون السبعة الايام المعروفة بهرد العجوز وعند العامة المستقرضات وهي من خامس وعشرين شباط الى ثالث اذار بهذه الاسماء الاول الصن والثاني الصنبر والثالث الوبر والرابع الامر والخامس المؤتمر والسادس المعلل والسابع مطني الجهر وبروي مكفي الظعن

ويسمّون اول مطر الربيع الاول الوسيّ سمي بذلك لانه يسمّ الارض بالنبات وهو منسوب الى الوسم واما المطر الذي يليه فسمونه الولي وقد جمعها ابو الطيب المتنبي في بيت واحد حيث يقول

أمنعمة بالعودة الطبية التي بغير وليّ كان نائلها الوسي

اول المطر ريق والشديد من الامطار الضخم الفطر وابل وشدة صوب المطر انهلال . قال الروزي الصوب المطر من صاب يصوب صوتاً اي نزل من علو الى اسفل ثم اذا احيا الارض بعد موتها فهو الحياء فاذا جاء عقيب الحبل او عند الحاجة اليه فهو الغيث فاذا دام مع سكوت فهو الدية فاذا زاد فهو النهمان فاذا كان ضعيفاً فهو الرهبة فاذا تبعق بالماء فهو البعاق فاذا كان يروي كل شيء فهو الجود فاذا كان عاماً فهو الحسر فاذا جرف ما مرّ به فهو الساحية فاذا اتابع فهو اليعلول فاذا نزل دفعات فهو الشايب

وقالوا في امثالهم نحن بواد غيثه ضرّوس قال الميلاني عن الاصمعي يقال وقعت في الارض ضرّوس من مطر اذا وقعت فيها قطع متفرقة يضرب لمن يقل خيره وان وقع لم يتم وقيل ايضاً الضرّوس المطرة القليلة والنفّاح والبشع ما ترشّش من المطر الخفيف الضعيف قال الشاعر

كأنّ فاما عبقرّي باردٌ اومحّ روض مسّة نفّاح ركّ

يراد بالعبقر هنا وقبل عب قرّ وجبر البرد ومنه المثل "أبرد من عبقر" ورواه ابو عمرو بن العلاء أبرد من عب قر قال والعب اسم للبرد ويسمونه ايضاً حبّ المزن وحبّ الغمام

والعارض اسم للسحاب والسارية السحابة الماطرة ليلاً والدجن الباس
الغيم افاق السماء والبكر من السحاب المائي مطرهُ والمكهر والمكهرف السحاب
المتوالي المتراكب والشيب السحاب التي فيها سواد وبياض والظماء الغيم الرقيق
والذي يورى النجوم فيتحير الهادئ والكثرة جمعها كرا في قطع من السحاب
بعضها فوق بعض والجهم السحاب لاما فيه اوراق ماء

وكانت العرب تضرب اياتها في الشيلة مطلع الشمس لندفهم سيف الشتاء
وتزول عنهم في الصيف فاهب من الرياح عن بين البيت فهي الجنوب وما
هب من شماله فهي الشمال وما هب عن امامه فهي الصباء وما هب من خلفه
فهي الدبور وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النكباء ومنها الازيب
بين الشرق والجنوب والصابعة بين الجنوب والدبور والجرياء بين الدبور
والشمال والهيف بين الشمال والصباء

ولول الريح عثون فاذا كانت الريح شديدة باردة فهي الخرجف فان
هبّت من جهات مختلفة فهي المتناوحة فاذا كانت لينة فهي النسيم فاذا ابتدأت
بشدة فهي النافجة فاذا كانت شديدة فهي العاصف فاذا حركت الشجر فهي
الزعزع فاذا جاءت بالحصباء فهي الحاصبة والحصباء المحصى واحدهما حصبة
وفي القاموس الحاصبة ريح تفلح التراب فاذا كانت الريح سريعة فهي العجل
ومجنال ومجنالة فاذا هبت من الارض كالهمود فهي الاعصار فاذا كان مع
بردها ندى فهي البليل فاذا كانت حارة فهي الحرور والسوم

وقد ذكر في القرآن من الرياح ثمانية اربع رحمة واربع عذاب فاما التي
هي للرحمة فالمبشرات والمرسلات والناشرات واما التي للعذاب
فالصرصر والعقيم وما في البر والعاصف والفاصف وما في البحر

وقد سبق الكلام في ما مر على افتخار العرب بكثرة النيران لانها تكون
عندهم اكبر دليل على كثرة الطعام لكنهم يوقدونها لاسباب اخرى غير الطعام
ايضاً ولكل نوع منها اسم مخصوص فاعلنا نار القرى المخصوصة بالضيافة التي

مر ذكرها في الفصل الاول من المقالة السادسة توجد نار الوسم وهي التي توقد ليحتمون بها الميسم الذي يسمون به ابل الملوك لئلا يرد الماء أولاً ونار الاستسقاء توقدها الجاهلية طلباً للمطر ونار التحالف وهي التي توقد على الجبل اعلاماً للتحالف والاباعد ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بصاحبه يوقدون ناراً في ايام الحج ثم يقولون هذه عدوة فلان ونار السلامة توقد للقادم من سفر سالماً ونار الراحل توقد للمسافر اذا لم يحبوا ان يعود ونار الاسد توقد عند الخوف من سطوة الاسد حتى اذا رآها ينفر منها ونار السليم والسليم الملسوع يقال له ذلك تفاؤلاً بالسلامة وهم يكرهونه على السهر ويوقدون له ناراً ليسهر على ضوءها ونار الندي كانوا اذا سبيت نساء الاشراف منهم وفدوهن يخرجوهن ليلاً ويوقدون لهن ناراً ليستضيئن بها

وهناك نار اخرى يقال لها نار الهولة ذكرها بعضهم فقال قال ابو عبيدة كان في الجاهلية لكل قوم نار وعليها سدنة فكان اذا وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيجلف عندها وكان السدنة يطرحون بها ملجأ من حيث لا يشعر بهولون بها عليه قال الكهيت

كمولة ما اوقد المحلّون لدى الخالفين وما هولوا

وتضرب العرب المثل بحسن النار فيقولون لمن ارادوا وصفه بالخاس احسن من النار ومن ارادوا المبالغة في وصفه بالحرارة احر من الجهن واما قولهم اخلف من نار الجاحب فهي النار التي توربها الخيل بسنابكها من الحجارة وقيل غير ذلك

والارض عدّة الفاظ تشير اليها وكلها مترادفة منها الساهرة والبسيطة والتلج والكون والكرة والمعورة والمسكونة والعالم والدينا والبرية والخليفة فاذا كانت مستوية فهي حبيب وصعيد وسهل او كانت لينة فهي دمنة او منخفضة فهي وهدة وتجمع على وهاد فاذا كانت لاماء فيها ولا شجر فهي قراح

أو لم يكن بها سكان فهي قفر والقطعة من الأرض بقعة وتجمع على بقاع فإذا
 كانت سريعة الانبات فهي مبكار فإذا كانت واسعة بعيدة الأطراف أو الفلاة
 لا ماء فيها ولا انيس وإن كانت معشبة فهي النبنوقة فإن كانت روضة فيها
 حياض ومساكن الماء فهي ثجسة فإذا كانت خالية عن العالم فهي الموجل
 فإذا لم تكن سهلاً وكانت غليظة فهي الحزن والندفد والغلاظ والجكد فإذا
 كانت غليظة ذات حجارة فهي الأبرق وبرقة والبرقاء فإذا لم يكن فيها بناء
 فهي عرصة وإذا كانت بعيدة فهي الزوراء والتي ليس بها زرع المجزراء أو
 كانت صحراء فهي البادية فإذا كانت مهلكة لا ماء فيها فهي المفازة أو كانت
 مفارة بعيدة فهي المهمة أو كانت لا نبت فيها فهي المرت فإذا كانت مرتفعة فهي
 نجد ونشر فإذا كان ارتفاعها مع اتساع فهي البقاع فإذا كانت مستوية مع
 الاتساع فهي صفصف فإذا كانت مع ليونتها سهلة فهي البرث فإذا كانت
 طيبة التربة علكتها فهي الغضراء والدسمة فإذا كانت مهيأة للزراعة فهي الحقل
 فإذا كانت غير مهيأة فهي البور فإذا لم يصيبها المطر فهي الغل فإذا لم يترها
 نازل من قبل فهي الحيطه فإذا كانت لم تعبر ولم تحرث فهي الحادسة فإذا
 كانت ذات سباخ فهي سجة فإذا كانت كثيرة الشجر فهي شجرة فإذا كانت
 كثيرة الحصى يعني صغار الحجارة فهي الامعر فإذا كانت كثيرة الحجارة فهي شجرة
 فإذا كانت كثيرة الصخور فهي صخرة فإذا كانت كثيرة الغلات فهي منضبة
 ومغلة فإذا كانت بعكس ذلك فهي مجرداء فإذا كانت كثيرة الثمر فهي ثميرة
 فإذا كانت زكية معجبة للعين فهي أريضة فإذا كانت طيبة الهواء فهي عزاء فإذا
 كانت بعكس ذلك فهي وييلة ووخام ووخية وغمقة فإذا كانت ذات
 وباء فهي وبئة فإذا كانت كثيرة الأهل والصنائع فهي غناء وعامرة فإذا كانت
 بعكس ذلك فهي خراب وغامرة وفلاة وبلقع
 وأما البوغاء والدقعاة فهو التراب الرخو الرقيق الذي كانه زريبة
 والثرى والتراب الندي وهو كل تراب لا يصير طيناً ولا زباً اذا بل والمور

التراب الذي تنور به الريح والهباء التراب الذي تطيره الريح فيكون على وجوه الناس والهباي اذا دقّ وارتفع والسافيا الذي يذهب في الارض مع الريح والجُرثومة التراب الذي يجمعه النمل والعنا التراب الذي يعقب الآثار وكذلك العفر. والرغام التراب المختلط بالرمل والسماد التراب الذي يسد به النباتات والنفع الغبار الذي يثور من حوافر الخيل والعجاجة التراب الذي تنبیره الريح والريح غبار الحرب

واصغر ما ارتفع عن الارض نكبة ثم الراية وتجمع على رُئي ورواي ثم الاكمة وهي التلّ من حجارة وتجمع على آكام اما التلّ فهو كومة من التراب والرمل وغيره والكثيب والدعص التلّ من الرمل ثم التلجوة ثم الربع ثم الهضبة وهي الجبل المنبسط على الارض وتجمع على هضب وهضاب ثم الدك وهو الجبل الدليل ثم الجبل ثم الطود والعلم وهو الجبل العظيم ثم الاخشب

واول الجبل المحضض وهو الفرار من الارض ثم السفح وهو ذيلة ثم السند وهو المرتفع في اصله ثم الكنج وهو عرضة ثم الريد وهو ناحية المشرفة على الهواء ثم الحيد وهو جناحه ثم الرعن وهو انفة ثم الشعفة والذروة والقمة وهي راسه

واما المنهل فهو مكان الشرب وجمعه مناهل والبطيحة والبطحاء والابطح مسيل واسع فيه حصص ويجمع على اباطح وبطاح وبطائح والوادي ما كان بين جبلين وجمعه اودية ووديان . ورحبة المكان ساحته ومسيل ماء الوادي والموبق والبرزخ المحاجر بين شئين والشامة الموضع الذي يخالف لون الارض ويجمع على الشام والاشجة الغابة والحرث الطريق المكدود بالحوافر والزرع والبخنجزرة او شبه الجزيرة جزيرة تنصل من احدى اطرافها بالبر والبحراء الكثير المند من الرمل

ويعبرون عن البحر العظيم بالغططم وخضم والكبير من الانهر طبع^م وخليج اما الجعفر فهر النهر الكبير وقيل الصغير ضد والكثير من الماء غمر^م والكثيرة الماء من العيون ثرة وادي زاخر اذا كان ممتلئا وبحر طام ونهر طافح

وإذا كان الماء جامداً فهو العُضْرُ وقيل العُضْرُ ضربٌ من النبات فإذا كان الماء من السحاب فهو يَسْحٌ ومن الينبوع ينبع ومن الحجر ينحس ومن النهر يفيض ومن السفن يكف ومن القرية يسرب ومن الأبناء يرشح ومن العين ينسكب

وما يمثّلون به في الحماقة قولهم لمن يبالغون في وصفه بها احق من لاقى الماء ومن ناطح الصخر عليه قول الاعشى

كما طح صخرة يوماً ليلتها فلم يضرّها وأوى قرنه الوعل

(والوعل المذكور هنا هو نفس الجبل) ويقولون في اباحة الشيء أحل من ماء الفرات (والفرات هو الماء العذب) ويقولون في الخيبة أخيب من الفايض على الماء

ثم ان ما أوردناه في هذا الفصل من الاسماء لاي نوع كان من الانواع والعناصر المذكورة بحسب اختلاف هيئاتها انما هو اخص ما شاع منها فقط والآ فان الاستقراء بهيئاً جذاً عن مثل هذا التأليف ولا يكون موضعه الا في القواميس المطوّلة هذا ما كان من معارف العرب القديمة في الفلك والطبيعات

الكلام على علم الهيئة

اما الذين اشتغلوا بعلم الهيئة بعد ظهور الاسلام فهم كثيرون اذ لا يخفى بانه قبل ظهور الاسلام باجيال كثيرة كان الاعتقاد بمعرفة الامور الخفية والمستقبلية وسعادة الانسان ونحسه من مجرد النظر الى وجه النجوم شائعاً في جميع اجزاء كرة الارض بل والى الآن باقى عند الاكثريين من شعوب المشرق ولذلك يمكن ان يقال هنا بان هذه الغاية كانت هي السبب الاصلي في التفات العرب الى هذا العلم قبل غيره في اول الاسلام لانه منذ تولّى الخلافة ابو جعفر

المنصور العباسي امر رجلاً يقال له محمد بن الفراوي وكان من اشتهر بالفلسفة
والنجوم فترجم له كتاباً يسمى سند هند الكبير قال بعضهم ان معناه الدهر
الظاهر وهو كتاب شهير وقتئذ باستيعاب هذا الفن استحصرة الخليفة المشار اليه
من الهند وعين الفراوي المذكور الى ترجمته فترجمه على احسن وجه وبقي هذا
الكتاب معمولاً به عند المنجمين من ذلك الوقت الى عصر المأمون العباسي
الذي كان اعظم الخلفاء رغبة واجتهاداً في ترجمة كتب الاقدمين ونشر علومهم
ومعارفهم بين العرب فامر محمد بن موسى الخوارزمي الذي مر ذكره هو واخوته
بجملة الذين طافوا البلاد لاجل جمع الكتب اليونانية وترجمتها باختصار هذا
الكتاب وتلخيصه فكان هذا الكتاب اساساً لعلم الفلك عند العرب بعد الاسلام
لانه يشتمل على حركات النجوم والاعمال الفلكية

ثم لما امر الخليفة المشار اليه بترجمة الكتب الى اللغة العربية على ما سبقت
تفصيله امر بترجمة الجسطي في سنة ٢١٢ للهجرة (سنة ٨٢٧ م) واختلفوا في
مترجمه فقال قوم هو اسحق بن حنين وقال آخرون هو الخازن بن يوسف ومن
ثم اتبع المشتغلون بهذا العلم من العرب رأي بطليموس صاحب الكتاب المذكور
وتوغلوا فيه الى ان حصلوا على اكتشافات حسنة منها انتقال نقطة الرأس
والذنب للارض ووقفوا في رصد ميل دائرة البروج على خط الاستواء وضبطوا
الوقت وانشأوا مراصد في بغداد وقرطبة فدخلت منهم الى الافرنج وقد اشتهرت
بينهم علماء مشاهير سوف ياتي ذكرهم قال صاحب المقتطف ان العلامة بيلي
وهو من مشاهير علماء الهيئة من الافرنج لم يكتف بان جعلهم حياة العلم في اوربا
بل قال لولا كتاب نور الدين في الكرة ما مهياً لكبلران يكتشف الحكم الاول
من احكام الثلاثة الشهيرة وهو اهليلية افلاك السيارات ولولا زيجهم في
السيارات والثوابت لم يكن زيج الفونسو الاسبانيولي اه . وابن رشد الذي مر
ذكره مع الفلاسفة رأى كلف الشمس وكتب عنها قبل ان عرفها اهل اوربا ايضاً
وكان اول مشاهير علماء الهيئة المذكورين من العرب الخليفة المأمون

المشار اليه فانه وان كان راغباً في كثير من العلوم والفنون الا انه اشتهر خاصة بعلم الفلك فامر ببناء بيت للرصد وهو هيكل معد للنظر في احوال النجوم وحساب مسيرها وغير ذلك ومشتل عادة على جميع الآلات اللازمة لهذا العمل فعمرو له في مدينته يقال لها الشماسية بنواحي الشام وذلك في سنة ٢١٤ للهجرة (سنة ٨٢٩ م) وعين في عصره يحيى بن ابي منصور عبد الملك وعباس بن سعيد الجوهري لرئاسة المنجيين فاستقرجا الزيج الجديد وكان هذا الرصد اول رصد بني في الاسلام

ويقال بان الخليفة المشار اليه رصد ميل دائرة البروج رصد بن احدهما في بغداد تولاه يحيى بن ابي منصور الماز ذكره وسناد وعباس بن سعيد فوجدوا ميل دائرة البروج $٢٣^{\circ} ٢٥'$ على ما رواه بونس و $٢٣^{\circ} ٢٣'$ على ما رواه الفرغاني في كتاب اصول علم الهيئة والثاني في دمشق تولاه خالد بن عبد الملك وسناد وابو الطيب وابن عيسى فوجدوا ميل دائرة البروج $٢٣^{\circ} ٥٣'$

وفي ايام الخليفة المأمون المشار اليه ظهر احمد بن عبد الله البغدادي الذي له ثلاثة زبوج الواحد على مذهب الهند والثاني المشهور باسم المستنن والثالث الزيج الصغير وله رسالة لطيفة في فن الاسطرلاب

وفي ايامه كذلك كان عمر بن فرجات الطبري احد المنجيين وقد ترجم بامره كتباً كثيرة وله تصانيف في النجوم وسائر العلوم

وكذلك احمد بن محمد الفرقاني كان من المنجيين كاملاً في علم الهندسة والهيئة والنجوم وله كتاب المدخل وكتاب الجامع الذي بين فيه مسائل المجسطي باعذب الالفاظ والطف الاشارات

ثم بعد ذلك ظهر ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البجلي المشهور وقد مرت ترجمته في الكلام على الصناعة من الممارك الغيبية في الفصل الرابع من المقالة الرابعة وثابت بن قرة الحراني الذي مر ذكره بجملة مترجي الكتب بني له الخليفة

المشار اليه رصدنا في بغداد فاستخرج حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و١٠ ثوانٍ وميل دائرة البروج ٢٣° ٢٣' ٣٠" فقابلها بما قبله فوجد أنه يتغير على نمادي الاجيال وقال بحركة مستقيمة واخرى منقرفة لنقطتي الاعتدال

ومحمد بن جابر بن سنان ابو عبد الله الخراساني المعروف بالبتياني نسبة الى بتيان ناحية من اعمال حران الحاسب النجم المشهور صاحب الزيج الصابي واشتهر هذا النجم بالاعمال العجيبة والارصاد المتقنة . يحكى عنه انه ابتداء بالرصد في سنة ٢٦٤ للهجرة (سنة ٨٧٧ م) الى سنة ٣٠٦ للهجرة (سنة ٩١٨ م) وثابت الكواكب النابتة في زيجيه سنة ٢٩٩ للهجرة (سنة ٩١١ م) وكان يرصد في رقة وفي انطاكية وتوفي سنة ٣١٧ للهجرة (سنة ٩٢٩ م) وكان صابى المذهب . قال ابن خلكان ولم اعلم انه اسلم وانما اسمه يدل على اسلامه ومن مؤلفاته الزيج وهي نسختان اولى وثانية والثانية اجود وكتاب معرفة مطالع البروج في ما بين ارباع الفلك ورسالة في مقدار الاتصالات وكتاب شرح فيه اربعة ارباع الفلك ورسالة في تحقيق اقنار الاتصالات وشرح اربع مقالات بطليموس وغير ذلك ذكره صاحب المنتطف فقال . قال لالاند (من علماء الهيئة الافرنج) انه من العشرين عالماً الذين اشتهروا بعلم الهيئة . وقال العلامة هالي وكان قد امكن النظر في كتاباته ما معناه بانه علامة عصره عجيب التدقيق ومجرب في الرصد وقال آخرون ان زيجه اصح من زيج بطليموس وحسب حركة الاعتدال ١° في ٦٦ سنة وكانوا يحسبونها ١° في كل ١٠٠ سنة ووجد ميل دائرة البروج ٢٣° ٢٥' فاذا اصلحت حساباته للاختلاف الافقي والانكسار كان ميلها ٢٣° ٢٥' ٤٧" وحسب مباينة فلك الارض ٢٤٦٥ حاسباً نصف قطره ١٠٠٠٠٠ واكتشف اتصالات نقطة الراس والذنب ووضع القمر معادلتيه كالمعادلتين اللتين وضعها بطليموس ورصد خسوفين وكسوفين^(١) ورصوده واكتشافاته

(١) الخسوف للقمر والكسوف للشمس

مذكورة في احد مؤلفاته ترجم الى اللاتينية وطُبع بها ولم يطبع بالعربية قبل ولم
ينزل محفوظاً في الفاتيكان^(١) بخط مؤلفه

وابو محمد الخوكندي عاش نحو سنة ٢٨٢ للهجرة (سنة ٩٩٢ م) وحسب
ميل دائرة البروج ٢٣° ٢١' ربع احد اضلاعه منسوم ثواني
وابو الريان عاش نحو سنة ٤٦٣ للهجرة (سنة ١٠٧٠ م) على ما ذكره ابن
الفرج بن العبري ونحو سنة ٢٨٥ للهجرة (سنة ٩٩٥ م) على ما ذكره احد علماء
الافرنج المسمى برنار وحسب ميل دائرة البروج ٢٣° ٢٥' ربع نصف قطره
١٥ ذراعاً

وارزاخل عاش نحو سنة ٤٦٩ للهجرة (سنة ١٠٧٦ م) وحسب ميل دائرة
البروج ٢٣° ٢٤'

والخازن الاندلسي عاش في اواخر القرن الخامس او اول السادس للهجرة
او آخر القرن الحادي عشر واولائل القرن الثاني عشر للميلاد وقيل زمانه
مجهول ألف كتاباً في الفجر والشفق وعين ابتداء كل منها وقت بلوغ الشمس
١٩ درجة تحت الافق وحسب علو الهواء ٥١٢٨ ميلاً جاسياً محيط الارض
٢٤٠٠٠ ميل وله كتاب كثير الذكر في البصريات ضمنه في سبع مجلدات طُبع
باللاتينية في سنة ١٥٧٢ م (سنة ٩٨٠ للهجرة) اظهر فيه انكسار شعاع من النور
في الهواء على سق اصوله واستخرج كمية الانكسار وفيه يصف العين وصفاً مقبولاً
ويبحث عن كيفية ادراك المراتب بحاسة البصر مبيناً ان اهم ما يتم به ذلك هو
البلورية لكن لم يحسبها عدسية ويبرهن ان البصر انما يتم بشعور الدماغ
بالمحسوسات الظاهرة بواسطة العصب البصري ويعلل عن رؤية الاشباح
مفردة مع انها تنظر بعينين لا بعين واحدة بان قسمين متوافقين من الشبكية
يتأثران فيوديان صورة واحدة الى الدماغ وفاق هذا الاندلسي سائر القدماء
في فن الانكسار واكتشف كثيراً من احكامها منها انه يزيد في ارتفاع الاجرام

(١) الفاتيكان سراي البابا في رومية

السموية في الظاهر وهو أول من قال أنا بالانكسار نرى الاجرام فوق الافق وهي نجمة وان الانكسار يقصر اقطارها وذكر عن نفسه انه اول من عرف انكسار الاشعة الى العين وله اقوال أخر كثيرة بعضها صحيح وبعضها فاسد وهو اول من ذكر خاصية التكبير في الزجاج لقوله اذا وضعت مادة عند قاعدة زجاجة اكبر منها كبرت فادى ذلك الى اختراع العيونات والنظارات ونحوها وروي عنه انه ادعى يوماً بانه يصطنع آلة في النيل تدفع عن الناس ضرر النضمان او النضمان الزائد فانصل قوله الى الحاكم بامرر وسوف يأتي ذكره وكان يكرم العلماء فاستدعاه اليه ولما حضر خرج الحاكم المذكور الى خارج القاهرة للملاقات وغمره بالاحسان ورفع منزلته وجعل تحت يده من الفعلة والادوات ما ينفذ به كلامه فطاف الخازن الديار المصرية فرأى ان اتمام ما ادعى به محال فستط في يده وعاد الى القاهرة خائباً ولحقوه من الحاكم المذكور تظاهر بالجنون وبقي عليه حتى مات الحاكم واقتفر الخازن جداً حتى لم يعد له ما يقتات به فكان يولف وينسخ الكتب ويبيعها الى ان توفي في سنة ٤٣٠ للهجرة (سنة ١٠٣٨ م) وابو الحسن علي بن ابي سعيد بن عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الاعلى الصدي المصري النجم المشهور صاحب الزيج الحكي المعروف بزيج ابن يونس وهو اربع مجلدات قال ابن خلكان انه لم ير في الازياج على كثرتها اطول منه وقد امره بعلو وابتناء له العزيز ابو الحاكم بامرر المذكور صاحب مصر وكان شخصاً بعلم النجوم بارعاً في الشعر واهل مصر يعولون في الكواكب على اصلاحه لزيج يحيى بن منصور وعلة القاضي محمد بن النعمان سنة ٣٨٠ للهجرة (سنة ٩٩٠ م) وكان افنى عمره في الرصد والتسيير المواليد وعمل فيها ما لا نظير له وكان يقف للكواكب قال ابو الحسن النجم الطبراني انه طلع معه الى الجبل المقطم بمصر وقد وقف للزهرة فتزع ثوبه وعمامته وليس ثوباً نساوياً احمر ومقنعة حمراء تنع بها واخرج عوداً فضرب به والنجوم بين يديه وكان آبله مغفلاً يتعم على طرطور طويل وزعموا انه كان له اصابة بدية غريبة في النجاة

لا يشاركه بها احد توفي سنة ٥٢٩ الهجرة (سنة ١١٣٤ م)
 وابو الفاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف وقيل احمد المنعوت بالبديع
 الاسطرلابي الشاعر المشهور ذكروا انه كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية
 متقناً لهذه الصناعة وحصل له من جهة علمه مال جزيل في ايام خلافة المسترشد
 ولما مات لم يخلفه في شغله مثله والاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان النجوم
 وذكروا ان اول من وضعه بطليموس صاحب المجسطي توفي في سنة ٥٢٤ للهجرة
 (سنة ١١٣٩ م)

ودام الامر على استعمال الكرة والاسطرلاب الى ان استنبط الشيخ شرف
 الدين الطوسي ان يضع المقصود من الكرة والاسطرلاب في خط فوضعه وسماه
 العصا وعمل له رسالة بدعية فهو اول من اظهر هذا الى الوجود فصارت الهيئة
 توجد في الكرة التي هي جسم لانها تشتمل على الطول والعرض والعمق وتوجد في
 السطح الذي هو مركب من الطول والعرض بغير عمق وتوجد في الخط الذي
 هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقطة ولا
 يتصور ان يعمل فيها شيء لانها ليست جسماً ولا سطحاً ولا خطاً بل هي طرف
 الخط كما ان الخط طرف السطح والسطح طرف الجسم والنقطة لا تتجزأ فلا
 يتصور ان يرسم فيها شيء

ويقولون بان اول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجمية وبني
 الهياكل ومجدد الله فيها هو هرمس الاول قال ابن خلدون المغربي وقد يقال
 ان هرمس هو ادريس اقدم الانبياء المذكور في التوراة باسم اخنوخ واليه
 تنسب العامة صناعة الخياطة والحياكة كما ينسبون الى نوح اختراع صناعة
 التجارة لكونه على السفينة

ويقولون ان هرمساً هذا بعثه البودشير بن قبط ملك مصر الى جبل القمر حتى
 ركب جربة النيل من هناك وعدل البطيخة الكبرى التي تنصب اليها عيون
 النيل وعمر بلاد الواحات فان ارستطاليس الفيلسوف شرح كتابه وترجمه من

اللسان المصري الى اليوناني وشرح ما فيه من العلوم والحكمة والطاسمات وله كتاب الاسطخيس يحنوي على عبادة الاول ذكر فيه ان اهل الاقاليم السبعة كانوا يعبدون الكواكب السيارة كل اقليم لكوكب ويسجدون له ويبحرون ويقرّبون ويذبحون وروحانية ذلك الكوكب تدبرهم بزعمهم وهذا الكتاب يحنوي على فتح المدن والحصون بالطاسمات والحكم ومنها طاسمات لانزال المطر وجلب المياه وكتاب الاشطرشاش في الاختيارات على سري القمر في المنازل والاتصالات وكتب اخرى في منافع وخواص الاعضاء الحيوانية والاشجار والحشائش

ويثل هذه الاحاديث وغيرها من آراء قدماء الحكماء المشحونة بها اغلب مؤلفاتهم في التنجيم وخاصة ميل العرب الطبيعي للتشبه بالمصادقة على ذلك لم يكتفوا بما تعلموه من كتب الاقدمين في امر النجامة بل فاقوا عليهم اضعافاً اذ انهم جعلوا لها رموزاً صناعية ينظرون اليها في الصحف عوض النجوم كخط الرمل وحساب النيم والزايحة وغيرها كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الرابع من المقالة الرابعة وافسدوا بذلك ما ائتمروه من العلوم الفلكية كما افسدها من تقدمهم من الشعوب القديمة

الكلام على الجغرافيا

قال بعض المؤلفين ان العرب يحسبون من الطراز الاول بين الجغرافيين ايضاً وقال ملطبرون العالم الجغرافي الشهير الفرنسي انهم جازوا حدود الارض المعروفة وتوغلوا لاسيا في ارض اسيا وافريقية وان الخلفاء في صدر الاسلام امروا امراء جيوشهم وعالمهم ان يرسم كل منهم خطط البلاد التي افتتحتها واستولى عليها وفي سنة ٢١٨ للهجرة (سنة ٨٢٣ م) امر الخليفة المأمون العباسي المتقدم ذكره ان يقيسوا درجة عرض في صحراء سينجار بين الرقة وتدمر فمسخوها

ومسحت ثانيةً بقرب الكوفة وبهذا توصل الى معرفة مقدار مساحة الارض وذكر
ابن خلكان طريقة العمل فقال ان المأمون كان يرى رأي القدماء بان دورة كرة
الارض ٢٤ ألف ميل كل ٢ اميال فرسخ^(١) فسأل بني موسى وهم ابو عبد الله محمد
ابن موسى بن شاذان واخوه محمد والحسن الذين مرّ ذكرهم في الكلام على جمع
الكتب وترجمتها فقالوا نعم هذا قطعي فقال اريد منكم ان تعملوا الطريق الذي
ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك ام لا فسالوا عن الاراضي المتساوية
في اي البلاد في قبيل لهم صحراء شجر وكذلك وطأة الكوفة فاخذوا معهم
جاعة من بني المأمون الى افواهم وخرجوا الى شجر فوقفوا في موضع واخذوا
ارتفاع القطب الشمالي وقاسوا بحبال ربطوها الى اوتاد حتى انتهوا الى موضع
اخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع درجة فمستوا
ذلك القدر الذي قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلاً وثلاثي
الميل فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض هذا المقدار
من الاميال وامتنعوا صحة ذلك بقياس ما يقابل تلك الارض من جهة الجنوب
بالحبال التي قاسوا بها نفسها واخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد
نقص درجة عن ارتفاعه الأول فصحّ حسابهم وحققوا ما قصدوه فضربوا
حساب الفلك الذي يعتبرونه اثني عشر برجاً وكل برج ثلاثين درجة فتكون
الجملة ثلاث مئة وستين درجة في ستة وستين ميلاً وثلاثي الميل فكان الخارج
اربعة وعشرين ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ فعادوا الى المأمون واخبروه
بذلك فسيرهم الى ارض الكوفة ففعلوا هناك كما فعلوا في شجر فتوافق الحسابان
فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك
وقال ملطايرون ايضاً بانه خرج من لشبونة ببلاد الاندلس قبل كريستفورس

(١) الميل اربعة آلاف خطوة فيكون الفرسخ اثني عشر الف خطوة وتكون دورة
الارض تم ستة وتسعين الف الف خطوة والخطوة في المساحة ستة اقدام فتكون دورة
الارض خمس مئة وستة وسبعين الف الف قدم

كلهوس بمدات طويلة جماعة يقال لهم المقرورون وهم من العرب فركبوا البحر وساروا يبحثون عن الاراضي الغربية في البحر الانكليزي وقال ايضا ان العرب استكشفوا استكشافات في بحري الهند والصين وظهر منها راصدان بذلا وسعها في التخطيط وهما الواقدي وابو زيد فجابا ابعاد بلاد اسيا وخطاطها من سنة ٢٢٧ للهجرة (سنة ٨٥١ م) الى سنة ٢٦٤ للهجرة (سنة ٨٧٧ م)

فالواقدي المذكور هنا لعلة ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم وقبل مولى بني سهم بن اسلم صاحب التضايف في المغازي وغيرها وله كتاب الردة ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة صاحب الشريعة الاسلامية ومباركة الصحابة لطيفة بن خويلد الازدي والاسود العنسي ومسيمة الكلاب الذين مر ذكرهم في الفصل الرابع من المقالة الرابعة وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي لكن ضعفه في الحديث توفي ببغداد سنة ٢٠٧ للهجرة (سنة ٨٢٢ م) غير ان تاريخ وفاته لا يطابق ما ذكره ملطبرون فاما ان يكون واقعا غلط في احد التاريخين او يكون الذي ذكره ملطبرون من اولاد هلم الرجل واما ابو زيد فهو عمر بن شبة واسمه زيد وشبة لقب له بن عبيدة بن زيد ويقال ابن رابطة النيري صاحب كتاب تاريخ البصرة وكان صدوقا في الحديث توفي سنة ٢٦٢ للهجرة (سنة ٨٧٦ م)

ومن اشهر مؤلفي الجغرافية في الاسلام قطب الدين المسعودي بن عتبة واسمه علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وكان مشغلا بالتأليف الجغرافية في ايام المطيع لله بن المتوكل العباسي وألف كتابا يسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الاشراف والملوك واهل الدرايات وهو تاريخ عام مشتمل على جميع الممالك المعروفة في اقسام الدنيا الثلاثة وهو يسطر الكلام في الجغرافية ولاسيا ما يتعلق بافريقية واهند واسيا الوسطى توفي بالقاهرة سنة ٢٤٦ للهجرة (سنة ٨٥٧ م)

وفي هذا الزمان ظهر ابن حوقل صاحب كتاب المسالك والممالك والمنازل والممالك الذي كتبه سنة ٣٦٧ للهجرة (سنة ٩٧٧ م) وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الفارسية ومنها الى الانكليزية وفيه تخطيطات مفيدة مشبعة تتعلق بجميع بلاد الاسلام واما ما علاها من البلاد فلم يتكلم عليه الا بوجه اجمالي وقد قال في كتابه واما بلاد النصارى والحبشة فلم اتكلم عليها الا يسيراً لما ان تولي بالحكمة والعدل والدين وانتظام الاحكام بآني ان اثني عليهم بشيء من ذلك

ثم ظهر الشريف الادريسي الملقب عند الافرنج بجغرافي النبوة ألف كتاباً للملك روجار الأول صاحب صقلية سماه نزهة المشتاق وهو شرح كرة ارضية مصنوعة من الفضة اشار بعلمها هذا الامير وكان وزنها ثمان اواق وذكر في كتابه ايضاً نباتات كل قطر وكان ذلك سنة ٥٤٨ للهجرة (سنة ١١٥٣ م)

ثم ظهر ابو عبد الله ياقوت الحموي بن عبد الله الرومي الجنس الحموي الموالد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين وكان أسراً من بلاده صغيراً فاشترته تاجر ببغداد علمه الكتابة لينتفع به وكان مقعصاً على علي بن ابي طالب وكان قد تبحر الدواوين فألف كتاباً في الجغرافيا مرتباً على حروف الهجاء يسمى معجم البلدان وله تصانيف غيره منها ارشاد الالباء الى معرفة الادباء وهو نحو اربع مجلدات وجمع كتاباً في اخبار الشعراء القدماء والمتأخرين وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الادباء وكتاب المشترك وضعاً مختلفاً صقلاً وكتاب المبلد والممال في التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام ابي علي الفارسي وعنوان كتاب الاغانى والمقتضب في النسب وكتاب اخبار المنبي توفي سنة ٦٣٦ للهجرة (سنة ١٢٣٨ م) وبعد ذلك ألف ابن الوردي في حاب كتاباً في الجغرافيا الطبيعية يعني علم طبيعة الارض وسماه خريدة العجايب ذكر فيه تفاصيل ما يتعلق بالموايد الثلاثة واطلب في الكلام على افريقية وبلاد العرب والشام دون غيرها كاوربا والهند وشمال اسيا ويشتمل كتابه هذا على خريطة عامة لساكن الارض وكان ذلك سنة ٦٣٠ للهجرة (سنة ١٢٣٣ م)

والملك المؤيد عماد الدين ابو الفداء سلطان حماه ومن مؤلفاته كتاب تقوم البلدان وفيه تخطيط الارض بتمامها على وجه التفصيل وقد رتبته على جداول بحسب الاقاليم مع ذكر درجات جميع الاحوال والعروض لسائر الاماكن وفي مقدمته يتعرض لعلم الهيئة ولاعظم بحار الدنيا وانهارها وجبالها ولما كانت الشام وطنة كان تخطيطها لها اتم من سائر تخطيطاته وقد ذكر ايضا فوائد جلية في ما يتعلق بالاقاليم المجاورة لبلاده مثل العرب والعجم ومصر والمغرب واما كلامه على بلاد التتار والصين فلم يكن وافيا واما بلاد النصارى باوربا واقاليم افرقية المسكونة بالسودان فكانت عنده ليست جديرة بيزيد الاعناء والاهتمام بشأنها وله تاريخ عمومي ايضا هو في الحقيقة تاريخ الاسلاميين توفي سنة ٧٢١ للهجرة (سنة ١٢٣٠ م)

وفي القرن الثامن للهجرة المقابل للقرن الرابع عشر من الميلاد ظهر البغوي وألف كتابا سماه عجائب المولى الفادر في ارضه

والى هنا ينتهي كلام مطبرون في ما نحن بصدده غير انه يوجد كثيرون من الجغرافيين الذين ألفوا في هذا الفن من المسلمين وان لم بدرجهم مطبرون المذكور مع اللذين ذكرناهم فقد ذكرهم غيره من جغرافي الافرنج ومنهم ابن اسحق الاصطخري الذي ألف كتابا سماه كتاب الاقاليم بين سنة ٣٠٢ وسنة ٣٠٩ للهجرة (سنة ٩١٥ و ٩٢١ م) ومنهم ابو القاسم عبد الله صاحب كتاب المسالك والممالك توفي سنة ٣٠٠ للهجرة (سنة ٩١٢ م) ومحمد الجهاني صاحب كتاب المسالك في معرفة الممالك توفي سنة ٣٢١ للهجرة (سنة ٩٤٢ م) وابن الفرج البغدادي صاحب التذكرة المتوفى سنة ٣٢٧ للهجرة (سنة ٩٤٨ م) والقزويني وغيرهم

وقام بين العرب من السياح عدد غفير منهم ابن فضلان الذي ساج الى افرقية ووصفها جيذا في القرن التاسع للميلاد (بين الثاني والثالث للهجرة) ومنهم البيروني الذي كان فلكيا وساج الى الهند وكتب فيها كتابا حسنا وذلك

في القرن الحادي عشر للميلاد (الخامس للهجرة) وكتب في التجارة الكريمة .
 ومنهم ابن بطوطة الذي ساج الى افريقية والهند والصين وروسيا وغيرها في
 القرن الثالث عشر للميلاد (السابع للهجرة) ومنهم الحسن بن محمد القرطبي
 المعروف بالاسد الافريقي ساج الى افريقية وجانب من اسيا في القرن
 السادس عشر للميلاد (العاشر للهجرة) ومنهم من كتب في السياسة . ومنهم في
 انواع المعاملة ومنهم في صادرات البلاد ووارداتها وعدد اهلها ومدنها
 وقراها وسائر اوصافها ومنهم في الفروسية . ومنهم في الموسيقى . ومنهم من كتب
 قواميس عامة وبعضهم كالي الفناء الذي مر ذكره قرن الجغرافيا بالهيئة
 والرياضيات فجرى العالم على اثره في هذه المباحث قال مطبرون يستدل من
 بعض امور على ان اول الجغرافيين ورابي الخرائط من النصارى كانوا متطولين
 على الكتب العربية وناسخين على منوالها

الكلام على علم النبات

وللعرب ايضا اشتغال في علم النبات الذي اخذوه عن ديسكوريدس
 وقام منهم من كتب في الحيوان وفيه وفي الزراعة كالقزويني والدميري وابن
 ابي زاهر الآتي ذكره مع الاطباء وابن البيطار الطبيب النباتي الذي سافر الى
 بلاد اليونان وجمع النباتات منها وكتب فيها كتابه المعروف بالادوية المفردة .
 وابو زكريا الاشيلي كتب كتابا جليلا في الحرائث وذكر عنه الفصيري انه طبق
 معارف اهل العراق واليونانيين والرومانيين واهل افريقية على بلاد الاندلس
 فصاروا يتتبعون منها

وكان الاندلسيون يعرفون خواص الاتربة ويركبون الزبل تراكمب
 متعددة موافقة لطباع الارضين ويحسنون دمن الارض والحرائث والغرس والسقي
 وبذلك جعلوا الاندلس جنة وسط قفار اوربا وادخلوا اليها زراعة الخيل

والخزوب والقطن والتوت وقصب السكر وعلموا الاهالي صناعة رفع المياه من سطحها الاصلي ونقلها الى الاعلى بواسطة النواعير الى ان صارت اعمر اقطار اوربا وفي الحرف والصنائع ايضاً

وفي ايام الخليفة المقتدر بالله العباسي نقل العرب الاترَج المدور من الهند وزرعوه بعمان ثم نُقل الى البصرة والعراق والشام قال ابن خلدون المغربي انه بعد ان كثر في الثغور الشامية وانطاكية ومصر عدت منه الاراج الطيبة واللون الحسن الذي كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصة البلد ثم نقلوا البرنقال من بلاد اوربا الى المشرق ايضاً . قال بعض المؤرخين ان البرنقال اصله من الصين والهند واستنبت في اوربا ولول من استنبته اهل البرتغال ومنها انتشر في غيرها من بلاد اوربا ولما نقله العرب سموه برنقال باسم البلاد التي نقلوه منها

الكلام على الهندسة وغيرها

وكان بعد ان ترجم العرب كتب اقليدس وارخميدس وابولونيوس على ما سبقت الاشارة اليه انهم اشتغلوا بعلم الهندسة ايضاً قال ابن خلكان ان ابا الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور كان احد الائمة المشاهير في علم الهندسة وله فيه استقراجات غريبة لم يسبق بها وكان العلامة كال الدين ابو الفتح موسى بن يونس وهو القيم بهذا الفن يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في اكثر مطالعاته ويحجج بما يقوله وكان عنده من تأليفه عدة كتب توفي سنة ٣٧٦ للهجرة (سنة ٩٨٦ م)

وقال صاحب المنتطف ان استعمال الرقاص كان معروفاً عند العرب غير ان مختارعه مجهول وكان حقاً ان يتخذ اسمه في بطون الاوراق على ما افاد به العالم اه . ومن ذلك يسمين بان جربرت الراهب الفرنسي الذي عمل

اول ساعه ذات رقاص وادخلها الى اوربا اخذ هذه المعرفة عنهم عند ما كان
 يدرس العلوم في الاندلس كما يتضح ذلك من الفصل الثاني
 وقال صاحب المنتطف ايضا انهم هم واضعو حساب المثلثات على ما هو
 عليه الآن فانهم كانوا يستعملون الجيوب عوضاً عن اوتار مضاعف الاقواس
 وقد وضع ارزاخل الذي مر ذكره مع علماء الهيئة جدولاً في الجيوب فيه قسم
 النظر ثلاث مئة قسم واكتشف جابر قضيتين عليهما بنى فن المثلثات الحديثة
 وزعم بعضهم ان اول من وضع الحساب هو ابو الفرج قدامة بن جعفر بن
 قدامة الكاتيب البغدادي الذي كان موجوداً في ايام المقتدر بالله العباسي ويؤ
 يضرب المثل في البلاغة فيقولون لمن ارادوا وصفه بها ابغ من قدامة لكن الصحيح
 ان العرب اخذوا طريقة الحساب العشري عن الهندين غير ان لم فيه اتعاباً
 جزيلة واعمالاً حسنة وهم الذين ادخلوا الى اوربا الرقوم الحسابية
 وكانت لم اليد الطولى في علم الجبر الذي هو من اعظم مخترعات العقل
 البشري حتى شاع زماناً ان واضعه هو ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي
 الذي مر ذكره بجملة الذين سعلوا في جمع الكتب القديمة وترجيئها وعمل للامون
 حساب دورة كرة الارض على ما تقدم في الكلام على علم الهيئة والصحيح انهم نقلوه
 عن اليونان ولكنهم سعلوا فيه وحسنوا حتى صار ينسب اليهم ولعل ابا عبد الله
 المذكور كان اول من عرف هذا العلم ونشره بينهم
 وكانوا يعرفون الثقل النوعي قال صاحب المنتطف ان الدكتور بلتن
 قدم خطاباً الى اكااديمية العلوم في مدينة نيوبورك من بلاد اميركا عن معرفة
 الثقل النوعي عند العرب وذكر فيه اقتباسات كثيرة من كتاب الخارسمي يسمى
 ميزان الحكمة تدل على انهم كانوا يعرفون ثقل الهواء وكانوا يعرفون طرقاً مدققة
 لاستخراج الثقل النوعي لاكثر السوائل والجوامد حتى التي تذوب في الماء قال
 وفي الكتاب المذكور جداول مدونة فيها الثقل النوعي المعروف لها الآن وفيه
 ايضاً رسم آلات فلسفية منها ميزان بديع الصنعة لاستعلام الثقل المذكور

الكلام على الطب عند العرب

قد ذكرنا في ما مرّ بانه كان للعرب في زمن جاهليتهم معارف في الطب خشنة اما عملاً بالاستفراء والتجربة واما اخذاً عن السريان والفرس والهنود والمشهور من اطباهم رجل يقال له لقمان بن عاد وأحد حكمائهم ودهانهم يزعمون ان اياه عاد بن لحيان بن عاد بن عوص بن اوام بن سام بن نوح وان لقمان المذكور عاش ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة وهو عمر سبعة أنسر ويليهِ رجل آخر من تيم الرباب يقال له ابن حذيم ويضربون فيه المثل بالخلافة في الطب فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك أطب من ابن حذيم وهو اطب العرب عندهم ويفضونه على الحرث الآتي ذكره قال اوس بن حجر

فهل لكم فيها الي فاني بصير بما اعى النطاسي^(١) حذيماً

اما الحرث بن كلفة المذكور فهو من بني ثقيف من اهل الطائف ورجل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية وطب في ارض فارس وحصل مالا ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف قيل انه مات سنة ١٢ للهجرة (سنة ٦٢٤ م) وقيل سنة ٢٠ للهجرة (٦٤٠ م) من سُم سُقيّة قبل بسنة

وكان ابن ابي رومية التميمي طبيباً ايضاً معاصراً للحرث المذكور ونضر بن الحرث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان من الجاهلية أخذ اسيراً يوم بدر فقتل وهؤلاء هم اشهر اطباء العرب وقد بقي من كلامهم في الطب ما قاله لقمان بن عاد المار ذكره كل داء

(١) النطاسي العالم والنطسي المتطبب والنطس الاطباء الخدّاق وهو من النطاس لفظه يونانية معربة معناها العالم الطيب

حُسم بالكَي آخر الامر ولذلك قالوا في امثالهم آخر الطب الكي وما قاله الحرث
ان كلدة ايضاً من سرّة البقاء ولا بقاء فليباكر الغلاء ولينفد الرداء ولينقل من
غشيان النساء يريد بخنة الرداء ان لا يكون عليه دين . ومن انواع معالجاتهم
ايضاً معالجة الاحول بادامة النظر الى حجر الرجي في دورانه يزعمون ان العين
تستقيم به . وبالعاجون الخدر وهو تشنج يعتري الاعضاء فلا تطيق الحركة بان
يدعو صاحبه احب الناس اليه وعليه قول بعضهم يخاطب محبوبته

رأني الله يا سلمي حياتي وفي يوم الحساب كما اراك
الى كم تهجرت فتى معني اذا خدرت له رجل دعاك

ثم لما جاء الاسلام اباحت الشريعة الاسلامية التطيب وامرت به اذ انه قد
ورد في الحديث عباد الله تداؤوا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له
دواء الا واحداً وهو الهرم فلما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك شرع في بناء
المرستان ودور المرضى فكان ذلك اول ما بُني من هذا النوع في الاسلام وجعل
في المرستان اطباء واجرى عليهم النفقات وامر بتجسس المجذومين ائلاً يخرجوا
واجري عليهم وعلى العيان الارزاق وهذه بداءة الاعشاء بهذه الصناعة منذ استيلاء
الخلفاء الامويين ومن ثم ترك التطيب عند اصحاب الطب الخشني من العرب
وبحث عن اصحاب الثقافة فيه لما ورد في الحديث استعينوا على كل صنعة يصالح
اهلها ويقال ايضاً ان في زمن صاحب الشريعة الاسلامية كان الحرث بن كلدة
الذي مر ذكره ساكناً في المدينة فارسل اليه سعد بن ابي وقاص وهو احد
الصحابه يستوصفه في مرضه نزل به فدل ذلك عندهم على انه جائز ان يشاور
اهل الكفر في الطب لان الحرث المذكور ادرك الاسلام ولم يسلم ولذلك لم تبرح
مدة جزئية بعد الاسلام الا وقد تعين للرئاسة على الطب عند الخلفاء الامويين
ثم العباسيين من بعدهم الاطباء البارعين وقتئذ من اليهود والنصارى
وكان اول من تعين من الاطباء المذكورين راهب رومي يقال له

موربانوس وهو الذي علم صناعة الطب والكيمياء لابي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي وسوف يأتي ذكره مع الاطباء الاسلاميين ويليه استفانوس الذي كان اول المترجمين لخالد المشار اليه وقد ترجم له عدة مصنفات من الرومي الى العربي

ومنهم ماسرجويه الطبيب البصري سرياني اللغة يهودي المذهب مشهور في العلوم الطبيعية تولى ترجمة مؤلف القس امرون من السرياني الى العربي في خلافة مروان بن الحكم

ومنهم ثيودوكس وثيودون طبيبان روميان كانا في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان المتقدم ذكره وكان لاحدهما ثيودوكس عدة تلامذة وكتب في الطب وكان من تلاميذه الثقات بن سخنانا في زمن المنصور

ومنهم عائلة بنخيشوع واولهم كان جاورجيوس بن بنخيشوع الجند يسابوري قبل لما مرض الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وعجز الاطباء عن معالجته استحضره من جند يسابور فجاء الى بغداد ومعه تلميذه عيسى بن شهلانا ولما دخل الحضرة دعا له بالفارسية والعربية فحجب المنصور من حسن منطقته ومنظره وامره بالجلوس ثم سألته عن اشياء اجابه عنها بسكون وهدوء فاحبره مرضه فقال له اذن ادبرك بمشيئة الله وعونه فامر له للوقت بخدمة جليلته واراه في اجل موضع من دورته واكرمه كما يكرم اخص الامل ولم يزل جاورجيوس بطيعة حتى برئ من مرضه ففرح به الخليفة فرحاً شديداً وقال له يوماً من يتقدمك هنا قال تلميذي فقال له اني سمعت انه ليس لك امرأة فقال لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها وانصرف من الحضرة ومضى الى الكنيسة فامر المنصور خادمه سالماً ان يحمل من الجواني الروميات الحسن ثلاثاً الى جاورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار ففعل ذلك فلما انصرف جاورجيوس الى منزله عرفه عيسى بن شهلانا تلميذه بما جرى وراه الجواني فانكر امره وقال

لعيسى يا تلميذ الشيطان لما ادخلت هولاء الى منزلي آ أردت ان تجسني امض
وردهن على اصحابهن فمضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم فلما اتصل الخبر
الى الخليفة احضره وقال له لم رددت الجوارى قال لا يجوز لنا معشر النصارى
ان ننزّج باكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها فحسن
موقع هلا عند الخليفة وزاد موضعه عنده وفي سنة ١٥٣ للهجرة (سنة ٧٦٩ م)
مرض جاورجيوس واستأذن بالانصراف الى بلده فعرض عليه المنصور الاسلام
قال يا حكيم انق الله واسلم وانا اضمن لك الجنة فقال جاورجيوس قد رضيت
حيث آبائي في الجنة او في النار فضحك المنصور من قوله فانصرف الى بلده
وترك تلميذه عيسى بن شملانثا عند الخليفة فاتخذ المنصور طبيباً اما هو فاخذ
بأذية الناس الى ان اطاع المنصور على امره فنفاه

وفي ذلك الوقت كان من اصحاب المنصور نوبخت النخعي الفارسي وكان
خبيراً بعلم الهيئة فلما كبر وضعف قال له المنصور احضر ولدك ليقوم مقامك
فاحضر ولده ابا سهل قال ابو سهل فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه
قيل لي تسم لامير المؤمنين فتبسمت اسي خرشادماه وطياذاه ما باذار خسير
وايشاد فقال لي المنصور اكل ما ذكرت هو اسمك قلت نعم فتبسم ثم قال
اختر مني احدي خلائين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طياذ واما
ان تجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل قال قد رضيت بالكية فبقيت
كنيته وبطل اسمه

ثم بعد وفاة جاورجيوس المذكور قام ابنه بنخيشوع وصار طبيب الخليفة
هرون الرشيد

وفي ايام هذا الخليفة كان يوحنا بن ماسويه الطبيب البارغ صاحب
المؤلفات الشهيرة

وبعد بنخيشوع المذكور قام ابنه جبرائيل وبعد جبرائيل جاورجيوس
اخوه ثم بنخيشوع بن يحيى وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠

للهمزة (سنة ١٠٥٣ م) اي مدة ثلاث مئة سنة ولهم مصنفات كثيرة في الطب
وكتب واحد منهم انجيل السبع

ومن مترجي هذه المدة حجاج بن مطر ترجم مجسطي بطليموس وترجم
اقليدس وبعض مصنفات ارستطاليس

ومنهم عبد المسيح بن نعيمة والبطريق في عصر المنصور وابوزكريا يحيى بن
البطريق

وفي هذه المدة اشتهر كذلك بعض الاطباء من الهنود والفرس واليهود
والنصارى غير الذين ذكرناهم عند الخلفاء منهم منقة وصالح بن بهلة وعبدوس
ابن يزيد وموسى ابن اسرائيل الكوفي وعائلة الطينوري وزين الدين الطبري
اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق السباغ الكندي المسيحي وقسطه بن
لوقا ويحيى بن ماسويه الذي مر ذكره

ومنهم ايضا ابو زيد حنين بن اسحق العبادي الطبيب المشهور تلميذ بوحننا
ابن ماسويه المذكور ولد سنة ١٩٤ للهجرة (سنة ٨٠٩ م) وكان في ايام الخليفة
المأمون بن هرون الرشيد واشتهر وقتئذ بالترجمة وهو امام وقت في الطب وله
مؤلفات مفيدة . يحكى عنه انه كان يذهب كل يوم الى الحمام متى خرج ونشف
عرقه يغر بالعود والعنبر وكان يأكل الدجاج ويشرب كل يوم اربعة ارطال
خمر عتيق ويأكل الفواكه والتفاح وحصل زمن الخليفة المتوكل توفي سنة ٢٦٠
لهجرة (سنة ٨٧٢ م)

وكان لابي زيد حنين المذكور ولما ن احدها يقال له ابو يعقوب اسحق
كان فيلسوفاً ومترجماً للكتب ايضا وله مصنفات مفيدة في الطب نظير مصنفات
ابيه والثاني يسمى داود وكان ماهراً في علم الطب مفيداً بعلاج المرضى
وابراهيم بن ثابت بن قرة الحراني وقد سبق ذكر ابيه بمجلة مترجي كتب
القدماء بلغ رتبة ابيه المذكور في الفضل وكان صائياً المذهب مثله ايضا ومن
حلق الاطباء ومقدمي اهل زمانه في هذه الصناعة

وابن اخي ابراهيم المذكور ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة
الحمراني كان في بغداد في ايام معز الدولة بن بويه وكان طبيباً عالمًا يقرأ عليه كتب
ابقرات وجالينوس وقد سلك مسلك جدّه ثابت في نظره الى الطب والفلسفة
والهندسة وجمع الصناعات الرياضية للقدماء وله تاريخ ايضاً
وفي ايام المقتني امر الله العباسي كان امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن
صاعد^(١) ويعرف بابن التلميد النصراني ولم يكن مثله بعد بقرات وجالينوس
على ما ذكرنا وكان ظريف المنادمة حسن المجالسة حتى ان كبراء الوقت كانوا
يرغبون في مناديتهم وكان معتبراً عند الامراء والوزراء بسبب كثرة علومه وله
كتاب في الاقرباذين وشرح على كليات ابن سينا . يحكى عنه انه كان قائماً
بين يدي المقتني المشار اليه وله ادلال الخدعة واذ دخل ابو منصور
الجواليقي البغدادي صاحب كتاب شرح ادب الكاتب والمعرب الذي لم يعمل
في جنسه اكثر منه ونعمة درة الغواص تاليف الحريري سماه التكملة وكان اماماً
لهذا الخليفة وألف له كتاباً في علم العروض فاذا على ان قال السلام على امير
المؤمنين ورحمة الله تعالى فقال له هبة الله ما هكذا يسلم على امير المؤمنين فلم
يلفت ابن الجواليقي اليه بل قال للمقتني يا امير المؤمنين لو حالف حالف ان
نصرانياً او يهودياً لم يصل الى قلبي نوع من انواع العلم على الوجه المرضي لما
لزمته كفارة الخنث لان الله تعالى قد ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله الا
بالاثبات فقال له الخليفة صدقت وكانا النجم ابن التلميد بحجر مع فضله وغزارة
علمه ومن شعره لغز في الميزان

ما واحدٌ مخلفات الاسماء يعدلُ في الارض وفي السماء
يحكمُ بالنسطة بلارياء اعني يري الارشاد كل راء

(١) هو غير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفارسي احد الكتاب البطة بمصر
الذي اسلم في ايام الملك الكامل ووزر للملك الناصر عز الدين ابيك التركاني الصامحي
متولي مملكة مصر

أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ يَغْنِي عَنْ التَّصَرُّحِ بِالْأَسْمَاءِ
يَجِبُ أَنْ نَادَاهُ ذُو امْتِرَاءٍ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَلَى النَّدَاءِ
يُنْصَحُ أَنْ عُلِّقَ فِي الْهَوَاءِ

قوله مختلف الأسماء يعني بذلك ميزان الشمس وهو الأسطرلاب وسائر
آلات الرصد وهو معنى قوله يحكم في الأرض وفي السماء وميزان الكلام وهو
النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق والميزان المعتاد والمكيال
والذراع

قال ابن خلكان في ترجمته كان هبة الله هذا إقراط عصره وجالينوس
زمانه ختم به هذا العلم (يعني الطب) ولم يكن في الماضين من بلغ مداه فيه عمر
طويلاً وعاش نبياً جليلاً هي المنظر حسن الرواء عذب المجلى والمجنى لطيف
الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمة ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم
الرأي شيخ النصاري وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم إلى أن قال كان متفناً في العلوم
ذا رأي رصين وعقل متين طالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت مناديه
أحسن من التبر المسبوك والدر في السلوك شعره رائق ونظمه فائق خلف جدّه
لامع معتد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميد النصاري فُتسب إليه توفي ببغداد يوم
عيد الفصح ولم يبق فيها من لم يحضر جنازته وذلك سنة ٥٦٠ للهجرة (سنة ١١٦٤م)
واوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكاؤن الحكيم المشهور
صاحب كتاب المعتبر في الحكمة وكان بينه وبين ابن التلميد المذكور تنافر
وتنافس وكان أبو البركات هذا يهودياً ثم أسلم في آخر عمره وكان ابن التلميد
كثير النواضع واوحد الزمان متكبراً فعل فيها البدع الأسطرولاي هذين البيتين

أبو الحسن الطبيب ومفتيه أبو البركات في طرفي تقيض
فهذا بالنواضع في التريا وهذا بالتكبر في الحضيض

وكان شيخ ابن التلميد في الطب أبو الحسن هبة الله بن سعيد صاحب

تصانيف مشهورة منها كتاب التلخيص والمغني في الطب وهو جزء واحد وكتاب
الاقناع وهو أربعة أجزاء

وكان المسلمون في غالب هذه المدة الطويلة مشتغلين بدرس الفلسفة وباقي
العلوم التي ادخلها بينهم الخلفاء العباسيون بواسطة الاطباء المذكورين هنا وغيرهم
الى ان ظهر بينهم اطباء بلغوا درجة عالية في هذا الفن يحسبون الآن كخلفة تربط
سلسلة هذا الفن بين اليونانيين والافرنج

وقد اتبعوا فيه ابقراط وجالينوس وكانوا يعرفون التقطير وصناعة التخمير
التي اتخذوها من التمار وشكلوا الاواني الكيمية باشكل سهل بها التناول
واستنبطوا بعض طرق في علم الكيمياء العملي. قال بعض المؤلفين ان العرب
اشتغلوا كثيراً في الطب والصيدلة والكيمياء فهم اول من وصف المجدي وعرف
تطعيمها فكانت نساؤهم قديماً يطعمن اولادهن بانفسهن ويبضعن ايديهم بالشوك
وهو اول من وصف الحصبة وفاقوا بالصيدلة غيرهم فزادوا في المواد الطبية كثيراً
على ما وضعه اليونان كالسنا والراوند والتمر هندي والاكاسيا وجوز الطيب
وكش القرنفل وغيرها وهم اول من استخضر المياه والزيوت بالتقطير والتصفيد
واول من استعمل السكر في الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل واول من
جعل الكيمياء علماً باصول واول من كتب الوصفات على قاعة وكان لهم في
الطب منارس شهيرة وكان احكام الاندلس يعتنون بادارة الصيدليات فيمحصون
ادويتها ازالة للغش ويسعرونها رفقا بالفتير وفضلهم في الطب على اوربا لا ينكر
فان مدرسة ساترنولولا لم تقم ولا امتد هذا الفن بين اهلها. واما التشريح فلما
كان له نصيب منهم حيث ان الدين الاسلامي لم يبح تشريح البشر واما الجراحة
فبرعوا فيها كثيراً ويظهر من كتابه ابي القاسم ان النساء بالاندلس كن يعان
كثيراً من العمليات الجراحية بغيرهن من الاناث وذلك ما يحث عليه اهل
اوربا واميركا اليوم وبالاجمال يقال انهم توغلوا اخيراً في البحث عن حجر
الفلاسفة وهو الكيمياء الكاذبة معلفين آمالهم بان يعملوا الذهب والفضة من

النحاس والقصدير وباقي المعادن لتوفير ثروتهم كما كانوا يبحثون في العلوم الفلكية عن التنجيم الكاذب لمعرفة مستقبل سعادتهم وبذلك افسدوا علومهم هذه وعطلوها كما سبقت الاشارة الى ذلك في غير موضع من هذا الكتاب

وحيث ان كثيرين ممن حازوا بينهم قصبات السبق في هذا العلم كابن سينا وابن رشد وغيرها قد مر ذكرهم مع الفلاسفة فنذكر هنا البعض من الباقيين الذين لم تدرج اسماؤهم هناك ولئن كان في الحقيقة يجب ان ينظم غاليم في سلك الفلاسفة ايضاً كما يستبين ذلك من ترجماتهم الآتية

وكان اول من اشتهر في الطب بين الاسلام ابو خالد يزيد بن معاوية الاموي الذي كان أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب ورسائل فيها دالة على معرفته اخذ الصنعة عن موريانوس الراهب الرومي كما سبقت الاشارة الى ذلك وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احكاماً ما جرى له مع موريانوس المذكور وصورة ما تعلمه منه والرموز التي اشار اليها وله في ذلك اشعار كثيرة توفي سنة ٨٥ للهجرة (سنة ٧٠٤ م)

واحمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٠ للهجرة (سنة ٧١٨ م) استخلص من كتب ابقراط كتاباً سماه اصول الطب ورسالة في النبات المستعمل في الطب

وابو بكر محمد بن سيرين البصري كان ابوه نجاساً من جرجاريا جاء الى عين النمر في بعض المصالح فاخذته خالد بن الوليد اسيراً مع اربعين فتى آخرين فاشترأه انس بن مالك ثم فدى نفسه بعشرين الف درهم وتزوج بصوفيا مولاة ابي بكر فولدت محمداً الذي نحن بصدده في سنة ٢٢ للهجرة (سنة ٦٥٢ م) واشتهر في معرفة الحديث وتفسير الاحلام وصار كاتباً لانس بن مالك لما تولى البصرة قبل ولده ثلاثون ولداً من امرأة واحدة وغلب عليه الدين فأتى في الحيس ولما مات انس بن مالك اوصى ان لا احد يغسله ولا يقرأ عليه الصلاة الا ابن سيرين فأتى به من السجن ولما اكمل الفرض عاد اليه بدون ان يرى اهل بيته

وهو صاحب كتاب تفسير الاحلام الكثير الذكر بين الذين اتوا بعده وقد مر ذكره في الفصل الرابع من المقالة الرابعة

وابن ابي زاهر الذي تقدم ذكره في علم النبات كان موجوداً نحو سنة ١٢٥ الهجرة (سنة ٧٤٢ م)

وعبد الله بن المنفع كاتب عيسى بن علي عم المصور العباسي وقد مر ذكره في الفصل الاول من المقالة العاشرة ألف كتاباً في الامراض وشرحاً على ارسططليس ترجم من الفارسي الى العربي

وابو قريش عيسى الصيدلاني كان في بغداد في عصر الخليفة المهدي ولم يكن ماهراً في صناعة الطب وإنما يذكر بين الاطباء لظرافة خبره قيل انه كان صيدلاً نياً ضعيف الحال جداً فتشكك الخيزران حظية المهدي وكانت من مولدات المدينة ونقدت الى جاريتهما بان تخرج الفارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي فلما وقع نظر الجارية عليه ارثته الفارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال لابل للملكة جيلة الشان وهي حيلي بملك وكان هذا القول منه على سبيل الرزق فانصرفت الجارية من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منه ففرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت ينبغي ان تضعي علامة على دكانه حتى اذا صحَّ قوله اتخذناه طبيباً لنا ثم بعد مدة ظهر الحبل وفرح به المهدي فرحاً شديداً فانفذت الخيزران الى ابي قريش خلعين فاخرتين وثلاث مئة دينار وقالت استعن بهما على امرك فان صحَّ ما قلته استصحبناك فتعجب ابو قريش من ذلك وقال هذا من عند الله عز وجل لاني ما قلته للجارية الا وقد كان هاجساً من غير اصل ولما ولدت الخيزران موسى الهادي سر المهدي سروراً عظيماً وحدثته الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبه فلم يجد عنده عالماً بالصناعة الا شيئاً يسيراً من امر الصيدلة ومع ذلك اتخذته طبيباً لما جرى منه واستصحبته واكرمه الاكرام التام وابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي الصادق الذي مر ذكره في الفصل

الرابع من المقالة الرابعة ألف في الهيئة والكيمياء والرمل وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ الهجرة (سنة ٧٦٥ م)

وأبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الصوفي الطرسوسي مولداً الكوفي مسكناً من تلامذة جعفر الصادق اشتهر في الكيمياء وجمع خمس مئة رسالة من رسائل جعفر في ألف صفحة طبع مؤلفه في استراسبرج سنة ١٥٣٠ وايضاً سنة ١٦٣٥ وطبع كتاب اصول الكيمياء لجابر المذكور وابن سينا في باسل سنة ١٥٧٢ وكتاب له في الهيئة في نورسبرج سنة ١٥٣٤ م

والشيخ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي كان ماهراً في فن الطب والمنطق والهندسة والموسيقى وكان يضرب بالعود في صغره ثم توغل في العلوم الطبيعية وصار رئيس الاطباء في بيت الشفاء ببغداد بعد ان دبر مرستان الري اخذ الطب عن الحكيم ابي الحسن بن زين الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة ومن مصنفاته في الطب كتاب الحاوي وهو نحو ثلاثين مجلداً جمعة من صنف متفرقة اخذها جالينوس اليوناني عن آثار دائرة من كلام ابقراط الذي هو أول من كتب في صناعة الطب بعد ان كانت سرّاً مكتوماً بين بني اقليدوس يتوارثونها خلفاً عن سلف ولا يبيحون بها لاحد ولذلك يقال كان الطب معدوماً فاحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكملة ابن سينا البخاري الذي فاق كل من تقدمه ولذلك يلقبوه بالشيخ الرئيس وقد مر ذكره مع الفلاسفة ثم من مؤلفات الرازي ايضاً كتاب الجامع وكتاب الاعصاب وكتاب المنصوري جمع فيه بين العلم والعمل صنفة لابي صالح منصور ابن نصر الساماني ومن كلامه في الطب مهما قدرت ان تعالج بالاذنية فلا تعالج بالادوية ومهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب وحكي بعض المؤلفين ان الرازي المذكور صنف لمنصور هذا كتاباً في اثبات صناعة الكيمياء (الكاذبة) فقال له منصور كل ما احتجت اليه من الآلات احضره لك كاملاً حتى نخرج ما ضمنته كتابك الى العمل فلما عجز عن عمل قال له

منصور ما اعتقدت ان حكيمًا يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها الى الحكمة
ثم حمل السوط على رأسه وامران يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع فكان
ذلك سبب نزول الماء في عينيه توفي في السنة التي مات فيها الخليفة المتندر
بالله العباسي سنة ٢٣٠ للهجرة (سنة ٩٢٢ م)

وابو القاسم الزهراوي طبيب اندلسي ولد في الزهراء قرب قرطبة في القرن
الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) وألف في الطب تأليف مفيدة منها
كتاب في امراض النساء وآخر في الجراحة طبع احدهما مترجماً الى اللاتينية في
أكسفورد سنة ١٧٧٨ م (سنة ١١٩٢ للهجرة) وكتاب في استخراج الادوية
ترجم كذلك الى اللاتينية وطبع في البندقية سنة ١٥٨٩ م (سنة ٩٩٨ للهجرة)

وابو علي يحيى بن حزمة الطبيب صاحب كتاب المنهاج الذي رتبته على
الحروف وجمع فيه اسماء الحشائش والعقاقير والادوية وغير ذلك وكتاب تقوم
الابدان وكتاب منهاج البيان في ما يستعمله الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص
العبارة ورسالة في مدح الطب وموافقتي للشرع وقالوا انه كان نصرانياً واسلم
وهو تلميذ ابي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن وكان يطيب اهل مدينته ومعارفه
بغير اجرة ويحل لهم الاشربة والادوية بغير عوض ويتفقد الفقراء ويحسن اليهم
توفي سنة ٤٩٢ للهجرة (سنة ١٠٩٩ م)

وابو الصلت أمية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي الذي كان
فاضلاً في العلوم والادب عارفاً بفن الحكمة ماهراً في علوم الاوائل وله ديوان
شعر وهو غير أمية بن ابي الصلت الشاعر المشهور في اول الاسلام ومن مؤلفاته
في الطب كتاب في الادوية المفردة وصنف للافضل بمصر رسالة العمل
بالاسطرلاب وكتاب الوجيز في علم الهيئة وله كتاب في المنطق سماه تقويم الذهن
وكتاب سماه الحديقة على اسلوب يتيمة الدهر للمعالي توفي سنة ٥٢٩ للهجرة (سنة
١١٣٤ م)

والامام فخر الدين الرازي ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن

ابن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي المولد الذي فاق اهل زمانه في علم
الكلام والمفردات وعلم الاوائل وله التصانيف المعتمدة في فنون عديدة منها في
الطب شرح الكليات للقانون وشرح الاشارات لابن سينا الذي مر ذكره في
الحكمة والمنطق وشرح عمون الحكمة وله في علم الكلام المطالب العالية ونهاية
العقول وكتاب الاربعين والحصل وكتاب البيان والبرهان في الرد على اهل
الزيف والطغيان وكتاب المباحث العادية وكتاب تهذيب الدلائل وعبود
المسائل وكتاب ارشاد النظار الى لطائف الاسرار وكتاب اجوبة المسائل
النجارية وكتاب تحصيل الحق وكتاب الزبدة والمعالج وله في الطبقات السرى
المكتوم وشرح اسماء الله الحسنى وله في اصول الفقه الموصول والمعالج وله في النحو
شرح المفصل للزمخشري وشرح الوجيز في الفقه للغزالي وشرح سقط الزند
للمعري وله مختصر في الاعجاز سماه نهاية الاعجاز وله مواخلات جيدة على النجاة
وله طريقة الخلاف وصنف في علم الفراسة وغير ذلك ومن نظمه

المرء ما دام حياً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

توفي بمدينة هرات سنة ٦٠٦ للهجرة (سنة ١٢٠٩ م)

ثم ان الكتب التي ألفها هؤلاء الافاضل وغيرهم من العرب في صناعة الطب
كثيراً ما تشمل على فنون من هذه الصناعة كالبيطرة وهي طب الخيل والزرذقة
وهي طب الطيور وقد يتعرضون فيها ايضاً لشيء من البزدرية وهي صناعة
الغرس واولفاته والفلاحة وهي صناعة الاغراس وغارسها وكثيرون منهم يضمون
ايضاً الى علم الطب علم الطبيعيات لعلاقة بينها في الاحكام المزاجية وغيرها وعلم
النجوم لتأثير الاجرام العلوية في الابدان وعلم الموسيقى لمعاذتها في احكام النبض
وفي ما قد ذكرناه في كتابنا زبدة الصحائف في اصول المعارف ما هو كاف
لمعرفة عظم اهمية مؤلفات الطب العربية المذكورة هنا ببلاد اوربا في القرن
الخامس عشر من المياد

الفصل السادس

في مدارس العرب واشتهارها وما آل اليه امرها

وكان لما نزع نفوس العرب الى الاشتغال بالعلوم واحراز المعارف انهم انشأوا لها مدارس وجعلوا اليها العلماء وكانت اشهر مدارسهم ببغداد والبصرة وبغداد في الشرق والقاهرة في مصر ومراكش وفاس ببلاد البربر وكان بمدرسة بغداد في القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد) ستة آلاف شخص من معلم ومتعلم وبقرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة في خلافة الحكم المستنصر بن عبد الرحمان في منتصف القرن الرابع للهجرة (النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد) وكان بالقاهرة وحدها عشرون مدرسة منها الجامع الازهر الذي هو الآن مدرسة الاسلام العظمى بمصر اسسه جواهر الفائد عند ما بنى مدينة القاهرة للخليفة المعز العبيدي كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل الاول من المقالة الخامسة . قال رفاعة بك الطمطاوي انهم كانوا يدرسون فيه علم الاصول والنوحيد والفقه والتفسير والحديث والعلوم الآلية مثل العلوم العربية والمنطق والوضع والمناظرة وجميع الرياضيات والاهليات وعلم الطب والهيئة والتاريخ واما الآن فلا يقرأ فيه الا العلوم الشرعية فقط ولايتها مع غاية الاهتمام والحفاظ على حفظ الشريعة ولغة العرب من الضياع ويقال بانها كان فيه من المجاورين نحو اثني عشر الفا والآن لم يكن فيه ازيد من الف ومئتين . وقال غيره ان من هذه المدرسة انتشرت بمصر العلوم والآداب وقد تخرج فيها كثيرون من الغرباء ولا زال حتى الآن يقصدونها فضلاً عن اهالي مصر

الذين ظهر منهم الشيخ محمد البوصيري والشيخ محمد الفيومي صاحب الكتاب المشهور في اللغة العربية والشيخ جلال الدين السيوطي ومنها دار الحكمة التي كانت أنشأها صاحب ديانة الدروز الحاكم بامرهم ابو علي منصور بن العزيز بالله ابي النصر نزار بن المعز العبيدي واجلس فيها القراء وحملت اليها الكتب من الخزائن والقصور ودخل اليها الناس وجلس فيها الفقهاء والمنجمون والنحاة واصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعا واجرى على من فيها من الخدام والفقهاء الارزاق السنوية وجعل فيها ما يحتاج اليه من الخبر والاقلام والمحابر والورق وكان ذلك في سنة ٢٩٥ للهجرة (سنة ١٠٠٤ م) وكان ممن تخرج في هذه المدرسة رجلا يقال لاحدهما حميد بن مكي الاطفيحي القصار (اطلع قرية من قرى مصر) والثاني بركات فشرعا في افساد عقول الناس وأدعى الربوبية فبلغ ذلك الافضل بن امير الجيوش المجالي وزير السيف والقلم للخليفة المستنصر العبيدي صاحب مصر فامر للوقت بغلاق دار الحكمة المذكورة والتبض عليها اما بركات فانه مات وهو متوار منه وقتل الافضل بعض من كان باقيا من اتباعه . واما حميد القصار فبقي متواريا الى ان مات الافضل واعاد الخليفة الامر باحكام الله ابو علي المنصور العبيدي دار الحكمة ثانية فظهر حينئذ وطلع وافسد جماعة وأدعى الربوبية وكان له من الشعبات والخزعبلات ما حبل خاصته الذين يطلعون على باطنه ان يهابوه حتى انهم يخافون الاثم في تأمل صورته فلا ينفكون مطرقين بين يديه فامسكه المأمون وزير هذا الخليفة وصلبه على الخشب مع الذين اصرروا على الاعتقاد به من اتباعه وذلك في سنة ٥١٧ للهجرة (سنة ١٢٢٠ م) ثم لما انقرضت دولة العبيدين من مصر واستولى عليها السلطان صلاح الدين الايوبي واعاد اليها الراية العباسية استولى على القصر وامواله وذخائره وما فيه من الجواهر قال ابن خلكان ومن جلتها قضيب من الزمرد طوله نحو قبضة ونصف وحبل ياقوت ونحو مئة الف مجلد من الكتب

المتقبة وقال ابن خلدون انها تناهز مئة وعشرين ألف سفراً واعطاها
لعبد الرحيم اليسانى كاتب وقاضيه وهدم دار الحكمة وكانت حيساً فيها مدرسة
للشافعية انتهى

ولانرجع الى ما كنا بصدده فنقول وحيث قد حصلت هذه الممارس
والمكاتب التي انشأها العرب سواء كان في بغداد او في غيرها من بلاد المشرق
واسيا واسبانيا وافريقية لانواع العلوم والنون على شهرة كبيرة كان من اشتهر
في المعارف مدة القرن السادس والسابع للهجرة (الثاني عشر والثالث عشر
الاميلاد) في الغالب قد تعلم فيها ومضت عدة قرون على ذلك ولم تعرف الناس
في القرون الوسطى فلسفة ارسططاليس الا بواسطة معرفة تراجم مؤلفاته باللغة
العربية حيث كان مترجمو العرب وقتئذ معتبرين كانهم اعظم مرشدين وانجيب
دليل في معرفة مذهبه

قال صاحب المنتطف ان مدارس الاندلسيين كانت على غاية من الانقان
فقصدها اهالي اوربا في القرون الوسطى وقرأوا العلم فيها ثم تزودوه منها الى
بلادهم ففي سنة ٣٦٠ للهجرة (سنة ٨٧٣ م) امر هرثموت رئيس دير ماري غالان
جامعة من رهبانو بدرس اللغة العربية لتجصيل معارفها وكان الرهبان
البندكتيون يطلبون العلوم العربية بشوق لا مزيد عليه واشهر من تعلم العلم في
هذه المدارس هو البابا سليستروس الثاني واصلة رجل فرنسي يسمى جريوت
وقد مر ذكره في الكلام على الهندسة طاك بقسم كبير من اوربا طالباً المعارف
حتى دبت قدمه في الاندلس فرجع في مدارس اشبيلية وقرطبة وصرف رغبته الى
العلوم فلما ساغها هنيئاً عاد الى دياره وما زال يسمو على اقرانه حتى تنصب
بابا فساد للعلم مدرستين الواحدة في ايطاليا والاخرى في ريمز وادخل الى
اوربا معارف العرب والارقام الهندية التي نقلها عنهم

ومن ثم ثارت الحمية في اهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا واتكلمة فطلبوا
الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف عن اهلها قال مونتكلافي تاريخ

العلوم الرياضية ولم يبق من الافرنج عالم بالرياضيات الا كان عالماً من العرب مدة قرون عديدة فمن جملة من نقل عنهم المعارف الى ايطاليا دوكرميونا فانه قرأ عليهم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهم الجسطي وكتب الرازي والشيخ الرئيس ابن سينا الى اللاتينية وكذلك ابونارد البيزي نقل عنهم الحساب والجبر وارنولد الثيلانوثي نقل عنهم الهيئة والطبيعات والطب. ومن نقل عنهم من الانكليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلي وآخر يقال له اسكوت. وروجرباكون الشهير فان ما حصله من المعارف في الكيمياء والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من اقوال الحسن (العلامة الخازن الاندلسي الذي مر ذكره مع الفلاسفة) في البصريات. ومثله فينبلو الذي اشتهر بالبصريات فانه اخذ كثيراً عن الحسن المذكور. وآخرون ذكرنا بعضهم في كتابنا زبدة الصحائف في سياحة المعارف

ثم لما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف العرب وما هم عليه من التمدن بواسطة الحروب الصليبية التي اثاروها عليهم اخذوا في اقتناء آثارهم وامروا بترجمة كتبهم الى لغاتهم كما يتضح ذلك مما يأتي والتخلاصة ان الافرنج نقلوا عن العرب ما نقله العرب عن غيرهم او استنبطوه هم انفسهم من الفلسفة والهيئة والطبيعات والرياضيات والبصريات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافيا والزراعة والفراسة واخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الادوية ونسج كثير من الاقمشة وادخلوا منهم دود القز الى بلادهم وكثيراً من الحبوب والاشجار كالارز وقصب السكر والزعفران والظن والسبانخ والرمان والتبغ ونقلوا عنهم دبغ الاديم وتجهينه وذلك انه لما طردهم اهل اسبانيا الاصليون منها هاجروا الى فاس ففقدت هذه الصناعة من الاندلس ثم استردها الانكليز ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغة بها (موركو وكوردوفان) نسبة الى مراکش وقرطبة

وقال صاحب المفتطف ايضاً ولا تزال الالفاظ العربية في اكثر مباحث

الأفرنج الطبيعية كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات واسماء النجوم والكحول
والقلي والجبر والقطر والشراب والكيميا وغيرها ولولا لغة العرب لبقيت لغة
اهل اسبانيا قاصرة كما كانت فاسماء اوزانهم واقسمتهم أكثرها عربي محرف
كالمقنطار والربع والشبر وكذلك اسماء قطع الماء كالمجيرة والبركة والجب
والقيية (مصغرة) وغيرها كثير فالمولودون كانوا في زمانهم حلقه من
سلسلة العلوم اتصلت بها علوم الاولين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان
لم نقل كلها

قال روبرتسون المؤرخ الانكليزي الشهير وغيره ما خلاصته هو انه في
الزمن الذي كان يتلارس به العرب هذه العلوم وينشرونها في بلادهم كانت
اهالي اوربا في حالة لا زالوا هم ذواتهم يندبونهم حتى اليوم ولم يستفيقوا من ذلك
الجهل المفرط والنوم العميق الا بواسطة شروعهم في تلك الغزوات الصليبية
الوحشية التي اجروها مع المسلمين بقصد استخلاص الاراضي المقدسة من ايادهم
حيث مروا في غزواتهم هذه وسيرهم جهة بلاد اورشليم باراض نصره لحسن
زراعتها اكثر من اراضيهم وبدول متمدنة أكثر من تمدن دولهم ووجدوا في
اسيا آثار تلك العلوم والفنون التي كان أسسها واعان على تحصيلها الخلفاء
العباسيون وان تكن وقتئذ خارجة عن حكمهم (يعني تحت حكم الخلفاء
العلويين الفاطميين الذين سبق ذكرهم)

وكذلك لما استولوا على القسطنطينية كرسي القيصريه اليونانية الشرقية في
اثناء هذه الغزوات المذكورة وذلك في سنة ٦٠٢ للهجرة (سنة ١٢٠٥ م)
شاهدوا فيها ما لم يكن موجودا في بلادهم من المدن وحسن التربية القديمة
وكانت وقتئذ هذه المدينة لم تنزل تحت حكم القياصرة اليونانيين وكانت مخزنا
لبضائع اوربا الهندية وكانت قوتها البحرية عظيمة جدا مزينة بالمعامل المعتبرة
وفيها توجد منابع الغنى التي سببت لاهلها الميل الى الزينة والعلوم والاشياء
الفاخرة وكانت هذه العلوم كاسفة اذ ذاك في غربي اوربا ومضيئة في هذه

المدينة وغيرها من مدن الامبراطورية المذكورة ولما كان لا يمكن لهؤلاء المحاربين من الافرنج ان يجوبوا هذه البلاد بدون ان يكتسبوا من علومها ومعارفها شيئا جديداً انسعت حينئذ اطاعهم وضعفت او هاهم وتصورت اذهانهم تصورات اخرى نافعة وصارت عساكرهم التي تسبيل ترجع الى محلاتها مستصبة تلك العادات التي اكتسبتها في تلك المدة الطويلة حتى انه بعد زمن قليل من ظهور تلك الحاربة التي ابتدأت سنة ٤٩٠ للهجرة (سنة ١٠٩٦ م) في ايام خلافة المستنصر بالله العباسي في بغداد والمستنصر بالله ابي تميم المعتمد الفاطمي بمصر والشام ظهرت التخمينات في دواوين امراء اوربا والتزينات في المحافل العامة والجامع المدنية وانتشرت دائرة العلوم رويداً رويداً في بلادهم ولما بمجئها عن كتب ارسطو وغيرها من كتب العلوم ليطلعوها او لينقلوها الى لغاتهم كانت اللغة العربية وقتئذ هي التي يمكنها ان تجود عليهم بذلك نظراً لاختلاطهم باهلها سواء كان ذلك في اسيا او في بلاد الاندلس وجهلهم اللغة اليونانية فتناولوها من يد العرب على الوجه الذي سبقت الاشارة اليه

غير ان كتب الفلاسفة التي كان ترجمها العرب الى لغتهم قد استخرجت من اللغة اليونانية على وجه مفسود بسبب جهل المترجمين الذين ترجموها في لغة اليونان حيث انها كانت وقتئذ مهجورة ولذلك قد زود البعض منهم اشياء في كتب ارسطو وبعض تعاليم لم تكن موجودة في الاصل لكونهم ما عرفوا قصد هذا الفيلسوف في بعض جمل فاوردوها بموجب اختراعات عقولهم الخصوصية وآخرون فعلوا ذلك عن قصد كابن سينا على ما سبقت الاشارة اليه في ترجمته المندرجة بجملة الفلاسفة ومن ثم اصبحت تعاليم هذا الفيلسوف اليوناني مفسودة عندهم فساداً كافياً فلما استخرج الافرنج هذه الكتب من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية استخرجوها على هذا الوجه المفسود عينه الذي به استخرجت من اليونانية الى العربية فكانت كما هي تعليم آخر منسوب لارسطو غير تعاليمه الاصلية لكونها مفسودة من وجهين الاول من جهل المترجمين الاولين والثاني

من ابن سينا المذكور وقد بقي هذا التعليم في أوروبا عدة قرون على هذه الصورة الفاسدة الى ان افتتح آل عثمان مدينة القسطنطينية في سنة ٨٥٧ للهجرة (سنة ١٤٥٣ م) وهرب كثيرون من علماء اليونانيين الى ايطاليا وغيرها من مدن أوروبا واقاليها واستوطنوا هناك وكانوا مستصحين معهم بحيلة كتبهم نسخ فلسفة ارسطو الاصلية فحيثما أُعيد استخراجها الى اللغة اللاتينية بكل تدقيق وبذلك تصححت النسخة اللاتينية المترجمة من ابن سينا المذكور وعرف الافرنج فلسفة ارسطو على حقيقتها وانشأوا لها في كل جهة من بلادهم مدارس لائخص وجمعوا فيها من كتب اليونانيين والرومانيين والعرب خزائن لا تستقصى الى ان انتهت اليهم الآن الرياسة في المعارف العقلية والنظرية وصاروا مصدراً لكل حقيقة سامية وطريقة علمية وسريرة طبيعية

اما العرب فانه لم يبق عندهم من تلك المكاتب التي اشرنا اليها بانهم جمعوها والمدارس التي شيدوها حتى ولا ذكرها فكان دولة علومهم كانت مرتبطة بدولهم السياسية التي منذ اضاعوها اضاعوا كل هذه العلوم والمعارف معها اذ انه لم تسقط لهم دولة من دولهم سواء كانت في المغرب او في المشرق الا وهدمت جيوش اعدائهم مدارسها واشعلوا نيران حقدهم في مكانها

قال صاحب المتكطف ان مكاتب الاندلس لم تمش طويلاً اذ قد روى سعيد بن احمد ان المنصور (لعله الذي كان وزيراً للملك المؤيد) اتلف اكثرها وهكذا لما افتتح الاسبانيون تلك البلاد واستخلصوها من يد العرب على ما رواه بعض المؤلفين فان كرويناهم المستي شينز أمر بحرق ثمانين الف كتاب في ساحات مدينة غرناطة بعد استظهارهم عليها في سنة ٨٩٨ للهجرة (سنة ١٤٩٣ م) الى ان قال نقلاً عن مؤرخ اسباني يقال له ريلس بان الاسبانيين افنوا الف الف وخمسة آلاف مجلد كلها خطتها افلام العرب وانهم ظفروا بثلاث سفن كانت مشحونة بالجلدات العربية الضخمة طالبة ديار سلطان مراكش فسلبوها والقول كتبها في قصر الاسكوريال الى سنة ١٦٧١ م (سنة ١٠٨٣ للهجرة) حين لعبت

بها النيران فاكلت ثلاثة ارباعها ولم يستخلص منها الا الربع الاخير حيث استفاقوا من غفلتهم ففوضوا الى رجل ماروني من اهالي طرابلس يقال له ميخائيل القصيري فكتب لهم اسماء الف وثمان مئة واحد وخمسين كتابا منها والظاهر ان هذه الكمية التي اشار اليها صاحب المتطف هي الكتب التي يقال بانها لازالت محفوظة من كتب العرب في خزانة الكتب السلطانية هناك وكان قبل ذلك بعدة قرون لما افتتح هولاكو ملك التتار مدينة بغداد من يد المستنصر العباسي في سنة ٦٥٦ للهجرة (سنة ١٢٥٨ م) خرب ما كان في تلك المدينة من المدارس والتي في نهر دجلة كل ما كان فيها من الكتب النفائس واضف الى ذلك الخمول والزهديين شيلا الامة العربية وما سلبته بطول المدة ايادي الافرنج منذ الفاتح الى العلوم ولا زالوا يبحثون عنه ليسابو من بلاد الشرق حتى هذه الساعة من فضلات كنوز مكانها الثمينة الى ان غادروا مدنها العظيمة التي كانت مشحونة بالكتائب والمدارس خاوية على عروشها وقد اتصل بنا الحال الى ما نحن عليه الآن حتى اذا وجد بيننا من يوجد عنده بعض كتبها فلا تكون الا من كتب اللغة او ما يختص بالامور الدينية وربما كان اكثرها بلا تجليد وعند الاكثرين ليست باكثر من علف للسوس كما انه لم يبق اثر للمدارس الا مدرسة واحدة في مصر وهي الجامع الازهر الذي مر ذكره وهو كذلك لا يوجد فيه والحالة هذه من تلك العلوم التي كانت تدرس فيه في ما سلف الا العلوم الشرعية وما يتعلق بحفظ اللغة العربية من الضياع كما سبقت الاشارة الى ذلك في بداءة هذا الفصل

الخاتمة

في بيان توارىخ سني جلوس الخلفاء ونوابهم من السلاطين وغيرهم

كان انتخاب ابي بكر الصديق للخلافة بعد وفاة صاحب الشريعة الاسلامية
في سنة ١١ للهجرة (٦٣٢ م)

وقام بالخلافة بعده عمر بن الخطاب في سنة ١٢ للهجرة (سنة ٦٣٤ م)
وتوفي قتيلاً بعد ذلك بعشر سنين وستة اشهر

وتولى بعده عثمان بن عفان سنة ٢٣ للهجرة (سنة ٦٤٤ م) وتوفي كذلك
قتيلاً بعد ان حكم اثنتي عشرة سنة

وتولى بعده علي بن ابي طالب سنة ٣٥ للهجرة (سنة ٦٥٦ م) وتوفي قتيلاً
بعد اربع سنين وشهرين

وتولى ابنة الحسن في سنة ٤٠ للهجرة (سنة ٦٦١ م) واقام في مسند الخلافة
سنة شهرين ثم انتقلت الخلافة الى بني أمية ومن ذلك الوقت صارت وراثية بعد

ان كانت انتخابية واستمرت بيد الخلفاء الامويين يتداولونها خمسة عشر شخصاً
منهم على النعاقب الواحد بعد الآخر وكانت سلطنتهم ممتدة على مصر والحجاز

والهند والصين وخراسان والمشرق وافريقية والاندلس وسائر اقطار الاسلام
وكرسي ملكهم كان في دمشق الشام

ولول خليفة منهم كان معاوية ابن ابي سفيان الاموي تولى الخلافة

سنة ٤١ للهجرة (سنة ٦٦١ م) وتوفي بعد عشرين سنة
وتولى بعده يزيد ابنه في سنة ٦٠ للهجرة (سنة ٦٨٠ م) وتوفي بعد ثلاث
سنوات ونصف
والثالث معاوية بن يزيد تولى سنة ٦٤ للهجرة (سنة ٦٨٣ م) وخُلع بعد
تسعين يوماً
والرابع عبد الله بن الزبير تولى ملك الحجاز والعراق في سنة ٦٤ للهجرة
(سنة ٦٨٣ م) وقتل بعد تسع سنين
والخامس مروان بن الحكم أول الخلفاء المروانيين كانت حكومته على
الشام ومصر في سنة ٦٤ للهجرة (سنة ٦٨٣ م) ثم قتل بيد اهل غدرًا بعد ثمانية
اشهر وعشرة ايام
وتولى بعده ابنه عبد الملك سنة ٦٥ للهجرة (سنة ٦٨٤ م) لكن لم تصح
خلافته الا بعد ان قتل ابن الزبير ثم توفي بعدها بثو ثلاث عشرة سنة
وتولى بعده ابنه الوليد سنة ٨٦ للهجرة (سنة ٧٠٥ م) وتوفي بدير مران
بعد تسع سنوات
وتولى بعده اخوه سليمان سنة ٩٦ للهجرة (سنة ٧١٤ م) وتوفي بمرج دابق
بعد سنتين وثمانية شهور
وتولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز في سنة ٩٩ للهجرة (سنة ٧١٧ م)
وتوفي مسموماً بعد سنتين وثلاثة اشهر بدير سمعان بارض حمص
وتولى بعده يزيد بن عبد الملك في سنة ١٠١ للهجرة (سنة ٧١٩ م) وفي
ايامه كان تلف آل المهلب الذين مر ذكرهم في الفصل الاول من المقالة
السادسة ثم توفي بعد خلافته بارب سنوات في حوران
وتولى بعده اخوه هشام في سنة ١٠٥ للهجرة (سنة ٧٢٣ م) وتوفي بالرصافة
التي بناها بارض الشام بعد ان اقام خليفة نحو عشرين سنة
وتولى بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥ للهجرة (سنة

(٧٤٢ م) وتوفي قتيلاً بعد سنة واحدة
وتولى ابنه يزيد في سنة ١٢٦ للهجرة (سنة ٧٤٣ م) وتوفي بالطاعون بعد
خمس أشهر وأيام
وتولى بعده أخوه ابراهيم سنة ١٢٦ للهجرة (٧٤٣ م) وخلع بعد أربعة شهور
وتولى بعده مروان بن محمد بن مروان آخر الخلفاء الأمويين في سنة ١٢٧
لهجرة (سنة ٧٤٤ م) وقتل في قرية بوسير بعد خلافته بخمس سنوات وانتقل
الأمر إلى بني العباس
وكان أول خليفة من بني العباس المشار إليهم عبد الله السفاج تولى الخلافة
في سنة ١٢٢ للهجرة (سنة ٧٤٩ م) وشرع في إبادة الأمويين على ما تقدم بيانه
في الفصل الأول من المقالة الخامسة . يحكى بأنه بعد أن قتل مروان بن محمد بن
مروان المذكور وجلس على تخت الخلافة عمل ولية لأجل الصلح بينه وبين
الأمويين المذكورين فاغترروا بما ظهر لهم من حلمه واجتمع منهم في هذه الولاية
ثمانون أميراً فقتلوا فيها عن آخرهم ولم ينج إلا عبد الرحمن الداخل وابوه وهى
من نسل مروان الأول فهرب إلى مصر ثم إلى برقة ثم إلى بلدة يقال لها طاهر
سوف يأتي الكلام عليها وأما السفاج المشار إليه فإنه أمر ببساطير فرش له على
لاشاة المتبولين وأكل طعامه فوفقه وقال انه لم يأكل مدة عمره طعاماً لذاً له
مثل تلك الأكلة ثم توفي بعد ذلك بأربع سنوات
وتولى بعده أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور سنة ١٢٧ للهجرة (سنة ٧٥٤ م)
ونقل كرسي الخلافة إلى بغداد مدينه التي بناها في أيام خلافته وكان عبد الرحمن
الداخل الأموي المار ذكره اتصل بقرية طاهر على ما تقدم وفي من بلاد المغرب
ولكون أمه كانت من قبيلة هناك يقال لها الرينية رحبت به تلك القبيلة واجتمع
له جموع كثيرة حارب بها الأمير يوسف عامل بني العباس على الأندلس واستقل
بالمالك هناك في سنة ١٢٨ للهجرة (سنة ٧٥٥ م) وأقام له ولخلفائه دولة مستقلة
دامت إلى أن انقرضت بما جرى بينها وبين البربر من الحروب في سنة ٤١٧

للهمزة (سنة ١٠٢٦ م) في زمن خلافة القادر بالله العباسي حيث مرقبها ملوك الطوائف واستولى كل منهم على قطعة منها فاندرس بذلك جزء كبير من معالم العلوم والفنون التي كانت احداثها هذه الدولة فيها ولا زالت تفتلش شيئاً فشيئاً الى ان انتهى امرها بطرد العرب من بلاد الاندلس باسرها واستيلاء اهلها الاصليين عليها على يد الملك فرديند وزوجته ايزابلا في سنة ٨٩٨ للهجرة (سنة ١٤٩٢ م)

وكان ظهور هذه الخلافة الجديدة مبدأ ضعف شوكة العرب حيث توزعت قوتهم بين خلافتين متباغضتين متعاديتين كل منهما ترغب في الانتماء من الاخرى لكنهما لم يستطيعا ان يفعلوا مع بعضها شيئاً أكثر من ان تمنع دولة الخلفاء العباسيين في المشرق عن دولة الامويين بالاندلس المدد بالرجال كما ان دولة الامويين ايضاً منعت عن دولة العباسيين الاعانة في الاموال

جدول اسماء الملوك والخلفاء من بني أمية بالاندلس وتواريخ جلوسهم

الهمزة	الملك	اسماء الملوك
١٢٨	٧٥٥	عبد الرحمن الداخل اعتمر بيعة المشرق فلم يلقب بالخليفة
١٧٢	٧٨٨	ابنة هشام
١٨٠	٧٩٦	الحكم بن هشام
٢٠٦	٨٢١	ابنة عبد الرحمن الاوسط
٢٢٨	٨٥٢	محمد بن عبد الرحمن المذكور
٢٧٢	٨٨٦	ابنة المنذر
٢٧٥	٨٨٧	عبيد الله اخو المنذر المذكور
٣٠٠	٩١٢	حنيفة عبد الرحمن تسمى امير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله

الهجرة	الميلاد
٢٥٠	٩٦١
٢٦٦	٩٧٦
الحكم بن الناصر وتلقب بالسنصر	
ابنه هشام المؤيد وإقام هذه الخليفة مدة خلافته كلها تحت	
تلقب وزرعه المنصور بن ابي عامر الذي استقل أخيراً	
بالمالك وتلقب بالحاجب المنصور وتوفي سنة ٢٧٤ للهجرة (سنة	
٩٨٤ م) وقام من بعده أخوه المظفر ثم ابنه عبد الرحمن	
المنصور أيضاً وسلك عبد الرحمن هذا وعمه المظفر المذكور	
في التحير على الخليفة المؤيد المشار اليه وأخيراً أكرمه على ان	
بولاية عهده فكتب له بذلك صكاً وإعطاء صفة يمينه	
تامة فإغضب ذلك عصاة من الأمويين والقرشييين	
وخلعوا المؤيد المذكور وبايعوا محمداً بن هشام بن عبد الجبار	
ابن أمير المؤمنين الناصر ولقبوه بالمهدي في سنة ٢٩٩	
للهجرة (سنة ١٠٠٨ م) ومن ثم ثارت الحروب بين الفريقين	
الى ان تمزقت الملكة وانتهت باسماء الافرنج عليها على ما	
نقدم . ولارجع الى ما كنا بصدده فنقول	
وبعد ان توفي ابو جعفر المنصور العباسي المشار اليه بقرب مكة بعد	
اثنين وعشرين سنة من خلافته تولى الخلافة ابنه المهدي في سنة ١٥٨ للهجرة (سنة	
٧٧٤ م) وتوفي بعد عشر سنوات	
فقام بعده ابنه موسى الهادي في سنة ١٦٩ للهجرة (سنة ٧٨٥ م) وتوفي	
بعد سنة واحدة وثلاثة شهور	
وتولى بعده أخوه هرون الرشيد سنة ١٧٠ للهجرة (سنة ٧٨٦ م) وهو	
الذي آباد البرامكة الذين مر ذكرهم في جملة محلات من هذا الكتاب ثم توفي	
بعد ثلاثة وعشرين سنة بقرية طوس	
وتولى الخلافة بعده ابنه محمد الأمين سنة ١٢٩ للهجرة (سنة ٨٠٨ م) وكان	

يقول بخلاف القرآن وتبعه في ذلك اخوته الذين تولوا الخلافة بعده فكانت بدعة جلبت وبالا عظيما بسفك دماء كثيرة في الاسلام وقتل بعد اربعة سنين وشهرين فقام بعده اخوه المأمون عبد الله بن الرشيد سنة ١٩٨ للهجرة (سنة ٨١٢ م) وتوفي في بلاد الروم بعد عشرين سنة من خلافته

فتولى بعده اخوه المعتصم بالله محمد سنة ٢١٨ للهجرة (سنة ٨٢٣ م) وتوفي بعد تسع سنين

فقام بالامر بعده ابنه هرون الواثق في سنة ٢٢٧ للهجرة (سنة ٨٤٢ م) وتوفي بعد ذلك بست سنوات

فجلس عوضه اخوه جعفر المتوكل على الله سنة ٢٣٢ للهجرة (سنة ٨٤٧ م) واراد ان ينقل كرسي الخلافة من بغداد الى الشام فلم يقدر واخيرا حجر عليه ابنه ثم قتل بمكة وصلت اليه منه بعد اربعة عشر سنة

وتولى عوضه ابنه محمد المستنصر بالله سنة ٢٤٧ للهجرة (سنة ٨٦١ م) وتوفي بعد ثلاثة شهور

فقام بالخلافة بعده المستعين بالله احمد بن محمد بن المعتصم توفي سنة ٢٤٨ للهجرة (سنة ٨٦٢ م) وفي ايامه نقوت شوكة الاتراك في بغداد واتسع بينهم وبين العامة مجال الخصام والمقاتلات فخلع نفسه ثم قتل بعد اربع سنوات من خلافته فجلس عوضه المعتز بالله محمد بن المتوكل في سنة ٢٥٢ للهجرة (سنة ٨٦٦ م) ثم خلع نفسه بعد ان كابد اهوالا عظيمة بمدة خلافته التي لم يبرح بها مسجونا وكانت لا تزيد عن اربع سنين ونصف وفي ايامه استقل بملك مصر احمد بن طولون وهو اول سلاطينها في الاسلام وكانت قبالة تاتي اليها العمال من طرف الخلفاء الراشدين وبني امية والعباسيين الى ان تغلب عليها وعلى غيرها هلا السلطان لكنه لم يدع الخلافة بل كانه نائب عن هذا الخليفة وذلك في سنة ٢٥٤ للهجرة (سنة ٨٦٨ م) واقام له ولخلفائه فيها مملكة استقلوا بها الى عصر خلافة المكنفي بالله العباسي نحو خمس وثلاثين سنة . وهما جدول اسامهم وتاريخ جلوسهم

الهجرة لليلاد	اسماء السلاطين
٢٥٤ ٨٦٨	احمد بن طولون المذكور
٢٧٠ ٨٨٣	ابنه ابو الجيش خوارويه
٢٨٣ ٨٩٥	ابو موسى هرون بن خوارويه واقام هذا السلطان في السلطنة
	تسع سنين ثم قتله عمه ولدا احمد بن طولون وتولى عوضه
	ابو المغازي شيبان عشرة ايام وقتل وبه مضت دولتهم
	وأعيدت مصر لتصرف في العباس الى زمن خلافة الرازي
	الآتي ذكره

وإلّا يتوهم القارئ بان مثل هذه السلطنة طالما هي عبارة عن نيابة للخلافة فلا نضرها بشيء يقتضي توضيح كيفية هذا الانتقاد الصوري للخلفاء المشار اليهم وهو ان بني العباس كانوا هاشميّ المذهب من فرقة تُعرف بالكيسانية لكنهم اخيراً تركوا ذلك نظراً لضعف شوكة الدين يدعون تخصيص الامامة والخلافة وحصرها في النسب القرشي بسبب كثرة تنوع الآراء والاهواء وتفرق الاحزاب ومن ثم تزعقت عصاية هذه العائلة الملكية وتشتت انصارها فلم يبق لها شوكة اصلاً فلما اشعروا بالهجز عند ذلك عن محافظة ما بقي بايادهم من البلاد فضلاً عن عدم مقدرتهم على توسيع دائرة السلطنة الاسلامية اباحوا السلطنة المطلقة والاستقلال التام الى الغزاة من رؤساء العشائر كالاكراد والأتراك وغيرها في ما يفتخرونه من البلاد الاجنبية ولقبوهم بالسلاطين بحيث قنعوا منهم بمجرد الاعتراف لهم بالسيادة والدعاء لهم بالخطبة يوم الجمعة على المنابر في المساجد ووضع اسمائهم على سكة المعاملة المتناولة بين الناس فكان ذلك في بداءة الامر مفيداً في الفتوحات الاسلامية بما انهم لم تعد تكف عن الامتداد في زمن ضعف هؤلاء الخلفاء المشار اليهم لان مثل هؤلاء الغزاة المتوطنين في حدود مملكتهم صاروا يغزون من مجاورهم ويفتخون بلاداً يستولون عليها لذواتهم ولذرائعهم فكانوا يبدلون على ذلك ارواحهم بغيره وحمية قل ما امكن مع انقلاهم . ومن

ثم سرى هذا الاستقلال بعينه اخيراً الى نفس عمال مملكتهم ايضاً بلاعي حفظ
البلاد من تسلط الاغيار كالافرنج الصليبيين من خارج والرقباء من داخل
واجب ذلك فسخ كثير من ايلاتهم التي رغبتم حكامها في الاستقلال والتمتع
بالسلطنة وليس هنا ما يوجب تفاصيل ذلك كتبها في كتب التاريخ المتكفلة
بايضاحه بل نهماية ما ينبغي ان يقال هو ان هذا الامر امتد حتى استقلت
سلاطين خوارزم واناككة الموصل واناككة فارس (واناككة بمعناه امير
الأتراك) والايوية والأتراك بمصر والايوية ايضاً في حلب وكردستان وبلبلك
والبن وحماه وحصى والجندكزية في المغول والسجوقية في قونية وبنوارتن في
ديار بكر وبنو رسول وشرفاء مكة وملوك خراسان الخ . وخلاصة الامرانة ما
بقي للخلفاء العباسيين المشار اليهم نفوذ في تلك الاراضي الواسعة التي كانت في
قبضة تصرفهم بل ولا في نفس بغداد واعمالها حيث لم يعد ممكناً لهم ان يجهوها
بالدب عنها كما يتضح ذلك مما ياتي . ولندرج الى خلافة ما كنا فيه

ثم بعد المعتز تولى المهدي بالله محمد بن الواثق في سنة ٢٥٥ للهجرة (سنة
٨٦٩ م) ولم يستمر سنة واحدة حتى قام عليه الأتراك وخلعوه وبعد ذلك قتلوه
فتولى الخلافة بعده المتمد بالله احمد بن المتوكل في سنة ٢٥٦ للهجرة (سنة
٨٧٠ م) واقام فيها عشرين سنة وتوفي وفي ايامه كان ابتداء ظهور القرامطة
الذين هددوا بني العباس في جميع بلاد المشرق التي كانت تحت سلطتهم ومن
ذلك الوقت اخذت دولتهم في الوهن والانحطاط

ثم تولى الخلافة المعتضد بالله احمد بن الموفق في سنة ٢٧٩ للهجرة (سنة
٨٩٢ م) واقام ست سنين وشهرين وتوفي

فتولى الخلافة بعده اخوه المقتدر بالله جعفر سنة ٢٩٥ للهجرة (سنة ٩٠٨ م)
واقام بها اربعة وعشرين سنة وبعض شهور وقتل في بغداد وفي ايامه تقوى امر
القرامطة وفرضوا على بني العباس اموالاً يجلبونها اليهم في كل سنة ولا زالوا
يتمهون ويسفكون الدماء في بلاد هذه الدولة واستطالوا على الحجاج ونهبوهم

ونهبوا أيضاً الحجر الأسود وباب البيت وفي ذلك الوقت ظهر أبو جعفر بن علي
الشماعاني المعروف بابن أبي الغراف وكان من الباطنية ويدعي الربوبية فاتبه
على ذلك الحسين بن القسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب وزير الخليفة المشار
اليه وجاعة غيره ولما ان طلبهم هربوا فاستوزر عوضه ابن مقله صاحب الخط
المشهور

وبما كانت الحال على هذا المنوال قام أبو عبد الله الشيعي وأجرى
الحروب في القبروان من بلاد افرقية وأقام فيها الخلافة العلوية ومن ذلك
الوقت أخذ العباسيون في احتمال انقائها ومكابدة اهلها الى ان انقرضت
بدولة الاكراد الانوية تحت الراية العباسية في مصر. ولندكر هنا اسماء الخلفاء
العلويين الفاطميين العبيد بن المذكورين

الهجرة للميلاد اسماء الخلفاء منهم بافرريقية

عبد الله المدي	٢٩٧	٩٠٩
ابنة أبو القاسم محمد القائم بأمر الله	٣٢٣	٩٣٣
اسماعيل المنصور بن القائم	٣٣٤	٩٤٥

اسماء الخلفاء منهم بمصر

ابنة المعد المعز لدين الله فاتح مصر من بني العباس	٣٤١	٩٥٣
العزیز بالله أبو النصر نزار بن المعز	٣٦٥	٩٧٥
ابنة الحاكم بأمره أبو علي منصور صاحب ديانة الدروز	٣٨٦	٩٩٦
الظاهر لا عزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم فاتح الشام	٤١١	١٠٢٠
ابنة المستنصر بالله أبو تميم خطيب له ببغداد	٤٢٧	١٠٣٥
المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر	٤٨٧	١٠٩٤
ابنة الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور	٤٩٥	١١٠١

الهيجرة للميلاد	بقية أسماء الخلفاء بمصر
٥٢٤ ١١٢٩	الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر
٥٤٤ ١١٤٩	الظاهر بأعلاء الله اسماعيل بن الحافظ
٥٤٩ ١١٥٤	ابنة الفائز بنصر الله عيسى
٥٥٥ ١١٦٠	العاظم لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ
ولما توفي العاضد المذكور ورث ارضه ورتبته وزيره صلاح الدين يوسف ابن ايوب الكردي وتلقب بالملك الناصر وكان سنياً فحمل مملكة تحت العلم العباسي نظير غيره من السلاطين المعترفين لبني العباس بالسيادة عليهم ولا زال يتوارثها خلفاؤه الى ان قامت فيهم دولة ما ليكمم الا تراك . وهذا جدول أسماء السلاطين الاكراد المذكورين بمصر	
الهيجرة للميلاد	أسماء السلاطين
٥٦٧ ١١٧١	الناصر صلاح الدين يوسف المذكور تولى الشام و اضافها الى مصر وكان يعتمد على رجل يقال له بهاء الدين قراقوش تضرب العامة المثل بسوء احكامه غلطاً اذ انه بعكس ما يزعمونه فيه
٥٨٩ ١١٩٣	ابنة العزيز عثمان
٥٩٥ ١١٩٨	المنصور محمد بن عثمان
٥٩٦ ١١٩٩	العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب
٦١٥ ١٢١٨	ابنة الكامل محمد
٦٣٥ ١٢٣٧	العادل ابو بكر بن الكامل
٦٣٧ ١٢٣٩	اخوه الصالح ايوب نجم الدين
٦٤٧ ١٢٤٩	الملك المعظم تورانشاه اقام شهرين وقُتل وتولت عوزة شجرة الدر سرية الملك الصالح ثلاثة شهور وخلفت

للهمزة للميلاد بقية اسماء السلاطين الايوبية بمصر

١٢٥٠ ٦٤٨ الملك الاشرف موسى بن يوسف وبعد تملكه بخمس سنين
عُزل وقامت بعده الدولة التركية مما يليك الاكراد
المذكورين . وهاك اسماء ملوكهم

اسماء الملوك الاتراك

١٢٥٤ ٦٥٢ المعز عز الدين ايبك التركي الصالح
١٢٥٧ ٦٥٥ ابنه المنصور علي
١٢٥٨ ٦٥٧ المظفر قطز المعزي

الظاهر ركن الدين والدنيا بيبرس العلالي البندقداري الذي في ايامه
كانت نكبة بغداد الاخيرة في زمن خلافة المستعصم بالله بن المستنصر العباسي
كما يأتي الكلام على ذلك ومن ثم لم يبق لنا حاجة لاستيفاء اسماء باقي ملوك مصر
من هذه العشيرة ولا غيرها لانقراض دولة العرب التي هي موضع هذا الكتاب
الداعي والسبب بل نرجع الى نعمة الكلام على الخلفاء العباسيين فنقول

وبعد المتقدر بالله العباسي تولى الخلافة اخوه الفاهر بالله محمد سنة ٢٣٠
للهمزة (سنة ٩٢٣ م) واقام نحو سنة ونصف ثم خلع وسُـل
وقام بالخلافة بعده ابنه الرازي بالله محمد سنة ٢٣٣ للهجرة (سنة ٩٢٣ م)
واستمرت سنوات

وتولى الخلافة بعده اخوه المفتي بالله ابراهيم سنة ٢٣٩ للهجرة (سنة ٩٤٠ م)
وكان لم يبق وقتئذ للخلفاء العباسيين غير بغداد واعمالها ومع ذلك وقع فيها
حروب من الاكابر في ايامه على امرة الجيش فلم يستمر بالخلافة غير ثلاث
سنوات ثم خلع وسُـل ايضا

وجلس بعده المستعفي بالله عبد الله بن المكتفي سنة ٢٣٣ للهجرة (سنة
٩٤٤ م) واقام سنة واحدة وثلاثة شهور ثم عزله مغز الدولة بن بويه الديلمي

الشيعة وسمل عيني وبني مجوساً الى ان توفي وكان معز الدولة المذكور جاء الى بغداد سنة ٣٣٤ للهجرة (سنة ٩٤٤ م) وامتلكها ولقب نفسه بسلطان العراق واستولى على هذه القطعة الصغيرة التي كانت باقية للخلفاء من تلك الممالك المدينة وصارت اعمال العراق وولاية اراضي يد عماله وهو ايضا بولي ووزراء الخليفة مع انه لم يكن لهم غير النظر في امور اقطاع سيدهم ومفتحات دارهم وكانوا لا يتصرفون في شيء منها الا بمراسيمه فلم يترك للخليفة شيئاً غير السرير والمنبر والسكة والمختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد واجلال النخبة والخطاب فقط واما القيام بالاحكام من دولة بني بويه المذكورين والسجوقية بعدهم فينفرد بلقب السلطنة ولا يشاركه فيه غيره

ودامت سلطنة بني بويه المذكورين واستبدادهم على الخلفاء العباسيين من زمن هذا الخليفة الى عصر القائم بامر الله الآتي ذكره ثم انقرضت بقيام سلطنة السلجوقية المذكورين في سنة ٤٤٧ للهجرة (سنة ١٠٥٥ م) فلم يتخلص الخلفاء من ربة الاسر اصلاً حتى جاء هلاكو ملك التتار وقتل المستعصم بالله وتكب بغداد واخلي من العباسيين تلك الديار. وهاك جدول اسماء سلاطين بني بويه المستولين على بغداد واعمالها

الهجرة الميلاد	اسماء السلاطين
٢٣٤ ٩٤٥	معز الدولة بن بويه اول سلاطين بغداد
٣٥٥ ٩٦٥	ابنه بختيار (اي الموفق)
٣٦٧ ٩٧٧	عز الدولة بن عم بختيار حُطِب له على المنابر في بغداد وضرب على باب ثلاث نوبات وكان محباً للعلماء وصنف الكتب باسمه كالايضاح في النحو والنخبة في الفرائد والملكي في الطب والناجي في التواريخ وعمل البيمارستانات وبني القناطر وفي ايامه حدثت المكوس على المبيعات ومنع من الاختراف ببعضها وجعلت مغيراً للدولة

بقيّة أسماء سلاطين بني بويه	الهجرة	الميلاد
صمصام الدولة بن عضد الدولة	٢٧٣	٩٨٣
أخوه مشرف الدولة أبو الفوارس	٢٧٦	٩٨٦
أخوه بهاء الدولة	٢٧٩	٩٨٩
سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة	٤٠٣	١٠١٣
أخوه مشرف الدولة أبو علي	٤١٣	١٠٢٣
أخوه جلال الدولة وفي أيامه انحل أمر الخلافة والسلطنة في بغداد وأغار الأكراد والجنود على إستان الخليفة ومهروا آثاره وانتشر العرب في نواحي بغداد وضواحيها وعائلوا فيها حتى سلوا النساء في المقابر	٤١٨	١٠٢٧
أبو كالحجار ابن أخي جلال الدولة ولقبه الخليفة بمحمي الدولة	٤٢٥	١٠٤٣
ابنة أبو النصر الملقب بالرحيم وفي أيامه تجددت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة وسفكت بينهم دماء كثيرة وأوقعوا الحريق في بعض الخانات منها وفي منابر بعضهم فقدم رجل يقال له طفرلنك السلجوقي وكان غازياً من الترك في بلاد الروم ودخل بغداد في سنة ٤٤٧ للهجرة (سنة ١٠٥٥ م) ووقع الحرب بين العامة وبين عساكره فنسب ذلك إلى الملك الرحيم وأمسكه واعتقله في محبس واستنصف أموال الترك في بغداد واستولى على السلطنة فكانت له الدولة التي ورثها بنوه وقومه السلجوقية وجعلوا دار سلطنتهم مدينة قونية أما دار الخلافة فكانوا يجعلون فيها نائباً يسمونه شيخاً ببغداد وكان من يتولى الخلافة وقتئذ من أولئك الأسر المعظمين أو هم السادات المستعبدون عند ما يتمثل بمحضرتي السلطان من بني بويه أو السلجوقية المذكورين يقبل يده	٤٤٠	١٠٤٨

وبلتزم في خطابه الادب ويصرف جهده في تعظيمه ثم متى
 شاء عزله سبل عيونه او قتله
 ومنهم المطيع لله الفضل بن المعتذر تولى الخلافة سنة ٣٤٣ للهجرة (سنة
 ٩٤٦ م) واقام فيها نحو ثلاثين سنة وخلع وفي ايامه اعاد القرامطة الحجر الاسود
 الى مكة
 وتولى الخلافة الطائع لله عبد الكريم بن المطيع المشار اليه في سنة ٣٦٣ للهجرة
 (سنة ٩٧٤ م) واقام بها سبعة عشر سنة وبضعة شهور ثم خلعه بهاء الدولة الديلمي
 ابنة صفى امواله ويصرفها على العساكر
 وتولى مكانه عمه القادر بالله ابا العباس احمد بن المعتذر في سنة ٣٨١ للهجرة
 (سنة ٩٩١ م) فاستمر احدى واربعين سنة وتوفي
 وقام مكانه ابنه القائم بامر الله في سنة ٤٢٣ للهجرة (سنة ١٠٣١ م) واقام
 في الخلافة اربعاً واربعين سنة وتوفي وفي ايامه زالت دولة بني بويه من بغداد
 وقامت فيها السلطنة السلجوقية كما سبقت الاشارة في ما مرّ والسلجوقية ينسبون
 الى سلجوق وهو ابن وزير كان لاحد خانات التتار وفي بعض المؤلفات ان
 سلجوق المذكور اتى سنة ٤٨٣ للهجرة (سنة ١٠٩٠ م) بم جيش عظيم وتلك في
 سمرقند وبخارا وهناك دخل في دين الاسلام مع قوم ثم امتد ملك دولته من
 حدود الصين شرقاً الى اناطولي غرباً وانصل الى سوريا ومصر ايضاً وبها
 انقرضت الدولة الغزنوية
 وعند استيلاء آل سلجوق المذكورين على سلطنة بغداد كان ابتداءً يخطط
 قدر العلوم والفنون بين العرب . قال العلامة الفاضل خبيرا لله افندي المؤرخ
 العثماني ما ترجمته ومن ابتداء القرن الخامس للهجرة (يقابل القرن الحادي عشر
 للميلاد) بطل اعتبار الناس للعلوم والفنون ولم تبق للآداب والمعارف حرمة
 اصلاً وكان ذلك قد تلاشى من افكار العرب بالكلية واعتري العلماء منهم الفتور
 والكسل نظراً لاضطراب الاحوال في تلك الاوقات لان التتار كانوا يتفادون

للجهوم على بلاد الخلفاء العباسيين من كل جهاتهم وتلاشت سلطنة العرب بما وقع من الهرج والفشل بينهم بعد ان اخل نظام الخلافتين في المشرق والمغرب وخرج من المشايخ الصوفية رجل يقال له ابن النسي في بلاد الاندلس ولبس برد السلطنة عوضاً عن عباءة المشيخة وكان يدعو الناس الى اقامة الحق فحكم مدة وتسمت اصحابه بالمرابطين وكذلك سهل بن سلامة الانصاري على مصيفاً في صدره وكان يطوف شوارع بغداد ويدعو الناس الى العمل بالكتاب والسنة وظهر ايضاً في مدينته سوس من اعمال افريقية الشيخ التوريزي من المتصوفة وخرج من قبيلة عمارة رجل يقال له العباس ادعى انه المهدي

ثم بعد الفاتح بامر الله تولى الخلافة المقتدي بالله عبد الله بن محمد بن القائم المشار اليه سنة ٤٦٧ للهجرة (سنة ١٠٧٥ م) واقام بها تسع عشرة سنة وتوفي وفي ايامه ظهرت الفرقة الباطنية المشهورة بسفك الدماء

ثم قام مكانه ابنه المستظهر بالله احمد سنة ٤٨٧ للهجرة (سنة ١٠٩٤ م) واستمر ست وعشرين سنة وتوفي وفي ايامه استولى الافرنج الصليبيون على اراضي الشام واقتلوا انطاكية واقاموا ملكاً من امراءهم على بيت المقدس (اورشليم) ثم تولى عوضاً عنه ابنه المسترشد بالله الفضل سنة ٥١٢ للهجرة (سنة ١١١٨ م) واقام سبع عشرة سنة وقتله السلطان مسعود السلجوقي بظاهر مراغة ونصب عوضاً عنه ابنه منصور الراشد في سنة ٥٢٩ للهجرة (سنة ١١٢٥ م) فاقام سنة وقتل ايضاً

وتولى عوضاً عنه المفتي امر الله محمد بن المستظهر سنة ٥٣٠ للهجرة (سنة ١١٣٦ م) واستمر اربع وعشرين سنة وتوفي وأُصيب عوضاً عنه ابنه المستنجد بالله يوسف سنة ٥٥٥ للهجرة (سنة ١١٦٠ م) واقام اثني عشرة سنة

وتولى عوضاً عنه ابنه المستضي بنور الله حسن سنة ٥٦٦ هجرة (سنة ١١٧٠ م) واقام تسع سنين وسبعة شهور

وجلس عوضاً عنه ابنة الناصر لدين الله احمد في سنة ٥٧٥ للهجرة (سنة ١١٨٠ م) واقام ست واربعين سنة وتوفي وفي ايامه ظهرت دولة الاكراد الايوبيين بمصر وقامت الحروب بين السلطان صلاح الدين والاقرنج واخذ منهم اورشليم لكن دُهي العباسيون بمصيبة ظهور التتار الذين نكبواهم النكبة الاخيرة ثم تولى بعده ابنة الظاهر بالله محمد في سنة ٦٢٢ للهجرة (سنة ١٢٢٥ م) ولم يستم عاماً وتوفي

واقام بالخلافة عوضاً عنه ابنة المنصور المستنصر بالله في سنة ٦٢٢ للهجرة (سنة ١٢٢٢ م) واقام سبع عشرة سنة وتوفي وفي ايامه انتشر التتار وتعاظم امرهم وكثرت غاراتهم على ضواحي بغداد

وبعد تولى ابنة المستنصر بالله عبد الله سنة ٦٤٠ للهجرة (سنة ١٢٤٣ م) واقام في الخلافة خمس عشرة سنة. وكان هذا الخليفة ضعيف الرأي عديم التدبير قطع غالب اجنادهم واستوزر مؤيد الدين العلفي وكان اسما عالياً وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين بن الكوفي الواعظ

يا عصابة الاسلام نوحى والطوي حزناً على ما حلّ بالمستنصر
ذنب الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلفي

فانه يقال بان هذا الوزير اغرى هلاكه ملك التتار الى ان قدم بغداد وافتتحها ونهب اموالها وسفك دماء سكانها وقتل هذا الخليفة في سنة ٦٥٦ للهجرة (سنة ١٢٥٨ م) فلم تبق بعدها قائمة لبني العباس

وكان من جملة مظالم هذا الملك المجوسي الجائر انه بعد ان خرب ما كان بمدينة بغداد من المدارس التي في نهر دجلة كل ما وجد فيها من الكتب النفائس ثم ان الذين تبغول من هذه العشيرة الملكية التجار وقشدة الى مصر فقبلهم الاتراك ماليك الاكراد الايوبية الذين كانوا خلفوا ساداتهم قبل مدة في القلک على مصر كما سبقت الاشارة الى ذلك ولا زال يتسنى فيهم منهم خلفاء

واحداً بعد واحد الى ان نسي سبع عشرة خليفة يضرف مئتين واحد وتسعين سنة كابدوا من سلاطينها انواع التقديم والتأخير والتعظيم والتخثير الى ان كان آخرهم المتوكل على الله محمد بن المستمك بالله يعنوب الذي بويغ له بالقسطنطينية وكان ذهب اليها مع السلطان سليم العثماني فاتح مصر ثم رجع الى مصر واقام فيها الى ان توفي في سنة ٩٥٠ الهجرة (سنة ١٥٤٢ م) وفيه انقطعت من الدنيا الخلافة العباسية التي لم تكن في تلك المدة الا صورية.

وكان بعد ان انكسفت من بغداد شمس دولة بني العباس المشار اليهم واغربت مجلوها في مصر بعيدة عن تلك الاقطار تساقطت ايضاً بالتتابع نجوم المعارف والعلوم التي كانت لم تنزل محجوبة في آخر مدتهم تحت ظلام غيوم تلك الزعازع من اوج الوجود الى حضيض العدم والوار وخلت ارض العراق من الرغائب والفنائس وتلاشى ما كان اسس فيها اولئك الخلفاء العظام من المكاتب والممارس وبالجمله كمنبت بعد ذلك رغبة ذوي الاجتهاد وارباب المعارف اذ لم يبق من يبدل عليهم كالخلفاء المذكورين الاموال واللطائف ويغنهم كما كانوا يحفونهم بكل تليد وطارف فلم يوجد بعد ذلك في كل بلاد الشرق لها رغب كما كان وقع في اسبانيا وافريقية ايضاً قبل ذلك بمدة حيث عدم هناك المطلوب والطالب وترك العرب كافة تلك العلوم والفنون بعد ان كان دأهم البحث عن استخراج درها المصون وجوهرها المكنون ومن ثم تفرق شملها ما بين فاقدر وضائع وتماصرت بخلوها العقول ايضاً عن السباق في حلبة الاعمال والصنائع بل قايس عليها الاكثرون من الشبان بمطالعة كتب الخرافات كحكاية السندباد البحري والمخالة دليلاً او قتل الاوقات عمداً بسماع حاس قصة عنتره ومجون الف ليلة وليلة على انهم لو حافظوا على ما كان لهم من مجد المعارف كمحافظتهم على النور ممن سواهم وان كان من اهل النوى لكان ختام كلامنا هنا بان ذلك المجد هو في الحقيقة بهم ابتداءً والهم انتهى

فهرس

صفحة

المقالة الاولى في مواطن العرب الاصلية وفيها خمسة فصول	١
الفصل الاول الكلام على خطة العرب الاصلية المسماة جزيرة العرب	١
الفصل الثاني الكلام على بلاد الجزيرة المسماة ديار بكر او ديار ربيعة	١٣
ومصر	
الفصل الثالث في الكلام على بلاد العراق	١٥
الفصل الرابع في الكلام على بلاد الشام	١٩
الفصل الخامس في الكلام على بلاد مصر	٢١
المقالة الثانية في اقسام العرب الاصلية وفيها اربعة فصول	٢٣
الفصل الاول في اقسام العرب الاصلية	٢٣
الفصل الثاني في قبائل العرب وما يتفرع عنها	٢٧
الفصل الثالث في اشراف العرب	٢٨
الفصل الرابع في علم الانساب	٤١
المقالة الثالثة في نقاط العرب وسحبها واصنافها وفيها اربعة فصول	٤٦
الفصل الاول في نقاط العرب واصنافها	٤٦
الفصل الثاني في الحسن عند العرب	٥٢
نبذة في المشتهرات بالجمال	٥٥
الفصل الثالث في العشق في الاعراب	٥٩

فهرس

صفحة	
٦٣	الفصل الرابع في احوال الزواج
٦٨	نبذة في ما يتعلق بالاولاد
٧١	" في الجنائز
٧٤	المقالة الرابعة في اديان العرب ومعابدها ومناسكها وفيها ستة فصول
٧٤	الفصل الاول في اديان العرب
٨١	" الثاني في معابد العرب
٨٥	نبذة في سلطنة الكعبة
٨٦	الفصل الثالث في مناسك العرب
٩٣	" الرابع في الممارك الغيبية
٩٤	الكهان
٩٨	الجفر
٩٩	التكهن وانواعه
١١٥	الفصل الخامس في الاسماء الشريفة وغيرها من اهل العالم الروحي
١٢٤	" السادس في عوائد الجاهلية واوابدها المملغة في الاسلام
١٢٧	المقالة الخامسة في مساكن العرب وملابسهم وماكلهم ومخاطباتهم وفيه اربعة فصول
١٢٧	الفصل الاول في مساكن العرب واقسامها
١٢٧	الكلام على مباني الحضرة في الجاهلية
١٤٠	مباني العرب في العصر الاسلامي
١٤٤	الخلافة الاموية بالاندلس ومبانيها
١٥٣	الخلافة الفاطمية بافريقية ومبانيها
١٥٧	سلطنة مراکش ومبانيها
١٥٩	مساكن الوبراي اهل البادية واساؤها

فهرس

صفحة	
١٦٤	الفصل الثاني في ملابس العرب وحليها
١٧٩	" الثالث في انواع المآكل وآداب الطعام عند العرب
١٩٥	" الرابع في آداب التحية وانواع المخاطبات
١٩٥	الالقباب
٢٠٠	الكلى
٢٠١	التحية وغيرها من انواع المخاطبات
٢١٩	المقالة السادسة في اخلاق العرب وشيخائهم وفصحاءهم وفيها ثلاثة فصول
٢١٩	الفصل الاول في اخلاق العرب وطبائعهم
٢٤٥	" الثاني في شيخان العرب
٢٥٠	" الثالث في فصحاء العرب وشعرائهم
٢٦٦	المقالة السابعة في تربية الخيول والابل وباقي المصولات وفيها اربعة فصول
٢٦٦	الفصل الاول في خيول العرب ومشاهيرها
٢٧٤	" الثاني في تربية الابل وفوائدها
٢٨٢	" الثالث في باقي الحيوانات المعروفة عند العرب واسمائهم وكناها والصيد
٢٩٦	" الرابع في باقي المصولات النباتية والمعدنية والصناعية وتجارتها
٣٠٤	المقالة الثامنة في جيوش العرب واسلحتها ووقائعها وفتوحاتها وفيها ثلاثة فصول
٣٠٤	الفصل الاول في جيوش العرب وكيفية حروبها
٣١١	" الثاني في اسلحة العرب
٣١٧	" الثالث في وقائع العرب وفتوحاتها البرية والبحرية
٣٢٩	المقالة التاسعة في دول العرب وخططها وفيها ثلاثة فصول

فهرس

صفحة	
٢٣٩	الفصل الاول في دول العرب وخططها
٢٤٩	" الثاني في امارة المؤمنين وخصوصياتها
٢٥٤	" الثالث في تدوين الدواوين وبعض ترميمات مالية
٢٦١	المقالة العاشرة في وضع آداب اللغة العربية وطلب العلوم الفلسفية وفيها ستة فصول
٢٦١	الفصل الاول في وضع آداب اللغة العربية واسبابها
٢٦٧	" الثاني في فن التطريب المعروف بالموسيقى
٢٨٠	" الثالث في طلب العرب للعلوم الفلسفية
٢٨٥	" الرابع في جمع الكتب القديمة وترجمتها
٢٩٣	" الخامس في العلوم الفلسفية التي مارسها العرب
٢٩٣	" " في المنطق وفلسفة العرب
٣٠٠	" " في معارف العرب الاصلية في الفلك والطبيعات
٤١٢	" " في الكلام على علم الهيئة بعد الاسلام
٤١٩	" " الجغرافيا
٤٢٤	" " النبات
٤٣٥	" " الهندسة والجبر وغيره
٤٣٧	" " الطب عند العرب في الجاهلية
٤٣٨	" " الطب عند العرب قبل ترجمة الكتب بعد الاسلام
٤٣٤	" " اشتغال الغرب في الطب بعد الاسلام والمشهورون منهم فيه
٤٤٠	الفصل السادس في منارس العرب واشتهارها وما آل اليه امرها
٤٤٣	" " منارس الاندلس والذين تعلموا فيها من الافرنج
٤٤٣	" " معرفة الافرنج قدر العلوم بواسطة الحروب الصليبية
٤٤٥	" " فساد تراجم الكتب العلمية المأخوذة عن العرب واصلاحها

فهرس

صفحة	
٤٤٦	سقوط مدارس العرب بسقوط دولهم
٤٤٦	اندراس مكاتب الاندلس
٤٤٧	اندراس مكاتب بغداد
٤٤٧	خمول العرب وزهدهم بعد ذلك في العلوم التي ذكرت وتلاشيها
٤٤٨	الخلفاء في بيان توارخ جالوس الخلفاء والسلاطين والملوك الذين كانوا
	تحت سيادتهم
٤٤٨	الخلفاء الراشدون
٤٤٨	الخلفاء الامويون
٤٤٨	الخلفاء العباسيون
٤٥١	الخلفاء الامويون بالاندلس
٤٥٤	الملوك الطولونية بمصر
٤٥٦	الخلفاء الفاطمية بمصر
٤٥٧	الاکراد ابوية بمصر والأتراك
٤٥٩	بنو بويه سلاطين بغداد
٤٦١	السلطنة السلجوقية في بغداد
٤٦٣	قدوم هلاكو ملك التتار وخراب بغداد
٤٦٤	توجه من بقي من بني العباس الى مصر وخلفائهم وانقراضهم فيها

